مَعَارِجُ القَبُول

بشرح سُلم الوصول

إلى علم الأصول في التوحيد

للشيخ حافظ بن أحمد حَكَمي

(١٣٤٢- ١٣٧٧ هـ)

خرج أحاديثه وعلق عليه

أبو محمد يحيى بن محمد سوس

راجعه وقدم له

أبو عبد الله مصطفى بن العدوى

الجزء الثاني

دار ابن رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

لسنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع:
٢٢١٣٦ / ٢٠٠٦

الناشر

دار ابن رجب

فارسكور: تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢

المنصورة: شارع جمال الدين الأفغاني. هاتف: ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨



الإسلام والإيمان والإحسان

هذا فصل يجمع معنى حديث جبريل فى تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب : الإسلام، والإيمان، والإحسان. وبيان كل منها.

اعلم أن هذا الفصل مهم جدًا جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية، وهو معنى حديث جبريل فى سؤاله النبى ﷺ وجوابه إياه، وهو حديث عظيم الشأن جليل كبير جامع نافع، سمى النبى ﷺ ما احتوى عليه «الدين» فقال : «**هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

وهو حديث مشهور فى كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو ذر وعبد الله بن عباس وأبو عامر الأشعري وغيرهم ﷺ. وها نحن نذكر أحاديثهم بألفاظها مع بيان مخرجيها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التى فيها عند مواضعها من هذا المتن إن شاء الله تعالى، وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

حديث جبريل - الحديث به عن عمر

فأما حديث عمر بن الخطاب ﷺ فأخرجه مسلم فى أول «جامعه»: حدثنى أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر. ح. وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى وهذا حديثه : حدثنا أبى حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين - أو معتمرين - فقلنا : لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر ﷺ داخلًا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت صاحبى سيكل

(١) صحيح :وسيورد المصنف طرقه.

الكلام إلى، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم. وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف. قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى بريء منهم وأنهم برآء منى، والذى يحلف به عبد اللَّه بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبًا فأنفقه فى سبيل اللَّه ما قبله اللَّه منه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثنى أبى عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**». قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**». قال: صدقت. فأخبرنى عن الإحسان. قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قال: فأخبرنى عن أماراتها. قال: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**». قال: ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**» قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1].

حدثنى محمد بن عبيد الغبرى وأبو كامل الجحدرى وأحمد بن عبدة قالوا: حدثنا حماد بن زيد عن مطر الوراق عن عبد اللَّه بن بريدة عن يحيى بن يعمر. قال: لما تكلم معبد بما تكلم به فى شأن القدر أنكرنا ذلك. قال: فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حجة وساقوا الحديث بمعنى حديث كهمس وإسناده. وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف[2].

وحدثنى محمد بن حاتم حدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا عثمان بن غياث حدثنا عبد اللَّه بن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالا: لقينا عبد اللَّه بن عمر ﷺ فذكرنا القدر وما يقولون فيه، فاقتص الحديث كنحو حديثهم عن عمر ﷺ عن النبى ﷺ، وفيه شيء من زيادة وقد نقص منه شيئًا[3].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٨).
(٢) صحيح مسلم (ص٣٨ح٨).
(٣) صحيح مسلم (ص٣٨ح ٨).

وحدثني حجاج بن الشاعر حدثنا يونس بن محمد حدثنا المعتمر عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر عن النبي ﷺ بنحو حديثهم[١].

هذه طرقه في مسلم بكمالها، ولم يخرجه البخاري رحمه الله تعالى[٢].

ورواه أبو داود من حديث كهمس فقال في كتاب السنة من سننه: حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة فذكره. وفيه: لا يرى عليه أثر السفر ولا نعرفه. وفيه: فلبثت ثلاثًا[٣].

ومن حديث عثمان بن غياث: فقال: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال حدثني عبد الله بن بريدة. وفيه. فذكر نحوه. وزاد: قال وسأله رجل من مزينة أو جهينة فقال: يا رسول الله فيم نعمل. أفي شيء قد خلا أو مضى أو شيء يستأنف الآن؟ قال: «فِي شَيْءٍ قَدْ خَلَا وَمَضَى». فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟ قال: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»[٤].

ومن حديث سليمان بن بريدة عن ابن يعمر بهذا الحديث يزيد وينقص: قال: فما الإسلام؟ قال: «إِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَصَوْمُ رَمَضَانَ وَالِاغْتِسَالُ مِنَ الْجَنَابَةِ»[٥].

ورواه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه من مجتبى سننه فقال: باب نعت الإيمان، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا النضر بن شميل قال: أنبأنا كهمس بن الحسن - فذكر حديث عمر بن الخطاب كلفظ مسلم - ولم يذكر حميدًا ولم يذكر كلام يحيى بن يعمر ولا كلام ابن عمر قبله[٦].

ورواه الترمذي في أبواب الإيمان فقال: باب ما وصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي أخبرنا وكيع عن كهمس بن الحسن، فذكر بمعنى لفظ مسلم غير أنه قال: فألزق ركبتيه بركبتيه ثم قال: يا محمد ما

(١) صحيح مسلم (ص٣٨ ح٨).
(٢) لم يخرجه البخاري من حديث عمر، لكن أخرجه بنحوه من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وسيأتي.
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٥).
(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٦).
(٥) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٧).
(٦) صحيح: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٨/ ٩٧).

الإيمان؟ ثم قال: فما الإسلام؟ ثم قال: فما الإحسان؟ وفيه كل ذلك يقول له: صدقت. قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال: فمتى الساعة؟ وقال: فما أماراتها. وفي آخره فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال: «يَا عُمَرُ هَلْ تَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». وفي نسخة: «مَعَالِمَ دِينِكُمْ»[١].

حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا ابن المبارك أخبرنا كهمس بن الحسن بهذا الإسناد نحوه بمعناه. حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا معاذ بن هشام عن كهمس بهذا الإسناد نحوه بمعناه. وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة هذا حديث حسن صحيح قد روي من غير وجه نحو هذا. وقد روي هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ والصحيح هو عن ابن عمر عن النبي ﷺ[٢].

ورواه ابن ماجه في باب الإيمان: حدثنا علي بن محمد حدثنا وكيع عن كهمس بن الحسن فذكره كلفظ الترمذي، غير أنه لم يذكر حميدا ولا نفس القصة ولا كلام ابن عمر قبل الحديث. وفيه: قال وكيع في قوله: «أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا» يعني تلد العجم العرب[٣].

ورواه عبد الله بن الإمام أحمد: حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس عن ابن بريدة، ويزيد بن هارون حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر سمع ابن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن... الحديث[٤].

والحاصل أن راويه عن عمر ابنه عبد الله وعنه يحيى بن يعمر وحميد الحميري وعن يحيى بن يعمر عبد الله بن بريدة وسليمان بن بريدة وسليمان بن طرخان. وعن عبد الله بن بريدة كهمس ومطر الوراق وعثمان بن غياث، وعن كهمس وكيع ومعاذ العنبري والنضر بن شميل ومحمد بن جعفر ويزيد بن هارون ثم اشتهر عن كل من هؤلاء والله أعلم.

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦١٠).
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٦ عقب حديث ٢٦١٠).
(٣) صحيح: أخرجه ابن ماجة (٦٣) وفيه كلام وكيع وهو صحيح إليه.
(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٥١).

الحديث به عن ابن عمر

وأما حديث عبد اللَّه بن عمر ﷺ: فهو الذى أشار إليه الترمذى وقد رواه الإمام أحمد من طرق عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر ﷺ إنا نسافر فى الآفاق فنلقى قومًا يقولون لا قدر، فقال ابن عمر ﷺ: إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبد اللَّه بن عمر منهم بريء وأنهم منه برآء - ثلاثًا - ثم إنه أنشأ يحدث: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ فجاء رجل فذكر من هيئته، فقال رسول اللَّه ﷺ: «ادْنُهْ» فدنا، فقال: «ادنه» فدنا، فقال: «ادْنُهْ» فدنا حتى كاد ركبتاه تمسان ركبتيه، فقال: يا رسول اللَّه أخبرنى ما الإيمان أو عن الإيمان، قال: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ». قال سفيان: أراه قال: «خَيْرِهِ وَشَرِّهِ». قال: فما الإسلام؟ قال: «إِقَامَةُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَحَجُّ الْبَيْتِ وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ وَغُسْلٌ مِنَ الْجَنَابَةِ»، كل ذلك قال: صدقت صدقت، قال القوم: ما رأينا رجلًا أشد توقيرًا لرسول اللَّه ﷺ من هذا كأنه يعلم رسول اللَّه ﷺ ثم قال: يا رسول اللَّه أخبرني عن الإحسان قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ - أو - تَعْبُدَهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِلَّا تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». كل ذلك نقول ما رأينا رجلًا أشد توقيرًا لرسول اللَّه ﷺ من هذا فيقول: صدقت صدقت، قال: أخبرنى عن الساعة. قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ». قال فقال: صدقت قال ذلك مرارًا، ما رأينا رجلًا أشد توقيرًا لرسول اللَّه ﷺ من هذا. ثم ولى. قال سفيان: فبلغنى أن رسول اللَّه ﷺ قال: «الْتَمِسُوهُ»، فلم يجدوه. قال: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ. مَا أَتَانَا فِي صُورَةٍ إِلَّا عَرَفْتُهُ غَيْرَ هَذِهِ الصُّورَةِ»[1].

وإسناده: حدثنا عبد اللَّه حدثنى أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر إلخ.

وفى رواية قال: قلت لابن عمر إن عندنا رجالا يزعمون أن الأمر بأيديهم فإن شاءوا عملوا وإن شاءوا لم يعملوا. فقال: أخبرهم أنى منهم بريء وأنهم منا برآء. ثم قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: يا محمد ما الإسلام؟ فقال: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ». قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: «نَعَمْ». قال: صدقت. قال: فما الإحسان؟ قال: «تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَا تَكُ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: فإذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال: «نَعَمْ» قال: صدقت. قال: فما

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٥٢).

الإيمان؟ قال: «تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ». قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال: «نَعَمْ». قال: صدقت(١).

زاد فى رواية: وكان جبريل يأتى النبى ﷺ فى صورة دحية(٢).

وسند هذه الرواية: حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا على بن زيد عن يحيى بن يعمر قلت لابن عمر إلخ.

وفى أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن جبريل قال للنبى ﷺ: ما الإيمان؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِالْقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّهِ». فقال له جبريل عليه السلام: صدقت. قال: فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال: فقال النبى ﷺ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ مَعَالِمَ دِينِكُمْ»(٣).

وسند هذه الرواية حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا وكيع حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر . . . إلخ.

ورواية عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميرى قال: لقينا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فذكرنا القدر وما يقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابن عمر منكم بريء وأنتم منه برآء - ثلاث مرار - ثم قال: أخبرنى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبى ﷺ جاءه رجل يمشى حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بيض فنظر القوم بعضهم إلى بعض ما نعرف هذا وما هذا بصاحب سفر. ثم قال: يا رسول الله آتيك؟ قال: «نَعَمْ». فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه وساق الحديث بنحو

---

(١) صحيح بمجموع طرقه وشواهده: أما بهذا اللفظ فأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٠٧) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وأخرجه عبدالله في «السنة» (٩٧٩ بتحقيقي) من حديث ابن عمر عن عمر وفي إسناده حماد بن طهمان وهو كثير الخطأ. وأخرجه أحمد (٢/ ١٠٧) بإسناد حسن، وانظر ما يأتي.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ١٠٧) عن عفان عن حماد بن سلمة عن إسحاق بن سويد عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر مرفوعًا بمثل المتن السابق وفيه هذه الزيادة. وإسناده حسن وإسحاق بن سويد هو العدوي صدوق، والإسناد الذي سيورده المصنف هو للتعليق السابق.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (١/ ٢٨) عن وكيع عن كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر، وإسناده صحيح، وصوب الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (١٩١) أن الصواب ابن عمر عن أبيه، قال: ولعله سهو من الناسخين.

قلت: يؤيد ما ذكر أن الحديث أورده أحمد في «مسند عمر»، وليس في «مسند ابن عمر».

ما تقدم فى الصحيح والسنن، وزاد فى آخره سؤال الرجل من جهينة أو مزينة كما تقدم فى رواية أبى داود[١].

الحديث به عن أبي هريرة

وأما حديث أبى هريرة رضي الله عنه فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال: أخبرنا أبو حيان التيمى عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: «الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالبَعْثِ». قال: ما الإسلام؟ قال: «الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ». قال: ما الإحسان؟ قال: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: متى الساعة؟ قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّتَهَا وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمِ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى». ثم تلا النبى ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئًا، فقال: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ»[٢].

قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان، وترجم عليه: باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبى ﷺ له. ثم قال: «جَاءَ جِبْرِيلُ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»، فجعل ذلك كله دينًا[٣].

وأخرجه فى تفسير سورة لقمان فقال: باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] حدثنى إسحاق عن جرير عن ابن حيان الحديث. وفيه: إذ أتاه رجل يمشى فقال: يا رسول الله ما الإيمان؟ وفيه: قال يا رسول الله متى الساعة؟ قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. وَلَكِنْ سَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّتَهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا كَانَ الْحُفَاةُ الْعُرَاةُ رُءُوسَ النَّاسِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] ثم انصرف الرجل فقال: «رُدُّوا عَلَيَّ»، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئًا، فقال: «هَذَا جِبْرِيلُ

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٧) وعبدالله في «السنة» (٩٤٦، ٩٤٧ بتحقيقي).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠).
(٣) «فتح الباري» (١/ ١٣٨، ١٣٩) كتاب «الإيمان» باب (٣٧).

جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ»[(١)].

ورواه مسلم فقال: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب جميعًا عن ابن علية قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبى حيان الحديث وزاد: وإذا تطاول رعاة البهم فى البنيان فذاك من أشراطها فى خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: الآية ٣٤] قال: ثم أدبر إلخ[(٢)].

وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمى بهذا الإسناد مثله، غير أن فى روايته: «إذا ولدت الأمة بعلها» يعنى السرارى[(٣)].

وقال حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَلُونِي» فهابوه أن يسألوه. فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «لَا تُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ». قال: صدقت. قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَابِهِ وَلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ». قال: صدقت. قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: «أَنْ تَخْشَى اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ». قال: صدقت. قال: يا رسول الله متى تقوم الساعة؟ قال: «مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. وَسَأُحَدِّثُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الْأَمَةَ تَلِدُ رَبَّهَا فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا، وَإِذَا رَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الصُّمَّ الْبُكْمَ مُلُوكَ الْأَرْضِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا. وَإِذَا رَأَيْتَ رِعَاءَ الْبَهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ فَذَاكَ مِنْ أَشْرَاطِهَا فِي خَمْسٍ مِنَ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: الآية ٣٤] قال: ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ: «ردوه علي»، فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَرَادَ أَنْ تَعَلَّمُوا إِذْ لَمْ تَسْأَلُوا»[(٤)].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٧٧).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٩).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (ص٣٩ح ٩).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (ص٤٠ ح١٠) وابن ماجة (٦٤، ٤٠٤٤) وأحمد (٢/ ٤٢٦) وابن خزيمة (٢٢٤٤) وابن حبان (١٥٩) وغيرهم وأشار إليه الترمذي كما ذكر المصنف عقب حديث رقم (٢٦١٠).

وأشار إليه الترمذى فى باب حديث ابن عمر عن عمر. ورواه ابن ماجه بإسناد مسلم ولفظه إلى آخر الآية. ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل حدثنا أبو حيان عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن أبى هريرة ﷺ إلخ وفيه: «**وإذا كانت العراة الحفاة الجفاة**»(١).

الحديث به عنه وعن أبي ذر

وأما حديثه مع أبى ذر ﷺ فقال النسائى فى كتاب الإيمان من مجتبى سننه: صفة الإيمان والإسلام(٢).

أخبرنا محمد بن قدامة عن جرير عن أبى فروة عن أبى زرعة عن أبى هريرة وأبى ذر ﷺ قالا: كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهرانى أصحابه فيجيء الغريب فلا يدرى أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسًا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكان من طين كان يجلس عليه. وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ فى مجلسه إذ أقبل رجل أحسن الناس وجهًا وأطيب الناس ريحًا كأن ثيابه لم يمسها دنس حتى سلم فى طرف البساط فقال: السلام عليك يا محمد، فرد عليه السلام، قال: أدنو يا محمد؟ قال: «**ادْنُهْ**». فما زال يقول: أدنو مرارًا ويقول له: «**ادْنُ**» حتى وضع يده على ركبتى رسول الله ﷺ قال: يا محمد أخبرنى ما الإسلام؟ قال: «**الإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ**» قال: إذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال: «**نعم**». قال: صدقت. فلما سمعنا قول الرجل «صدقت» أنكرنا. قال: يا محمد أخبرنى ما الإيمان؟ قال: «**الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ**». قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال رسول الله ﷺ: «**نَعَمْ**». قال: صدقت. قال: يا محمد أخبرنى ما الإحسان؟ قال: «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**». قال: صدقت. قال: يا محمد أخبرنى متى الساعة؟ قال: فنكس فلم يجبه شيئًا، ثم أعاد فلم يجبه شيئًا، ثم أعاد فلم يجبه شيئًا، ورفع رأسه فقال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَلَكِنْ لَهَا عَلَامَاتٌ تُعْرَفُ بِهَا: إِذَا رَأَيْتَ الرِّعَاءَ الْبُهْمِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، وَرَأَيْتَ الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ مُلُوكَ الْأَرْضِ، وَرَأَيْتَ الْأَمَةَ تَلِدُ رَبَّهَا فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ**»: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] ثم قال: لا والذى بعث محمدًا

---

(١) «مسند أحمد» (٢/ ٤٢٦).

(٢) «سنن النسائي» «المجتبى» (٨/ ١٠١).

بالحق هاديًا وبشيرًا ما كنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل نزل فى صورة دحية الكلبى ﷺ[١].

وقال أبو داود فى باب القدر من كتاب السنة من سننه: حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن فروة عن أبى زرعة بن عمر بن جرير عن أبى ذر وأبى هريرة قالا: كان رسول اللّه ﷺ الحديث. وفيه: فبنينا له دكانًا من طين فجلس عليه، وكنا نجلس بجنبتيه، وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجل فذكر هيئته حتى سلم من طرف السماط فقال: السلام عليك يا محمد، قال: فرد عليه النبى ﷺ[٢].

فحاصل طرق حديث أبى هريرة وحده ومع أبى ذر ﷺ أبو زرعة عن أبى هريرة وعنه أبو حيان وأبو فروة وعمارة بن القعقاع، وعن أبى حيان إسماعيل بن إبراهيم بن علية وجرير ومحمد بن بشر، وعن إسماعيل مسدد وأبو بكر بن أبى شيبة وزهير بن حرب وأحمد بن حنبل، وعن جرير إسحاق وزهير بن حرب ومحمد بن قدامة وعثمان بن أبى شيبة، وعن محمد بن بشر محمد بن نمير، وعن كل من عمارة وأبى فروة جرير. واللّه أعلم.

الحديث به عن ابن عباس

وأما حديث ابن عباس: فقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنى عبد اللّه بن عباس ﷺ قال: جلس رسول اللّه ﷺ مجلسًا فجاء جبريل عليه السلام فجلس بين يدى رسول اللّه ﷺ واضعًا كفيه على ركبتى النبى ﷺ فقال: يا رسول اللّه حدثنى ما الإسلام؟ قال رسول اللّه ﷺ: **«الإسلام أن تسلم وجهك للّه وتشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله»**. قال: **«إذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟»** قال: **«إذا فعلت ذلك فقد أسلمت»**. قال: يا رسول اللّه فحدثنى ما الإيمان؟ قال: **«الإيمان أن تؤمن باللّه واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيره وشره»**. قال: «فإذا فعلت ذلك فقد آمنت؟» قال: **«إذا فعلت ذلك فقد آمنت»**. قال: يا رسول اللّه حدثنى ما الإحسان؟ قال رسول اللّه ﷺ: **«الإحسان أن تعمل للّه كأنك تراه،**

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي (٨/ ١٠١) وإسناده صحيح، وأبو فروة هو الهمداني عروة بن الحارث.
(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٨).

فإنك إن لم تره فإنه يراك» . قال : يا رسول اللَّه فحدثنى متى الساعة؟ قال رسول اللَّه ﷺ : **«سبحان اللَّه فى خمس من الغيب لا يعلمهن إلا اللَّه»** : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾[لقمان: الآية ٣٤] **ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك»** ، قال أجل يا رسول اللَّه فحدثنى . قال رسول اللَّه ﷺ : **«إذا رأيت الأمة ولدت ربتها - أو - ربها . ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنيان ، ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رءوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها»** . قال : يا رسول اللَّه ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال : العرب[1] . وحسنه الحافظ العسقلانى .

الحديث به عن أبى عامر

وأما حديث أبى عامر فقال الإمام أحمد أيضًا : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال : حدثنا عبد اللَّه بن أبى حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبى عامر أو أبى مالك رضي الله عنه أن النبى ﷺ بينما هو جالس فى مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل عليه السلام فى غير صورته يحسبه رجلًا من المسلمين فسلم عليه فرد عليه السلام ، ثم وضع جبريل يده على ركبتى النبى ﷺ فذكر الحديث بنحو حديث عمر بن الخطاب . وفيه : فلما ولى أى السائل فلما لم نر طريقه بعد قال ، أى : النبى ﷺ : **«سُبْحَانَ اللَّهِ ثَلَاثًا . هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ لِيُعَلِّمَ النَّاسَ دِينَهُمْ»**[2] .

وحسنه الحافظ أيضًا وهو من مفردات أحمد رحمه اللَّه تعالى . وأما الأحاديث التى قبله فقد خرجها غير من ذكرنا ، وإنما اقتصرنا على روايات الأمهات لشهرتها وفى الباب عن جماعة من الصحابة غير من ذكر ، منهم طلحة بن عبيد اللَّه وأنس بن مالك وجرير بن

---

(١) **ضعيف الإسناد** : أخرجه أحمد (١/ ٣١٨) وفي إسناده شهر بن حوشب متكلم فيه ، وعبدالحميد هو ابن بهرام لا بأس به إلا أنهم عابوا عليه روايته عن شهر ، وذكروا أنه يروي عن شهر أحاديث منكرة . وانظر «التهذيب» (٦/ ١١٠) .

قلت : وقد رواه مطر الوراق عن شهر فقال عن أبي هريرة ، أخرجه عبداللَّه في «السنة» (٩٨٠) ولا يصح إسناده ، والمتن صحيح بشواهده . إلا آخره ففيه بعض لفظ منكر .

(٢) **في إسناده كلام ، والمتن صحيح بشواهده** : وهذا أخرجه أحمد (٤/ ١٢٩) وعلته الكلام في شهر مع الاختلاف عليه في إسناده . وانظر ما سبق .

وهذا الحديث والذي قبله أشار إليهما الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٤٠ شرح حديث ٥٠) فقال : وعن ابن عباس وأبي عامر الأشعري أخرجهما أحمد وإسنادهما حسن .

عبد الله البجلي ﷺ ، وسنذكر إن شاء الله تعالى ما تيسر من النصوص فى كل مسألة من مسائله عند ذكرها فى المتن ، فنقول وبالله التوفيق :

الإيمان قول وعمل

اعْلَمْ بِأَنَّ الدِّينَ قَوْلٌ وَعَمَلْ فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْهِ ذَا اشْتَمَلْ

«اعلم» يا أخى وفقنى الله وإياك والمسلمين «بأن الدين» الذى بعث الله به رسله ، وأنزل به كتبه ، ورضيه لأهل سمواته وأرضه ، وأمر أن لا يعبد إلا به ، ولا يقبل من أحد سواه ، ولا يرغب عنه إلا من سفه نفسه ، ولا أحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو «قول» أى : بالقلب واللسان«وعمل» أى : بالقلب واللسان والجوارح ، فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام .

الأول : قول القلب وهو تصديقه وإيقانه ، قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤﴾ [الزمر : ٣٣- ٣٤] ، وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام : الآية ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات : الآية ١٥] صدقوا ثم لم يشكوا . وفى حديث الدرجات العلى : «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(١) .

وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة : الآية ٣] . وقال تعالى : ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة : الآية ١٣٦] الآيات . وقال تعالى : ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى : الآية ١٥] وغير ذلك من الآيات . وفى حديث الشفاعة : «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَفِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً» الحديث(٢) .

وفى الحديث الآخر : «فَيُقَالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ ، ثُمَّ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(٣) ، وقال تعالى فى المكذبين :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٥٦) ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤١٠) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس مرفوعًا .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٧٥١٠) ومسلم (١٩٣) من حديث أنس مرفوعًا .

﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: الآية ٦]، وقال تعالى في المرتابين الشاكين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٧]، وقال فيهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: الآية ٤١]، وقال تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: الآية ١] أي: في قولهم نشهد، أي: كذبوا، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بألسنتهم تقية ونفاقًا ومخادعة.

الثاني: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والإقرار بلوازمها. قال الله: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: الآية ١٣٦]، ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ﴾ [القصص: الآية ٥٣]، ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [الشورى: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: الآية ٨٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝١٣﴾ [الأحقاف: الآية ١٣]، وقال ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ»[1] وما في معناه مما سنذكر ومما لا نذكر.

الثالث: عمل القلب، وهو النية والإخلاص والمحبة والانقياد والإقبال على الله ﷻ والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢]، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: الآية ٩]، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ [الأنفال: الآية ٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: الآية ٦٠]، ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا مُّتَشَـٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: الآية ٢٣]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرعد: الآية ٢٨]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: الآية ٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: الآية ٥]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤﴾ [الزمر: الآية ١٤]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٥] ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: الآية ٣١] ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: الآية ٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

مُحْسِنٌ﴾ [النساء: الآية ١٢٥]. ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: الآية ٢٢]، ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: الآية ٣٤]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: الآية ٦٥].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١).

وقال ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢)، وقد تقدم جملة من نصوص الإخلاص في الكلام على «لا إله إلا الله»، وتقدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشرك الأصغر، وقال ﷺ: «أحبوا الله من كل قلوبكم»(٣) وقال ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» الحديث(٤)، وقال ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(٥).

وكان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»(٦). وقال ﷺ: «اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري الحديث الأول في صحيحه، ومسلم (١٩٠٧) من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٨٥) وابن خزيمة (٩٣٨) وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ضعيف الإسناد: وسبق تخريجه في آخر الكلام على الفوقية، وقبيل الكلام عن معنى الحي القيوم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٦، ٢١) ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) من حديث أنس، وأخرجه البخاري (١٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦) صحيح بمجموع طرقه وشواهده: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٩٣٢) من طريق عبدالله بن صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن أبي يحيى الكلاعي وهو سليم بن عامر عن أبي سلام الأسود عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا به، وصححه الحاكم، وإسناده حسن على كلام في عبدالله بن صالح، وله شاهد أخرجه الترمذي (٣٢٣٥) والطبراني في «الكبير» (٢٠/١٠٩ح ٢١٦) من حديث معاذ بن جبل في حديث اختصام الملأ الأعلى، وهو حديث حسن ومن العلماء من يضعفه، والحديث يصح بما سبق، وله طريق ثالث أخرجه الترمذي (٣٤٩٠) والحاكم (١/٣٦١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعًا وفيه أن ذلك من دعاء داود عليه السلام، وفي إسناده عبدالله بن يزيد الدمشقي وهو ضعيف.

والعصيان واجعلنا من الراشدين»[1]. وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به»[2] وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن له هوى غير ما جاء به الرسول ﷺ. وقد تقدمت النصوص في التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب.

الرابع: عمل اللسان والجوارح، فعمل اللسان ما لا يؤدى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك. وعمل الجوارح ما لا يؤدى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشي في مرضاة الله كنقل الخطا إلى المساجد وإلى الحج والجهاد في سبيل الله ﷻ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: الآية ٢٩] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: الآية ٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٤٢﴾، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٥] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الإسراء: الآية ١١١] وقال تعالى: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: الآية ٤٦] وهي «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[3]، وقال

---

(١) **في إسناده كلام**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٤٥) وفي «عمل اليوم الليلة» (٦٠٩) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٩) والحاكم (١٨٦٨، ٤٣٠٨) والبيهقي في «الاعتقاد» (ص١٥٣) جميعًا عن عبدالواحد بن أيمن عن عبيد بن رفاعة بن رافع عن أبيه مرفوعًا به.

وصححه الحاكم وإسناده لا بأس به، وعبيد وثقه ابن حبان والعجلي، وعده بعضهم في الصحابة، وقد رواه عن عبدالواحد رجلان، هما مروان بن معاوية وهو ثقة حافظ، وخلاد بن يحيى وهو صدوق من شيوخ البخاري، لكن خالفهما أبو نعيم فرواه عن عبدالواحد عن عبيد بن رفاعة مرسلًا، وهذا أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٤٦) وفي «عمل اليوم والليلة» (٦١٠).

قلت: وهذا الاختلاف في الوصل والإرسال مما يوهن الخبر، خاصة مع عدم الحزم بصحبة عبيد بن رفاعة، أو الوقوف على توثيق العلماء له، غير ابن حبان والعجلي.

وابن حجر يقول في مثله غالبًا: مقبول يعني إذا توبع وإلا فلين. وقد قال في ترجمة عبيد في «التقريب»: ولد في عهد النبي ﷺ ووثقه العجلي.

(٢) **ضعيف الإسناد**: وسبق الكلام عليه وتخريجه عند الكلام على الشرط الرابع من شروط كلمة التوحيد.

(٣) ورد تفسير الباقيات الصالحات بهذا التفسير مرفوعًا وموقوفًا، والمرفوع لا يصح. =

تعالى : ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: الآية ٥٥] الآيات ، وقال تعالى : ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: الآية ١٩٩]، وقال تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٩١] الآيات ، وقال تعالى : ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨]، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ الآيات [الحج: ٧٧-٧٨]. وقال تعالى : ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ الآيات [الفرقان: ٦٣- ٦٤]. وقال تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: الآية ٩]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١١-١١٢]، والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها ، وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين ، فإذا حققت هذه الأمور الأربعة تحقيقًا بالغًا وعرفتَ ما يراد بها معرفة تامة وفهمت فهمًا واضحًا ثم أمعنت النظر فى أضدادها ونواقضها تبين لك أن أنواع الكفر لا تخرج عن أربعة : كفر جهل وتكذيب ، وكفر جحود ، وكفر عناد واستكبار ، وكفر نفاق . فأحدها يخرج من الملة بالكلية ، وإن اجتمعت فى شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك ، لأنها إما أن تنتفى هذه الأمور كلها – قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح – أو ينتفى بعضها ، فإن انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٦-٧]. وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب ، قال الله تعالى : ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ﴾ [يونس: الآية ٣٩]، وقال تعالى : ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُواْ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: الآية ٨٤]. وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان ، قال الله تعالى : ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

= وورد من قول عثمان وابن عمر ومجاهد وقتادة وغيرهم موقوفًا عليهم ، وانظر «تفسير ابن جرير» (١٥/ ٢٥٥).

ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: الآية ١٤] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٨٩]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦-١٤٧].

وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك، قال اللَّه تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٨] – إلى قوله – ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: الآية ٢٠]. وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عنادًا واستكبارًا، ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1]، ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة فى الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعانى المستلزم للانقياد ظاهرًا وباطنًا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق، فإن إبليس لم يكذب فى أمر اللَّه تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفرًا واستكبارًا، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسول ﷺ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد بل جحد بآيات اللَّه ظلمًا وعلوًا، فأين هذا من تصديق من قال اللَّه تعالى فيه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: الآية ٣٣] الآيات. وأين تصديق من قال اللَّه تعالى فيهم: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: الآية ٩٣] ﴿قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٧٦] من تصديق من قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٥] واللَّه الموفق.

كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ ... إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ
عَلَى مَرَاتِبِ ثَلَاثٍ فَصَّلَهْ ... جَاءَتْ عَلَى جَمِيعِهِ مُشْتَمِلَهْ
الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ ... وَالْكُلُّ مَبْنِي عَلَى أَرْكَانِ

«كفاك» أيها الطالب الحق «ما قد قاله الرسول» محمد ﷺ «إذ» حين «جاءه يسأله» عن مراتب الدين وشرائعه «جبريل» عليه السلام كما فى الأحاديث السابقة عن جماعة من

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢) ومسلم (١٠٧) من حديث النعمان بن بشير.

الصحابة «**على مراتب ثلاث فصله**» فى تلك الأجوبة الصريحة «**جاءت**» أى الثلاث المراتب «**على جميعه**» أى على جميع الدين «**مشتملة**» ولهذا سمى النبى ﷺ تلك الأمور «الدين» فقال: «**هَٰذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»(١).

مرتبة الإسلام

«**الإسلام**» بالخفض بدل مفصل من مجمل مراتب، ويقال له بدل بعض من كل، وما بعده معطوفان عليه. هذه هى المرتبة الأولى فى حديث عمر وما وافق لفظه. والإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما فى الشريعة فلإطلاقه حالتان:

الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: الآية ١٩]، وقوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: الآية ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: الآية ٢٠٨] أى: فى كافة شرائعه، ونحو ذلك من الآيات. وكقوله ﷺ لما سأله معاوية بن حيدة: ما الإسلام؟ قال: «**أَنْ تَقُولَ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَتَخَلَّيْتُ...**» الحديث(٢)، وفى حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول اللّٰه ما الإسلام؟ قال: «**أن يسلم قلبك للّٰه عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك**» قال: فأى الإسلام أفضل؟ قال: «**الإيمان**» قال: وما الإيمان؟ قال: «**تؤمن باللّٰه وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت**»(٣) فجعل ﷺ الإيمان من الإسلام وهو أفضله،

---

(١) **صحيح**: وسبق تخريجه.

(٢) **حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٤) والنسائي في «المجتبى» (٥/ ٤، ٨٢) وفي «السنن الكبرى» (٢٢١٦، ٢٣٤٩) والروياني (٩١٧، ٩١٨) والحسين المروزي في زوائده على «كتاب الزهد» لابن المبارك (٩٨٧) جميعًا من طريق بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا به.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٤/ ١١٤) وعبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ١٢٧) من طريق معمر عن أيوب عن أبي قلابة عن عمرو بن عبسة مرفوعًا به، وهذا إسناد رجاله ثقات لكن في رواية معمر عن أيوب ضعف، ومعمر مخالف، خالفه عبدالوهاب الثقفي وجرير بن حازم فروياه عن أيوب عن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه مرفوعًا، وهذا أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٣٣٦ح ٩٩٨) وقال: قلت لأبي: هذا الرجل يسمى؟ قال: لا، وليس هذا عند أهل الشام. اهـ

قلت: وإسناده ضعيف لإبهام الرجل، ورواية جرير وعبدالوهاب عن أيوب أثبت من رواية معمر.

وقوله ﷺ: «إِذَا أَسْلَمَ الْعَبْدُ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ حَسَنَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا، وَمُحِيَتْ عَنْهُ كُلُّ سَيِّئَةٍ كَانَ أَزْلَفَهَا» الحديث[1].

فإن الانقياد ظاهرًا بدون إيمان لا يكون حسن إسلام بل هو النفاق، فكيف تكتب له حسنات أو تمحى عنه سيئات؟ ونحو ذلك من الأحاديث.

الحالة الثانية: أن يطلق مقترنًا بالاعتقاد. فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة، كقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٤] الآية، وكقوله ﷺ لما قال له سعد رضي الله عنه: ما لك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمنًا. فقال ﷺ: «أَوْ مُسْلِمٌ»[2] يعني أنك لم تطلع على إيمانه، وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة. وفي رواية النسائي: «لَا تَقُلْ مُؤْمِنٌ وَقُلْ مُسْلِمٌ»[3]، وكحديث عمر هذا، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

مرتبة الإيمان

«والإيمان» هذه المرتبة الثانية في الحديث المذكور، والإيمان لغة التصديق قال إخوة يوسف لأبيهم: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: الآية ١٧] يقول بمصدق، وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان: الحالة الأولى: أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله ﷻ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:

---

(١) صحيح الإسناد: أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤١) تعليقًا بصيغة الجزم عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وأخرجه النسائي في «المجتبى» (٨/ ١٠٥) وفي «السنن الكبرى» (١١٧٢٩) من طريق الوليد بن مسلم عن مالك به، وإسناده صحيح، والوليد صرح بالتحديث، وهو متابع من عبدالله بن وهب عند ابن منده في «الإيمان» (٣٧٤) ومن إسماعيل بن أبي أويس عند البيهقي في «شعب الإيمان» (٢٤) ثلاثتهم عن مالك به، لكن مالك مخالف، خالفه سفيان بن عيينة فرواه عن زيد عن عطاء مرسلًا، أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٥) ورجح الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٢٠ شرح حديث ٤١) رواية مالك وقال: وقد حفظ مالك الوصل فيه، وهو أتقن لحديث أهل المدينة من غيره.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧) ومسلم (١٥٠) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعًا، ووقع بالأصل هنا: سعيد، وهو خطأ.

(٣) صحيح: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٨/ ١٠٤) وفي «السنن الكبرى» (١١٧٢٤) من طريق معمر عن الزهري عن عامر بن سعد عن أبيه مرفوعًا به.

الآية ٢٥٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٨]، وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: الآية ١٦]، وقوله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٢٢]، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: الآية ٢٣]، وقوله ﷺ: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»(١).

ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنًا وظاهرًا في قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾، وقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: الآية ١٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ وفسرهم بمن اتصف بذلك كله في قوله تعالى: ﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾، وفي قوله تعالى: ﴿۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٠٩٢) والدارمي (١٩١٩) وأحمد (١/ ٧٩) والحميدي (٤٨) والحاكم في «المستدرك» (٤٣٧٦) عن سفيان وهو ابن عيينة عن أبي إسحاق الهمداني عن زيد بن يثيع عن علي مرفوعًا به، وهذا إسناد صحيح، وصححه الحاكم وحسنه الترمذي، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٢٨٩٥، ٢٨٩٦) وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٩٦٠) عن حماد بن زيد وسفيان وشعبة جميعًا عن عمرو بن دينار عن نافع بن جبير عن بشر بن سحيم، مرفوعًا به، وشعبة قال: عن نافع عن رجل من الصحابة، وهذا إسناد صحيح، وأخرجه النسائي (٢٨٩٧) من طريق حماد أيضًا لكن جعله عن نافع بن جبير مرسلًا، والوصل أرجح لموافقته لرواية سفيان وشعبة وأخرجه ابن حبان (٤٨٤٩) من طريق ابن عباس عن عمر بن الخطاب مرفوعًا، وهذا حسن، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٩٩) والنسائي في «المجتبى» (٥/ ٢٣٤) وفي «السنن الكبرى» (٣٩٤٩، ١١٢١٤) والدارمي (١٤٣٠) والحاكم (٧٣٥٥) وابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٦٣) من طرق عن الشعبي عن محرر بن أبي هريرة عن أبي هريرة مرفوعًا. ومحرر مجهول الحال صالح في الشواهد، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال عنه ابن سعد: كان قليل الحديث.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦)﴾ وفى قوله ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾ وفى قوله عزوجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١)﴾، وفى قوله ﷻ: ﴿طس ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ (١) هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٣)﴾ وغيرها من الآيات. وقد فسر اللّه تعالى: **«الإيمان»** بذلك كله فى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: الآية ١٧٧] . وروى ابن أبى حاتم أن أبا ذر سأل النبى ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه رسول اللّه ﷺ: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[البقرة: الآية ١٧٧] إلى آخر الآية[١] .

ثم سأله أيضًا . فتلاها عليه . ثم سأله فقال: **«إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك»**[٢] رواه المسعودى بنحوه، وفسره النبى ﷺ بذلك كله فى حديث

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ١٢٨) وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٤٩) من طريق مجاهد عن أبي ذر مرفوعًا به، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٠٨) من طريق ابن أبي حاتم وقال: وهذا منقطع فإن مجاهدًا لم يدرك أبا ذر فإنه مات قديمًا.

(٢) ضعيف الإسناد: أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٠٨) من طريق المسعودي عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبي ذر، وقال ابن كثير: رواه ابن مردويه، وهذا منقطع أيضًا.

وفد عبد القيس في «الصحيحين» وغيرهما فقال: «آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ» قال: «أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ؟» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَصِيَامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُس»[1]، وقد جعل ﷺ قيام رمضان إيمانًا واحتسابًا من الإيمان، وكذا قيام ليلة القدر، وكذا أداء الأمانة، وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز، وغير ذلك.

وفي «الصحيحين»: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ»[2].

وهذه الشعب المذكورة قد جاءت في القرآن والسنة في مواضع متفرقة، منها ما هو من قول القلب وعمله، ومنها ما هو من قول اللسان، ومنه ما هو من عمل الجوارح. ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها اللَّه تعالى إيمانًا في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[البقرة: الآية ١٤٣] يعني صلاتكم كما يعلم من سبب نزول الآية، وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد اللَّه بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد اللَّه: إن أمر محمد ﷺ كان بينًا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ - إلى قوله - ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[الأعراف: الآية ١٥٧][3].

والآيات والأحاديث في هذا الباب يطول ذكرها. وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ما وراءه وباللَّه التوفيق. وهذا المعنى هو الذي قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم اللَّه تعالى: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم. وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكارًا شديدًا، وممن أنكر ذلك على قائله

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٦٨) ومسلم (١٧) وغيرهما من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(٢) صحيح: لكنه ليس في البخاري بهذا اللفظ، وهذا اللفظ أخرجه مسلم (٣٥) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا، واقتصر البخاري على أوله مع الحياء، وأخرجه برقم (٩) من حديث أبي هريرة أيضًا.

(٣) صحيح إلى ابن مسعود: أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٢/ ٥٤٤ح ١٨٠) والحاكم في «المستدرك» (٣٠٣٣) وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤٢) من طريق سعيد بن منصور، وعزاه لابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم جميعًا عن أبي معاوية عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبدالرحمن بن يزيد عن ابن مسعود، وهذا صحيح إلى ابن مسعود.

وجعله قولًا محدثًا ممن سمى لنا سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، والنخعي، والزهري، وإبراهيم، ويحيى بن أبي كثير، والثوري، والأوزاعي، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم، قال الثوري: هو رأي محدث أدركنا الناس على غيره[١].

وقال الأوزاعي: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان[٢].

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان[٣].

وهذا المعنى هو الذي أراد البخاري إثباته في «كتاب الإيمان» وعليه بوب أبوابه كلها فقال: «باب أمور الإيمان» و«باب الصلاة من الإيمان» و«باب الزكاة من الإيمان» و«باب الجهاد من الإيمان» و«باب حب الرسول ﷺ من الإيمان» و«باب الحياء من الإيمان» و«باب قيام ليلة القدر من الإيمان» و«باب قيام رمضان من الإيمان» و«باب صوم رمضان احتسابًا من الإيمان» و«باب اتباع الجنائز من الإيمان» و«باب أداء الخمس من الإيمان» وسائر أبوابه[٤].

وكذلك صنع النسائي في «المجتبى»[٥]. وبوب الترمذي على حديث وفد عبد القيس «باب ما جاء في إضافة الفرائض إلى الإيمان»[٦].

---

(١) صحيح إلى سفيان الثوري: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٦٦١ بتحقيقي) عن أبيه عن عبدالله بن نمير عن سفيان.

(٢) لم أقف على إسناده، وما أورده المصنف رحمه الله هنا من أول قوله: وحكى الشافعي. . . إلى آخر كلام عمر بن عبدالعزيز، هو كلام ابن رجب في كتابه «جامع العلوم والحكم» (ص٦٦ شرح الحديث الثاني).

(٣) صحيح إلى عمر بن عبدالعزيز: أخرجه البخاري في «صحيحه» (١/ ٥٣ كتاب الإيمان الباب الأول) تعليقًا، وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٤٤) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٥٧٢) من طرق عن جرير بن حازم عن عيسى بن عاصم عن عدي بن عدي عن عمر بن عبدالعزيز به.

(٤) صحيح البخاري «كتاب الإيمان»، والأبواب التي ذكرها المصنف هنا هي في «كتاب الإيمان» بأرقام: ٣، ٣٠، ٣٤، ٢٦، ٨، ١٦، ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣٥، ٤٠ على الترتيب.

(٥) سنن النسائي «المجتبى» (٨/ ٩٣).

(٦) سنن الترمذي حديث (٢٦١١).

وكلام أئمة الحديث وتراجمهم فى كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قال هو مجرد التصديق فقط كابن الراوندى[(١)] ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم، إذ على هذا القول يكون اليهود الذين أقروا برسالة محمد ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم. وقال جهم بن صفوان وأتباعه: هو المعرفة بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية، إذ لا يجهل الخالق سبحانه أحد. وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله فى نونيته الكافية الشافية:

قَالُوا وَإِقْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ ... خَلَّاقُهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الإِيمَانِ
وَالنَّاسُ فِي الإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ ... كَالْمُشْطِ عِنْدَ تَمَاثُلِ الأَسْنَانِ
فَاسْأَلْ أَبَا جَهْلٍ وَشِيعَتَهُ وَمَنْ ... وَالَاهُمُو مِنْ عَابِدِي الأَوْثَانِ
وَسَلِ الْيَهُودَ وَكُلَّ أَقْلَفَ مُشْرِكٍ ... عَبَدَ الْمَسِيحَ مُقَبِّلَ الصُّلْبَانِ
وَاسْأَلْ ثَمُودَ وَعَادَ بَلْ سَلْ قَبْلَهُمْ ... أَعْدَاءَ نُوحٍ أُمَّةَ الطُّوفَانِ
وَاسْأَلْ أَبَا الْجِنِّ اللَّعِينَ أَتَعْرِفُ ... الْخَلَّاقَ أَمْ أَصْبَحْتَ ذَا نُكْرَانِ
وَاسْأَلْ شِرَارَ الْخَلْقِ أَقْبَحَ أُمَّةٍ ... لُوطِيَّةٍ هُمْ نَاكِحُو الذُّكْرَانِ
وَاسْأَلْ كَذَاكَ إِمَامَ كُلِّ مُعَطِّلٍ ... فِرْعَوْنَ مَعْ قَارُونَ مَعْ هَامَانِ
هَلْ كَانَ فِيهِمْ مُنْكِرٌ لِلْخَالِقِ ... الرَّبِّ الْعَظِيمِ مُكَوِّنِ الأَكْوَانِ
فَلْيُبْشِرُوا مَا فِيهِمُو مِنْ كَافِرٍ ... هُمْ عِنْدَ جَهْمٍ كَامِلُو الإِيمَانِ

وقالت المرجئة والكرامية: الإيمان هو الإقرار باللسان دون عقد القلب، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٨٤] –إلى قوله– ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٥٥] وغير ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط وكذبهم الله ﷻ فى دعواهم فى غير موضع من القرآن. وقال آخرون: التصديق بالجنان والإقرار باللسان. وهذا القول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة فى حديث جبريل، وهو ظاهر

(١) هو أبو الحسن أحمد بن يحيى بن إسحاق الملحد صاحب التصانيف كان معتزليًا فتزندق، وصنف المصنفات في الكفر والإلحاد، وكان ذكيا جدًا، مات سنة ٢٩٨ هـ وله ست وثلاثون سنة، ترجم له الذهبي في «السير» (١٤/ ٥٩ – ٦٢) وقال في آخر ترجمته، لعن الله الذكاء بلا إيمان، ورضي الله عن البلادة مع التقوى.

البطلان. وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضًا كانت أو نفلًا، وهذا القول مصادم لتعليم النبي ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان. وكل ما يقول له السائل في فريضة: هل على غيرها؟ قال: «لا. إلَّا أنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا»[١].

وذهب الجبائي[٢] وأكثر المعتزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل. وهذا أيضًا يدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه اللَّه عنهم. وقال الباقون منهم: العمل والنطق والاعتقاد. والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطًا في الصحة، بل جعلوا كثيرًا منها شرطًا في الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها: من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان[٣]، والمعتزلة جعلوها كلها شرطًا في الصحة. واللَّه أعلم.

الإيمان والإسلام

والحالة الثانية: أن يطلق الإيمان مقرونًا بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما في حديث جبريل هذا وما في معناه، وكما في قول اللَّه ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: الآية ٨٢] في غير ما موضع من كتابه، وكما في قول النبي ﷺ في دعاء الجنازة: «اللَّهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان»[٤]

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦) ومسلم (١١) وغيرهما من حديث طلحة بن عبيداللَّه.

(٢) أبو علي الجبائي هو محمد بن عبدالوهاب بن سلام المعتزلي المبتدع، كان واسع العلم صنف المصنفات الكثيرة، وكان زوج أم أبي الحسن الأشعري، مات سنة ٣٠٣هـ وعاش ثمانيا وستين سنة، ترجمته في «السير» للذهبي (١٤/ ١٨٣).

(٣) صحيح إلى عمر بن عبدالعزيز: وسبق تخريجه قريبًا.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٣٢٠١) والترمذي (١٠٢٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩١٩) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٨٠) وأحمد (٢/ ٣٦٨) وعبدالرزاق (٦٤١٩) وأبو يعلى (٦٠٠٩) وابن حبان (٣٠٧٠) والحاكم (٣٠٧٠) والبيهقي (٤/ ٤١) جميعًا عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وهذا إسناد صحيح، ورواه عن يحيى الأوزاعي ومعمر وأيوب بن عتبة وسعيد بن يوسف، وخالفهم عكرمة بن عمار فرواه عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عائشة مرفوعًا، أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩١٨) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٧٩) والحاكم (١٣٢٧) وأشار إليه الترمذي في «سننه» عقب حديث (١٠٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٤١) وقال الترمذي: وحديث عكرمة غير محفوظ، وعكرمة ربما يهم في حديث يحيى. اهـ.
- وخالفهم همام بن يحيى وأبان عند أحمد (٤/ ١٧٠) و(٥/ ٢٩٩، ٣٠٨) والبيهقي (٤/ ٤١) وهشام =

وذلك أن الأعمال بالجوارح وإنما يتمكن منها فى الحياة فأما عند الموت فلا يبقى غير قول القلب وعمله . وكحديث أنس عند أحمد عن النبى ﷺ قال : «**الإسلام علانية ، والإيمان فى القلب**»[1].

والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلا فرق بينهما حينئذ ، بل كل منهما على انفراده يشمل الدين كله ، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما فى

= الدستوائي وعلي بن المبارك كما ذكر الترمذي في «السنن» عقب حديث (١٠٢٤) فرووه جميعًا عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة مرسلًا .

– ورواه الأوزاعي مرة أخرى عن يحيى بن أبي كثير عن أبي إبراهيم الأشهلي عن أبيه مرفوعًا ، أخرجه الترمذي (١٠٢٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٢٣) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٨٤) .

قلت : وهذا اضطراب على يحيى بن أبي كثير ، والبخاري ذكر أن أصح الروايات هي يحيى بن أبي كثير عن أبي إبراهيم عن أبيه ، ذكر ذلك الترمذي لكن أبو إبراهيم مجهول .

– ويحيى متابع على الوصل ، تابعه محمد بن إبراهيم التيمي فرواه عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا به ، أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٩٢٠) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٨١) وابن ماجة (١٤٩٨) والبيهقي (٤/ ٤١) لكن راويه عنه هو محمد بن إسحاق وهو مدلس ولم يصرح بالسماع .

– ويحيى مخالف في جعل الحديث من مسند أبي هريرة ، خالفه محمد بن عمرو بن علقمة فرواه عن أبي سلمة عن عبدالله بن سلام مرفوعًا ، أخرجه النسائي في «الكبرى» (١٠٩٢١ ، ١٠٩٢٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٨٢) ورواه عن محمد بن علقمة يزيد بن هارون وسفيان .

– ويحيى متابع على الإرسال أيضًا لكن متابعه رجل مجهول والإسناد إليه ضعيف ، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٧٧٩) عن ابن أبي ليلى وهو سيء الحفظ عن رجل عن أبي سلمة مرسلًا ، وأخرجه البزار (١٠٤٥) عن ابن أبي ليلى عن أبي نجيح أو ابنه عن أبي سلمة عن أبيه ، وإسنادهما ضعيف لضعف ابن أبي ليلى .

– قلت : فهذا اضطراب على أبي سلمة أيضًا .

وفي الحديث من الاختلاف في أسانيده أكثر مما ذكرت ، لكني اقتصرت على الروايات التي وردت فيها الفقرة التي أوردها المصنف دون غيرها ، وهذه الأسانيد كلها يعل بعضها بعضًا ولا يشهد له ، ولا تصلح لتقوية غيرها ، بقي للحديث طريق آخر سالم من هذا الاضطراب أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٣٣ح ١٢٦٨٠) وفي «الأوسط» (١١٣٦) عن عطاء الخفاف عن العلاء بن المسيب عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عباس مرفوعًا ، وهذا إسناد فيه ضعف ، لأن حبيبًا مدلس وقد عنعن ، وعطاء الخفاف كثير الخطأ .

(١) ضعيف : أخرجه أحمد (٣/ ١٣٤ ، ١٣٥) وأبو يعلى (٢٩٢٣) وابن أبي شيبة (٣٠٣١٩) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/ ٢٥٠) وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١١) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٠٧) من حديث أنس مرفوعًا ، وفي إسناده : علي بن مسعدة وهو ضعيف .

الحديث الجليل ، والمجموع مع الإحسان هو الدين كله سمى النبى ﷺ ذلك كله دينا .
وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التى فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان ، وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم . قال ابن رجب رحمه الله : وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبى ﷺ بينهما وإدخاله الأعمال فى مسمى الإسلام دون الإيمان فإنه يتضح بتقرير أصل ، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملًا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه ، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالًا على بعض تلك المسميات ، والاسم المقرون به دالًا على باقيها وهذا كاسم الفقير والمسكين فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج ، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوى الحاجات والآخر على باقيها ، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده ، فإذا قرن بينهما دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده ودل الآخر على الباقى . قال : وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة ، قال أبو بكر الإسماعيلى فى رسالته إلى أهل الجبل : قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل ، والإسلام فعل ما فرض اللَّه تعالى على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضمومًا إلى الآخر ، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعًا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم . وقد ذكر هذا المعنى أيضًا الخطابى فى كتابه «معالم السنن» وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده[1] .

قلت : كلام الخطابى الذى أشار إليه ابن رجب ذكره النووى فى شرح مسلم قال : قال الإمام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى الفقيه الأديب الشافعى المحقق رحمه اللَّه تعالى فى كتابه «معالم السنن» : ما أكثر ما يغلط الناس فى هذه المسألة . فأما الزهرى فقال : الإسلام الكلمة . والإيمان العمل . واحتج بالآية يعنى قوله ﷻ : ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات : الآية ١٤] وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد واحتج بقوله تعالى : ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٦﴾ قال الخطابى : وقد تكلم فى هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قوله من هذين ، ورد الآخر منهما على

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٦٧ ، ٦٨ طبعة دار ابن رجب) شرح الحديث الثاني .

المتقدم وصنف كتابًا يبلغ عدد أوراقه المائتين . قال الخطابى : والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام فى هذا ولا يطلق ، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنًا فى بعض الأحوال ولا يكون مؤمنًا فى بعضها ، والمؤمن مسلم فى جميع الأحوال ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شيء منها . وأصل الإيمان التصديق ، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد ، فقد يكون المرء مستسلمًا فى الظاهر غير منقاد فى الباطن وقد يكون مصدقًا فى الباطن غير منقاد فى الظاهر[1] .

قلت : ما رواه الخطابى عن الزهرى أنه قال : الإسلام الكلمة ، والإيمان العمل ، هذا عندى فيه نظر ، فإنه غير قيم المبنى ولا واضح المعنى ، والزهرى إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لا يجهل مثل هذا وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف ، فإن صح النقل عنه ففى الكلام تصحيف وإسقاط لعل الصواب فيه هكذا : الإسلام الكلمة والإيمان والعمل ، فسقطت الواو العاطفة للعمل على الإيمان ، وهذا متعين لموافقته قول أهل السنة قاطبة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل ، والزهرى من أكبر أئمتهم وقد تقدم قوله معهم فيما روى الشافعى عنهم رحمهم الله تعالى ، ويكون عنى بالإسلام الدين كله كما عنى غيره بالإيمان الدين كله ، ومما يدل على ذلك استدلاله بالآية المذكورة فإنه لا يستقيم إلا على هذا ولا يستقيم على معنى الأول لإهمال الاعتقاد فيه الموجود فى قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: الآية ١٤] الآية . وأما قوله : وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شيء واحد ، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئًا واحدًا إلا عند الانفراد وعدم الاقتران لشمول أحدهما معنى الآخر كما قدمنا ، وأما عند اقتران أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به الرسول ﷺ فى حديث جبريل عليه السلام ، وإن أراد من أهل البدع فإطلاق التسوية بينهما والاتحاد فى كل حال من الأحوال هو رأى المعتزلة ، وهم المحتجون على ذلك بآيتى الذاريات وهو احتجاج ضعيف جدًا ، لأن هؤلاء كانوا قومًا مؤمنين وعند أهل السنة أن كل مؤمن مسلم ولا ينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال ، ولا يلزم ذلك فى كل حال والله أعلم .

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٤٥ طبعة إحياء التراث بيروت) .
وما يأتي بعد ذلك :
قلت : ما رواه الخطابي . . . إلخ هو كلام المصنف .

وقال الخطابى [١] رَحِمَهُ اللَّهُ فى قول النبى ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً» [٢]: فى هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعى اسم لمعنى ذى شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضى جميع شعبه وتستوفى جملة أجزائه، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها، والحقيقة تقتضى جميع أجزائها وتستوفيها، ويدل عليه قوله ﷺ: «الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» وفيه إثبات التفاصيل فى الإيمان وتباين المؤمنين فى درجاته. انتهى [٣].

وما أحسن ما قال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الشافعى رحمه الله تعالى فى تفسير سورة البقرة لما ذكر هذا الحديث عند قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣]، قال: فالنبى ﷺ جعل الإسلام فى هذا الحديث اسمًا لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسمًا لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هى كلها شيء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» انتهى [٤].

وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: «الإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَالإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّهِ» [٥] قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن، وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام فى الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامها به يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله، ثم إن اسم الإيمان يتناول ما فسر به الإسلام فى هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذى هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات ولهذا فسر ﷺ الإيمان فى حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم

(١) من أول هنا عاد المصنف ثانية للنقل من شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٤٥).
(٢) صحيح: وسبق تخريجه.
(٣) آخر كلام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) تفسير البغوي (١/ ٦٢) وأورده أيضًا النووي في الموضع السابق.
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٨) وسبق، وهوهنا مختصر.

رمضان وإعطاء الخمس من المغنم (١)، ولهذا لا يقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشيء مطلقًا يقع على الكل منه، ولا يستعمل في الناقص ظاهرًا إلا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه في قوله ﷺ: «لَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (٢)واسم الإسلام يتناول أيضًا ما هو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فإن ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنًا. قال: وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة في الإيمان والإسلام التي طال ما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم. انتهى (٣).

وقال ابن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى في الكلام على هذا الحديث: قد تقدم أن الأعمال تدخل في مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضًا، وذكرنا ما يدخل في ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل في مسماها أيضًا أعمال الجوارح الباطنة فيدخل في أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل في مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله ﷻ، وخشوعه عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على الله ﷻ وخوف الله سرًّا وعلانية، والرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ما سواهما، والحب في الله والبغض فيه والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والمساءة بعمل السيئات والحزن عليها، وإيثار المؤمنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء وحسن الخلق، ومحبة ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصًا الجيران ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم (٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٦٨) ومسلم (١٧) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٧٥) ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) آخر كلام ابن الصلاح، نقله عنه النووي في «شرح صحيح مسلم» (١/ ١٤٧، ١٤٨) وعنه نقله المصنف هنا.

(٤) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص٧٥).

ثم ساق من النصوص فى ذلك جملة وافية . قال : والرضا بربوبية اللَّه تعالى تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له ، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له ، والرضا بالإسلام دينًا يتضمن اختياره على سائر الأديان ، والرضا بمحمد ﷺ رسولًا يتضمن الرضا بجميع ما جاء به من عند اللَّه وقبول ذلك بالتسليم والانشراح ، كما قال تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: الآية ٦٥] انتهى[(١)].

ونصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين - سلفًا وخلفًا - فى هذا الباب يطول ذكرها .

ثم اعلم يا أخى - أرشدنا اللَّه وإياك : أن التزام الدين الذى يكون به النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وبه يفوز العبد بالجنة ويزحزح عن النار إنما هو ما كان على الحقيقة فى كل ما ذكر فى حديث جبريل وما فى معناه من الآيات والأحاديث . وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أجريت عليه أحكام المسلمين فى الدنيا ووكلت سريرته إلى اللَّه تعالى . قال اللَّه ﷻ : ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥] وفى الآية الأخرى : ﴿فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: الآية ١١] وغيرها من الآيات . وقال رسول اللَّه ﷺ لأسامة فى قتله الجهنى بعد أن قال لا إله إلا اللَّه ، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**أَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَقَتَلْتَهُ؟**» قال قلت : يا رسول اللَّه إنما قالها خوفًا من السلاح . قال : «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا**»[(٢)].

الحديث بطوله فى الصحيحين من طرق بألفاظ . وفى بعضها : فقال : يا رسول اللَّه استغفر لى ، قال : «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٣)].

ولما أن استأذنه عمر رضي الله عنه فى قتل الرجل الذى انتقد عليه حكمه ﷺ فى قسمه الذهبية قال : «**مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي**»[(٤)].

---

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص٧٧) .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٤٢٦٩ ، ٦٨٧٢) ومسلم (٩٦) من حديث أسامة بن زيد به ، واللفظ لمسلم .

(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم (٩٧) من حديث جندب بن عبداللَّه .

(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٦٠٣) بهذا اللفظ من حديث جابر مرفوعًا في قسمة النبي ﷺ للغنائم يوم حنين ، وأخرجه بنحوه البخاري (٤٩٠٥) ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر مرفوعًا في خبر عبداللَّه بن أُبي ابن سلول ، وقوله : ﴿لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى ﷺ $ ٪ × گ﴾ [المنافقون: الآية ٨] .

وقال له خالد بن الوليد رضي الله عنه فيه : يا رسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال : «لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي» ، قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه . فقال رسول الله ﷺ : «إِنِّي لَمْ أُؤْمَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»(١) الحديث فى «الصحيحين» أيضًا من طرق بألفاظ . وفى «صحيح البخارى» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَذَبَحُوا ذَبِيحَتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عز وجل»(٢) وفى رواية عن أنس نفسه وله حكم المرفوع(٣) - بل قد رفعه النسائى كما سيأتى - «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ ، لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ»(٤) ، ورواه أبو داود فى الجهاد بلفظ : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْ يَسْتَقْبِلُوا قِبْلَتَنَا وَأَنْ يَأْكُلُوا ذَبِيحَتَنَا وَأَنْ يُصَلُّوا صَلَاتَنَا ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ»(٥) وفى رواية : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الْمُشْرِكِينَ» بمعناه(٦) .

ورواه النسائى فى تحريم الدم ولفظه قال : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، فَإِذَا شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَاسْتَقْبَلُوا قِبْلَتَنَا وَأَكَلُوا ذَبِيحَتَنَا وَصَلَّوْا صَلَاتَنَا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْنَا دِمَاؤُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا ، لَهُمْ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَيْهِمْ»(٧) .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٩٢) .

(٣) صحيح إلى أنس : أخرجه البخاري (٣٩٣) تعليقًا عن علي بن المديني بإسناده عن حميد عن أنس موقوفًا ، وأخرجه النسائي (٧/ ٧٦) من طريق محمد بن عبدالله الأنصاري عن حميد عن أنس موقوفًا .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٩٣) تعليقًا من حديث ابن أبي مريم بإسناده عن حميد عن أنس مرفوعًا ، وبنحوه أخرجه البخاري (٣٩١) وغيره .

(٥) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٦٤١) والترمذي (٢٦٠٨) وأحمد (٣/ ١٩٩) وغيرهم من حديث ابن المبارك عن حميد عن أنس مرفوعًا .

(٦) صحيح : أخرجه أبو داود (٢٦٤٢) والنسائي (٧/ ٧٥) من طريق يحيى بن أيوب ومحمد بن عيسى عن حميد عن أنس مرفوعًا .

(٧) صحيح : أخرجه النسائي (٧/ ٧٦) ، (٨/ ١٠٩) وأحمد (٣/ ٢٢٤) .

وفيه قول ميمون بن سياه لأنس بن مالك : يا أبا حمزة ما يحرم دم المسلم وماله؟ فقال : «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَهُوَ مُسْلِمٌ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِينَ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ**»(١).

ورفعه في كتاب «الإيمان» عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكُمُ الْمُسْلِمُ**»(٢) ورواه الترمذي أيضًا . وفي «الصحيحين» وغيرهما عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم : قال رسول الله ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عز وجل**»(٣) وفي «موطأ مالك» و«مسند أحمد» بسند جيد : عن عبيد الله بن عدي بن الخيار : أن رجلًا من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس فساره يستأذنه في قتل رجل من المنافقين ، فجهر رسول الله ﷺ فقال : «**أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟**» فقال الأنصاري : بلى يا رسول الله ، ولا شهادة له . قال رسول الله ﷺ : «**أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟**» قال : بلى يا رسول الله . قال : «**أَلَيْسَ يُصَلِّي؟**» قال : بلى يا رسول الله ولا صلاة له . فقال رسول الله ﷺ : «**أُولَئِكَ الَّذِينَ نَهَانِي اللَّهُ عَنْ قَتْلِهِمْ**»(٤).

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٩٣) والنسائي (٧/ ٧٦) وسبق .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٩١) والنسائي (٨/ ١٠٥) والترمذي (٢٦٠٨) وغيرهم .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (١٣٩٩) ومسلم (٢١) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا به ، وأخرجه البخاري (٢٥) ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر مرفوعًا به .

(٤) **صحيح** : أخرجه مالك في «الموطأ» (ص١٧١) ومن طريقه أخرجه الشافعي في «مسنده» (ص٣٢٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٩٦) وفي «شعب الإيمان» (٣/ ٣٤ح ٢٧٩٦) عن ابن شهاب عن عطاء بن يزيد الليثي عن عبدالله بن عدي أن رجلًا سار النبي ﷺ . . . الحديث ، وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٣٢) عن عبدالرزاق عن ابن جريج عن ابن شهاب بمثله ، وقال البيهقي في «الشعب» (٣/ ٣٤) : هكذا رواه مرسلًا - يعني مالك - ورواه معمر بن راشد عن الزهري عن عطاء عن عبيدالله بن عدي بن الخيار عن عبدالله بن عدي الأنصاري موصولًا .

وأخرجه البيهقي (٢٧٩٧) من طريق عبدالرزاق عن معمر به .

قلت (يحيى) : عبدالله بن عدي حضر القصة كما في بعض ألفاظ الحديث ، وهو معدود في الصحابة ، قال الحافظ في «التقريب» : قتل أبوه ببدر ، وكان هو في الفتح مميزًا فعد في الصحابة لذلك ، وعده العجلي وغيره في ثقات كبار التابعين .

قلت (يحيى) : فهو من الصحابة ، مات النبي ﷺ ولعبيدالله نحو الثمان سنوات ، وقد جزم الحافظ ابن حجر رحمه الله بصحبة محمود بن الربيع ، وقد مات النبي ﷺ ولمحمود خمس سنوات أو أقل .

وفى الباب عن جماعة من الصحابة أحاديث من الصحاح والحسان وفيما ذكرنا كفاية . وأمر الله رسوله ﷺ فى القرآن بالإعراض عن المنافقين فى غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفه بسيماهم وعلاماتهم ، ولم يقتل النبى ﷺ أحدًا منهم ، وأجرى عليهم فى الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة ، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك ويقيم الحدود عليهم ، غير أنه نهى عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم . والله أعلم .

مرتبة الإحسان

«**والإحسان**» هذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين فى هذا الحديث .

والإحسان لغة : إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه . وفى الشريعة هو ما فسره النبى ﷺ بقوله : «**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[1] وسيأتى إن شاء الله تعالى بحثه والنصوص فيه عند ذكره فى آخر هذا الفصل ، والمقصود أنه ﷺ فسر الإسلام هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة ، وفسر الإيمان بالأقوال والأعمال الباطنة ، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن ، ومجموع ذلك هو الدين ، والكل من هذه المراتب «**مبنى على أركان**» لا قوام له إلا بقيامها ، وسنتكلم على كل منها إجمالًا وتفصيلًا ، ونحيل ما قدم بيانه منها على موضعه إن شاء الله .

أركان الإسلام الخمسة

فَقَدْ أَتَى الإِسْلَامُ مَبْنِيا عَلَى ... خَمْسٍ فَحَقِّقْ وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلَا
أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهْوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الأَقْوَمُ
رُكْنُ الشَّهَادَتَينِ فَاثْبُتْ وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا تَنْفَصِمْ
وَثَانِيا إِقَامَةُ الصَّلَاةِ ... وَثَالِثًا تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ
وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ... وَالْخَامِسُ الْحَجُّ عَلَى مَنْ يَسْتَطِعْ

وهذه أركان المرتبة الأولى مرتبة الإسلام ، وهى على قسمين : قولية ، وعملية . فالقولية : الشهادتان ، والعملية : الباقى . وهى ثلاثة أقسام : بدنية وهى الصلاة والصوم ، ومالية وهى الزكاة ، وبدنية مالية وهو الحج . وقول القلب وعمله شرط فى ذلك كله كما

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا ، وأخرجه مسلم (٨) من حديث عمر مرفوعًا .

تقدم. والنصوص فى هذه الأمور الخمسة كثيرة جدًا، وهى على نوعين: قسم شامل لجميعها، وقسم يخص كل خصلة منها. فلنبدأ بالقسم الأول ما تيسر منه على حدته، والقسم الثانى مع حل ألفاظ المتن إن شاء اللّه تعالى، فمن ذلك حديث جبريل السابق ذكره عن الجم الغفير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم[١]، ومنها حديث وفد عبد القيس وقد تقدم أيضًا[٢]، ومنها حديث ابن عمر رضي الله عنهما فى «الصحيحين» وغيرهما قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[٣] فقال له رجل: والجهاد فى سبيل اللّه؟ فقال ابن عمر: الجهاد حسن هكذا حدثنا رسول اللّه ﷺ[٤].

ومنها حديث جرير بن عبد اللّه رضي الله عنه عند أحمد وغيره قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ**»[٥] وإسناده صحيح. ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كنا نهينا أن نسأل رسول اللّه ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يا محمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن اللّه تعالى أرسلك. قال ﷺ: «**صَدَقَ**». قال: فمن خلق السماء؟ قال: «**اللَّهُ**». قال: فمن خلق الأرض؟ قال: «**اللَّهُ**». قال: فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ما جعل؟ قال: «**اللَّهُ**». قال: فبالذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال اللّه أرسلك؟ قال ﷺ: «**نَعَمْ**». قال: فزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا. قال ﷺ: «**صَدَقَ**». قال: فبالذى أرسلك اللّه أمرك بهذا؟ قال: «**نعم**». قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا. قال ﷺ: «**نَعَمْ صَدَقَ**». قال:

---

(١) **صحيح**: وسبق تخريجه وبيان طرقه.

(٢) **صحيح**: من حديث ابن عباس، وسبق تخريجه.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨) ومسلم (١٦) من حديث ابن عمر مرفوعًا به.

(٤) **زيادة ضعيفة**: ليست في «الصحيحين» ولا أحدهما، وإنما أخرجه بهذه الزيادة أحمد في «المسند» (٢/ ٢٦) من طريق سالم بن أبي الجعد عن يزيد بن بشر عن ابن عمر مرفوعًا، ويزيد قال عنه أبو حاتم مجهول وترجمته في «تعجيل المنفعة» (ص٤٤٩).

(٥) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٦٣، ٣٦٤) وأبو يعلى (٧٥٠٢، ٧٥٠٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣٢٦ح ٢٣٦٣، ٢٣٦٤، ٢٣٦٨) وفي «الصغير» (٧٨٢) من طرق عن عامر الشعبي عن جرير بن عبداللّه مرفوعًا به، وهو صحيح من بعض طرقه.

فبالذى أرسلك الله أمرك بهذا؟ قال ﷺ: «نَعَمْ». قال: وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلًا، قال ﷺ: «صَدَقَ». قال: ثم ولى فقال: والذى بعثك بالحق نبيًّا لا أزيد عليهن شيئًا ولا أنقص منهن شيئًا. فقال النبى ﷺ: «لَئِنْ صَدَقَ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ» رواه الجماعة وهذا لفظ أحمد (١).

وفى رواية قال: «آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى» قال: «وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر» (٢).

وفى «الصحيحين» وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله: «أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرنى ماذا فرض الله على من الصلاة؟ فقال: «الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا». فقال: أخبرنى ما فرض الله على من الصيام. فقال: «شَهْرُ رَمَضَانَ، إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا». فقال: أخبرنى ما فرض الله على من الزكاة. قال فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذى أكرمك لا أتطوع شيئًا ولا أنقص مما فرض الله على شيئًا. فقال رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ». أو «دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ» (٣) هذا لفظ البخارى فى كتاب الصوم. وله عن أبي أيوب رضي الله عنه: «أن رجلًا قال للنبى ﷺ أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة. قال: «مَا لَهُ مَا لَهُ». وقال النبى ﷺ: «أَرَبٌ مَالَهُ، تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ وَتَصِلُ الرَّحِمَ» (٤) ورواه مسلم وغيره. ولهما عن أبى هريرة رضي الله عنه: «أن أعرابيًّا أتى النبى ﷺ فقال: دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبى ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» (٥).

وفى حديث ابن المنتفق رضي الله عنه فى وفادته على رسول الله ﷺ قال: «قلت ثنتان أسألك عنهما: ما ينجنى من النار وما يدخلنى الجنة؟ قال: فنظر رسول الله ﷺ إلى السماء ثم

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣) ومسلم (١٢) وأبو داود (٤٨٦) والترمذي (٦١٩) والنسائي (٤/ ١٢٢) وابن ماجة (١٤٠٢) وأحمد (٣/ ١٤٣) من حديث أنس مرفوعًا به.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣) وغيره من حديث أنس.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦، ١٨٩١) ومسلم (١١) وغيرهما من حديث طلحة بن عبيدالله.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٧) ومسلم (١٤).

نكس رأسه ثم أقبل علي بوجهه قال: «لئن كنت أوجزت في المسألة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عني إذًا، اعبد الله لا تشرك به شيئًا وأقم الصلاة المكتوبة وأد الزكاة المفروضة وصم رمضان، وما تحب أن يفعله بك الناس فافعل بهم وما تكره أن يأتي إليك الناس فذر الناس منه»[١] رواه أحمد. وفي رواية: «لئن كنت قد قصرت في الخطبة لقد أبلغت في المسألة، اتق الله لا تشرك بالله شيئًا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان»[٢] ولعل ابن المنتفق هذا هو الرجل المبهم في رواية أبي أيوب المتقدمة في الصحيح فإن في «مسلم» أن ذلك الرجل أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ أو بزمامها، وفي آخرها قول النبي ﷺ دع الناقة بعد أن علمه. وابن المنتفق قال: فأخذت بخطام راحلة رسول الله ﷺ أو قال زمامها، وفي آخره قال ﷺ: «خل سبيل الراحلة». وفي الرواية الأخرى: «خل طريق الركاب» فيشبه أن يكون هو صاحب القصة وقد حفظ الصوم والحج زيادة على ما في حديث أبي أيوب ورجاله رجال الصحيح[٣]، وهو السائل، أعلم بجواب النبي ﷺ وأوعى له وأحفظ له وأضبط من غيره. والله أعلم.

وعن ربعي بن حراش عن رجل من بني عامر رضي الله عنه أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: ألج؟ فقال النبي ﷺ لخادمة: «اخْرُجِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ الِاسْتِئْذَانَ فَقُولِي لَهُ فَلْيَقُلْ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟» قال فسمعته يقول ذلك فقلت: السلام عليكم أأدخل؟ قال: فأذن لي، أو قال فدخلت فقلت: بم أتيتنا به، قال: «لَمْ آتِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، أَتَيْتُكُمْ بِأَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٣) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٩ح ٤٧٣) من طريق محمد بن جحادة عن المغيرة بن عبدالله اليشكري عن أبيه عن ابن المنتفق به، وأخرجه الطبراني أيضًا (١٩/ ٢١٠ح ٤٧٥) من طريق أشعث بن عبد الرحمن عن أبيه عن جده عن المغيرة عن أبيه عن ابن المنتفق، وإسناده ضعيف أبو المغيرة هو عبد الله بن أبي عقيل اليشكري وهو مجهول، والحديث أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٨٣) من طريقين آخرين عن المغيرة، وأخرجه ابن جرير (٢/ ٢١١) والطبراني (١٩/ ٢١٠ح ٤٧٤) عن محمد بن جحادة عن رجل عن زميل له عن أبيه عن ابن المنتفق، وإسناده ضعيف، ولحديث ابن المنتفق طريق آخر واللفظ بمعناه، أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣) وعبدالله في «السنة» (١٢٠٨ بتحقيقي) وغيرهم، ولا يصح.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٦/ ٣٨٣) من طريق المغيرة بن عبدالله عن أبيه عن ابن المنتفق مرفوعًا بهذا اللفظ، وإسناده ضعيف لما سبق.

(٣) بينت أن الرواية بذكر ابن المنتفق ضعيفة، وعبدالله بن أبي عقيل الراوي عن ابن المنتفق مجهول، وليس من رجال الصحيح.

شَرِيكَ لَهُ». قال شعبة: وأحسبه قال: «وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنْ تَدَعُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى، وَأَنْ تُصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَأَنْ تَصُومُوا مِنَ السَّنَةِ شَهْرًا، وَأَنْ تَحُجُّوا الْبَيْتَ، وَأَنْ تَأْخُذُوا مِنْ مَالِ أَغْنِيَائِكُمْ فَتَرُدُّوهَا عَلَى فُقَرَائِكُمْ». قال فقال: فهل بقى من العلم شيء لا تعلمه؟ قال: «قَدْ عَلَّمَنِي اللَّهُ ﷻ خَيْرًا وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: الآية ٣٤]رواه أحمد[1]ورجاله ثقات أئمة. وروى أبو داود طرفًا منه.

وعن السدوسى بن الخصاصية ﷺ قال: أتيت رسول اللَّه ﷺ لأبايعه، فاشترط على شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدى الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد فى سبيل اللَّه. فقلت: يا رسول اللَّه أما اثنتان فواللَّه ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فإنهم زعموا أن من ولى الدبر فقد باء بغضب من اللَّه، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسى وكرهت الموت، والصدقة فواللَّه ما لى إلا غنيمة وعشر ذودهن رسل أهلى وحمولتهم. قال: فقبض رسول اللَّه ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال: «فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة إذًا؟» قال قلت: يا رسول اللَّه أنا أبايعك، قال: «فبايعت عليهن كلهن»[2].

وعن زياد بن نعيم الحضرمى قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «أربع فرضهن اللَّه فى الإسلام، فمن جاء بثلاث لم يغنين عنه شيئًا حتى يأتى بهن جميعًا: الصلاة والزكاة وصيام

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٨) بطوله، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٤٨) وفي «عمل اليوم والليلة» (٣١٦) أوله إلى قوله: فدخلت، من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن منصور عن ربعي عن رجل من بني عامر به، وإسناده صحيح، والعامري صحابي فلا تضر جهالته. وأخرجه أوله أيضًا أبو داود (٥١٧٧) من طريق أبي الأحوص عن منصور عن ربعي عن رجل من بني عامر به.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٤٤ح ١٢٣٣) وفي «الأوسط» (١١٢٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١/ ١٩٥) جميعًا من طريق جبلة بن سحيم عن أبي المثنى العبدي مؤثر بن عفازة عن ابن الخصاصية به، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٢) وقال: ورجال أحمد موثقون. اهـ.

وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٩٥) من طريق أحمد، وقال: غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة.

قلت (يحيى): مؤثر مجهول لم يرو عنه غير جبلة بن سحيم.

شهر رمضان وحج البيت»[١] .

رواه أحمد مرسلًا وفى الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لا يخفى .

وعن جرير بن عبد الله ﷺ قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا ، فقال رسول الله ﷺ : **«كأن هذا الراكب إياكم يريد»** قال : فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه ، فقال له النبى ﷺ : **«من أين أقبلت؟»** فقال : من أهلى وولدى وعشيرتى ، قال : **«فأين تريد؟»** قال : أريد رسول الله ﷺ . قال : **«فقد أصبته»** قال : يا رسول الله علمنى ما الإيمان؟ قال : **«تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت»** قال : قد أقررت . قال : ثم إن بعيره دخلت يده فى شبكة جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات ، فقال رسول الله ﷺ : **«على بالرجل»** فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فأقعداه فقالا : يا رسول الله قبض الرجل . قال : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثم قال لهما رسول الله ﷺ : **«أما رأيتما إعراضى عن الرجل ، فإنى رأيت ملكين يدسان فى فيه من ثمار الجنة ، فعلمت أنه مات جائعًا»** ثم قال رسول الله ﷺ : **«هذا والله من الذين قال الله تعالى فيهم :** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الأنعام: الآية ٨٢] ثم قال ﷺ : **«دونكم أخاكم»** قال : فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر . فجاء رسول الله ﷺ ، الحديث[٢] .

رواه أحمد ، وفى إسناده أبو جناب مختلف فيه ، والمتن صحيح . والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفاية .

---

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه أحمد (٤/ ٢٠٠) من طريق ابن لهيعة بإسناده عن زياد بن نعيم الحضرمي مرسلًا ، وإسناده ضعيف للإرسال وضعف ابن لهيعة .

(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه أحمد (٤/ ٣٥٩) عن إسحاق الأزرق عن أبي جناب عن زاذان عن جرير مرفوعًا ، ومن طريق أحمد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٠٣) وفي إسناده أبو جناب الكلبي وهو ضعيف ، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٥٩) من طريق عبدالحميد بن أبي جعفر عن ثابت عن زاذان عن جرير ، وإسناده ضعيف ، عبدالحميد مجهول ، ترجم له ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (ص٢٤٤) فلم يزد على أن قال : وثقه ابن حبان . اهـ

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣١٩ح ٢٣٢٩) من طريق أبي حمزة الثمالي عن أبي اليقظان عن زاذان عن جرير ، وإسناده ضعيف لضعف أبي اليقظان وأبي حمزة الثمالي .

الشهادتان

«أولهما»أو أول هذه الأركان «الركن الأساس الأعظم». الركن فى اللغة : الجانب الأقوى وهو بحسب ما يطلق فيه كركن البناء وركن القوم ونحو ذلك . فمن الأركان ما لا يتم البناء إلا به ، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به . وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقوله ﷺ : «بنى الإسلام على خمس» فشبهه بالبنيان المركب على خمس دعائم ، وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية ولهذا قلنا «الأساس»الذى لا يقوم البناء إلا عليه ولا يمكن إلا به ولا يحصل بدونه «الأعظم» هذه الصيغة مشعرة بتعظيم بقية الأركان وإنما هذا أعظمها ، فإنها كلها تابعة له ، ولا يدخل العبد فى شيء من الشريعة إلا به . «وهو الصراط» الطريق الواضح «المستقيم» الذى لا اعوجاج فيه ولا غبار عليه بل هو معتدل جلى نير . «الأقوم»أى : الأعدل ، من سلكه أوصله إلى جنات النعيم ، ومن انحرف عنه هوى فى قعر الجحيم . فإن من لم يثبت عليه فى الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة ، وذلك الركن المشار إليه هو «ركن الشهادتان» هذا من إضافة الشيء إلى نفسه أى : الركن الذى هو الشهادتان ، وهما شهادة أن لا إله إلا اللّه وأن محمدًا رسول اللّه ﷺ ، فلا يدخل العبد فى الإسلام إلا بهما ، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه ، ولهذا لم يدع الرسول ﷺ إلى شيء قبلهما ، ولم يقبل اللّه تعالى ولا رسول اللّه ﷺ من أحد شيئًا دونهما ، فبالشهادة الأولى : يعرف المعبود وما يجب له ، وبالثانية : يعرف كيف يعبده وبأى طريق يصل إليه ، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود ، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر اللّه أن يعبد؟ ففى الشهادة الأولى : توحيد المعبود الذى ما خلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لا شريك له ، وفى الشهادة الثانية : توحيد الطريق الذى لا يوصل إلى اللّه تعالى إلا منه ، ولا يقبل دينًا ممن ابتغى غيره ورغب عنه ، فإن عبادة اللّه تعالى التى خلق الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هى : أمر جامع لكل ما يحبه تعالى ويرضاه ، اعتقادًا وقولًا وعملًا ، ومعرفة محابه تعالى ومرضاته لا تحصل إلا من طريق الشرع الذى أرسل به رسوله وأنزل به كتابه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: الآية ٣١] . وقد قدمنا فى النوع الثانى من أنواع التوحيد تحقيق الشهادتين وبيان تلازمهما وتوضيح نواقضهما ، وبسطنا الكلام هناك وحررنا من الأدلة ما يغنى عن الإعادة هنا . «فاثبت» أيها العبد المريد نجاة نفسه من النار والفوز بالجنة على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلى ، ولا تستوحش من قلة السالكين ، وإياك

أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين، فإن الله ﷻ ينادى يوم القيامة: «يَا آدَمُ. فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ. فَيَقُولُ: مِنْ كَمْ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ» (١).

فالناجى حينئذ واحد من ألف، فاغتنم أن تكون من تلك الآحاد، واحذر أن تغتر بجموع الضلالة فتكون من حطب جهنم وبئس المهاد.

«واعتصم» أى: استمسك «بالعروة» أى: بالعقد الأوثق فى الدين، والسبب الموصل إلى رب العالمين «الوثقى» تأنيث الأوثق «التى لا تنفصم» أى: لا تنقطع، وقد تقدم فى الكلام على لا إله إلا الله أنها هى العروة الوثقى، وذلك واضح فى قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٦] وتقدم أن شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ والإيمان به هو شرط فى الإيمان بالله، وما كان من شرط فى الشهادة الأولى فهو شرط فى الثانية.

الصلاة

«وثانيا» من الأركان الخمسة «إقامة الصلاة» بجميع حقوقها ولوازمها. «وثالثًا تأدية الزكاة» إعطاؤها على الوجه المشروع، وقد تقرر اقتران هذين الركنين بالتوحيد وتقديمهما بعده على غيرهما فى غير موضع من القرآن أمرًا وخبرًا، قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝﴾ [النُّور: الآية ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝﴾ [البيّنَة: الآية ٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبَة: الآية ٥]، وفى حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه النبى ﷺ إلى اليمن قال له: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ. فَإِنْ هُمْ

(١) الحديث الوارد في ذلك صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٣٠) ومسلم (٢٢٢) وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا.

أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ. فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ. وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّه لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» [١]، وفى رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ ﷻ. فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ تَعَالَى فَأَخْبِرْهُمْ» الحديث [٢].

ولنذكر طرفًا من النصوص المتعلقة بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ما تيسر من نصوص الزكاة والله المستعان.

اعلم - هدانا الله وإياك - أن: الصلاة قد اشتملت على جُل أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلب والانقياد والإخلاص والمحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله ﷻ وإسلام الوجه له والصمود إليه والاطراح بين يديه. وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله تعالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم له وسائر أنواع الذكر. وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك. هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل - منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس - وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع فى غيرها من العبادات. ولهذا قال النبى ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» [٣]

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٩٥، ١٤٩٦) ومسلم (١٩) وغيرهما من حديث ابن عباس.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٥٨) ومسلم (١٩).

(٣) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) والنسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١) وفي «الكبرى» (٨٨٨٧) وأبو يعلى (٣٤٨٢، ٣٥٣٠) و الطبراني في «الأوسط» (٥٢٠٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٨) وأبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» (٧٢٥ بتحقيقي) من طرق عن سلام أبي المنذر عن ثابت عن أنس مرفوعًا به، وهذا إسناد حسن على كلام في تعيين سلام هل هو القارئ أو البصري الفزاري والفزاري فيه كلام، والقارئ صدوق، على أنه لم ينفرد به، فقد تابعه جعفر بن سليمان وهو صدوق فرواه عن ثابت عن أنس به، أخرجه النسائي في «المجتبى» (٧/ ٦١) وفي «السنن الكبرى» (٨٨٨٨) والحاكم (٢٦٧٦)، وإسناده حسن، والحديث يصحح بطريقيه عن أنس، وله طريق ثالث عند الطبراني في «المعجم الصغير» (٧٤١) وفي «الأوسط» (٥٧٧٢) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٣٢١) عن يحيى بن عثمان الحربي عن هقل عن الأوزاعي عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة عن=

ولاشتمالها على معانى الإيمان سماها الله إيمانًا فى قوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٤٣]. وهى ثانية أركان الإسلام فى الفرضية، فإنها فرضت فى ليلة المعراج بعد عشر من البعثة لم يدع الرسول ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيد الذى هو الركن الأول، ففرضت خمسين، ثم خففها الله ﷻ إلى خمس كما تواترت النصوص بذلك فى «الصحيحين» وغيرهما. وهى ثانية فى الذكر، فما ذكرت شرائع الإسلام فى آية من الآيات أو حديث من السنة إلا وبدئ بها بعد التوحيد قبل غيرها كما فى الآيات السابقة وكما فى حديث جبريل وحديث «بنى الإسلام» وحديث وفد عبد القيس وحديث معاذ بن جبل وحديث «أمرت أن أقاتل الناس» وغيرها مما لا يحصى [1].

وهى ثانية فى آيات الأمر بالجهاد وفى آيات وعيد الكفار كما فى قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: الآية ٥] الآية، وقوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ۝٤٦ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ۝٤٨ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾. وهى ثانية فى مدح المؤمنين كما فى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَـٰشِعُونَ ۝٢﴾ وفى ذم الكفار بتركها كما فى قوله ﷻ: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١﴾، وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَـٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ وكذا فى ذم المنافقين بعدم اهتمامهم لها كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝١٤٢﴾ [النساء: الآية ١٤٢]. وهى ثانية فى حساب العبد يوم القيامة كما فى قوله ﷺ: «**أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ تُقُبِّلَتْ مِنْهُ تُقُبِّلَ مِنْهُ سَائِرُ عَمَلِهِ، وَإِنْ رُدَّتْ عَلَيْهِ رُدَّ عَلَيْهِ سَائِرُ عَمَلِهِ**» [2].

= أنس مرفوعًا، ورجاله ثقات، إلا أن يحيى بن عثمان تكلم العلماء في روايته عن هقل، لكن إسناده صالح للشواهد، وللحديث طرق أخرى مرسلة وموصولة عن المغيرة وغيره ولا تصح.

(١) الأحاديث الخمسة صحيحة أخرجها البخاري ومسلم وغيرهما، وسبقت.

(٢) **صحيح من كلام تميم بن سلمة مقطوعًا**: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧٧٧٢، ٣٥٩٠٦) عن جرير عن منصور عن تميم بن سلمة قوله، وإسناده صحيح، وتميم يروي عن التابعين، وقد روى هذا اللفظ مرفوعًا وموقوفًا على بعض الصحابة من طرق فيها اختلاف كثير واضطراب. وهذا بيانها: رواه جماعة عن حماد بن سلمة، واختلف عليه في إسناده، فأخرجه ابن ماجة (١٤٢٦) والحاكم (٩٦٦، ٩٦٧) عنه عن داود بن أبي هند عن زرارة بن أوفى عن تميم الداري مرفوعًا، وخالفه يزيد بن هارون عند ابن أبي شيبة (٣٥٩٠٤) والبيهقي (٢/ ٣٨٧) فرواه عن داود بن أبي هند عن زرارة بن أوفى عن تميم موقوفًا.

= وهذا إسناد ضعيف في الوقف والرفع، للانقطاع لأن زرارة لم يسمع من تميم ذكر الإمام أحمد ونقله عنه العلائي في جامع التحصيل (ص١٧٦ فقرة ١٩٦) وأخرجه الحاكم (٩٦٧) عن حماد عن الأزرق بن قيس عن رجل من أصحاب النبيﷺ، وأخرجه أحمد (٤/ ١٠٣) و (٥/ ٧٢، ٣٧٧) عن حماد عن الأزرق بن قيس عن يحيى بن يعمر عن رجل من أصحاب النبيﷺ. وأخرجه ابن ماجة (١٤٢٦) وأحمد (٤/ ١٠٣) عن حماد عن حميد عن الحسن عن رجل عن أبي هريرة، وحميد متابع على هذا الوجه، تابعه أبو الأشهب عند أبي داود الطيالسي (٢٤٦٨) وإسناده ضعيف لإبهام الرجل، وأخرجه أحمد (٤/ ١٠٣) عن حماد عن حميد عن الحسن عن أبي هريرة، وأسقط الرجل المبهم، وأخرجه أحمد (٤/ ١٠٣) عن حماد عن حميد عن الحسن عن أبي سلمة عن داود بن أبي هند عن زرارة بن أوفى عن تميم الداري.

قلت: وهذا اضطراب في حديث حماد بن سلمة وبعض هذه الطرق يقتصر متنها على أول الحديث، وبعضها يورد معناه.

وأيضًا فالحسن البصري عليه خلاف، فرواه أبان عند ابن نصر في «الصلاة» (١٨١) ويونس عند ابن نصر (١٨٢) والحاكم (٩٦٥) عن الحسن عن أنس بن حكيم عن أبي هريرة، والحسن متابع على هذا الوجه، تابعه علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف عند ابن ماجة (١٤٢٥) وابن نصر (١٨٠) وابن أبي شيبة (٣٥٩٦٨) ورجح أبو زرعة في «العلل» لابن أبي حاتم (١/ ١٥٢ح ٤٢٦) طريق الحسن عن أنس بن حكيم عن أبي هريرة مرفوعًا.

قلت (يحيى): رواه عن الحسن ثقتان هما أبان ويونس، لكنهما مخالفان، خالفهما أبو الأشهب عند أبي داود الطيالسي (٢٤٦٨) فرواه عن الحسن عن رجل عن أبي هريرة، والطيالسي له أوهام وهو مخالف، خالفه وكيع عند ابن أبي شيبة (٧٧٧٠) فرواه عن أبي الأشهب عن الحسن عن أبي هريرة ولم يذكر واسطة، لكن أبو الأشهب متابع على الوجه الأول من حميد عند ابن ماجة (١٤٢٦) وأحمد، ومتاج من حميد أيضًا عند أحمد (٤/ ١٠٣) على إسقاط الرجل، والأربعة: أبان ويونس وحميد وأبو الأشهب مخالفون، خالفهم إسماعيل بن مسلم عند ابن المبارك في «الزهد» (٩١٥) وابن نصر (١٨٣) فرواه عن الحسن عن صعصعة عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسماعيل مخالف في الرفع، خالفه سالم بن أبي الجعد عن ابن نصر (١٨٤) فرواه عن الحسن عن صعصعة عن أبي هريرة موقوفًا.

وخالف الجميع قتادة فرواه عن الحسن عن حريث بن قبيصة (أو قبيصة بن حريث) عن أبي هريرة مرفوعًا، أخرجه الترمذي (٤١٣) والنسائي (١/ ٢٣٢) وابن نصر (١٨٥) ورواه عنه همام لكن همام مخالف خالفه أبو العوام عند النسائي (١/ ٢٣٣) فرواه عن قتادة عن الحسن بن زياد عن أبي رافع عن أبي هريرة مرفوعًا.

قلت (يحيى): فالحديث عن تميم الداري وعن أبي هريرة مضطرب، وطرقه يعل بعضها بعضًا، لكن بقي لحديث أبي هريرة طريق آخر خال من هذا الاضطراب أخرجه البزار من طريق شبابة بن سوار عن المغيرة بن مسلم عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا، وهذا إسناد حسن، ومن طريق البزار أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٣٨٠ شرح الحديث ٢٣) ونقل عن البزار قوله: =

ومعنى قوله: «أَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ الْعَبْدُ» أى: بعد التوحيد.

وهى ثانية فيما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما فى قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠ عَنِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ۝٤١ مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾ الآيات.

والنصوص فى شأنها كثيرة لا تحصى وهى متنوعة، فمنها ما فيه الأمر بها كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة: الآية ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٥]، وقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ۝٧٨﴾ [الإسراء: الآية ٧٨] وما فى معناها. ومنها ما فيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة وكقوله ﷺ لمعاذ: «رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي

= تفرد به المغيرة والمحفوظ عن أبي صالح عن كعب من قوله وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ١٤٧) وإسناده حسن اهـ.

قلت: بل هو غير محفوظ كما نقل ابن رجب عن البزار.

وقد ورد بعض الحديث من رواية أنس بن مالك موقوفًا أخرجه أبو يعلى (٣٩٧٦) من طريق أشعث بن سوار من سلمة بن كهيل عن عامر عن أنس موقوفًا، وإسناده ضعيف لضعف أشعث.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٨٥٩) والضياء المقدسي في «المختارة» (٢٥٧٨، ٢٥٧٩) من طريق إسحاق بن يوسف الأزرق عن القاسم بن عثمان عن أنس مرفوعًا وإسناده ضعيف لضعف القاسم بن عثمان.

ولحديث أنس طريق ثالث أورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٩٢) وعزاه للطبراني في «الأوسط» وأعله بخليد بن دعلج.

وأخرجه ابن نصر في «الصلاة» (١٧٩) أول الحديث عن سعيد بن يحيى بن الأزهر عن إسحاق بن يوسف عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مرفوعًا، وهذا إسناد فيه كلام من أجل شريك وعاصم فلهما خطأ ووهم، ولا يتحملان هذا الحديث مع الاختلاف في طرقه.

– وللحديث شاهد أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٢٨ح ٢٧٧٨) من طريق المهاجر بن مخلد عن أبي العالية الرياحي مرسلًا، وإسناده ضعيف للإرسال وضعف أبي المهاجر.

– وورد موقوفًا من كلام يحيى بن أبي كثير أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٦٧) وفي إسناده يحيى البابلتي وهو ضعيف.

وورد موقوفًا من كلام عون بن عبدالله، أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١٩٤) بإسناد حسن.

قلت (يحيى): فالمرفوعات لا تصح، وقد اختلف في متونها، وبعضها يورد الحديث بمعناه، وبعضها يقتصر على الجملة الأولى منه، وباقي المتن مختلف، وأما المتن المذكور فالأصح فيه الوقف، كما أسلفته.

سَبِيلِ اللَّهِ»[(١)].

ومنها في ثواب أهلها كقوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ ومنها ما فيه ذكر نجاتهم من النار كقوله ﷺ في عصاة الموحدين: «فَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ»[(٢)]، ومنها ما فيه عقاب تاركها كقوله ﷻ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ

---

(١) **صحيح بمجموع طرقه**: أخرجه الترمذي (٢٦١٦) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٩٤) وأحمد (٥/ ٢٣١) وعبد بن حميد (١١٢) وابن نصر المروزي في «الصلاة» (١٩٦) من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ بن جبل.

وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وأبو وائل مخضرم روى عن معاذ بن جبل كما في «التهذيب» (٤/ ٣٦١) و(١٠/ ١٨٦) ولم أقف على من نفي سماعه من معاذ إلا ما قال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص٤٧٢ شرح الحديث ٢٩) لكن الحديث أخرجه هناد في «الزهد» (١٠٩٠) وابن نصر في «الصلاة» (١٩٧) والحاكم في «المستدرك» (٢٤٠٨) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٤٣ح ٢٩٢) والبيهقي في «الشعب» (٥٩٥٨) من طريق الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعًا، وأخرجه ابن نصر (١٩٧) والحاكم (٣٥٤٨) من طريق جرير عن الأعمش عن حبيب والحكم بمثله وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠) عن منصور عن الحكم عن ميمون عن معاذ، وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٧) من طريق شعبة عن الحكم عن عروة بن النزال وميمون بن شبيب عن معاذ به، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣١٤) والحارث في «مسنده» (١٢) والطيالسي (٥٦٠) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٤٧ح ٣٠٤) والبيهقي في «الشعب» (٢٨٠٦، ٣٣٤٩، ٤٢٢٥) من طريق شعبة عن الحكم عن عروة بن النزال عن معاذ مرفوعًا.

قلت: وميمون عن معاذ منقطع، وانظر «التهذيب» (١٠/ ٣٨٩) وعروة بن النزال مجهول، وانظر «التهذيب» (٧/ ١٨٩) وللحديث طريق آخر أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٥) عن شهر بن حوشب عن ابن غنم عن معاذ بن جبل، وأخرج أحمد (٥/ ٢٤٨) أصل الحديث من غير هذا اللفظ من طريق عاصم بن بهدلة عن شهر بن حوشب عن معاذ مرفوعًا، وهذا منقطع، وفي الحديث خلاف آخر أكثر مما ذكرت أورده الدارقطني في «العلل» (٦/ ٧٣ - ٧٨ح ٩٨٨) وذكر أن أحسنها إسنادًا حديث عبدالحميد بن بهرام ومن تابعه عن شهر عن ابن غنم عن معاذ.

قلت: والحديث يصحح بمجموع طرقه، والله أعلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ ومنها ما فيه تكفير تاركها ونفى الإيمان عنه وإلحاقه بإبليس كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ فإنه لو كان مضيع الصلاة مؤمنًا لم يشترط فى توبته الإيمان. وكقوله: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: الآية ١١] فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾﴾ [السجدة: الآية ١٥]، وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٣٤] وفى «صحيح مسلم» عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي يَقُولُ: يَا وَيْلَهُ**» - وفى رواية: «**يَا وَيْلِي أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ فَلِيَ النَّارُ**»(١). وفيه عن جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»(٢). ورواه الترمذى وقال: حسن صحيح وله عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»(٣) قال: وفي الباب عن أنس ﷺ وابن عباس هذا حديث حسن صحيح غريب. وروى الإمام أحمد والنسائى عن محجن بن الأدرع الأسلمى: «أنه كان فى مجلس مع النبى ﷺ فأذن بالصلاة فقام النبى ﷺ ثم رجع ومحجن فى مجلسه، فقال له: «**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّيَ، أَلَسْتَ بِرَجُلٍ مُسْلِمٍ؟**» قال: بلى، ولكن صليت فى أهلي. فقال له: «**إِذَا جِئْتَ فَصَلِّ مَعَ النَّاسِ وَإِنْ كُنْتَ قَدْ صَلَّيْتَ**»(٤) فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة. ولفظ الحديث

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨١) وأحمد (٢/ ٤٤٣) وابن ماجة (١٠٥٢) وغيرهم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٢) وأبو داود (٤٦٧٦) والترمذي (٢٦١٨) والنسائي (١/ ٢٣٢) وابن ماجة (١٠٧٨) وغيرهم.

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦٢١) وابن ماجة (١٠٧٩) وأحمد (٥/ ٣٥٥) وابن حبان (١٤٦٣) وعبدالله في «السنة» (٨٣٢ بتحقيقي). وغيرهم. وقول المصنف: وله عن عبدالله بن بريدة، يعني للترمذي.

(٤) **حسن**: أخرجه مالك في «الموطأ» (ص١٣٢) ومن طريقه أخرجه أحمد (٤/ ٣٤) والنسائي في «المجتبى» (٢/ ١١٢) وفي «السنن الكبرى» (٩٣٠) والشافعي (ص٢١٤) والحاكم (٨٩٠) والدارقطني (١/ ٤١٥) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٩٤ح ٦٩٧) والبيهقي (٢/ ٣٠٠) عن مالك عن زيد بن أسلم عن بسر بن محجن عن أبيه به وإسناده حسن، وبسر صدوق، ومالك متابع من سفيان ومعمر عند أحمد (٤/ ٢٤) ومن ابن جريج وداود بن قيس عند الطبراني في «الكبير»

يتضمن أنك لو كنت مسلمًا لصليت .

وفى «المسند» والسنن الأربع : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يومًا فقال له : «**من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف**»[١] ، ورجال أحمد ثقات . وتقدم الحديث الذى فى «البخارى» فى صفة المسلم : «**مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا**» . الحديث[٢] . وقال الترمذى رحمه الله: حدثنا قتيبة أخبرنا بشر بن المفضل عن الجريرى عن عبد الله ابن شقيق العقيلى قال : كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئًا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة[٣].

ومنها ما فيه التصريح بوجوب قتله ، كقوله ﷻ : ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة : الآية ٥] الآية ، وقوله ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ**» الحديث[٤] وغير ذلك من الآيات والأحاديث . وأما الآثار فى شأنها عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن تحصر ، وقد أجمعوا على قتله كفرًا إذا كان تركه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبار عنها وإن قال لا إله إلا الله ، لما تقدم من الآيات والأحاديث السابقة ، ولدخوله فى التارك لدينه المفارق للجماعة وفى قوله ﷺ : «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»[٥] فإنه بذلك يكون مرتدًا مبدلًا لدينه . وأما إن كان تركه

---

(١) **ضعيف الإسناد** : أخرجه أحمد (٢/ ١٦٩) والدارمي (٢٧٢١) وعبد بن حميد (٣٥٣) وابن حبان (١٤٦٧) وعبدالله في «السنة» (٨٤٥) والبيهقي في «الشعب» (٢٨٢٣) جميعًا عن عبدالله بن يزيد المقرئ عن سعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عيسى بن هلال الصدفي عن عبدالله بن عمرو مرفوعًا به ، وإسناده ضعيف وعيسى مجهول الحال وكذا كعب بن علقمة ولم يوثقهما غير ابن حبان وباقي رجال الإسناد ثقات ، وعزا المصنف الحديث للسنن الأربع خطأ ، والحديث ليس في شيء منها .

(٢) **صحيح** : وهو في البخاري موقوف على أنس ، وسبق الكلام عنه .

(٣) **صحيح إلى عبدالله بن شقيق** : أخرجه الترمذي بهذا الإسناد به وقال الترمذي : حسن صحيح .
قلت : الجريري هو سعيد بن إياس وهو مختلط ، وبشر لم يذكر فيمن سمع منه قبل الاختلاط ، لكنه متابع من عبدالأعلى عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٤٦) وسماع عبدالأعلى من الجريري صحيح قبل الاختلاط ، والخبر أخرجه الحاكم (١٢) من طريق قتيبة به وزاد فيه أبا هريرة ، والأول أصح .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي هريرة ومن حديث ابن عمر ، وسبق .

(٥) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦٩٢٢) والترمذي (١٤٥٨) وابن ماجة (٢٥٣٥) وأحمد (١/ ٢١٧ ، ٢٨٢ ، ٣٢٢) من حديث ابن عباس مرفوعًا به .

لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسل وتهاون كما هو حال كثير من الناس فقال النووى رحمه اللَّه تعالى فى «شرح مسلم» (١): قد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعى رحمهما اللَّه تعالى والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًّا كالزانى المحصن، ولكنه يقتل بالسيف. وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروى عن على بن أبى طالب كرم اللَّه وجهه وهى إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله، وبه قال عبد اللَّه بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى رضوان اللَّه عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزنى صاحب الشافعى رحمهم اللَّه تعالى إلى أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلى. قال رحمه الله: واحتج من قال بكفره بظاهر حديث جابر «إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (٢) وبالقياس على كلمة التوحيد. واحتج من قال لا يقتل بحديث: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ» (٣) وليس فيه الصلاة. واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨]، وبقوله ﷺ: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» و«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» و«لَا يَلْقَى اللَّهَ عَبْدٌ بِهِمَا غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الْجَنَّةِ»، «وحرم اللَّه على النار من قال لا إله إلا اللَّه» (٤) وغير ذلك، واحتجوا على قتله بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: الآية ٥]، وقوله ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ» (٥) وتأولوا قوله ﷺ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ» (٦) على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهى القتل، أو أنه محمول على المستحل، أو على أنه قد يئول به إلى الكفر، أو أن فعله فعل الكفار واللَّه أعلم، انتهى كلامه (٧)، وقد قدمنا فى شروط لا إله إلا اللَّه وفى بيان مراتب الدين وفى بيان أنواع الكفر ما فيه غنية، وذكرنا هنا ما تيسر من

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٧٠ - ٧١).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٢) وغيره، وسبق.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٧٨) ومسلم (١٦٧٦) من حديث ابن مسعود.

(٤) هذه الأحاديث سبق تخريجها والحكم عليها عند الكلام على شروط كلمة التوحيد.

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وسبق.

(٦) **صحيح**: وسبق.

(٧) هذا آخر كلام النووي رحمه اللَّه في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ٧١).

النصوص فى شأنها . وقد بسط الحافظ ابن القيم فى «كتاب الصلاة» الكلام على هذه المسألة بسطا حسنًا فليراجع[١].

الزكاة

وأما الزكاة: فقد تقدم ذكرها فى نصوص الصلاة وغيرها ، ومما يتعلق بها على انفرادها قوله ﷻ : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: الآية ١٠٣] ، وقوله فى صفات عباده المؤمنين : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٤] ، وقوله تعالى فى ذم الكفار ووعيدهم : ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ * ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وإن كانت هذه الآية فى زكاة النفوس فهى عامة لزكاة الأموال أيضًا وقد فسرت بها ، وقوله تعالى فى وعيد مانعيها مطلقًا : ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ يوضح ذلك الحديث الذى فيه : «ما أديت زكاته فليس بكنز»[٢] وفى «الصحيح» عن أبى هريرة رضي الله عنه

---

(١) كتاب «الصلاة وحكم تاركها» لابن القيم (ص٣٨ - ٥٥) .

(٢) **صحيح إلى ابن عمر موقوفًا ، ولا يصح مرفوعًا** : أخرجه مرفوعًا أبو داود (١٥٦٤) والحاكم (١٤٣٨) والدارقطني (٢/ ١٠٥) والبيهقي (٤/ ٨٣) من طريق ثابت بن عجلان عن عطاء عن أم سلمة مرفوعًا وإسناده ضعيف عطاء عن أم سلمة منقطع ، وثابت متكلم فيه ، وقد خالفه ابن جريج فرواه عن عطاء عن عبيد بن عمير قوله ، وهو صحيح ، أخرجه عبدالرزاق (٧١٤٣) .

وأخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٢٧٩) من طريق سويد بن عبدالعزيز عن عبيدالله بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا ، وإسناده ضعيف لضعف سويد ، وسويد مخالف ، خالفه سفيان بن عيينة وهو ثقة حافظ فرواه عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر ولم يرفعه . أخرجه عبدالرزاق (٧١٤٢) .

وأخرجه البيهقي (٤/ ٨٣) من طريق محمد بن كثير عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا ، وقال البيهقي : ليس هذا بمحفوظ ، وإنما المشهور عن سفيان عن عبيدالله عن نافع عن ابن عمر موقوفًا .

قلت (يحيى) : محمد بن كثير هو المصيصي كثير الخطأ ، والصحيح عن ابن عمر موقوفًا كما أخرجه عبدالرزاق (٧١٤٢) وعبيدالله العمري ثقة ، وهو متابع في روايته عن نافع عن ابن عمر موقوفًا ، تابعه أيوب وإسماعيل بن أمية ويحيى بن سعيد وابن عجلان .

أخرج حديثهم ابن جرير (١٠/ ١١٨) والشافعي في «مسنده» (ص٨٧) وعبدالرزاق (٧١٤٠ ، ٧١٤١ ، =

قال : قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» . قيل : يا رسول الله فالإبل؟ قال : «وَلَا صَاحِبِ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا ، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا . إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا أُعِيدَ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» . قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم؟ قال : «وَلَا صَاحِبِ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا ، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلَا جَلْحَاءُ ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيُرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» الحديث بطوله [١].

وفيه عن جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «مَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ وَلَا بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ لَا يُؤَدِّي حَقَّهَا إِلَّا أُقْعِدَ لَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقَاعٍ قَرْقَرٍ تَطَؤُهُ ذَاتُ الظِّلْفِ بِظِلْفِهَا وَتَنْطَحُهُ ذَاتُ الْقَرْنِ بِقَرْنِهَا ، لَيْسَ فِيهَا يَوْمَئِذٍ جَمَّاءُ وَلَا مَكْسُورَةُ الْقَرْنِ» الحديث [٢].

وفيه : «وَلَا مِنْ صَاحِبِ مَالٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلَّا تَحَوَّلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَتْبَعُ صَاحِبَهُ حَيْثُمَا ذَهَبَ وَهُوَ يَفِرُّ مِنْهُ وَيُقَالُ : هَذَا مَالُكَ الَّذِي كُنْتَ تَبْخَلُ بِهِ . فَإِذَا رَأَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهُ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فِيهِ فَجَعَلَ يَقْضَمُهَا كَمَا يَقْضَمُ الْفَحْلُ» [٣].

وفيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال النبى ﷺ : «وَلَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِشَاةٍ يَحْمِلُهَا عَلَى رَقَبَتِهِ لَهَا يُعَارٌ ، فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا ، قَدْ بَلَّغْتُ . وَلَا يَأْتِي أَحَدُكُمْ بِبَعِيرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى رَقَبَتِهِ لَهُ رُغَاءٌ فَيَقُولُ : يَا مُحَمَّدُ ، فَأَقُولُ : لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ

= ٧١٤٢) وله شاهد عن ابن عمر بمعناه موقوفًا أخرجه البخاري (١٤٠٤) ووصله البيهقي (٤/ ٨٢) وورد أيضًا عن ابن عباس قوله ، أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠٥٢٠) عن وكيع عن شريك عن أبي إسحاق عن عكرمة عن ابن عباس موقوفًا ، وإسناده حسن إلى ابن عباس على بعض كلام في شريك .

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٩٨٨) من حديث جابر مرفوعًا .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٩٨٨) من حديث جابر مرفوعًا .

بَلَّغْتُ»[(١)] وفيه عنه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ**» - يعنى: شدقيه - «**ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**». ثم تلا: «﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٠]» الآية[(٢)].

وفيه عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد اللَّه بن عمر ﷺ، فقال أعرابى: أخبرنى عن قول اللَّه تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: الآية ٣٤] قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها اللَّه تعالى طهرة للأموال[(٣)].

وقد ثبتت البيعة عليها بعد الصلاة كما قال البخارى رحمه اللَّه تعالى: «باب البيعة على إيتاء الزكاة: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: الآية ١١]»[(٤)] حدثنا ابن نمير قال: حدثنى أبى قال: حدثنا إسماعيل عن قيس قال: قال جرير بن عبد اللَّه ﷺ: «بايعت رسول اللَّه ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[(٥)] والنصوص فيها كثيرة وفى ما تقدم كفاية.

وأما حكم تاركها فإن كان منعه إنكارًا لوجوبها فكافر بالإجماع بعد نصوص الكتاب والسنة، وإن كان مقرًّا بوجوبها وكانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام لما فى «الصحيحين» عن أبى هريرة ﷺ قال: لما توفى رسول اللَّه ﷺ وكان أبو بكر ﷺ وكفر من كفر من العرب فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ** ﷻ» فقال: واللَّه لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. فإن الزكاة حق المال، ولو

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٠٢) ومسلم (١٨٣١).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٠٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.
(٣) حسن إلى ابن عمر موقوفًا: أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٤٠٤) تعليقًا عن أحمد بن شبيب بن سعيد عن أبيه عن يونس عن ابن شهاب عن خالد بن أسلم عن ابن عمر موقوفًا، ووصله البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٢) وفي «شعب الإيمان» (١٢٥٥) من طريق أحمد بن شبيب به، وإسناده حسن، لحال خالد بن أسلم فإنه صدوق، وأخرجه ابن ماجة (١٧٨٧) والطبراني في «الأوسط» (٤٠٦٥) من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب بمثله، وابن لهيعة ضعيف، لكن من العلماء من يصحح روايته ابن وهب عنه.
(٤) «فتح الباري» (٣/ ٣٢٣).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٠١) ومسلم (٥٦).

منعونى عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم على منعها . قال عمر رضي الله عنه : فواللَّه ما هو إلا أن قد شرح اللَّه صدر أبى بكر رضي الله عنه فعرفت أنه الحق - وفى رواية - فواللَّه ما هو إلا أن رأيت اللَّه قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق(١) .

وهذا الذى استنبطه أبو بكر رضي الله عنه مصرح به فى منطوق الأحاديث الصحيحة المرفوعة كحديث عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ** عز وجل»(٢) وغيره من الأحاديث . وقد جهز النبى ﷺ خالد بن الوليد لغزو بنى المصطلق حين بلغه أنهم منعوا الزكاة ولم يكن ما بلغه عنهم حقًّا ، فروى الإمام أحمد قال : حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنى أبى أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعى رضي الله عنه يقول : قدمت على رسول اللَّه ﷺ فدعانى إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ، ودعانى إلى الزكاة فأقررت بها وقلت : يا رسول اللَّه أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة ، فمن استجاب لى جمعت زكاته . وترسل إلى يا رسول اللَّه رسولًا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذى أراد رسول اللَّه ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من اللَّه تعالى ورسول اللَّه ﷺ فدعا بسروات قومه فقال لهم : إن رسول اللَّه ﷺ كان وقت لى وقتًا يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول اللَّه ﷺ الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة ، فانطلقوا نأتى رسول اللَّه ﷺ وبعث رسول اللَّه ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق - أى خاف - فرجع حتى أتى رسول اللَّه ﷺ فقال : يا رسول اللَّه إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى ، فغضب رسول اللَّه ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضي الله عنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا : هذا الحارث ، فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟ قالوا : إليك . قال : ولم؟ قالوا : إن رسول اللَّه ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله . قال رضي الله عنه : لا والذى بعث محمدًا ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتانى . فلما دخل الحارث على رسول اللَّه

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٩٩ ، ١٤٠٠) ومسلم (٢٠) .

(٢) صحيح : وسبق تخريجه ، وهو في «الصحيحين» .

ﷺ قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي»، قال ﷺ: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا أتاني ولا أقبلت إلا حين احتبس على رسول رسول الله ﷺ، خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله ﷺ قال فنزلت الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ [الحُجرَات: الآية ٦] - إلى قوله - ﴿حَكِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠٩][1].

ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به ورواه الطبراني من حديث محمد بن سابق به. وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة عن أم سلمة ﵂ قالت: بعث رسول الله ﷺ رجلًا في صدقات بني المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت: فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق قد منعوني صدقاتهم. فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلًا مصدقًا فسررنا بذلك وقرَّت به أعيننا، ثم أنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبًا من الله تعالى ومن رسوله ﷺ. فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال فأذن بصلاة العصر، قالت: ونزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحُجرَات: الآية ٦][2].

وروى ابن جرير عن ابن عباس ﵄ في هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إن بني المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضبًا شديدًا، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد فقالوا: يا رسول الله إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق وإنا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٧٤ح ٣٣٩٥) وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢١٠) وزاد عزوه لابن أبي حاتم في «تفسيره»، جميعًا من طريق محمد بن سابق به، وإسناده ضعيف، لأن دينار الكوفي أبو عيسى مجهول، لم يرو عنه غير ابنه، وانظر «التهذيب» (٣/ ٢١٧).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٦/ ١٢٣) بهذا الإسناد به، وإسناده ضعيف لضعف موسى بن عبيدة الربذي، ومن طريق موسى أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٤١٠ح ٩٦٠).

غضبه وغضب رسوله، وإن النبي ﷺ استغشهم وهم بهم، فأنزل الله تبارك وتعالى عذرهم في الكتاب فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: الآية ٦] إلى آخر الآية [١].

وقال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بني المصطلق ليصدقهم فتلقوه بالصدقة فرجع فقال: إن بني المصطلق قد جمعت لك لتقاتلك - زاد قتادة: وإنهم قد ارتدوا عن الإسلام - فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إليهم وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلًا فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالدًا رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضي الله عنه فرأى الذي يعجبه فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبر الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. انتهى [٢]. من تفسير الحجرات لابن كثير رحمه الله تعالى [٣].

وذكر البغوي رحمه الله تعالى نحو حديث ابن عباس وفيه: فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه وقال له انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار. ففعل ذلك خالد. ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: الآية ٦] الآية [٤].

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٦/ ١٢٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٥٤) من طريق العوفيين عن ابن عباس.

(٢) ضعيف الإسناد: للإرسال، والخبر أخرجه ابن جرير (٢٦/ ١٢٤) عن مجاهد وقتادة، أما الأثر إلى مجاهد فمنقطع الإسناد لأنه من رواية ابن أبي نجيح عنه، وأما أثر قتادة فحسن إليه، لكن الخبر ضعيف للإرسال، وهو رواية وليس تفسيرًا.

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٢١٠ - ٢١١) والمصنف نقل عنه من أول كلامه في تجهيز خالد بن الوليد لغزو بني المصطلق إلى هنا، وربما تصرف المصنف في بعض الألفاظ.

(٤) تفسير البغوي (٧/ ٣٣٩).

وأما إن كان الممتنع عن أداء الزكاة فردًا من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهرًا ، واختلفوا من ذلك فى مسائل :

إحداها : هل يكفر أم لا ؟ فقال عبد الله بن شقيق : «كان أصحاب رسول الله ﷺ لا يرون من الأعمال شيئًا تركه كفر إلا الصلاة»[١] ، وقال أبو أيوب السختيانى : «ترك الصلاة كفر لا يختلف فيه»[٢] ، وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وهو قول ابن المبارك وأحمد وإسحاق[٣] وحكى إسحاق «عليها إجماع أهل العلم» ، وقال محمد بن نصر المروزى : «هو قول جمهور أهل الحديث»[٤] .

وذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئًا من أركان الإسلام الخمس عمدًا أنه كافر . وروى ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها طائفة من أصحابه وهو قول ابن حبيب من المالكية ، وخرج الدارقطنى وغيره من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : «قيل : يا رسول الله الحج فى كل عام؟ قال : **«لو قلت نعم لوجب عليكم ولو وجب عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم»**[٥] .

وعن ابن مسعود أن تارك الزكاة ليس بمسلم[٦] ، وعن أحمد رواية أن ترك الصلاة

---

(١) صحيح إلى عبدالله بن شقيق : وسبق تخريجه قريبًا عند الكلام عن حكم تارك الصلاة .

(٢) صحيح إلى أيوب السختياني : أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٩٧٨) عن محمد بن يحيى وهو الذهلي عن أبي النعمان وهو محمد بن الفضل السدوسي عن حماد بن زيد عن أيوب به .

(٣) قول ابن المبارك وأحمد وإسحاق في «كفر تارك الصلاة» أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» برقم (٩٧٩ ، ٩٨٢ ، ٩٩٠) وعنه نقلها ابن القيم في كتابه «الصلاة وحكم تاركها» (ص٥٤) .

(٤) «تعظيم قدر الصلاة» لابن نصر المروزي (٢/ ٩٣٦) تعقيبًا على رقم (١٠٠٢) .

(٥) ضعيف : أخرجه الدارقطني (٢/ ٢٨٢ح ٢٠٦) وابن جرير (٧/ ٨٢) من طريق إبراهيم بن مسلم الهجري عن ابن عياض عن أبي هريرة مرفوعًا ، وإسناده ضعيف لضعف الهجري ، وأخرجه ابن جرير (٧/ ٨٣) من طريق العوفيين عن ابن عباس ومن طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وكلاهما ضعيف ، وأخرجه ابن جرير (٧/ ٨٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١٥٩ح ٧٦٧١) من حديث أبي أمامة وفي إسناده معاوية بن يحيى الصدفي وهو ضعيف ، والراوي عنه أبو زيد عبدالرحمن بن أبي الغمر وهو مجهول الحال ، مترجم له في «التهذيب» دون التقريب .

قلت : وأصل الحديث صحيح من غير قوله : ولو تركتموه لكفرتم ، وسيأتي .

وما ذكره المصنف من أول كلام عبدالله بن شقيق إلى هنا منقول من «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص١٠٠ شرح الحديث ٣) .

(٦) صحيح إلى ابن مسعود : أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» بتحقيقي رقم (٨٧٧) واللالكائي في=

والزكاة كفر دون الصيام والحج . وقال ابن عيينة : «المرجئة سموا ترك الفرائض ذنبًا بمنزلة ركوب المحارم، وليس سواء، لأن ركوب المحارم متعمدًا من غير استحلال معصية، وترك الفرائض من غير جهل ولا عذر كفر» . وبيان ذلك في أمر إبليس، وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبي ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه(١) .

المسألة الثانية : هل يقتل أم لا؟ الأول هو المشهور عن أحمد رحمه الله تعالى، ويستدل له بحديث ابن عمر رضي الله عنهما : «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**» الحديث(٢) . والثاني لا يقتل، وهو قول مالك والشافعي ورواية عن أحمد رحمهم الله تعالى.

وروى اللالكائي من طريق مؤمل قال: حدثنا حماد بن يزيد عن عمرو بن مالك البكري عن أبي الجوزاء عن ابن عباس ولا أحسبه إلا رفعه قال: «**عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاث عليهن أسس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان. من ترك منهن واحدة فهو بها كافر ويحل دمه، وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافرًا ولا يحل بذلك دمه، وتجده كثير المال ولا يزكى فلا يزال بذلك كافرًا ولا يحل دمه**»(٣) ، ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد مرفوعًا مختصرًا، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمرو بن مالك بهذا الإسناد مرفوعًا، وقال: «**من ترك منهن واحدة يعني الثلاث الأول فهو بالله كافر ولا يقبل منه صرف ولا عدل وقد حل دمه وماله . ولم يذكر ما بعده**»(٤) .

= «اعتقاد أهل السنة» (١٥٧٥) عن وكيع عن حسن بن صالح عن مطرف عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (٨٠٨) عن سويد بن سعيد الهروي عن سفيان بن عيينة، وإسناده ضعيف لضعف سويد، والمصنف هنا اختصر كلام ابن عيينة، أو سقط منه بعضه، والله أعلم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وسبق.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو يعلى (٢٣٤٩) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١٥٧٦) من طريق مؤمل به، وإسناده ضعيف لضعف مؤمل وقوله: وتجده كثير المال. . إلخ من كلام ابن عباس، وأخرجه مقتصرًا على أوله الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٧٤ح ١٢٨٠٠) من طريق مؤمل به، وإسناده ضعيف لضعف مؤمل، والتردد في الرفع والوقف، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٧) باللفظين، وقال: وإسناده حسن.
قلت: بل ضعيف لما ذكرته.

(٤) لم أقف على رواية قتيبة ورواية سعيد بن زيد، والمصنف رحمه الله نقل هذا الكلام من كتاب «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص١٠١).

المسألة الثالثة: لمن لم ير قتله هل ينكل بأخذ شيء من ماله مع الزكاة؟ وقد روى فى خصوص المسألة حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فِي كُلِّ سَائِمَةِ إِبِلٍ فِي أَرْبَعِينَ بِنْتُ لَبُونٍ، لَا تُفَرَّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا، مَنْ أَعْطَاهَا مُؤْتَجِرًا بِهَا فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ عَزْمَةً مِنْ عَزَمَاتِ رَبِّنَا، لَا يَحِلُّ لِآلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ**»(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وصححه الحاكم، وعلق الشافعى القول به على ثبوته فإنه قال: «لا يثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به»(٢).

الصيام

والرابع الصيام فاسمع واتبع والخامس الحج على من يستطع

الركن الرابع: من أركان الإسلام الصيام، وهو فى اللغة الإمساك، وفى الشرع إمساك مخصوص فى زمن مخصوص بشرائط مخصوصة. وكان فرض صوم شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ إلى آخر الآيات، وقد تقدمت الأحاديث فيه، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد فرضيته، وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه، وقوله فاسمع واتبع مأخوذ من قول الله ﷻ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: ١٧- ١٨].

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (١٥٧٥) والنسائي في «المجتبى» (٥/ ١٦، ٢٥) وفي «السنن الكبرى» (٢٢٢٤، ٢٢٢٩) وأحمد (٥/ ٢، ٤) والدارمي (١٦٧٧) وابن خزيمة (٢٢٦٦) والحاكم (١٤٤٨) والبيهقي (٤/ ١٠٥، ١١٦) وغيرهم من طريق عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا به.

(٢) كلام الشافعي رحمه الله نقله البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٠٥) ثم ذكر البيهقي أن الحكم بهذا الحديث منسوخ، وأن الشافعي استدل على نسخه بحديث البراء بن عازب فيما أفسدت ناقته.

ونقل ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/ ١٦١) أن الشافعي قال بمقتضى هذا الحديث في «المذهب القديم».

قلت (يحيى): والحديث حسن الإسناد ويرجع في فقهه إلى كتب الفقهاء، وليس هذا مجال تحريره.

الحج

الركن الخامس : الحج ، وهو «**على من يستطيع**» أي من استطاع إليه سبيلًا ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: الآية ٩٧] وقد ذكر اللَّه تعالى تفصيله فى سورة البقرة من قوله تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: الآية ١٩٦] إلى قوله ﴿وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٧٩] واشتراط الاستطاعة فيه مصرح به فى الآية وفى حديث جبريل وفى حديث معاذ وغيرها [١]، وفسره النبى ﷺ بالزاد والراحلة [٢]، ولا خلاف فى كفر من جحد فرضيته ، وتقدم الخلاف فى كفر تاركه مع الإقرار

---

(١) سبق تخريج حديث جبريل وحديث معاذ، وهما صحيحان.

(٢) **ضعيف مرفوعًا** : تفسير الاستطاعة بالزاد والراحلة ورد من عدة مخارج وبيانها كالتالي :

- حديث ابن عمر ، أخرجه الترمذي (٨١٣، ٢٩٩٨) وابن ماجة (٢٨٩٦) وابن جرير (٤/ ١٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٢٧، ٣٣٠) و (٥/ ٥٨، ٢٢٤) وفي «شعب الإيمان» (٤/ ٣٩٧٤) من طريق إبراهيم بن يزيد الخوزي عن محمد بن عباد عن ابن عمر مرفوعًا، وإبراهيم الخوزي متروك، وأخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٢٩٧ح ٨٩١) عن سعيد بن سلام العطار عن عبداللَّه بن عمر العمري عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا ، ونقل عن علي بن الحسين بن الجنيد قوله : هذا حديث باطل.
قلت : سعيد كذاب ترجمته «باللسان» (٣/ ٣٧) وشيخه ضعيف.

- حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا ، أخرجه الترمذي (٨١٢) وابن جرير في «تفسيره» (٤/ ١٦، ١٧) من طريق الحارث الأعور عن علي مرفوعًا بنحوه ، والحارث متهم.

حديث عبداللَّه بن عباس ، أخرجه ابن ماجة (٢٨٩٧) والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٣٥ح ١١٥٩٦) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٣١) من طريق ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا ، وإسناده ضعيف عمر بن عطاء هو الحجازي ضعيف.

- حديث أنس . أخرجه الحاكم (١٦١٣ ، ١٦١٤) من طريق يحيى بن أبي زائدة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس مرفوعًا ، ومن طريق أبي قتادة عن حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس مرفوعًا ، وصححه الحاكم ، وقال البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٣٠) عن رفع الحديث : ولا أراه إلا وهمًا.

قلت (يحيى) : أبو قتادة هو عبداللَّه بن واقد الحراني ضعيف ، ثم أخرجه البيهقي (٤/ ٣٣٠) من طريق جعفر بن عون عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن مرسلًا ، وقال : هذا هو المحفوظ : عن قتادة عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا . اهـ.

قلت : وأخرجه ابن جرير (٤/ ١٧) من طريق يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة عن الحسن مرسلًا ، وسعيد متابع على الإرسال من حماد كما أشار لذلك البيهقي (٤/ ٣٣٠) وأخرجه ابن جرير (٤/ ١٧) وقتادة متابع على الإرسال من منصور عند ابن جرير (٤/ ١٦) ومن حميد عند ابن جرير (٤/ ١٧) ومن يونس عند ابن جرير (٤/ ١٦) وأبي داود في «المراسيل» (١٣٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٢٧).

بفرضيته . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : **«تعجلوا الحج – يعنى الفريضة – فإن أحدكم لا يدرى ما يعرض له»**(١)

ورواه أبو داود بلفظ «من أراد الحج فليتعجل»(٢)

وروى الإسماعيلى بإسناد صحيح عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : «من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديًا أو نصرانيًا»(٣)

وروى سعيد بن منصور فى «سننه» عن الحسن البصرى قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لقد هممت أن أبعث رجالًا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين»(٤).

وروى البغوى عن أبى أمامة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال : **«من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديًا أو نصرانيًا»**(٥) وروى الإمام

---

(١) **ضعيف** : أخرجه ابن ماجة (٢٨٨٣) وأحمد (١/ ٢١٤، ٣١٣، ٣٢٣، ٣٥٥) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٢٨٧ح ٧٣٧) و (١٨/ ٢٩٦/ ٧٦٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٤٠) من طريق أبي إسرائيل الملائي عن فضيل بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا وأبو إسرائيل هو إسماعيل بن خليفة وهو ضعيف.

وله طريق آخر عن سعيد بن جبير أخرجه الطبراني (١٨/ ٢٨٨ح ٧٣٨) وفي إسناده فرات بن سليمان وهو ضعيف. وانظر بقية طرقه في التعليق التالي.

(٢) **ضعيف** : أخرجه أبو داود (١٧٣٢) وأحمد (١/ ٢٢٥) وعبد بن حميد (٧٢٠) وابن أبي شيبة (١٣٦٩١) والحاكم (١٦٤٥) والبيهقي (٤/ ٣٣٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٧) جميعًا من طريق مهران أبي صفوان عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده ضعيف، مهران مجهول ولا يعرف إلا بهذا الحديث.

(٣) **صحيح إلى عمر بن الخطاب** : أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٨٧) وعزاه لأبي بكر الإسماعيلي الحافظ عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر عن عبدالرحمن بن غنم عن عمر بن الخطاب موقوفًا، وهذا إسناد صحيح، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٢) من طريق سفيان عن الأوزاعي به، وأخرجه البيهقي (٤/ ٣٣٤) من طريق ابن جريج عن عبدالله بن نعيم عن الضحاك بن عبدالرحمن عن عبدالرحمن بن غنم عن عمر، وإسناده حسن على لين في عبدالله بن نعيم، وفي هذا الطريق خلاف أورده الدارقطني في «العلل» (٢/ ١٧٤ح ١٩٩) وصوب هذا.

(٤) **ضعيف الإسناد** : أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣٨٧) وعزاه لسعيد بن منصور في «سننه» عن الحسن البصري عن عمر، وإسناده ضعيف للانقطاع بين الحسن وعمر.

(٥) **ضعيف** : أخرجه الروياني (١٢٤٦) والبيهقي (٤/ ٣٣٤) وابن الجوزي في «الموضوعات» (ح١٢٩٢ بتحقيقي) من طريق شريك بن عبدالله النخعي عن ليث عن عبدالرحمن بن سابط عن أبي أمامة مرفوعًا وإسناده ضعيف لضعف ليث والكلام في شريك، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٣٨) ومن =

أحمد عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا» فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثًا، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ» ثم قال: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»[1]. ورواه مسلم بنحو هذا والله أعلم.

وروى أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ» فقام الأقرع بن حابس فقال: يا رسول الله أفي كل عام؟ فقال: «لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهَا، وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا. الْحَجُّ مَرَّةٌ فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ»[2].

ذكر أمور تدخل في مسمى الإيمان والإسلام من الأوامر والمناهي والأخبار

قال الله ﷻ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا

= طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (١٢٩١) عن عمار بن مطر عن شريك عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبي أمامة مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف عمار بن مطر، وأورده الذهبي في «الميزان» (ت ٦٠١٠) وقال: هذا حديث منكر، وأورده السيوطي في «اللآليء» (٢/ ٩٩ - ١٠١) للحديث طرقًا وشواهد لا تصح.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٣٣٧) وأحمد (٢/ ٥٠٨) والنسائي في «المجتبى» (٥/ ١١٠) وفي «الكبرى» (٣٥٩٨) وابن خزيمة (٢٥٠٨) وابن حبان (٣٧٠٤، ٣٧٠٥) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٩٠، ٣٧٠، ٣٧١) وأبو داود (١٧٢١) والنسائي في «المجتبى» (٥/ ١١١) وفي «الكبرى» (٣٥٩٩) وابن ماجة (٢٨٨٦) والحاكم (١٧٢٧، ١٧٢٨) والدارقطني (٢/ ٢٧٨ - ٢٨٠ح ١٩٦ - ٢٠٠) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٢٦) و (٥/ ١٧٨) من طرق عن ابن شهاب عن أبي سنان الدؤلي عن ابن عباس مرفوعًا وإسناده صحيح. وهو عند بعض هؤلاء مختصر.

مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ (٥٣) أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ (٥٤) وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ (٥٥)﴾، وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا (٦٣) وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا (٦٤) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٦٦) وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا (٦٧) وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا (٧١) وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا (٧٢) وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا (٧٣) وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤) أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا (٧٥) خَٰلِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦)﴾، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ (١١١) ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَٰمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ (١١٢)﴾، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ (٢٤) لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ (٢٦) وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٢٧) إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ (٢٨) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ (٢٩) إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٣٠) فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ (٣١) وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ (٣٢) وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ (٣٣) وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٣٤) أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ (٣٥)﴾، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ (١) ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلْوَٰرِثُونَ﴾[المؤمنون: الآية ١٠] الآيات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ (٥٧) وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ (٦٠) أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ (٦١) وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧)

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾[البقرة: الآية ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[الأحزاب: الآية ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾[الحج: الآية ٢٧] – إلى قوله – ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[الحج: الآية ٤١]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾[الحشر: الآية ١٨] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[الممتحنة: الآية ١] إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[الحجرات: الآية ١] إلى آخر السورة، وقال تعالى: ﴿۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[النساء: الآية ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾﴾[الأنعام: الآية ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾. وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ

وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٣- ٣٩] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ٣٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: الآية ٧] وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ [الأعراف: الآية ٣] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: الآية ٣١] الآيتين. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: الآية ٣٠] الآيات، وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ١١٠] وآيات القرآن فى هذا الباب كثيرة وشهيرة لا تخفى، بل القرآن كله فى تقرير الدين من فاتحته إلى خاتمته: دعوة وبشارة ونذارة، وأمرًا ونهيًا وخبرًا، كله لا يخرج عن شأن الدين: إما دعوة إليه، أو بشارة لمن اتبعه برضاء اللَّه والجنة، أو نذارة لمن أبى عنه من خزى الدنيا وعذاب الآخرة أو أمرًا بشرائعه أصولها وفروعها وآدابها وأحكام كل منها، أو نهيًا عن نواقضه جميعه أو نواقض

شيء منها أو ما يوجب أدنى خلل فيه أو فى شيء من شرائعه ، أو خبرًا عن نصر من جاء به وصدق به وحفظه وتأييده فى الدنيا ، أو خبرًا عما أعد الله لهم فى الآخرة من الفوز والنعيم ، والنجاة من عذاب الجحيم ، أو خبرًا عن إهلاك من استكبر عنه فى الدنيا وما أحله الله بهم من غضبه عاجلًا من الخسف والمسخ والقذف وغير ذلك ، وما أعده لهم فى الآخرة من العذاب والعقاب ، وما فاتهم وحرموه من الثواب وغير ذلك .

وأما الأحاديث فمنها قوله ﷺ : «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً : فَأَعْلَاهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ . وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»[1] وقوله ﷺ : «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» قال عبادة بن الصامت : فبايعناه على ذلك[2] .

وقوله ﷺ : «مَنْ يُبَايِعُنِي عَلَى هَذِهِ الثَّلَاثِ الآيَاتِ : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[الأنعام: الآية ١٥١] الآيات[3] ، وقوله ﷺ لمعاوية بن حيدة لما قال له : ما الذى بعثك الله به؟ قال : «الإِسْلَامُ» . قلت : وما الإسلام؟ قال : «أَنْ تُسْلِمَ قَلْبَكَ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَأَنْ تُوَجِّهَ وَجْهَكَ لِلَّهِ ، وَأَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ»[4] .

وفى رواية قال : وما آية الإسلام؟ قال : «أَنْ تَقُولَ : أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَتَخَلَّيْتُ ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ ، وَكُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ»[5] .

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بهذا اللفظ ، وأخرجه البخاري (٩) مختصرًا من غير ذكر أعلى الشعب وأدناها .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٨) ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت .

(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه الحاكم (٣٢٤٠) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٦٠) عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس الخولاني عن عبادة بن الصامت مرفوعًا ، وإسناده ضعيف لضعف رواية سفيان بن حسين عن الزهري .

(٤) حسن : أخرجه أحمد (٥/ ٤) والنسائي في «المجتبى» (٥/ ٤ ، ٨٢) وفي «السنن الكبرى» (٢٢١٦ ، ٢٣٤٩) والروياني (٩١٧ ، ٩١٨) والحسين المروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك (٩٨٧) جميعًا عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده مرفوعًا به .

(٥) حسن : وتخريجه فيما سبق .

وقوله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[(١)] وقوله ﷺ في جواب أي المسلمين أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ»[(٢)] وقوله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَهُنَا - وأشار إلى صدره ثلاثًا - بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ»[(٣)].

وقوله ﷺ: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ»[(٤)]، وقوله ﷺ في جواب من قال أي الإسلام خير؟ قال: «أَنْ تُطْعِمَ الطَّعَامَ. وَتَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[(٥)].

وقوله ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(٦)]، وقوله ﷺ في جواب من

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٦٥٨) من حديث ابن مسعود وأخرجه ابن ماجة (٣٠٥٦) وأحمد (٤/ ٨٠، ٨٢) والدارمي (٢٢٧، ٢٢٨) من حديث جبير بن مطعم، وأخرجه ابن ماجة (٢٣٠) والدارمي (٢٢٩) من حديث زيد بن ثابت، وأخرجه أحمد (٣/ ٢٢٥) من حديث أنس، وأخرجه الدارمي (٢٣٠) من حديث أبي الدرداء، كلهم مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠) ومسلم (٤٠) من حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعًا.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٦٤) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠) من حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص مرفوعًا به.

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٢) ومسلم (٣٩) من حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص.

(٦) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢٣١٧) وابن ماجة (٣٩٧٦) وابن حبان (٢٢٩) من طريق الأوزاعي عن قرة بن عبدالرحمن عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الترمذي: غريب.
قلت: إسناده ضعيف، وقرة له مناكير، وهو مخالف، خالفه مالك بن أنس فرواه عن الزهري عن علي بن الحسين مرسلًا، أخرجه مالك في «الموطأ» (ص٩٠٣) ومن طريقه أخرجه الترمذي (٢٣١٨) وابن الجعد (٢٩٢٥) وهناد في «الزهد» (١١١٧) ورجحه الترمذي والدارقطني في «العلل» (٣/ ١٠٨ ح ٣١٠) وخالف مالك عبداللَّه بن عمر العمري عند الطبراني في «الكبير» (٣/ ١٢٨ح ٢٨٨٦) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٩) وقزعة بن سويد عند الطبراني في «الصغير» (١٠٨٠) وخالد بن عبدالرحمن عند العقيلي (٢/ ٩) فرووه عن الزهري عن علي بن الحسين عن أبيه مرفوعًا، لكن الثلاثة ضعفاء، ورواية مالك أصح، ورواه أحمد (١/ ٢٠١) من طريق حجاج بن دينار عن شعيب بن خالد عن حسين بن علي مرفوعًا، لكن الظاهر أن بعض الرواة لم يضبطه، فقد أخرجه هناد في «الزهد» (١١١٨) عن عبدة عن حجاج بهذا الإسناد إلا أنه قال: عن حسين بن علي أو علي بن الحسين.

سأله : قل لى فى الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك ، قال : «قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[١].

وقوله ﷺ : «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولًا»[٢]، وقوله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ : أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[٣]، وقوله ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٤]، وفى رواية : «مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ»[٥].

وفى حديث أبى رزين قال : قلت : يا رسول اللَّه ما الإيمان؟ قال : **«أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، وأن يكون اللَّه ورسوله أحب إليك مما سواهما ، وأن تحترق فى النار أحب إليك من أن تشرك باللَّه شيئًا . وأن تحب غير ذى نسب لا تحبه إلا للَّه . فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان فى قلبك كما دخل حب الماء للظمآن فى اليوم القائظ»** قلت : يا رسول اللَّه كيف لى بأن أعلم أنى مؤمن؟ قال : **«ما من أمتى - أو قال : هذه الأمة - عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن اللَّه مجازيه بها خيرًا ، ولا يعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر اللَّه منها ويعلم أنه لا يغفرها إلا اللَّه إلا وهو مؤمن»**[٦]، وقوله ﷺ : «مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَاتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَاتُهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ»[٧].

---

(١) **صحيح** :أخرجه مسلم (٣٨) والنسائي في «الكبرى» (١١٤٨٩) وأحمد (٣/ ٤١٣) و (٤/ ٣٨٤) وابن حبان (٩٤٢) وغيرهم من حديث سفيان بن عبداللَّه الثقفي مرفوعًا به .

(٢) **صحيح** :أخرجه مسلم (٣٤) والترمذي (٢٦٢٣) وأحمد (١/ ٢٠٨) وابن حبان (١٦٩٤) وغيرهم من حديث العباس بن عبدالمطلب مرفوعًا به .

(٣) **صحيح** :أخرجه البخاري (١٦) ومسلم (٤٣) من حديث أنس مرفوعًا .

(٤) **صحيح** :أخرجه البخاري (١٥) ومسلم (٤٤) من حديث أنس .

(٥) **صحيح** :أخرجه مسلم (٤٤) وغيره .

(٦) **ضعيف الإسناد** :أخرجه أحمد (٤/ ١١) والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٩٥) من طرق عن سليمان بن موسى عن أبي رزين العقيلي مرفوعًا به ، وإسناده ضعيف للكلام في سليمان بن موسى والانقطاع بينه وبين أبي رزين .

(٧) **صحيح بمجموع طرقه وشواهده** :أخرجه عبداللَّه بن أحمد في «السنة» بتحقيقي برقم (٧٣٧) والنسائي في «الكبرى» (٩٢٢٢ ، ٩٢٢٣) وعبدالرزاق (١١/ ٣٤١) والضياء في «المختارة» (١٥٥ ، ١٥٦) من طريق عبداللَّه بن المختار ويونس بن أبي إسحاق والحسين بن واقد ثلاثتهم عن عبدالملك بن عمير عن عبداللَّه بن الزبير عن عمر بن الخطاب مرفوعًا ، وهذا إسناد صحيح ، لكن خالفهم جرير عند النسائي في «الكبرى» (٩٢١٩ - ٩٢٢١) وابن حبان (٦٧٢٨) والطبراني في «الأوسط» (١٦٥٩) والضياء في=

وقوله ﷺ: «صَرِيحُ الإِيمَانِ إِذَا أَسَأْتَ أَوْ ظَلَمْتَ عَبْدَكَ أَوْ أَمَتَكَ أَوْ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ صُمْتُ أَوْ تَصَدَّقْتَ، وَإِذَا أَحْسَنْتَ اسْتَبْشَرْتَ»(١)، وقوله ﷺ: «المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والذي يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذي إذا أشرف على طمع تركه لله ﷻ»(٢)، وفي حديث عمرو بن عبسة: قلت: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: «طِيبُ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ». فقلت: ما الإيمان؟ قال: «الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ». قلت: أي الإسلام أفضل؟ قال: «مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». قلت: أي الإيمان أفضل؟ قال: «خُلُقٌ حَسَنٌ»(٣).

= «المختارة» (٩٦ - ٩٨) فرواه عن عبدالملك عن جابر بن سمرة عن عمر، وجرير متابع على هذا الوجه من شعبة عند الطبراني في «الأوسط» (٢٩٢٩).

وللحديث طرق أخرى عن عمر، وله شاهد من حديث أبي أمامة أخرجه الحاكم (١/ ١٤) ومن حديث عامر بن ربيعة أخرجه الضياء في «المختارة» (٢٢٩، ٢٣٠) ومن موقوف عائشة أخرجه عبدالله في «السنة» (٧٣٦).

(١) **صحيح الإسناد**: أخرجه الحارث في «مسنده» (٢/ ١٥٦ح ١٠) زوائد الهيثمي.
عن يونس بن محمد بن ليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن ابن أبي رافع عن رجل من الصحابة، وأورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٧٩ شرح الحديث الثاني) وعزاه لمسند بقي بن مخلد عن رجل سمع النبي ﷺ، ولم يورد إسناده، ويظهر من تسلسل الأحاديث أن المصنف ينقل عن كتاب ابن رجب هذا.
قلت: والحديث رجاله ثقات، إلا أن ابن أبي رافع لم يعين في الحديث، ولم يذكره الحافظ المزي في ترجمة أبي الخير مرثد من تهذيب الكمال، وإن كان يترجح لدي أنه عبيدالله بن أبي رافع المدني مولى رسول الله ﷺ، وبه يصح الحديث. وعلق شيخنا أبو عبدالله هنا بخطه:
قلت (مصطفى): المتن به بعض الغرابة ولم أقف على ما يشهد إلى الخبر وإذا أحسن واستبشرت، والله أعلم وتفرد الحارث به يشعر بشيء في النفس.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٨) وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٤٨) من طريقين عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا وهي صحيفة ضعيفة، وأيضًا ففي إسناد أحمد: رشدين بن سعد، وفي إسناد ابن نصر: عبدالله بن لهيعة، وهما ضعيفان.

(٣) **حسن ولبعضه شواهد**: أخرجه أحمد (٤/ ٣٨٥) وعبد بن حميد (٣٠٠) والبيهقي في الشعب (٥/ ٨٠) وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٥٩) عن حجاج بن دينار عن محمد بن ذكوان عن شهر بن حوشب عن عمرو بن عبسة مرفوعًا. وإسناده حسن على بعض كلام بن شهر بن حوشب، وقد رواه عن حجاج على هذا الوجه ابن نمير ويعلى بن عبيد، وخالفهم خلف بن خليفة عند ابن نصر في «تعظيم قدر=

وقوله ﷺ «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» (١) وقوله ﷺ «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ بِأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ فِي كُلِّ عَامٍ» الحديث. وفي آخره: فقال رجل: فما تزكية المرء نفسه يا رسول اللَّه؟ قال: «أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُمَا كَانَ» (٢) وقوله ﷺ «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ» (٣) وفي رواية: «الْمُؤْمِنُونَ كَرَجُلٍ وَاحِدٍ - وفي أخرى - كَرَجُلٍ وَاحِدٍ، إِذَا اشْتَكَى عَيْنُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ، وَإِنِ اشْتَكَى رَأْسُهُ اشْتَكَى كُلُّهُ» (٤)

وقوله ﷺ «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وشبك بين أصابعه (٥) وقوله ﷺ «الْمُؤْمِنُ فِي أَهْلِ الإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ يَأْلَمُ الْمُؤْمِنُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ كَمَا يَأْلَمُ الْجَسَدُ لِمَا فِي الرَّأْسِ» (٦) وقوله ﷺ «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَنْهُ

= الصلاة» (٦٤٤) والبيهقي في «الشعب» (٨٠١٤) فرواه عن حجاج عن محمد بن ذكوان عن عبيد بن عمير عن عمرو بن عبسة مرفوعًا والأول أصح، وخلف متكلم فيه. وللحديث شواهد صحيحة سبق بعضها، ولقوله: الصبر والسماحة شاهد من حديث جابر مرفوعًا أخرجه أبو يعلى (١٨٥٤) والبيهقي في «الشعب» (٩٧١١) وغيرهما وفي إسناده يوسف بن محمد بن المنكدر وهو ضعيف، وورد أيضًا من مرسل الحسن البصري عند عبدالرزاق (٣/ ٧٢) و (١١/ ١٩١) وغيره.

(١) صحيح بمجموع طرقه أخرجه الترمذي (١١٦٢) وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٧٢) وأبو يعلى (٥٩٢٦) وابن حبان (٤٧٩، ٤١٧٦) والحاكم (٢) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده حسن، وأخرجه أحمد (٢/ ٥٢٧) والدارمي (٢٧٩٢) والحاكم (١) من طريق القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا، وله شاهد من حديث عائشة مرفوعًا أخرجه أحمد (٦/ ٤٧، ٩٩) والترمذي (٢٦١٢) والحاكم (١٧٣) من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة عن عائشة مرفوعًا، وهذا منقطع بين عائشة وأبي قلابة، وله شاهد من حديث أنس أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٤٢٤٠).

(٢) صحيح :أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٢١) والطبراني في «المعجم الصغير» (٥٥٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٥) وفي «شعب الإيمان» (٣٢٩٧) جميعًا من طريق عبداللَّه بن سالم الزبيدي عن محمد بن الوليد الزبيدي عن يحيى بن جابر عن جبير بن نفير عن الوليد الزبيدي عن يحيى بن جابر عن جبير بن نفير عن عبداللَّه بن معاوية الغاضري مرفوعًا به، وأخرجه أبو داود (١٥٨٢) وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٢١) من طريق عبداللَّه بن سالم به مقتصرًا على أوله.

(٣) صحيح :أخرجه البخاري (٦٠١١) ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير مرفوعًا به.

(٤) صحيح :أخرجه مسلم (٢٥٨٦).

(٥) صحيح :أخرجه البخاري (٢٤٤٦) ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٦) صحيح بطرقه وشواهده :أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦٩٣) عن مصعب بن ثابت عن أبي حازم=

ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»(١)، وقوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢)، وقوله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ»(٣).

وقوله ﷺ: «وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ». قالوا: من ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: «مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(٤)، وقوله ﷺ: «ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع»(٥)، وقوله ﷺ: «من أعطى للَّه، ومنع للَّه، وأحب للَّه، وأبغض للَّه، فقد استكمل إيمانه»(٦)، وسئل ﷺ عن أفضل الإيمان فقال: «أن تحب للَّه وتبغض للَّه وتعمل

= عن سهل بن سعد مرفوعًا به، ومن طريق ابن المبارك أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٠) وابن أبي شيبة (٣٤٤١٦) والطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ١٣١ح ٥٧٤٣) وابن المبارك متابع من عيسى بن يونس عند القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٦) وهذا إسناد لا بأس به في الشواهد، فإن مصعب لين الحديث وباقي رجال الإسناد ثقات، ومصعب متابع، تابعه زهير بن محمد عند الروياني في «مسنده» (١٠٤٥) والطبراني في «الأوسط» (٤٦٩٦) إلا أنه عند الروياني من طريق الوليد بن مسلم وقد صرح بالتحديث عن شيخه فقط، وقد أخرجه عبداللَّه بن أحمد في «زوائد الزهد» (٢١٨٥ بتحقيقي) من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن أبي حازم عن أبي هريرة مرفوعًا.

قلت: والأصح حديث سهل بن سعد، واللَّه أعلم، والحديث يتقوى بحديث النعمان بن بشير السابق ذكره.

(١) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٩١٨) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٩) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٦٧) من طريق كثير بن زيد عن الوليد بن رباح عن أبي هريرة مرفوعًا به، وكثير صدوق يخطيء والوليد صدوق.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣) ومسلم (٤٥) من حديث أنس مرفوعًا به.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠١٨) ومسلم (٤٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠١٦) من حديث أبي شريح مرفوعًا به.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١١٢) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٥٤ح ١٢٧٤١) وأبو يعلى (٢٦٩٩) وعبد بن حميد (٦٩٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٣) وفي «الشعب» (٣٣٨٩، ٥٦٦٠، ٩٥٣٦) وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٣٤٧) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٩١) جميعًا من طريق سفيان الثوري عن عبدالملك بن أبي بشير عن عبداللَّه بن المساور عن ابن عباس مرفوعًا به، وإسناده ضعيف فيه عبداللَّه بن المساور وهو مجهول لم يرو عنه غير عبدالملك.

(٦) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢٥٢١) وأحمد (٣/ ٤٤٠) وأبو يعلى (١٤٨٥، ١٥٠٠) والحاكم (٢٦٩٤) من طريق أبي مرحوم عن سهل بن معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعًا به، وأخرجه أحمد=

لسانك فى ذكر اللَّه» فقال: وماذا يا رسول اللَّه؟ قال: «أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك»(١)، وفى رواية: «وأن تقول خيرًا أو تصمت»(٢)، وقوله ﷺ: «لا يستحق العبد صريح الإيمان حتى يحب للَّه ويبغض للَّه، فإذا أحب للَّه وأبغض للَّه فقد استحق الولاية من اللَّه تعالى»(٣)، وقوله ﷺ: «أوثق عرى الإيمان أن تحب فى اللَّه وتبغض فى اللَّه»(٤)، وقوله ﷺ لمعاذ بعدما أخبره بأركان الإسلام قال: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارِ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ، ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة: الآية ١٦] ثم قال: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ وَعَمُودِهِ وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟ رَأْسُ الْأَمْرِ الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، ثم قال له: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ؟» فأخذ بلسان نفسه وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا»(٥).

حديث الإيمان

ويناسب هنا أن ننقل شرح حديث شعب الإيمان وكلام العلماء فى إحصائها من «فتح البارى».

= (٣/ ٤٣٨) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٨٨ح ٤١٢) من طريق ابن لهيعة عن زبان عن سهل عن أبيه به، وإسناده ضعيف، سهل فيه كلام، وأبو مرحوم وابن لهيعة وزبان ضعفاء.

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٧) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٩١ح ٤٢٥، ٤٢٦) من طريق رشدين بن سعد وعبداللَّه بن لهيعة عن زبان بن فائد عن سهل بن معاذ عن أبيه عن معاذ مرفوعًا وإسناده ضعيف، سهل وزبان وابن لهيعة ورشدين ضعفاء.

(٢) **ضعيف الإسناد**: وتخريجه فيما سبق من طريق ابن لهيعة.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٠) من طريق رشدين بن سعد عن عبداللَّه بن الوليد عن أبي منصور عن عمرو بن الجموح مرفوعًا به، وإسناده ضعيف لضعف رشدين والانقطاع بين أبي منصور وعمرو بن الجموح.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦) والطيالسي (٧٤٧) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٤٢٠، ٣٤٣٣٨) من حديث البراء بن عازب مرفوعًا، وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف، وأخرجه الطيالسي (٣٧٨) والحاكم (٣٧٩٠) والطبراني في «الصغير» (٦٢٤) وفي «الكبير» (١٠/ ٢٢٠ح ١٠٥٣١) والشاشي (٧٧٢) والبيهقي (١٠/ ٢٣٣) من حديث ابن مسعود مرفوعًا، وفي إسناده: عقيل بن يحيى الجعدي وهو منكر الحديث ترجمته «باللسان» (٤/ ٢١٩) وورد من حديث ابن عباس أيضًا ولا يصح.

(٥) **صحيح بمجموع طرقه**: وسبق الكلام عنه عند الكلام على فضل الصلاة.

فَتِلْكَ خَمْسَةٌ وَلِلإِيمَانِ سِتَّةُ أَرْكَانٍ بِلَا نُكْرَانِ
إِيمَانُنَا بِاللَّهِ ذِي الْجَلَالِ وَمَا لَهُ مِنْ صِفَةِ الْكَمَالِ
وَبِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَهْ وَكُتْبِهِ الْمُنْزَلَةِ الْمُطَهَّرَهْ
وَرُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ وَلَا إِيهَامِ

«**فتلك**» الأركان المتقدمة التى هى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا «**خمسة**» فسر النبى ﷺ بها الإسلام فاعلمها واحتفظ بها واعملها وعلمها، فسوف تسأل عنها وتحاسب عليها، فأعدد للسؤال جوابًا، وإياك أن تخل بشيء منها فتكون من الظالمين.

«**وللإيمان ستة أركان**» فسره بها النبى ﷺ فى حديث جبريل[1] وغيره «**بلا نكران**» للنقل ولا تكذيب للخبر ولا شك فى الاعتقاد ولا استكبار عن الانقياد.

الأول منها: «**إيماننا باللَّه**» بإلهيته وربوبيته لا شريك له فى الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولا رب سواه. واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ولا يشرك فى حكمه أحدًا، ولا ضد له ولا ند ولم يكن له كفوًا أحد «**ذى الجلال**» ذى العظمة والكبرياء الذى هو أهل أن يجل فلا يعصى ويذكر ولا ينسى ويشكر فلا يكفر ويوحد فلا يشرك معه غيره ولا يوالى إلا هو ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: الآية ١٤]، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: الآية ١١٤]، ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الزمر: الآية ٦٤]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾. «**و**» الإيمان بـ«**ما له**» تعالى «**من صفة الكمال**» مما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل وأن كل ما سمى اللَّه تعالى ووصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ الكل حق على حقيقته على ما أراد اللَّه وأراد رسوله وعلى ما يليق بجلال اللَّه وعظمته ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: الآية ٧] وقد تقدم ما يسره اللَّه تعالى من تقرير الكلام فى توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات وأنواع الشرك المضادة له فليراجع وباللَّه التوفيق.

---

(١) الحديث صحيح وسبق تخريجه.

الإيمان بالملائكة

«و» الثاني الإيمان «**بالملائكة**» الذين هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام «**الكرام**» خلقًا وخلقًا والكرام على الله تعالى «**البررة**» الطاهرين ذاتًا وصفة وأفعالا المطيعين لله ﷻ وهم عباد من عباد الله عزوجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ليسوا بنات لله ﷻ ولا أولادًا، ولا شركاء معه ولا أندادًا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوًّا كبيرًا، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ (٢٦) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (٢٧) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (٢٨) ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٢٩)﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ (١٥١) وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١٥٢) أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ (١٥٣) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (١٥٤) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٥٥)﴾ إلى قوله ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (١٦٤) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)﴾ وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ (١٥) أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ (١٦)﴾ إلى قوله ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾ [الزخرف: الآية ١٩] الآيات. وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢)﴾ [النساء: الآية ١٧٢] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)﴾ [فاطر: الآية ١]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا (٢٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا (٢٢)﴾ [الفرقان: الآية ٢٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤)﴾ [مريم: الآية ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ (٤١)﴾، وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾ [البقرة: الآية ٩٨]، والآيات في ذكر الملائكة في القرآن كثيرة.

أقسام الملائكة

ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحى من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام: قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٩٧]. وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: الآية ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ وهذا فى رؤية النبى ﷺ له فى الأبطح حين تجلى له على صورته التى خلق عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق[1] ثم رآه ليلة المعراج أيضًا فى السماء[2] كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ ولم يره ﷺ فى صورته إلا هاتين المرتين، وبقية الأوقات فى صورة رجل، وغالبًا فى صورة دحية الكلبى رضي الله عنه[3].

وقال تعالى فيه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: الآية ٢٣] تقدم الحديث فى معنى الآية. وفيه: قال النبى ﷺ: «**فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ جِبْرِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أَرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جِبْرِيلُ بِأَهْلِ السَّمَوَاتِ، كُلَّمَا مَرَّ بِسَمَاءٍ سَأَلَهُ مَلَائِكَتُهَا: مَاذَا قَالَ رَبُّنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ جِبْرِيلُ عليه السلام: قَالَ: الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ، فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ مَا قَالَ جِبْرِيلُ. ثُمَّ يَنْتَهِي جِبْرِيلُ بِالْوَحْيِ إِلَى حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ عز وجل**»[4].

وهو فى «الصحيحين». وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر بعض الأحاديث فى بدء الوحى

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٥٦) ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٥٥) ومسلم (١٧٧) من حديث عائشة، وأخرجه مسلم (١٧٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) **صحيح**: صح من حديث ابن عمر عند أحمد (٢/ ١٠٧) وغيره أن جبريل عليه السلام كان يأتي النبي ﷺ في صورة دحية.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٢٢٢٩) من حديث ابن عباس بنحوه مرفوعًا.

من الفصل الآتي .

ومنهم الموكل بالقطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله ﷻ ، وهو ميكائيل عليه السلام : وهو ذو مكانة علية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه ﷻ ، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربهم ، ويصرفون الرياح والسحاب كما يشاء الله ﷻ . وقد جاء فى بعض الآثار : ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض[1] ، وفى حديث ابن عباس عند الطبرانى أنه ﷺ قال لجبريل : «**على أى شيء ميكائيل؟ قال : على النبات والقطر**»[2] ولأحمد عن أنس بن مالك ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام : «**ما لى لم أر ميكائيل ضاحكًا قط؟ فقال عليه السلام : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار**»[3] عياذًا بالله منها .

ومنهم الموكل بالصور ، وهو إسرافيل عليه السلام : ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه ﷻ : الأولى نفخة الفزع ، والثانية نفخة الصعق ، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين ، كما سيأتى إن شاء الله تعالى بسطه فى موضعه ، ولأحمد والترمذى من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له**» . قالوا : كيف نقول يا رسول الله؟ قال : «**قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل ، على الله توكلنا**»[4] ، وهؤلاء الثلاثة هم من الملائكة الذين ذكرهم

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٥) من غير عزو أو إسناد .

(٢) **ضعيف الإسناد** : أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٣٧٩ح ١٢٠٦١) والبيهقي في «الشعب» (١٥٧) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٧٠١) من طريق محمد بن عمران بن أبي ليلى عن ابن أبي ليلى عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس مرفوعًا ، وإسناده ضعيف ، محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى ضعيف ، ومحمد بن عمران مجهول ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٩) وأعله بمحمد بن أبي ليلى .

(٣) **ضعيف** : أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٤) وفي «الزهد» (٣٥٩ بتحقيقي) من طريق حميد بن عبيد مولى بني المعلى عن ثابت البناني عن أنس مرفوعًا ، وإسناده ضعيف لأن حميد مجهول لا يعرف .

(٤) **ضعيف** : أخرجه الترمذي (٢٤٣١) وأحمد (٣/ ٧ ، ٣٧) وابن المبارك في «الزهد» (١٥٩٧) وابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٢٩ ، ٣٠) ، (٢٩/ ١٥٠ ، ١٥١) ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٧٨) والطبراني في «المعجم الصغير» (٤٥) وفي الأوسط (٢٠٠٠) والبيهقي في «الشعب» (٢٤٣١) جميعًا من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد مرفوعًا ، وإسناده ضعيف جدًا ، وعطية كان يروي عن الكلبي الكذاب ويكنيه أبا سعيد يوهم أنه الخدري ، وعطية متابع عند الحاكم (٨٦٧٨) من أبي صالح ، لكن في الإسناد إليه : أبو يحيى إسماعيل التيمي وهو ضعيف ، وأخرجه أحمد (١/ ٣٢٦) وابن أبي شيبة (٢٩٥٨٧)=

النبي ﷺ في دعائه من صلاة الليل: «اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(١).

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه: وقد جاء في بعض الآثار تسميته عزرائيل(٢)، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: الآية ١١] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا ۙ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنفال: الآية ٥٠] وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: الآية ٢٨] إلى قوله تعالى ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: الآية ٣٢] وغيرها من الآيات. وقد جاء في الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففي أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئًا ففي أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم نستغفر الله.

ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وارتحاله وفي نومه ويقظته وفي كل حالاته، وهم المعقبات: قال الله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

= والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٢٨ح ١٢٦٧٠، ١٢٦٧١) وابن جرير في «التفسير» (١٦/ ٢٩، ٣٠) و(٢٩/ ١٥٠، ١٥١) من طريق عطية عن ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٧٤) والطبراني (٥/ ١٩٥ح ٥٠٧٢) من طريق عطية عن زيد بن أرقم مرفوعًا، ومدار الجميع على عطية العوفي وهو ضعيف.

(١) صحيح الإسناد: أخرجه مسلم (٧٧٠) وغيره.

(٢) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٦٠ طبعة دار ابن رجب): وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، والله أعلم.

﴿حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الأنبياء: الآية ٤٢]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[الأنعام: الآية ٦١] قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية الأولى: «﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: الآية ١١]، والمعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه»(١).

وقال مجاهد: «ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك، إلا شيء أذن الله فيه فيصيبه»(٢)، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾[الأنبياء: الآية ٤٢] قال ابن كثير: «أي بدل الرحمن، يمتن ﷻ بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته لهم بعينه التي لا تنام». اهـ(٣).

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون: وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قوله ﷻ: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾[الأنعام: الآية ٦١] وقال تعالى فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [الزخرف: الآية ٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ فالذي عن اليمين يكتب الحسنات والذي عن الشمال يكتب السيئات. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾، عن علقمة عن بلال بن الحارث المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ ﷻ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ. وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ، يَكْتُبُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ بِهَا سَخَطَهُ إِلَى يَوْمِ يَلْقَاهُ**». فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث(٤) رواه أحمد

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (١٣/ ١١٦) من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس، وإسناده ضعيف لضعف رواية سماك عن عكرمة.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (١٣/ ١١٦، ١١٩) من طريق ليث عن مجاهد، وليث هو ابن أبي سليم ضعيف.

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ١٨٠) والمصنف رحمه الله تصرف في كلام ابن كثير بالتقديم والتأخير.

(٤) صحيح لشواهده: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٩) وفي «الزهد» (٨١ بتحقيقي) والترمذي (٢٣١٩) وابن ماجة (٣٩٦٩) ومالك في «الموطأ» (ص٩٨٥) جميعًا من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبيه عن جده عن بلال بن الحارث به، وللحديث شاهد صحيح من حديث أبي هريرة مرفوعًا=

والترمذي والنسائي وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح، وروى البغوي عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإن عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر»**[(١)]، وفي الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ يَتَكَلَّمُوا أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ»**[(٢)] وفي رواية: **«مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ»**[(٣)] وفيه عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ ﷻ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَةٍ فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً، وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا»**[(٤)] وفي رواية: **«قال اللَّه ﷻ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**[(٥)].

وفي أخرى: **«قَالَ اللَّهُ ﷻ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لِمْ يعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا»**[(٦)]، وقال رسول الله ﷺ: **«قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: رَبِّ ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً - وَهُوَ تَعَالَى أَبْصَرُ بِهِ - فَقَالَ: ارْقُبُوهُ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»**[(٧)]، وقال رسول الله ﷺ: **«إِذَا**

= أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما مختصرًا.

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه هناد في «الزهد» (٩٢٠) والروياني في «مسنده» (١٢١٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٤٩) من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة مرفوعًا، وإسناده تالف وجعفر بن الزبير كذاب، وهو متابع عند البيهقي في «الشعب» (٧٠٥٠) من بشر بن نمير، لكن بشر متروك، لكن أخرجه الطبراني في «معجم الشاميين» (٥٢٦، ١٢٢٨) والبيهقي في «الشعب» (٧٠٥١) من طريق عاصم بن رجاء بن حيوة عن عروة بن رويم عن القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة مرفوعًا مقتصرًا على آخره، وهو تركه سبع ساعات، وهذا علته القاسم فإنه متكلم فيه، وهذا الحديث مما لم يتابع عليه.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٦٤) ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به، واللفظ لمسلم.

(٣) **صحيح**: وتخريجه ما سبق واللفظ لهما.

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥٠١) ومسلم (١٢٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا، واللفظ لمسلم.

(٥) **صحيح**: وتخريجه ما سبق، واللفظ لمسلم.

(٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٢٩) من حديث أبي هريرة.

(٧) **صحيح**: أخرجه مسلم ملحقًا بالحديث السابق.

أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلَامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ ﷻ»[(١)] وفيه عن ابن عباس ﵄ عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ؛ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ ﷻ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ. وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً - زاد فى رواية - أَوْ مَحَاهَا اللَّهُ. وَلَا يَهْلِكُ عَلَى اللَّهِ إِلَّا هَالِكٌ»[(٢)].

وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: الآية ١٧]: «يا بن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذى عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك وجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾، ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك»[(٣)]. اهـ.

ويناسب ذكر المعقبات والحفظة ما روى البخارى رحمه الله تعالى فى «باب قول الله ﷻ: تعرج الملائكة والروح إليه»[(٤)] قال: حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[(٥)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٢) ومسلم (١٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٩١) ومسلم (١٣١) والزيادة الواردة في رواية لمسلم من حديث ابن عباس مرفوعًا.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٥٢) و(٢٦/ ١٥٩) من طريق معمر عن قتادة عن الحسن البصري، وفي رواية معمر عن قتادة والبصريين ضعف.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١٣/ ٤٦٠) كتاب «التوحيد» باب (٢٣).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٢٩) ومسلم (٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

ورواه مسلم أيضًا وفيهما عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ»[1] الحديث تقدم في العلو، والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير: وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكر النصوص في ذلك قريبًا، نسأل الله تعالى الثبات والتوفيق.

ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام: قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[الزمر: الآية ٧٣]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم، وفي يوم القيامة: كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾، وقال تعالى فيهم: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٣].

ومنهم خزنة جهنم عياذًا بالله منها. وهم الزبانية: ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[الزمر: الآية ٧١] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[التحريم: الآية ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٩) ولم يخرجه البخاري.

ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف: الآية ٧٧] وفى «صحيح مسلم» : «يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ كُلُّ زِمَامٍ فِي يَدِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا» [1]

ومنهم الموكلون بالنطفة فى الرحم : كما فى حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نُطْفَةً ، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ يُكْتَبُ رِزْقُهُ وَأَجَلُهُ وَعَمَلُهُ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» [2] الحديث . وفى بابه من الأحاديث كثير ، وفيها : «أَنَّ الْمَلَكَ يَقُولُ : يَا رَبِّ مُخَلَّقَةٌ أَوْ غَيْرُ مُخَلَّقَةٍ؟ وَاحِدٌ أَوْ تَوْأَمٌ؟ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ مَا الرِّزْقُ وَمَا الأَجَلُ؟ فَيَقْضِي اللَّهُ تَعَالَى مَا يَشَاءُ . فَيَكْتُبُ الْمَلَكُ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ ﷻ فَلَا يُغَيَّرُ وَلَا يُبَدَّلُ» [3]

ومنهم حملة العرش والكروبيون : وهم الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: الآية ٧] الآيات ، وقال تعالى : ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ [الحاقة: الآية ١٧] ومفهوم هذه الآية من قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٧] أن حملة العرش ليسوا اليوم ثمانية ، ويؤيد ذلك ما روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ «صدق أمية بن الصلت فى شيء من شعره فقال :

---

(١) صحيح الإسناد وفي رفعه كلام أخرجه مسلم (٢٨٤٢) والترمذي (٢٥٧٢) من طريق عمر بن حفص عن أبيه عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة عن ابن مسعود مرفوعًا ، وقال الترمذي : والثوري لا يرفعه .

ثم أخرجه (٢٥٧٤) من طريق الثوري عن العلاء به والحديث أورده الهروي في «العلل» (ص١٥١) وقال : والمشهور عن عبدالله موقوفًا ، تفرد برفعه عمر بن حفص ، وهو من الأصول التي لم يخرجها للبخاري . اهـ.

وأورده الدارقطني في «العلل» (٥/ ٨٦ح ٧٣٢) وقال : والموقوف أصح عندي . اهـ.

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٦٥٩٤) ومسلم (٢٦٤٣) .

(٣) هذا اللفظ لم أقف عليه ، وأظن المصنف عبر عن معنى الحديث بلفظه هو . ومعناه ثابت مما تقدم تخريجه .

«رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد»

فقال رسول الله ﷺ: «صدق» فقال:

«والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا فى رسلها إلا معذبة وإلا تجلد»

فقال رسول الله ﷺ: «صدق»[1]، وهذا إسناده جيد. لكن قد ورد ما يدل على أنهم فى الدنيا أيضًا ثمانية. وهو حديث العنان الذى رواه أبو داود وغيره وقد تقدم فى العلو وفيه «ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك»[2]، وله عن جابر بن عبد الله، ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ أَنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةَ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ**»[3]، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وعكرمة والضحاك وابن جريج: «ثمانية صفوف من الملائكة»[4].

وقال الضحاك عن ابن عباس: «الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة»[5].

وفى حديث الصور الطويل قال رسول الله ﷺ: «**فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسًّا شديدًا فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من فى**

---

(١) **منكر المتن ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد وابنه في «المسند» (١/ ٢٥٦) وفي «السنة» (١٢٥٩، ١٢٦٠ بتحقيقي) والدارمي (٢٧٠٣) وأبو يعلى (٢٤٨٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٢٣٣ح ١١٥٩١) جميعًا من طريق ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده ضعيف فإن ابن إسحاق مدلس وقد عنعن، وقد عيب على ابن إسحاق تحديثه في الصفات بأحاديث لا يتابع عليها.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود (٤٧٢٣ - ٤٧٢٥) والترمذي (٣٣٢٠) وابن ماجة (١٩٣) وأحمد (١/ ٢٠٦) وغيرهم، وسبق أن فيه عبدالله بن عميرة وهو مجهول.

(٣) **صحيح الإسناد**: أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) وغيره، وسبق في مبحث العلو.

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٥٨) من طرق عن ابن عباس ضعيفة، وأخرجه عن الضحاك بإسناد ضعيف، وأخرجه عبدالله بن أحمد في «السنة» (١٢٦٢ بتحقيقي) عن سعيد بن جبير بإسناد ضعيف.

(٥) **ضعيف الإسناد**: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤١٥) عن الضحاك عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف، الضحاك لم يسمع من ابن عباس ولا رآه قط.

الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلَى من نزل من الملائكة وبمثلي من فيها من الجن، والأنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وهو آت. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار ﷻ فى ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم لهم زجل فى تسبيحهم، يقولون: سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان الحى الذى لا يموت، سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس قدوس قدوس. سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح. سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولا يموت»[1] الحديث رواه ابن جرير والطبرانى وغيرهما.

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر: فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله ﷻ تنادوا: «هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم ﷻ وهو أعلم بهم منهم: ما يقول عبادى؟ قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك»[2] الحديث تقدم فى العلو وقال ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ يَتْلُونَ كِتَابِ اللَّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[3] الحديث بطوله فى الصحيح عن أبى هريرة.

ومنهم الموكل بالجبال: وقد ثبت ذكره فى حديث خروج النبى ﷺ إلى بنى عبد ياليل وعوده منهم، وفيه قول جبريل له ﷺ: «إنَّ اللَّه قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك». وفيه قول ملك الجبال: «إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال ﷺ «بَلِ اسْتَأْنِ بِهِمْ لَعَلَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[4].

ومنهم زوار البيت المعمور: الذى أقسم اللَّه تعالى به فى كتابه، ثبت ذلك فى حديث

(١) **ضعيف الإسناد**: وهو جزء من حديث طويل، وسيأتي الكلام عنه في بابه.
(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٠٨) ومسلم (٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة.
(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٩) وأبو داود (١٤٥٥) والترمذي (٢٩٤٥) وابن ماجة (٢٢٥) وغيرهم من حديث أبي هريرة.
(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٣١) ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة.

المعراج، «**وَهُوَ بَيْتٌ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ بِحِيَالِ الْكَعْبَةِ فِي الْأَرْضِ لَوْ سَقَطَ لَوَقَعَ عَلَيْهَا، حُرْمَتُهُ فِي السَّمَاءِ كَحُرْمَةِ الْكَعْبَةِ فِي الْأَرْضِ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفِ مَلَكٍ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»(١)، يعنى لا تحول نوبتهم لكثرتهم، والحديث بألفاظه فى «الصحيحين».

ومنهم ملائكة صفوف لا يفترون، وقيام لا يركعون، وركع وسجد لا يرفعون، ومنهم غير ذلك ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: الآية ٣١]، روى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنى أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى اللَّه تعالى**» فقال أبو ذر: «**واللَّه لوددت أنى شجرة تعضد**»(٢). وقال الترمذى غريب. ويروى عن أبى ذر موقوفًا. قلت: وله حكم الرفع، ومن أين لأبى ذر ﷺ مثل هذا إلا عن توقيف واللَّه أعلم. وعن حكيم بن حزام قال: بينما رسول اللَّه ﷺ مع أصحابه إذا قال لهم: «**هَلْ تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟**» قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ وَمَا تُلَامُ أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ**»(٣).

وعن عائشة ﷺ قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ما فى السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة**: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾»(٤)، وعن العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبى ﷺ قال يومًا لجلسائه: «**هل تسمعون ما أسمع؟**» قالوا: وما تسمع يا رسول اللَّه؟ قال: «**أطت**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٠٧) ومسلم (١٦٢) من حديث أنس.

(٢) **في إسناده ضعف**: أخرجه الترمذي (٢٣١٢) وابن ماجة (٤١٩٠) وأحمد (٥/ ١٧٣) وغيرهم، وسبق الكلام عنه عند الكلام على أنواع العبادة وأن الخوف عبادة.

(٣) **حسن الإسناد**: أخرجه ابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٥٠) والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٠١ح ٣١٢٢) وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٨٦، ٩٨٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢١٧) من طرق عن عبدالوهاب بن عطاء عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام مرفوعًا به، وإسناده حسن، عبدالوهاب صدوق وباقي رجاله الإسناد ثقات.

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن نصر في «الصلاة» (٢٥٣) وابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ١١١، ١١٢) وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٨٤) من طريق الضحاك عن مسروق عن عائشة مرفوعًا، والضحاك هو=

السماء وحق لها أن تئط، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد»[١] .

وقالت الملائكة : ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ ، وعن رجل صحب رسول اللَّه ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال : «**إن للَّه تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق اللَّه السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق اللَّه السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه اللَّه ﷻ فقالوا : سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»**[٢] وإسناده لا بأس به، وهو والذى قبله أخرجهما محمد بن نصر المروزى . وفى «الصحيح» عن جابر بن سمرة ﷺ قال رسول اللَّه ﷺ : «**أَلَا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟**» فقلنا : يا رسول اللَّه وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال : «**يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُوَلَ وَيَتَرَاصُّونَ فِي الصَّفِّ**»[٣] .

وفيه عن عائشة ﷺ قالت : قال رسول اللَّه ﷺ : «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورِ الْعَرْشِ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»[٤] .

= ابن مزاحم فيه كلام وقد خالفه أبو الضحى وهو ثقة فرواه عن مسروق عن ابن مسعود موقوفًا أخرجه ابن نصر (٢٥٤) وابن جرير (٢٣/ ١١٢)، وله شاهد من حديث جابر أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٨٤ح ١٧٥١) وفي «الأوسط» (٣٥٦٨) وفي إسناده عروة بن مروان وهو ضعيف وبه أعله الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٨) وقد أخرجه ابن نصر (٢٥٩) من حديث جابر موقوفًا عليه وهو أصح .

(١) **ضعيف الإسناد** : أخرجه ابن نصر في «الصلاة» (٢٥٥) وعنه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٤٦) وقال : وهذا إسناد غريب جدًّا .
قلت : فيه غير واحد مجهول لا يعرف .

(٢) **ضعيف الإسناد** : أخرجه ابن نصر في «الصلاة» (٢٦٠) وعنه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٤٧) وقال : وهذا إسناد لا بأس به .
قلت : هو ضعيف، فيه عدي بن أرطأة وليس بالقوي . والراوي عنه عباد بن منصور ضعيف .

(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم (٤٣٠) والنسائي (٢/ ٩٢) وابن ماجة (٩٩٢) وابن خزيمة (١٥٤٤) وابن حبان (٢١٥٤، ٢١٦٢) وأحمد (٥/ ١٠١، ١٠٦) وغيرهم .

(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٩٩٦) وأحمد (٦/ ١٥٣، ١٦٨) وابن حبان (٦١٥٥) وغيرهم .

الإيمان بالكتب

«و» الثالث الإيمان بـ «**كتبه المنزلة**» على رسله، «**المطهرة**» من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل ما لا يليق بها، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: الآية ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾ [آل عمران: الآية ٨٤] إلى آخر الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: الآية ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: الآية ١٥]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: الآية ٨]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [غافر: الآية ٧٠] الآيات، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: الآية ٢٥] ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله ﷻ على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله ﷻ لا كلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذى أراد فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشرى كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: الآية ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: الآية ١٦٤]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: الآية ١٤٤]، ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: الآية ١٠]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: الآية ٥٢]، ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: الآية ٢]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦]، ومنها ما خطه بيده ﷻ كما قال تعالى. ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا ۚ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٥].

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجبًا على الأمم الذين نزلت إليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى

وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: الآية ٤٤] – إلى قوله – ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾ وإن جميعها يصدق بعضها بعضًا لا يكذبه كما قال تعالى فى الإنجيل: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ﴾ [المائدة: الآية ٤٦] وقال فى القرآن: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: الآية ٤٨] وإنَّ كل من كذَّب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠]. وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوراة بالإنجيل قال اللَّه تعالى فى عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ﴾ – إلى قوله – ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: الآية ٥٠] وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والإنجيل والقرآن كما قال تعالى: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ الآية. وأن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ﴾ [البقرة: الآية ١٠٦] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل: الآية ١٠١] الآيات، وكما قال

تعالى : ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الأنفال: الآية ٦٦] بعد قوله : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: الآية ٦٥] والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات في مواضعها من كتب التفسير وغيرها ، وإنه لا يأتي كتاب بعده ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده ، وأنه ليس لأحد الخروج عن شيء من أحكامه ، وأن من كذب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه ، كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به ، وأن من اتبع غير سبيله ولم يقتف أثره ضل ، قال تعالى : ﴿الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ .

ثم الإيمان بكتب الله ﷻ يجب إجمالاً فيما أجمل وتفصيلاً فيما فصل ، فقد سمى الله تعالى من كتبه التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود في قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: الآية ١٦٣] والقرآن على محمد ﷺ ، وذكر صحف إبراهيم وموسى ، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملاً في قوله : ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: الآية ١٣٦] وقال تعالى : ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [البقرة: الآية ١٣٦] إلى قوله ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٣٦] وقال : ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ﴾ [الشورى: الآية ١٥]

فنقول كما أمرنا ربنا ﷻ : آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول . وقال تعالى في القرآن والسنة : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: الآية ٧] ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: الآية ٧] فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته آناء الليل والنهار والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والنصيحة له ظاهرًا وباطنًا بجميع معانيها ، نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا له ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين إنه ولي التوفيق .

الإيمان بالرسل

وَرُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقٍ وَلَا إِيهَامِ

«و» الرابع الإيمان «برسله» وهم كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، أما من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبى فقط وليس برسول، فكل رسول نبى ولا كل نبى رسول. «الهداة» جمع هاد والمراد به هداية الدعوة والدلالة والإرشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[الرعد: الآية ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله ﷻ هو مقلب القلوب ومصرف الأمور ليس لملك مقرب ولا لنبى مرسل تصريف فى شيء منهما فضلًا عمن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[البقرة: الآية ٢٧٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص: الآية ٥٦] والإيمان برسل الله ﷻ متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾[البقرة: الآية ٢٨٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[النساء: الآية ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾[البقرة: الآية ٩١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى

قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾، ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن اللّه تعالى بعث فى كل أمة رسولًا يدعوهم إلى عبادة اللّه وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون. وأنهم بلغوا جميع ما أرسلهم اللّه به، لم يكتموا منه حرفًا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن اللّه تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، واتخذ محمدًا ﷺ خليلًا، وكلم موسى تكليمًا، ورفع إدريس مكانًا عليا، وأن عيسى عبد اللّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن اللّه تعالى فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات. وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم فى أصل الدين وهو توحيد اللّه ﷻ بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفى ما يضاد ذلك أو ينافى كماله كما تقدم ذلك فى تقرير توحيد الطلب والقصد. وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء ما لا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ما شدد على أولئك ويحرم على أمة ما يحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا ﷻ ليبلوكم فيما آتاكم، ليبلوكم أيكم أحسن عملًا. وقد ذكر اللّه تعالى فى كتابه منهم آدم ونوحًا وإدريس وهودًا وصالحًا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وشعيب ويونس وموسى وهارون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود ويوسف ولوطًا وسليمان وأيوب، وذكر الأسباط جملة، وعيسى ومحمدًا ﷺ، وقص علينا من أنبائهم ونبأنا من أخبارهم ما فيه كفاية وعبرة وموعظة إجمالًا وتفصيلًا ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلًا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء: الآية ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ مِنۡهُم مَّن قَصَصۡنَا عَلَيۡكَ﴾ [غافر: الآية ٧٨] فنؤمن بجميعهم تفصيلًا فيما فصل وإجمالًا فيما أجمل.

أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بِلَا شَكٍّ كَمَا ... أَنَّ مُحَمَّدًا لَهُمْ قَدْ خَتَمَا

«**أولهم**» يعنى أول الرسل عليهم السلام «**نوح بلا شك**» وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. والمعنى أن نوحًا أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال اللّه تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ

﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٦٣] لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل وكذَّب كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: الآية ٥] وإلا فآدم قبله كان نبيًّا رسولًا، وكان الناس أمة واحدة على دينه ودين وصيه شيث عليه السلام كما قال ابن عباس ﷺ وابن مسعود وأبى بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم ﷺ فى قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] الآية. قالوا: «**كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث اللّٰه النبيين مبشرين ومنذرين**»(١) «**كما أن محمدًا**» ﷺ «**لهم**» أى: للرسل «**قد ختما**» فلا نبى بعده كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠] وسيأتى إن شاء اللّٰه تعالى تقرير ذلك فى موضعه من هذا المتن.

وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُو الْعَزْمِ الأُلَى ۝ فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ وَالشُّورَى تَلَا

«**وخمسة منهم**» أى: من الرسل «**أولو**» أى: أصحاب «**العزم**» يعنى: الحزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل اللّٰه تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، ولذا خصوا بالذكر «**فى سورة الأحزاب**» يعنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: الآية ٧] فذكر تعالى أخذه الميثاق على جميع النبيين جملة ونص منهم على هؤلاء الخمسة محمد ﷺ وهو خاتمهم ونوح وهو فاتحهم وإبراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما «**و**» كذا ذكرهم على وجه التخصيص فى سورة «**الشورى**» إذ يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: الآية ١٣] وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم ﷺ حتى تنتهى إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: «**أنا لها**» كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء اللّٰه، وروى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ فى قول اللّٰه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: الآية ٧] الآية قال النبى ﷺ: «**كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث فبدأ بى قبلهم**»(٢) وفيه ضعف

---

(١) سبق في الكلام عن ضد التوحيد وهو الشرك تخريج أثر ابن عباس وهو صحيح إليه، وانظر تفسير ابن جرير (٢/ ٣٣٤ - ٣٣٧).

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي حاتم، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٧٠) سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال ابن كثير: سعيد بن بشير فيه ضعف: وقد رواه سعيد بن=

ويروى مرسلًا وموقوفًا على قتادة، وللبزار عنه رضي الله عنه موقوفًا عليه قال: «خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين وخيرهم محمد ﷺ»(١).

والقول بأن أولي العزم هم هؤلاء الخمسة هو قول ابن عباس وقتادة ومن وافقهما وهو الأشهر، وقال الكلبي هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين وقيل هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف وهود والشعراء، وقال مقاتل: «هم ستة نوح صبر على أذى قومه وإبراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر».

قلت: وقوله إسحاق صبر على الذبح هو قول مرجوح أو مردود وإنما كان الذبيح إسماعيل عليه السلام كما في سورة الصافات وهود(٢)، وقال ابن زيد: «كل الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز»، وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[الأنعام: الآية ٩٠] وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ظل رسول الله ﷺ صائمًا ثم طواه ثم ظل صائمًا ثم طواه ثم ظل صائمًا ثم قال: «يا عائشة، إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. يا عائشة، إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ما كلفهم فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[الأحقاف: الآية ٣٥] وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي، ولا قوة إلا بالله»(٣).

= أبي عروبة عن قتادة به مرسلًا وهو أشبه ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا، والله أعلم. اهـ قلت: ومن طريق سعيد أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٧٢).

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٧٠) من طريق البزار عن حمزة الزيات عن عدي عن ثابت عن أبي حازم عن أبي هريرة موقوفًا، وقال ابن كثير: موقوف وحمزة فيه ضعف.

(٢) انظر زاد المعاد لابن القيم رحمه الله (١/ ٧١) وما بعدها.

(٣) أخرجه أبو الشيخ الأصبهاني في «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» بتحقيقي (ح ٨٥٠) وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ١٧٣) من طريق ابن أبي حاتم، وفي إسنادهما مجالد بن سعيد وهو ضعيف.

الإيمان بالمعاد

وَبِالْمَعَادَ ايقِنْ بِلَا تَرَدُّدِ	وَلَا ادِّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ
لَكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيرِ امْتِرَا	بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيرِ الْوَرَى
مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا	وَهْيَ عَلَامَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

«وبالمعاد» وهو المرد إلى الله ﷻ والإياب إليه «أيقن» استيقن بذلك يقينًا جازمًا «بلا تردد» هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: الآية ٤] وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ [البقرة: الآية ١٧٧] الآية، وقال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٤] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٦٤] وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨١] وقال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: الآية ٢٥] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء: الآية ٨٧] وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: الآية ٢٠] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: الآية ٤] وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾﴾ [الحجر: الآية ٨٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج: الآية ٧] وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾،

وقال تعالى فى الآية الأخرى : ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ: الآية ٣٠] ، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: الآية ٣٣] ، وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: الآية ٥] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٣٤] ، وقال تعالى : ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ﴾ [النحل: الآية ١] ، وقال تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [الزمر: الآية ٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [غافر: الآية ٥٩] وقال تعالى : ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ الآيات ، وقال تعالى : ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [الزخرف: الآية ٨٣] الآيات ، وقال تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾﴾ [الواقعة: الآية ١] إلخ السورة ، وقال تعالى : ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾﴾ [الإنسان: الآية ٧] إلى آخر السورة ، وقال تعالى : ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ إلى آخر السورة والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها وغيرها من الآيات بل وغيرها من السور ، وسيأتى إن شاء اللَّه مزيد نصوص فى اللقاء والبعث والنشور . «**و**» بـ«**لا ادعا**» بالقصر للوزن وهو مصدر ادعى يدعى ادعاء«**علم**» بوقت الموعد متى هو ، فإن ذلك هو من مفاتح الغيب التى لا يعلمها إلا اللَّه ﷻ ، قال اللَّه تعالى : ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ٥٩] الآية ، وقال تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] والتى بعدها ، وقال تعالى : ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] الآية . وقال تعالى : ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا

﴿تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: الآية ٤٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ وغيرها من الآيات.

وتقدم حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبي ﷺ: «أخبرني عن الساعة»، قال: «**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**» الحديث[1].

وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن بريدة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ** عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: الآية ٣٤]»[2]

وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ**»، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: الآية ٣٤][3].

وفي «الصحيحين» أن أعرابيًا أتى النبي ﷺ فناداه بصوت جهوري فقال: يا محمد، قال له رسول الله ﷺ: «**هَاؤُمُ**» - على نحو من صوته - قال: يا محمد، متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**وَيْحَكَ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ فَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟**» قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام، ولكني أحب الله ورسوله. فقال له رسول الله: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**» فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث[4]، ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (١٠) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وسبق من طرق.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٥ / ٣٥٣) من حديث بريدة مرفوعًا، وهو في «الصحيحين» بالتخريج السابق من حديث أبي هريرة، وانظر ما يأتي.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٣٩) وغيره.

(٤) صحيح: وهو في «الصحيحين» من غير هذا اللفظ، وأخرجه بهذا اللفظ الترمذي (٣٥٣٥) والنسائي في «الكبرى» (١١١٧٨) وغيرهما من حديث ابن مسعود بإسناد حسن، وأخرجه مختصرًا البخاري=

الذى لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهم فى حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وإن لم يعرفوا تعيين وقته. ولمسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت الأعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة، فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول: «إِنْ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ»[1]، يعنى بذلك موتهم الذى يفضى بهم إلى الحصول فى برزخ الدار الآخرة، وله عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ يَعِشْ هَذَا الْغُلَامُ فَعَسَى أَنْ لَا يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[2] وفى رواية أن رجلًا سأل النبى ﷺ قال: متى الساعة؟ فسكت رسول الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال: «إِنْ عُمِّرَ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» قال أنس: ذلك الغلام من أترابى. وفى رواية عن أنس قال: مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أترابى[3]، فقال النبى ﷺ: «إِنْ يُؤَخَّرْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[4].

وفى «صحيح البخارى» عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا من أهل البادية أتى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟ قال: «وَيْلَكَ وَمَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قال: ما أعددت لها إلا أنى أحب الله ورسوله. قال: «إِنَّكَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «نَعَمْ». ففرحنا يومئذ فرحًا شديدًا. فمر غلام للمغيرة وكان من أقرانى فقال: «إِنْ أُخِّرَ هَذَا فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»[5].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاق فى هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم فى حديث عائشة رضي الله عنها[6].

وقال ابن جريج: أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «تَسْأَلُونَ عَنِ السَّاعَةِ، وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ،

= (٦١٦٩) ومسلم (٢٦٤٠) من حديث ابن مسعود، وأخرجه البخاري (٦١٧٠) ومسلم (٢٦٤١) من حديث أبي موسى، وأخرجه البخاري (٢١٧١) ومسلم (٢٦٣٩) من حديث أنس.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥١١) ومسلم (٢٩٥٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٣).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٣).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٦٧) ومسلم (٢٩٥٣).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٦٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٣) وما يورده المصنف فيما يأتي هو من تفسير كثير بتصرف من المصنف.

وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ تَأْتِي عَلَيْهَا مِائَةُ سَنَةٍ»[١] رواه مسلم . وفى «الصحيحين» عن ابن عمر مثله[٢]، قال ابن عمر : «وإنما أراد رسول اللَّه ﷺ انخرام ذلك القرن»[٣].

وروى أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «لقيت ليلة أسرى بى إبراهيم وموسى وعيسى ، فتذاكروا أمر الساعة ، قال : فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام ، فقال لا علم لى بها ، فردوا أمرهم إلى موسى ، فقال لا علم لى بها فردوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى : أما وجبتها فلم يعلم بها أحد إلا اللَّه عز وجل ، وفيما عهد إلى ربى عز وجل أن الدجال خارج ، قال : ومعى قضيبان ، فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص ، قال : فيهلكه اللَّه عز وجل . ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم ، قال : فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطئون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ، ولا يمرون على ماء إلا شربوه . قال : ثم يرجع الناس إلى فيشكونهم ، فأدعو اللَّه عز وجل عليهم فيهلكهم ويميتهم ، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم . أى تنتن ، قال : فينزل اللَّه عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر»[٤] قال الإمام أحمد : قال يزيد بن هارون : «ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم» ثم رجع إلى حديث هشيم قال : «ففيما عهد إلى ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فالساعة كالحامل المتم لا يدرى أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلًا أو نهارًا» . ورواه ابن ماجه بنحوه[٥].

قال ابن كثير رحمه اللَّه تعالى : هؤلاء أكابر أولى العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين ، وإنما ردوا الأمر إلى عيسى عليه السلام فتكلم على أشراطها لأنه ينزل فى آخر هذه الأمة منفذًا لأحكام رسول اللَّه ﷺ ، ويقتل المسيح الدجال ويجعل

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٥٣٨) عن ابن جريج به ، ووقع بالأصول هنا : وقال ابن جرير ، وهو خطأ صوبته من «صحيح مسلم» و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٧٣) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١١٦) ومسلم (٢٥٣٧) .

(٣) صحيح : وهو في رواية مسلم (٢٥٣٧) .

(٤) ضعيف : أخرجه ابن ماجة (٤٠٨١) وأحمد (١/ ٣٧٥) وأبو يعلى (٥٢٩٤) وابن أبي شيبة (٣٧٥٢٥) وابن جرير (١٦/ ٢٧) والحاكم (٣٤٤٨، ٨٥٠٢) وغيرهم من طريق مؤثر بن عفازة عن ابن مسعود مرفوعًا به ، ومؤثر مجهول .

(٥) ضعيف : وانظر ما سبق .

الله هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به[١]، وروى الإمام أحمد عن حذيفة قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: «عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ. وَلَكِنْ سَأُخْبِرُكُمْ بِمَشَارِيطِهَا وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْهَا، إِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا فِتْنَةً وَهَرْجًا». قالوا: يا رسول الله الفتنة قد عرفناها فما هو الهرج؟ قال بلسان الحبشة «القتل». قال: «ويُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التَّنَاكُرُ فَلَا يَكَادُ أَحَدُهُمْ يَعْرِفُ أَحَدًا»[٢] وروى النسائي عن طارق بن شهاب قال: كان رسول الله ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧] [٣] الآية، وإسناده جيد قوي، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد ﷺ نبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذي تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما يثبت عنه في «الصحيح» من حديث أنس وسهيل بن سعد رضي الله عنهما: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها[٤] ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]. اهـ[٥].

الإيمان بأمارات الساعة

لَـكِـنَّـنـا نُـؤْمِـنُ مِـنْ غَـيـرِ امْـتِـرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيرِ الْوَرَى

مِـنْ ذِكْـرِ آيـاتٍ تَـكُـونُ قَـبْـلَـهَـا ... وَهْـيَ عَـلَامَـاتٌ وَأَشْـرَاطٌ لَـهَـا

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٤) ومازال المصنف ينقل عنه بتصرف.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٣٨٩) عن يحيى بن أبي بكير عن عبيدالله بن إياد بن لقيط عن أبيه عن حذيفة مرفوعًا به، وإسناده حسن، وعبيدالله صدوق، وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٣) صحيح لغيره: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ١٣٧) و(٣٠/ ٤٩) عن طارق ابن شهاب مرسلًا، لكن أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٤٩) عن يعقوب بن إبراهيم عن سفيان بن عيينة عن الزهري عن عروة عن عائشة به، وإسناده صحيح.

قلت: وقول المصنف هنا: وإسناده جيد قوي، هو قول ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٠٤) ومسلم (٢٩٥١) من حديث أنس، وأخرجه البخاري (٦٥٠٣) ومسلم (٢٩٥٠) من حديث سهل بن سعد، وورد أيضًا من حديث جابر ومن حديث أبي هريرة.

(٥) هذا آخر كلام ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٧٤).

«لكننا نؤمن» ونصدق«من غير امترا» من غير شك«بكل ما قد صح» سنده وصرح لفظه «عن خير الورى» نبينا محمدﷺ الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى«من ذكر آيات» أمارات«تكون» تقع«قبلها» قبل الساعة«وهى» أى: تلك الأمارات«علامات» لمجيء الساعة وقربها ودنوها«وأشراط لها» أى: لاقترابها. وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها وكثير من علاماتها قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل: الآية ١] ، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾[الأنبياء: الآية ١] الآيات. وقد ذكر الله تعالى أن بعثة نبيناﷺ من أشراطها كما قال ﷻ: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦ أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ ، وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ۝١٨﴾[محمد: الآية ١٨] ، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[القمر: الآية ١] الآيات. وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة، وذكر تعالى من كبار أشراطها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وغيرها كما قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠﴾[الدخان: الآية ١٠] الآيات، وقال تعالى فى شأن عيسى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩﴾ ، وقال تعالى فى شأن يأجوج ومأجوج: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۝٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۝٩٦ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ۝٩٨ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩﴾ ، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ۝١٥٨﴾[الأنعام: الآية ١٥٨] ، وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ۝٨٢﴾[النمل: الآية ٨٢] ، وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨﴾[يس: الآية ٣٨] وأما الأحاديث فى أشراط الساعة فكثيرة متواترة وقد تقرر فى حديث جبريل على اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكرهﷺ من أماراتها: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة

العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان[١] وقد تقدم قوله ﷺ : «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ» وأشار بالسبابة والوسطى[٢] وفى «صحيح مسلم» وغيره عن حذيفة رضي الله عنه قال : «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا ما ترك شيئًا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابى هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه»[٣] ، وفيه عن أبى زيد عمرو بن أخطب الأنصارى رضي الله عنه قال : «صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر ، فنزل فصلى ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ، ثم نزل فصلى ، ثم صعد المنبر حتى غربت الشمس فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا»[٤] .

وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ : لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو»[٥] وفى رواية : «فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا»[٦] ، وفى رواية عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ -أَوْ بِدَابِقٍ- ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، فَإِذَا تَصَافُّوا قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَوْا مِنَّا نُقَاتِلْهُمْ ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لَا وَاللَّهِ لَا نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا ، فَيُقَاتِلُونَهُمْ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا ، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ ، وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا ، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ : إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ خَرَجَ ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﷺ فَأَمَّهُمْ فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ فَلَوْ تَرَكَهُ لَانْذَابَ حَتَّى يَهْلِكَ وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ فَيُرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»[٧] ، و«الأعماق» قال فى

(١) صحيح : وسبق تخريجه .

(٢) صحيح : وسبق قريبًا .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٠٤) ومسلم (٢٨٩١) .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٢) .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٤) وانظر ما يأتي .

(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٧١١٩) ومسلم (٢٨٩٤) .

(٧) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٧) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

القاموس : بلد بين حلب وأنطاكية مصب مياه كثيرة لا تجف إلا صيفًا وهو العمق جمع بأجزائه . اهـ[١].

وقال أيضًا : «دابق» كصاحب وهاجر قرية بحلب ، وفي الأصل اسم نهر ، ودويبق قرية بقربها[٢]، وفيه عن يسير بن جابر قال : هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا : «يا عبد اللَّه بن مسعود جاءت الساعة» قال : فقعد وكان متكئًا فقال : إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة ، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال : عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام . قلت : الروم تعني؟ قال : نعم ، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة ، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة ، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يمسوا فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب ، وتفنى الشرطة ، فإذا كان اليوم الرابع نهد إليهم بقية أهل الإسلام فيجعل اللَّه الدبرة عليهم فيقتلون مقتلة ، إما قال لا يرى مثلها ، وإما قال لم ير مثلها ، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا ، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد ، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم ، فبينما هم كذلك إذا سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم ، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة ، قال رسول اللَّه ﷺ : «**إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ ، أَوْ مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**»[٣] وفيه عن حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ قال : «طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر ، فقال : «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قالوا نذكر الساعة . قال : «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ**» . فذكر «**الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﷺ **، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»»[٤] وفي رواية :

(١) «القاموس المحيط» للفيروزابادي (٣/ ٢٦٠).
(٢) «القاموس المحيط» (٣/ ٢٢٣).
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٩٩).
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٠١).

«وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ تَرْحَلُ النَّاسَ» زاد فى أخرى: «تَنْزِلُ مَعَهُمْ إِذَا نَزَلُوا وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا»[(١)].

وفيه عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أَوْ الدَّجَّالَ، أَوْ الدَّابَّةَ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ»[(٢)].

وفى رواية: «الدَّجَّالَ، وَالدُّخَانَ، وَدَابَّةَ الْأَرْضِ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ، وَخُوَيْصَّةَ أَحَدِكُمْ»[(٣)].

وقال البخارى رحمه الله تعالى «باب لا ينفع نفسًا إيمانها»[(٤)]: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا، فَذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ»[(٥)].

وقال أيضًا رحمه الله تعالى فى «كتاب الفتن»: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ، وَهُوَ الْقَتْلُ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لَا أَرَبَ لِي بِهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ- يَعْنِي آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ،

---

(١) صحيح: والروايتان لمسلم (٢٩٠١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٧) وأحمد (٢/ ٣٣٧، ٣٧٢).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٧) وأحمد (٢/ ٤٠٧، ٥١١).

(٤) فتح الباري (٨/ ١٥٩) كتاب «التفسير»، باب (١٠).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧).

وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا»(١).

وفى «الصحيحين» عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبى ذر ﷺ قال: قال النبى ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس: «أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا: ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾﴾ [يس: الآية ٣٨]»(٢).

وفى «صحيح مسلم» عن أبى زرعة عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا»(٣).

وفيه عن فاطمة بنت قيس. وكانت من المهاجرات الأول ﷺ - قالت: سمعت نداء المنادى - منادى رسول الله ﷺ - ينادى: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت فى صف النساء التى تلي ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: «لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلَّاهُ»، ثم قال: «أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «إِنِّي وَاللَّهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلَا لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ لِأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِيَّ كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ، حَدَّثَنِي أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ مَعَ ثَلَاثِينَ رَجُلًا مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ، فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْرًا فِي الْبَحْرِ، ثُمَّ أَرْفَئُوا إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ حَتَّى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يَدْرُونَ مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقَالُوا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قَالُوا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتْ: أَيُّهَا الْقَوْمُ انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالْأَشْوَاقِ، قَالَ: لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلًا فَرِقْنَا مِنْهَا أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، قَالَ: فَانْطَلَقْنَا سِرَاعًا حَتَّى دَخَلْنَا الدَّيْرَ، فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ قَطُّ خَلْقًا، وَأَشَدُّهُ وِثَاقًا، مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى كَعْبَيْهِ بِالْحَدِيدِ، قُلْنَا: وَيْلَكَ مَا أَنْتَ؟ قَالَ: قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَى خَبَرِي

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٢١) ومسلم (ص٢٢١٤ح ١٥٧).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٠٢) ومسلم (١٥٩).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤١) وأبو داود (٤٣١٠) وابن ماجة (٤٠٦٩) وأحمد (٢/ ٢٠١).

فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ حِينَ اغْتَلَمَ فَلَعِبَ بِنَا الْمَوْجُ شَهْرًا ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَى جَزِيرَتِكَ هَذِهِ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ لَا يُدْرَى مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ، فَقُلْنَا: وَيْلَكِ مَا أَنْتِ؟ فَقَالَتْ: أَنَا الْجَسَّاسَةُ، قُلْنَا: وَمَا الْجَسَّاسَةُ؟ قَالَتِ: اعْمِدُوا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فِي الدَّيْرِ فَإِنَّهُ إِلَى خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ، فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعًا، وَفَزِعْنَا مِنْهَا، وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً، فَقَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا هَلْ يُثْمِرُ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لَا تُثْمِرَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ، قُلْنَا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِيهَا مَاءٌ؟ قَالُوا: هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ، قَالَ: أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ، قَالُوا: عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ؟ قَالَ: هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ؟ قُلْنَا لَهُ: نَعَمْ هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا، قَالَ: أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ؟ قَالُوا: قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ، قَالَ: أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ، قَالَ لَهُمْ قَدْ كَانَ ذَلِكَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي، إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ، وَإِنِّي أُوشِكُ أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، فَأَخْرُجَ فَأَسِيرَ فِي الأَرْضِ، فَلَا أَدَعَ قَرْيَةً إِلَّا هَبَطْتُهَا فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ، فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ كِلْتَاهُمَا، كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً -أَوْ وَاحِدًا- مِنْهُمَا اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتًا يَصُدُّنِي عَنْهَا، وَإِنَّ عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَائِكَةً يَحْرُسُونَهَا». قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر: «هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ -يَعْنِي الْمَدِينَةَ- أَلَا هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَلِكَ؟» فقال الناس: نعم. قال: «فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ، أَلَا إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّأْمِ أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ، لَا بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ، مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ مَا هُوَ»، وأومأ بيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول الله ﷺ[1].

قال النووى رحمه الله تعالى الأهلب الغليظ الشعر كثيره[2]، وسميت الجساسة لتجسسها الأخبار للدجال. وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة فى القرآن والله أعلم[3].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٨١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٧٨).

وفيه عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أن زينب بنت أبي سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان أخبرتها أن زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ قالت: «خرج رسول الله ﷺ يومًا فزعًا محمرًا وجهه يقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ - وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ»[1]، وفيه عن النواس بن سمعان قال: «ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ عَيْنُهُ طَافِئَةٌ كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَاثْبُتُوا». قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًا وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الْغَرَضِ، ثُمَّ يَدْعُوهُ فَيُقْبِلُ وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٦) ومسلم (٢٨٨٠).

أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّى أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ» (١).

وَزَادَ فِي رِوَايَةٍ بَعْدَ قَوْلِهِ : «لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ : ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَيَقُولُونَ : لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ ، فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا» (٢) وفيه عن ابن عمر ﭬ: «أن رسول اللَّه ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، أَلَا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ» (٣).

وفيه عن أنس بن مالك ﭬ قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ ، وَمَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر» (٤) وفي رواية قال رسول اللَّه ﷺ: «الدَّجَّالُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ ، ثُمَّ تَهَجَّاهَا ك ف ر ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ» (٥)، وفيه عن حذيفة ﭬ قال : قال رسول اللَّه ﷺ: «لَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٧) والترمذي (٢٢٤٠) وابن ماجة (٤٠٧٥) وأحمد (٤/ ١٨١).
(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٧) وجبل الخمر هو جبل به شجر كثير ملتف يستر من فيه .
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٣٩) ومسلم (ص٢٢٤٧ح ١٦٩) وغيرهما واللفظ لمسلم .
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) واللفظ لمسلم .
(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٣٣).

مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ، مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ أَحَدُهُمَا رَأْيَ الْعَيْنِ مَاءٌ أَبْيَضُ، وَالآخَرُ رَأْيَ الْعَيْنِ نَارٌ تَأَجَّجُ، فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يَرَاهُ نَارًا وَلْيُغَمِّضْ ثُمَّ لِيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ فَيَشْرَبَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ»[1] قال النووى: «ظفرة» بفتح الظاء المعجمة والفاء وهى جلدة تغشى البصر، وقال الأصمعى: لحمة تنبت عند المآقى[2].

وفيه عن أبى سعيد الخدرى قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: «يَأْتِي وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ، فَيَنْتَهِي إِلَى بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ -أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ- فَيَقُولُ لَهُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ أَتَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لا، قَالَ: فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ فَيَقُولُ حِينَ يُحْيِيهِ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الآنَ، قَالَ: فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ»[3].

ورواية قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا فَلا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ؟» فقال رسول اللَّه ﷺ: «هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٤).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٦١).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧١٣٢) ومسلم (٢٩٣٨).

الْعَالَمِينَ»(١).

وفيه عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى يقول: سمعت عبد الله بن عمرو وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذى تحدث به تقول إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله - أو لا إله إلا الله أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدث شيئًا أبدًا، إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لا أدرى أربعين يومًا أو أربعين شهرًا أو أربعين عامًا - فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ» قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال: «فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ -أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوْ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ - فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ، فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»(٢).

وفيه عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ»(٣) وفى رواية: «فَيَأْتِي سِبْخَةَ الْجُرُفِ فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ، وَقَالَ: فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ»(٤) قال النووى:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٨).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٠).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٨٨١) ومسلم (٢٩٤٣).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٣).

فيضرب رواقه أى ينزل هناك ويضع ثقله[1].

«والجرف» قال فى القاموس: موضع بقرب المدينة وموضع قرب مكة وموضع باليمن وموضع باليمامة[2] والمقصود فى الحديث هو الأول. وفيه عنه ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ»**[3].

وفيه عن أم شريك أنها سمعت النبى ﷺ يقول: **«لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ»**. قالت أم شريك: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: **«هُمْ قَلِيلٌ»**[4]، وفيه عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»**[5]، والأحاديث فى ذكر الدجال وصفته والإنذار منه والتحذير عنه أكثر من أن تحصى، وأعظم من أن تستقصى. وكذا الأحاديث فى الفتن والملاحم بين يدى القيامة وغيرها من أشراط الساعة. وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال فى كل صلاة فريضة أو نافلة[6]، وفى «الترمذى» عن محرز بن هارون عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«بادروا بالأعمال سبعًا: هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا، أو غنى مطغيًا، أو هرمًا مفندًا، أو الدجال فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر»**[7] ثم قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٨٥).

(٢) القاموس المحيط للفيروزابادي (٣/ ١١٩).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٤) من حديث أنس مرفوعًا.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٥).

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٤٦).

(٦) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٨٨) وأبوداود (٩٨٣) والنسائي (٣/ ٥٨) وابن ماجة (٩٠٩) وغيرهم وفيه أن النبي ﷺ قال: **«إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع... الحديث، لكن قال شيخنا أبو عبدالله**: الحديث بهذا اللفظ معلول، والصحيح من فعله ﷺ لا من قوله.

(٧) **ضعيف**: أخرجه الترمذي (٢٣٠٦) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٧٢) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٢٣٠) من طريق محرز بن هارون عن الأعرج عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده ضعيف جدًا، محرز متروك، وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٨٢٤) من طريق ابن المبارك عن يحيى بن عبيدالله عن أبيه عن أبي هريرة. وإسناده تالف ويحيى هو ابن عبيدالله بن موهب وهو متروك، وأخرجه الحاكم (٧٩٠٦) من طريق ابن المبارك عن معمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الحاكم: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
قلت (يحيى): معمر لم يسمع من المقبري وبينهما واسطة والحديث أخرجه ابن المبارك في «الزهد»=

من حديث الأعرج عن أبى هريرة إلا من حديث محرز بن هارون. وروى معمر هذا الحديث عمن سمع سعيدًا المقبرى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ نحو هذا.

الإيمان بالموت

وَيـدْخُـلُ الإِيـمَـانُ بِـالْـمَـوْتِ وَمَـا مِـنْ بَـعْـدِهِ عَـلَـى الْـعِـبَـادِ حُـتِـمَـا

«ويدخل» فى الإيمان باليوم الآخر «الإيمان بالموت» الذى هو المفضي بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه، ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث المتقدم: «**إِنْ يَعِشْ هَذَا لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ**»(١).

والإيمان بالموت يتناول أمورًا:

منها: تحتمه على من كان فى الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: الآية ١٨٥]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٥٧﴾، وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١١﴾ [السجدة: الآية ١١] وفى الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما إن النبى ﷺ كان يقول: «**أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَالْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ**»(٢).

= (٧) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (١٠٥٧٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٨٢٣) عن معمر عمن سمع المقبري يحدث من أبي هريرة، ومن سمع المقبري مبهم. وأخرجه أبو يعلى (٦٥٤٢) عن معمر عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة، فزاد فيه رجلًا وأسقط الواسطة بين معمر والمقبري، وهذا المبهم ورد تسميته عند الطبراني في «الأوسط» (٣٩٤٥) وأنه: محمد بن عجلان، لكن في الإسناد إليه محمد بن حميد الرازي وإبراهيم بن المختار وهما ضعيفان.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥١١) ومسلم (٢٩٥٢) من حديث عائشة.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٨٣) ومسلم (٢٧١٧).

ومنها : إن كلًّا له أجل محدود وأمد ممدود ينتهى إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه ، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذى هو صفته ، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه ، ثم كتبه الملك على كل أحد فى بطن أمه بأمر ربه ﷻ عند تخليق النطفة فى عينه فى أى مكان يكون وفى أى زمان فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يغير ولا يبدل عما سبق به علم الله تعالى وجرى به قضاؤه وقدره وأن كل إنسان مات أو قتل أو حرق أو غرق أو بأى حتف هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفة عين ، وأن ذلك السبب الذى كان فيه حتفه هو الذى قدره الله تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه ولم يكن له بد منه ولا محيص عنه ولا مفر له ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص ، وأنى وكيف وإلى أين ولات حين مناص ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: الآية ١٤٥] الآية . وقال تعالى : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٤] الآيات .

وقال تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: الآية ٧٨] ، وقال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ * ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: الآية ٣٤] فى مواضع من القرآن – وقال تعالى : ﴿كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [لقمان: الآية ٢٩] ، وقال تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: الآية ١٢٩] ، وقال تعالى : ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: الآية ٨] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: الآية ٨] ، وقال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: الآية ٤٢] ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٠] وغيرها من الآيات .

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى فى «صحيحه» عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال : قالت أم حبيبة ﵂ : «اللهم متعنى بزوجى رسول الله ﷺ . وبأبى سفيان ، وبأخى معاوية» فقال لها رسول الله ﷺ : «**إِنَّكِ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَآثَارٍ مَوْطُوءَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ ، لا يُعَجِّلُ شَيْئًا مِنْهَا قَبْلَ حِلِّهِ ، وَلَا يُؤَخِّرُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ حِلِّهِ ، وَلَوْ**

سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ لَكَانَ خَيْرًا لَكِ»[١]، وفى رواية: «قَدْ سَأَلْتِ اللَّهَ لِآجَالٍ مَضْرُوبَةٍ وَأَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجِّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ، أَوْ يُؤَخِّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ، وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيذَكِ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ كَانَ أَخْيَرَ أَوْ أَفْضَلَ»[٢]، وفى أخرى: «وَآثَارٍ مَبْلُوغَةٍ»[٣].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما فى قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: الآية ١١] يقول: «ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له فإنما ينتهى إلى الكتاب الذى كتبت له، فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: الآية ١١] يقول كل ذلك فى كتاب عنده»[٤].

وهكذا قال الضحاك بن مزاحم[٥].

وأما حديث أنس فى «الصحيحين» وغيرهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٦] فإنه مفسر بحديث أبى الدرداء رضي الله عنه عند ابن أبى حاتم رحمه اللَّه تعالى قال: ذكرنا عند رسول اللَّه ﷺ الزيادة فى العمر، فقال: «**إن اللَّه تعالى لا يؤخر نفسًا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم فى قبره فذلك زيادة العمر**»[٧].

ومنها: الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وأن ذلك من مفاتح الغيب التى استأثر اللَّه تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هو كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٩] الآية. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٣) وأحمد (١/ ٣٩٠، ٤١٣) وغيرهما.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٣) وغيره.
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٣).
(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٢/ ١٢٢) من طريق العوفيين عن ابن عباس.
(٥) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٥١) ولم يورد إسناده.
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧)، وكلمة: رحمه، ساقطة من الأصل، وزدتها من مصادر التخريج.
(٧) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٧٤) و(٣/ ٥٥١)، وفي إسناده مسلمة بن عبد اللَّه الجهني وهو مجهول، وأبو مشجعة بن ربعي وهو مجهول أيضًا.

تَمُوتُ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] الآية . وتقدمت الأحاديث فى معناها . وفى الحديث المشهور عند أحمد والترمذى وغيرهما عن جماعة من الصحابة قال رسول اللَّه ﷺ : «إِذَا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَرَادَ قَبْضَ رُوحِ عَبْدٍ بِأَرْضٍ جَعَلَ لَهُ فِيهَا -أَوْ قَالَ : بِهَا- حَاجَةً»[(١)] .

ومنها : ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله وهو المفضى به إلى أعماله وإلى الحسن والقبيح من أقواله وأفعاله وإلى الجزاء الأوفى من الحكم العدل فى شرعه وقدره وقضائه ووعده ووعيده فلا يعاقب أحدًا بذنب غيره ولا يهضمه ذرة من حسن أعماله ، وفى حديث أبى هريرة ﷺ عند الترمذى والنسائى وابن حبان وصححه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «أكثروا ذكر هاذم اللذات» الموت[(٢)] ، وقال البخارى رحمه اللَّه تعالى فى كتاب الرقاق من «صحيحه» : باب قول النبى ﷺ : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[(٣)] حدثنا على بن عبد اللَّه حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوى عن سليمان الأعمش قال : حدثنى مجاهد عن عبد اللَّه بن عمر ﷺ قال : أخذ رسول اللَّه ﷺ بمنكبى فقال : «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» . وكان ابن عمر ﷺ يقول : «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك»[(٤)] ثم قال : باب فى الأمل وطوله وقول اللَّه تعالى : ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٩) ، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٠) ، والطيالسي (١٣٢٥) ، وابن حبان (٦١٥١) ، وأبو يعلى (٩٢٧) ، والحاكم (١٢٧) جميعًا من طريق أيوب عن أبي المليح بن أسامة عن أبي عزة الهذلي ، وإسناده صحيح ، وأبو عزة صحابي ، وذكر البخاري أن اسمه يسار بن عبد اللَّه ، وكذا قال ابن حجر في «التهذيب» ، ولكن ذكر الطيالسي أنه هو مطر بن عكامس ، وهو وهم ، والحديث ورد أيضًا من حديث ابن مسعود ، ومطر بن عكامس وعروة بن مضرس وغيرهم .

(٢) حسن الإسناد : أخرجه الترمذي (٢٣٠٧) ، والنسائي (٤/ ٤) ، وابن ماجه (٢٤٥٨) ، وأحمد (٢/ ٢٩٢) ، وابن حبان (٢٩٩٢ - ٢٩٩٥) ، وغيرهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا به ، وإسناده حسن ، وحسنه الترمذي ، وله شواهد : والحديث أورده ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٨٤ ح ١٤٧٩) ، وقال : هذا حديث لا يثبت ، ومداره على محمد بن عمرو الليثي ، قال يحيى بن معين : مازال الناس يتقون حديثه . اهـ.

قلت (يحيى) : محمد بن عمرو صدوق على الراجح ، والحديث أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٣١ ح ١٨٨٣) من حديث أنس ، وقال أبو حاتم : هذا حديث باطل لا أصل له . اهـ.

قلت : كأنه رحمه اللَّه يعني : لا أصل له من حديث أنس ، وإن كان له أصل من حديث غيره . واللَّه أعلم .

(٣) «فتح الباري» (١١/ ٢٥٤) كتاب الرقاق ، باب (٣) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٤١٦) .

﴿ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٥] بمزحزحه: بمباعده. وقوله تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: الآية ٣] (١) وقال علي رضي الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل (٢).

حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال: حدثنا أبي عن منذر عن ربيع بن خيثم عن عبد الله رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطًّا مربعًا وخط خطًّا في الوسط خارجًا منه وخط خططًا صغارًا إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: «**هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ، وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا**» (٣).

حدثنا مسلم حدثنا همام عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس رضي الله عنه قال: خط النبي ﷺ خطوطًا فقال: «**هَذَا الْأَمَلُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَهُ الْخَطُّ الْأَقْرَبُ**» (٤).

ومنها: - وهو المقصود الأعظم - التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع قبل دهوم البلاء وحلوله، إذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه، إذ ليس بعده لأحد من مستعتب ولا اعتذار، ولا زيادة في

---

(١) «فتح الباري (١١/ ٢٥٧) كتاب الرقاق، باب (٤).

(٢) صحيح إلى علي: أخرجه البخاري تعليقًا عن علي (قبل حديث ٦٤١٧)، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٥٥) وهناد في «الزهد» (٥٠٩)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٩٥)، من طريق رجل من بني عامر عن علي، وإسناده ضعيف لإبهام الرجل، وعزاه ابن حجر في «الفتح» (١١/ ٢٥٨) لابن المبارك وابن أبي شيبة، وذكر أن الرجل المبهم سُمي في رواية لابن أبي شيبة، ولأبي نعيم في «الحلية»، وهو مهاجر بن عمير العامري، قال الحافظ: وما عرفت حاله. اهـ.

قلت «يحيى»: له طريق صحيح لم يذكره الحافظ وهو عند البيهقي في «الشعب» (١٠٦١٤) وفي «الزهد الكبير» (٤٦٣) عن وكيع عن سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي به، وهذا إسناد صحيح، وسفيان هو الثوري سمع من عطاء، قبل الاختلاط.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٧)، والترمذي (٢٤٥٤)، وابن ماجه (٤٢٣١)، وأحمد (١/ ٣٨٥).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٨).

الحسنات ولا نقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولا درهم ولا دينار ولا مقعد ولا منزل إلا القبر وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين والموقف الطويل بين يدى القوى المتين، يوم يقوم الناس لرب العالمين الحكيم العليم المقسط العدل الحكيم الذى لا يحيف ولا يجور ولا يظلم مثقال ذرة إن ربى على صراط مستقيم، ثم إما نعيم مقيم فى جنات النعيم وإما عذاب أليم فى نار الجحيم، وإنَّ لكل ظاعن مقرًّا ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: الآية ١٨] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: الآية ٤٤] وهذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤٤] الآيات. وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال وشديد الأنكال والمقامع والأغلال والسلاسل الطوال وما لا يصفه عقل ولا يعبر عنه مقال، ولا يغنى بالخبر عنه ضرب الأمثال كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ الآيات، وكذلك يسألون الرجعة إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسو رءوسهم بين يديه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [السجدة: الآية ١٢] الآيات. وكذلك يسألون الرجعة وهم فى غمرات الجحيم وعذابها الأليم كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: الآية ٣٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر: الآية ١١] وغيرها من الآيات. ويجمع كل ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ

جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأعراف: الآية ٥٣] وغيرها من الآيات. وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد يموت إلا ندم» قالوا: وما ندامته يا رسول الله؟ قال: «إن كان محسنًا ندم أن لا يكون ازداد، وإن كان مسيئًا ندم أن لا يكون نزع»[١] رواه الترمذى وغيره، وله عن ابن عباس ﷺ قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت، فقال رجل: يا بن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآنا: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: إذا بلغ المال مائتين فصاعدًا، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير[٢].

وقال قتادة فى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ [الأنعام: الآية ٦١] قال: كان العلاء بن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى[٣]، وقال قتادة: والله ما تمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولا حول ولا قوة إلا بالله[٤].

وروى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة ﷺ قال: إذا وضع - يعنى الكافر - فى قبره فيرى مقعده من النار قال: فيقول: رب ارجعون أتوب وأعمل صالحًا، قال فيقال: قد عمرت ما كنت معمرًا، قال: فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام أو يفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها[٥]، وروى الإمام أحمد والنسائى من حديث أبى بكر بن عياش

---

(١) ضعيف جدًا: أخرجه الترمذي (٢٤٠٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٣)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (٧١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٨)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٠٣) جميعًا من طريق ابن المبارك عن يحيى بن عبيد الله بن موهب عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده ضعيف، ويحيى متروك.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وعبد بن حميد (٦٩٣)، من طريق أبي جناب الكلبي عن الضحاك عن ابن عباس موقوفًا عند الترمذي ومرفوعًا عند عبد بن حميد، وإسناده ضعيف لضعف أبي جناب والانقطاع بين الضحاك وابن عباس.

(٣) صحيح إلى العلاء: أخرجه أحمد في «الزهد» (١٤٤٨ بتحقيقي) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٤٤) من طريقين عن قتادة به، وإسناده صحيح.

(٤) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٥٦) من غير إسناد أوعزو.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي حاتم، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٥٦) وفي=

عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أَهْلِ النَّارِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي فَيَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً» قَالَ: «وَكُلُّ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ فَيَقُولُ: لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي. قَالَ: فَيَكُونُ لَهُ شُكْرًا»(١) وقد تقدم حديث أبى هريرة رضي الله عنه عند مسلم: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا» الحديث(٢)، وحديثه عند الترمذى: «بادروا بالأعمال سبعًا، هل تنتظرون إلا إلى فقر منس» الحديث(٣).

وفى «صحيح البخارى» عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»(٤) وللحاكم عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك»(٥) يعنى أن هذه الخمس؛ أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هى أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها، ولا ينفعه التمنى للأعمال، بعد التفريط منه والإهمال، فى زمن الفرصة والإمهال، فإن بعد كل شباب هرمًا، وبعد كل صحة سقمًا، وبعد كل غنى فقرًا، وبعد كل فراغ شغلًا، وبعد كل حياة موتًا، فمن فرط فى العمل أيام الشباب لم يدركه فى أيام الهرم، ومن فرط فيه فى أوقات الصحة لم يدركه فى

= إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٥١٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٥٤)، والحاكم (٣٦٢٩) من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٧)، من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٣٠٦)، وغيره وسبق قريبًا الكلام عنه.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤١٢)، والترمذي (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٤١٧٠)، وأحمد (١/ ٢٥٨، ٣٤٤).

(٥) ضعيف: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢) عن جعفر بن برقان عن زياد بن الجراح عن عمرو بن ميمون مرسلًا، ومن طريق ابن المبارك أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٢٥٠) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٢٩)، وابن المبارك متابع على هذا الوجه تابعه وكيع عند ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣١٩)، وأبي نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٨) وإسناده ضعيف للإرسال، وأخرجه الحاكم (٧٨٤٦)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٤٨) من طريق ابن المبارك عن عبد الله بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس مرفوعًا، وهذا إسناد صحيح، وشيخ المبارك هو عبد الله بن سعيد بن أبي هند، إلا أن البيهقي رحمه الله قال في «الشعب» (٧/ ٢٦٣ عقب حديث ١٠٢٤٨) وهو غلط، ثم ذكر أن المعروف بهذا الإسناد هو حديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس».

أوقات السقم . ومن فرط فيه فى حالة الغنى فلم ينل القرب التى لم تنل إلا بالغنى لم يدركه فى حالة الفقر ، ومن فرط فيه فى ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل . ومن فرط فى العمل فى زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات ، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ، ويطلب الكرة وهيهات ، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسرته حين لا مدفع للحسرات ، ولقد حثنا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أعظم الحث وحضنا أشد التحضيض ودعانا إلى اغتنام الفرص فى زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط فى ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه إذ يقول تعالى فى محكم كتابه داعيا عباده إلى بابه يا من يسمع صريح خطابه ويتأمل لطيف عتابه : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الآيات . وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: الآية ٤٣] الآيات ، وقال تعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الشورى: الآية ٤٧] الآيات وغيرها .

الإيمان بما بعد الموت

ومنها الإيمان «بما» الذى «من بعده» أي : من بعد الموت «على العباد حتما» من أحوال الاحتضار إلى البعث والنشور إلى أن يقضى اللَّه بين عباده ويستقر كل من الفريقين فريق فى الجنة وفريق فى السعير . ونذكر ما تيسر من التقدير على كل أمر منها فى محله من هذه الأبيات الآتية إن شاء اللَّه تعالى . وهذا أولها :

وَأَنَّ كُلًّا مُقْعَدٌ مَسْئُولُ	مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟
وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيمِنُ	بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكْ	بِأَنَّمَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكْ

إثبات عذاب القبر

فى هذه الأبيات : إثبات المسألة العظيمة ، وهى إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه ، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتابًا وسنة وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة ، وإن أنكر ذلك بشر المريسى وأضرابه وأتباعهم من المعتزلة وحملوا على فاسد فهمهم قول اللَّه ﷻ: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: الآية ٥٦]، وقوله : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: الآية ٢٢] قالوا فى الآية الأولى : لو صاروا أحياء فى القبور لذاقوا الموت مرتين لا موتة واحدة . وقالوا فى الآية الثانية : إن الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور فى عدم الإسماع ، ولو كان الميت حيا فى قبره أو حاسًّا لم يستقم التشبيه . قالوا : وأما من جهة العقل فإنا نرى شخصًا يصلب ويبقى مصلوبًا إلى أن تذهب أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياء ومسألة ، والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة ، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه فى بطونها وحواصلها ، وأبلغ منه من أحرق حتى يفتت وذرى أجزاؤه المتفتتة فى الرياح العاصفة شمالا وجنوبًا وقبولًا ودبورًا فإنا نعلم عدم إحيائه ومسألته وعذابه ضرورة . هذه خلاصة شبههم الداحضة ، ومحصل آرائهم الكاسدة ، وأفهامهم الفاسدة ، وأذهانهم البائدة ، ولا عجب ولا استغراب ممن ألحد فى أسماء اللَّه وصفاته ، وجحد ما صرح به تعالى فى محكم آياته ، ورد ما صح عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته ، وحكم العقل فى الشرع ، وعارض الوحى الرحمانى بالحدس الشيطانى ، وقدم الآراء السقيمة ، على السنن المستقيمة ، وآثر الأهواء الذميمة على المحجة القويمة . فليس بعجيب ولا غريب ممن هذا شأنه أن ينكر عذاب القبر وغيره من أنباء الغيب التى لا يشاهدها ، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يعرف الإنسان إلا هذا الجسم الذى هو الجلد واللحم والعظم والعروق والأعصاب والشرايين ونحوها مما يمتلئ بكثرة الطعام والشراب فيه ويخلو بقلتهما عليه ، وما له لا ينكر ذلك وهو لا يقر بموجود إلا مسموعًا متكلمًا به مبصرًا مشمومًا ملموسًا ، وما له لا ينكر ذلك وطريقته فى النصوص أبدًا تأويل الصريح وتضعيف الصحيح ، وأنها آحاد ظنية لا تفيد اليقين وليست بأصل بزعمه عند المحققين . ولا ذنب للنصوص وما نقم منها إلا أنها خالفت هواه ، وصرحت بنقض دعواه ، وسدت عليه باب مغزاه وأوجبت عليه نبذ أقوال شيوخه وهدمت عليه ما قد بناه ، وألزمته باطراح كل قول غير ما قاله اللَّه أو رسوله ﷺ، ونادت عليه بأبلغ صوت ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا

لَمْ يَأْذَنْ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٢١] .

والجواب عن الشبهة الأولى : أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه ، فإنها فى صفة أهل الجنة وما لهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم ، وأنهم لا يذوقون فيها الموت بل ينعمون ولا ييأسون ويخلدون فلا يموتون ، وأين هذا من نفى عذاب القبر الذى ادعوه . وقوله : ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: الآية ٥٦] تأكيد لنفى الموت عنهم فى الجنة ، وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد فى البرزخ اتصالًا خاصًا ليتألم الجسد بما يتألم به من دون أن تكون حياته كالحياة الدنيوية ، بل ما المانع من كونها حياة مستقرة لا تشبه الحياة الدنيا وهى أعظم منها فحجب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمة منه بهم كما يدل عليه ما أخبر به ﷺ فى الأحاديث الآتية من الإقعاد والمخاطبة والسؤال والجواب كفاحًا كما يشاء الله ﷻ والفتح لباب الجنة للمؤمن وفرشه منها وفتح باب النار للمرتاب وقمعه بالمطارق والمرازب وغير ذلك مما سيأتى إن شاء الله تعالى بسطه . وأيضًا فأهل الجنة المشار إليهم بقوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: الآية ٥٦] قد وردت فيها الأحاديث الصحيحة أن أرواحهم تسرح فى الجنة فى حواصل طيور خضر كما روى الإمام أحمد عن الإمام محمد بن إدريس الشافعى عن الإمام مالك بن أنس عن الإمام محمد بن شهاب الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلُقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»(١) .

وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: الآية ١٥٤] يقول الله تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٤] فهل شعرتم بذلك يا معشر الزنادقة دونهم؟ ويقول تعالى فيهم : ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩] الآيات ، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال الله تعالى فيهم : ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: الآية ١١] والموتة الثانية على أحد التفسيرين هى موتتهم بعد فتنة القبر . وتفسير الجمهور لا ينافى ذلك فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذى قبل وجودهم

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٦٠)، والنسائي في «المجتبى» (٤/ ١٠٨)، وفي «الكبرى» (٢٢٠٠)، وابن ماجه (٤٢٧١)، ومالك (ص ٢٤٠)، وابن حبان (٤٦٥٧)، والحميدي (٨٧٣)، وعبد بن حميد (٣٧٦) من طريق الزهري به .

والثانية على الخروج من الدنيا ولم يعدوا نومتهم بعد الفتنة في القبر موتة مستقلة لأن حال البرزخ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرة بل هو حاجز بينهما ، والتفسير الأول محمول على موتتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل إيجادهم .

وروى ابن أبى حاتم بسنده عن أبى هريرة قال : إذا وضع - يعنى الكافر - فى قبره فيرى مقعده من النار ، قال فيقول : رب ارجعون أتوب وأعمل صالحًا ، قال : فيقال : قد عمرت ما كنت معمرًا . قال : فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها[1] .

وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين :

الأول : أن قوله ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾[فاطر : الآية ٢٢] نفى لاستطاعة الرسول ﷺ أن يسمعهم ، وليس ذلك بمحال فى قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القليب تبكيته ﷺ بقوله ﷺ : «هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ؟»[2] الحديث سيأتى إن شاء الله ، وهذا إذا حمل على نفى مطلق السماع بالكلية .

الوجه الثانى : أنه لم ينف مطلق السماع ، وإنما نفى سماع الاستجابة كما يدل عليه قوله ﷺ فى حديث القليب : «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُجِيبُونَ»[3] وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فإن الكفار كانوا يسمعون كلام النبى ﷺ ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة ، ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم فى قوله تعالى ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾[الجاثية : الآية ٨] ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقًا لا سماع استجابة ولا مطلقًا لم يكن القرآن حجة عليهم ولم يكن الرسول بلغهم لأنهم ما سمعوه منه ، ولا أفسد من قول هذا لازمه .

وأما شبهتهم العقلية فهى لا تليق إلا بعقولهم السخيفة ، فإن الروح التى عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدرك فى الدنيا ولا يعلمه إلا الله ، فمن كان لا يدرك روح من يمشى معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله فكيف يدركه إذا صار من عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا ؟ وأيضًا فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغة ورحمته بهم

---

(١) ضعيف الإسناد : وسبق تخريجه قريبًا .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٠ و ١٩٨٠) من حديث ابن عمر مرفوعًا ، وأخرجه مسلم (٢٨٧٤) ، من حديث أنس مرفوعًا .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (١٣٧٠) ومسلم (٩٣٢) من حديث ابن عمر مرفوعًا .

وقد قال النبي ﷺ : «لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ»(١) وأيضًا فأكثر أمور الإيمان اعتقادات باطنة منا لأمور غائبة عنا وهى أعلى صفات أهل الإيمان ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[البقرة: الآية ٣] وذلك غائب عنا فى الحياة الدنيا ونحن نعلمه عن الله علم اليقين، فإذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة ورأينا ذلك عين اليقين ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝٣٩﴾[يونس: الآية ٣٩] والذى أحرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعه الذى أبدأه من لا أجزاء ولا أعضاء، وسيأتى الحديث فيه إن شاء الله. ولا فرق بين من كذب بجمع هذا وبين من كذب بجمع الناس ليوم لا ريب فيه ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾[الأعراف: الآية ٥٣] الآية. فيا أيها الطالب الحق المتحرى الإنصاف. إليك نصوص الآيات المحكمة، والسنن القائمة، فألق لها سمعك وأحضر قلبك، وانظر بماذا غارضها الذين فى قلوبهم زيغ وكيف تتبعوا ما تشابه، وأعرضوا عن المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكم بالمتشابه ولم يردوا علم ما غرب عنهم علمه إلى عالمه، واحمد الله تعالى إذ هداك لما اختلفوا فيه ووفقك لما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون فى العلم ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾[الأنعام: الآية ٩٣] الآية. قال أئمة التفسير ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾[الأنعام: الآية ٩٣] أي: إليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾[الأنعام: الآية ٩٣] وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم الحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾[الأنعام: الآية ٩٣] أي: اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٨)، وأحمد (٣/ ١٧٦، ٢٧٣)، وغيرهما من حديث أنس مرفوعًا، وأخرجه مسلم (٢٨٦٧)، وأحمد (٥/ ١٩٠)، من حديث زيد بن ثابت مرفوعًا.

وسيأتى فى الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريبًا إن شاء اللَّه . ووجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهرانى أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئًا من ذلك ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب ، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لا يعلمون بشيء مما يقاسون الشدائد فلأن يفعل به فى قبره وأعظم منه ولا يعلمه من كشف عنه أولى وأظهر ، لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم ، فلابد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر اللَّه تعالى به فى المحتضر فيلزمهم ما ورد فى عذاب القبر ، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه اللَّه ورسوله فبشره بتأويل هذه الآية إذا صار إلى ما صار إليه المكذبون .

وقال : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾[إبراهيم: الآية ٢٧] وهذه الآية نصها فى عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال فى القبر حقيقة ، وإن من أنكر ذلك اعتمادًا على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون اللَّه يفعل ما يشاء .

وقال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ .

روى ابن أبي حاتم بسنده عن عائشةرضي الله عنها أنها قالت : «ويل لأهل المعاصى من أهل القبور ، تدخل عليهم فى قبورهم حيات سود - أو دُهْمٌ - حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا فى وسطه ، فذلك العذاب فى البرزخ الذى قال اللَّه تعالى : ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[المؤمنون: الآية ١٠٠][(١)] » وتقدم حديث أبى هريرةرضي الله عنه فى ذلك قريبًا وسيأتى الأحاديث فيه ، وقال تعالى : ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[غافر: الآية ١١] ذكر العينى هذه الآية فى شرح هذا الباب من صحيح البخارى وقال : فإن اللَّه تعالى ذكر الموتة مرتين وهما لا تتحققان إلا أن يكون فى القبر حياة وموت حتى تكون إحدى الموتتين ما يتحصل عقيب الحياة فى الدنيا ، والأخرى ما يتحصل عقيب الحياة التى فى القبر . اهـ .

---

(١) ضعيف : أخرجه ابن أبي حاتم ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٥٦) وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف ، وسلمة بن تمام البصري مجهول .

قلت : وهذا هو تفسير السدى فى هذه الآية حيث قال : أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا فأحيوا يوم القيامة . اهـ[(١)] .

والآية تحتمله ، لكن المشهور عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم أن هذه الآية كقوله ﷻ : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: الآية ٢٨] [(٢)] وقد قدمنا الجمع بين هذين التفسيرين . ولله الحمد والمنة .

وقال تعالى : ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: الآية ١٠١] قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصرى وسعيد وقتادة وابن إسحاق ما حاصله : إن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار[(٣)] .

وقال تعالى : ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: الآية ٢١] قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة : يعنى به عذاب القبر[(٤)] .

وقال تعالى فى قوم نوح : ﴿مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: الآية ٢٥] وقال تعالى : ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۝٤٥ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۝٤٦﴾ روى ابن أبى حاتم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «**إن أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر تسرح بهم فى الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح ولدان المؤمنين فى أجواف عصافير تسرح فى الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة فى العرش وإن أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها**»[(٥)] .

وفى حديث الإسراء الطويل الذى أخرجه البيهقى وابن جرير وابن أبى حاتم من رواية

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨) من طريق أسباط بن نصر عن السدي، وإسناده ضعيف لضعف أسباط.

(٢) هذا التفسير صحيح من قول ابن مسعود، حسن من قول قتادة ضعيف عن ابن عباس والضحاك، أخرج أقوالهم ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧).

(٣) صح هذا عن قتادة وابن جريج وإسناده إلى الحسن وابن إسحاق وأبي مالك ضعيف، وانظر «تفسير ابن جرير» (١١/ ١٠، ١١)، و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٦).

(٤) انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٦٣).

(٥) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٨٣)، وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف.

أبى هارون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال فيه «ثم انطلق بى إلى خلق كثير من خلق الله عز وجل ، رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون ، وآل فرعون يعرضون على النار غدوًا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ، وآل فرعون كالإبل المسومة يخبطون الحجارة والشجر ولا يعقلون»[1] وفى حديث عائشة فى قصة اليهودية التى قالت لها وقاك الله : من عذاب القبر ، فأنكرت عائشة رضي الله عنها ذلك ، فلما رأت النبى ﷺ قالت له ، فقال ﷺ : «لا» قالت عائشة رضي الله عنها : ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك : «وَإِنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ»[2] وسيأتى إن شاء الله قريبًا . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : فيقال ما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوًا وعشيًا فى البرزخ ، وليس فيها دلالة - يعنى تامة - على اتصال تألمها بأجسادها فى القبور ، إذ قد يكون ذلك مختصًا بالروح ، فأما حصول ذلك للجسد فى البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة فى الأحاديث المرضية . وقد يقال : إن هذه الآية دلت على عذاب الكفار فى البرزخ ، ولا يلزم من ذلك أن يعذب المؤمن فى قبره بذنبه[3] .

وهذا الجواب هو الراجح عندى لما يدل عليه قوله ﷺ : «إنما يفتن يهود» ، وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمته تفتن . والجواب الأول مرجوح لأن الآيات أيضًا صريحة فى اتصال عذاب القبر بالروح والجسد ، وما ليس صريحًا منها فمحتمل يحمل على الصريح إذ لم يجئ فى آية تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد ، وقال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قال ابن كثير رحمه الله تعالى : وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ، وينال أجسادهم فى قبورها من حرها وسمومها ، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم فى أجسادهم وخلدت فى نار جهنم ، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: الآية ٣٦] الآية[4] .

---

(١) ضعيف جدًا : أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٣) وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١١ - ١٤) و(٤/ ٨٣)، وعزاه في الموضع الأول للبيهقي في «دلائل النبوة» وابن جرير، وابن أبي حاتم في «التفسير» من طريق أبي هارون العبادي وهو عمارة بن جوين متروك . وفي حديثه ألفاظ منكرة.

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٥٨٤) وغيره.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٨٢).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٦٨).

وكذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: الآية ٣٢] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾.

إثبات عذاب القبر

«فصل» وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أنس بن مالك وعبد الله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر وأبو أيوب الأنصاري وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وسمرة بن جندب وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وسعد بن أبي وقاص وزيد بن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأم مبشر وأبو قتادة وعبد الله بن مسعود وأبو طلحة وأسماء أيضًا وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الداري وحذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف بن مالك.

فأما حديث أنس بن مالك رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عياش حدثنا عبد الأعلى حدثنا سعيد. قال: وقال لي خليفة: حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ ﷺ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ». قال النبي ﷺ: «فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»(١) ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه «قال قتادة: وذكر لنا أنه «يفسح له في قبره سبعون ذراعًا - يعني المؤمن - ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون»(٢). ولهما عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٣٨ و ١٣٤٧)، ومسلم (٢٨٧٠)، من حديث أنس.

(٢) تخريجه فيما سبق.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٦٧)، ومسلم (٢٧٠٦) من حديث أنس.

ولمسلم عنه ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ**»[١].

وأما حديث عبد الله بن عباس فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن طاووس قال ابن عباس رضي الله عنهما: «مر النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ**» ثم قال: «**بَلَى أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ يَسْعَى بِالنَّمِيمَةِ وَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ**» ثم قال: أخذ عودًا رطبًا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»[٢] رواه في مواضع من «صحيحه». ورواه مسلم أيضًا وغيره. ولهما وللنسائي عنه ﷺ أن رسول الله ﷺ «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلم السورة من القرآن يَقُولُ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ**»[٣].

وأما حديث البراء بن عازب فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا حفص بن عمر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا أُقْعِدَ الْمُؤْمِنُ فِي قَبْرِهِ أُتِيَ ثُمَّ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَذَلِكَ قَوْلُهُ**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧]»[٤] رواه في مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره. وروى الإمام أحمد عنه ﷺ قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وفي يده عود ينكت به الأرض، فرفع رأسه فقال: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» - مرتين أو ثلاثًا - ثم قال: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ** عليه السلام **حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٨)، وأحمد (٣/ ١٧٦ و ٢٧٣) من حديث أنس.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٥٩٠)، والترمذي (٣٤٩٤)، وأبو داود (١٥٤٢)، والنسائي (٤/ ١٠٤)، وابن ماجه (٣٨٤٠)، ولم يخرجه البخاري.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٦٩)، ومسلم (٢٨٧١).

وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ يَعْنِي بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي، قَالَ: وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمُ الْمُسُوحُ فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ». ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠] فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: الآية ٣١] فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ

لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ : أَنْ كَذَبَ فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ ، فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ فَيَقُولُ : رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»[1] زاد فى رواية فى قصة المؤمن : «حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ ﷿ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ مِنْ قِبَلِهِمْ»[2] وزاد فى قصة الكافر : «ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّى يَصِيرَ تُرَابًا ثُمَّ يُعِيدُهُ اللَّهُ كَمَا كَانَ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ» - قال البراء - ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فُرُشِ النَّارِ»[3].

ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه بنحوه.

وأما حديث عمر بن الخطاب فرواه مسلم من طرق عنه ﷺ قال : «إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» ، قال : فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق ما أخطئوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ . قال فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض ، وانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال : «يَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ وَيَا فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي قَدْ وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا» . قال عمر : يا رسول الله كيف تكلم أجسادًا لا أرواح فيها؟ قال : «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيَّ شَيْئًا»[4].

ولأبى داود والنسائى وابن ماجه عنه ﷺ أن النبى ﷺ كان يتعوذ من الجبن والبخل

(١) حسن : أخرجه أبو داود (٤٧٥٣)، وأحمد (٢/ ٢٨٧، ٢٨٨)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٢٩٦)، وفي «السنة» (١٥٤٣ - ١٥٤٦ بتحقيقي) من حديث البراء بن عازب مرفوعًا به.

(٢) في إسناده ضعف : أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٩٥)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٥٤٧ بتحقيقي) وفي إسناده يونس بن خباب فيه كلام يضعفه.

(٣) في إسناده ضعف : أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٢٩٦) وفي «السنة» (١٥٤٦)، وفي إسناده يونس بن خباب متكلم فيه.

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٨٧٣)، وغيره.

وعذاب القبر وفتنة الصدر»[١].

وأما حديث عبد الله بن عمر ﵄ فقال البخارى رحمه الله تعالى: «باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى». حدثنا إسماعيل قال: حدثنى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

وله عنه ﵁ قال: «اطلع النبى ﷺ على أهل القليب فقال: «وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟» فقيل له: تدعو أمواتًا؟ فقال: «مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَا يُجِيبُونَ»[٣].

وأما حديث عائشة أم المؤمنين فقال البخارى رحمه الله تعالى: «باب التعوذ من عذاب القبر فى الكسوف[٤].

حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبى ﷺ أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة ﵂ رسول الله ﷺ أيعذب الناس فى قبورهم؟ فقال رسول الله ﷺ عائذًا بالله من ذلك[٥]- ثم ذكر حديث الكسوف بطوله وفى آخره - ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٥٣٩)، والنسائي (٨/ ٢٥٥ و٢٦٦، ٢٦٧)، وابن ماجه (٣٨٤٤)، وأحمد (١/ ٢٢ و ٥٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٧٠)، والحاكم (١٩٤٣) من طريق أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب مرفوعًا به، وصححه الحاكم وهو وصحيح، وقد رواه عن أبي إسحاق على هذا الوجه: إسرائيل ويونس وزهير، وخالفهم زكريا عند النسائي (٨/ ٢٥٦) فرواه عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود مرفوعًا، وخالفهم سفيان الثوري عند النسائي (٨/ ٢٦٧) فرواه عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون مرسلًا، فأما أبو حاتم فرجح رواية الثوري على رواية زهير وزكريا بن أبي زائدة في «العلل لابنه» (٢/ ١٦٦ ح ١٩٩٠) و (٢/ ١٨٧ ح ٢٠٥٦)، قلت: ولم يذكر رواية يونس وإسرائيل وأما الدارقطني فذكر في «العلل» أن يونس وإسرائيل روايا عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عمر، وخالفهما شعبة والثوري ومسعر، فرووه عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون مرسلًا، وقال الدارقطني (٢/ ١٨٨ ح ٢٠٩): والمتصل صحيح.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٩)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٠)، ومسلم (٩٣٢).

(٤) «فتح الباري» (٢/ ٦٥٤) كتاب الكسوف، باب (٧).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٤٩) ومسلم (٩٠٣).

القبر»[1] ورواه مسلم بنحوه، وقال البخارى أيضًا «حدثنا عبدان أخبرنى أبى سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: «عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ» - قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر»[2] ووافقه عليه مسلم وغيره.

وقال مسلم أيضًا: «حدثنا هارون بن سعيد وحرملة بن يحيى، قال هارون حدثنا - وقال حرملة أخبرنا - ابن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثنى عروة بن الزبير أن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل على رسول الله ﷺ وعندى امرأة من اليهود وهى تقول: هل شعرت أنكم تفتنون فى القبور؟ قالت فارتاع رسول الله ﷺ وقال: «إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ». قالت عائشة فلبثنا ليالى. ثم قال رسول الله ﷺ: «هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ». قالت عائشة رضي الله عنها: فسمعت رسول الله ﷺ بعد يستعيذ من عذاب القبر[3] وقال رحمه الله تعالى أيضًا: «حدثنا زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم كلاهما عن جرير، قال زهير حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت على عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل على رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا على فزعمتا أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم، فقال: «صَدَقَتَا إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ كُلُّهَا»، ثم قالت فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر»[4] ولهما عنها رضي الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ عَنِّي خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَبَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ»[5] ولمسلم عنها من حديثها فى الكسوف، وفيه قوله ﷺ فى خطبته: «وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٥١)، ومسلم (٩٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٢)، ومسلم (٥٨٦).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٥٨٤)، والنسائي (٤/ ١٠٤)، وغيرهما.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٦٦) بنحوه، ومسلم (٥٨٦) واللفظ لمسلم.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٦٨)، ومسلم (ص ٢٠٧٨ ح ٥٨٩).

بَعْضُهَا بَعْضًا حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بْنَ لُحَيٍّ، وَهُوَ الَّذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ»[١].

وأما حديث أسماء بنت أبى بكر ﷺ فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبى بكر ﷺ تقول: قام رسول الله ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التى يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة»[٢].

ولهما عنها ﷺ حديث الكسوف بطوله، وفيه: فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هَذَا حَتَّى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ مِثْلَ أَوْ قَرِيبَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ». لا أدرى أيتهما قالت أسماء - يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهَذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ، لا أدرى أي ذلك قالت أسماء - فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى فَأَجَبْنَا وَآمَنَّا وَاتَّبَعْنَا، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ صَالِحًا فَقَدْ عَلِمْنَا إِنْ كُنْتَ لَمُؤْمِنًا، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوْ الْمُرْتَابُ، لا أدرى أي ذلك قالت اسماء - فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا فَقُلْتُهُ»[٣] قول: لا أدرى أي ذلك إلخ التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء ﷺ.

وأما حديث أبى أيوب الأنصارى فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا ابن المثنى حدثنا يحيى حدثنا شعبة قال: حدثنى عون بن أبى جحيفة عن البراء بن عازب عن أبى أيوب ﷺ قال: «خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا، فقال: «يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا»[٤] رواه مسلم من طريق جماعة عن شعبة به.

وأما حديث أم خالد فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا معلى حدثنا وهيب عن موسى بن عقبة قال: «حدثتنى ابنة خالد بن سعيد بن العاص أنها سمعت النبى ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر»[٥]. وقال فى كتاب الدعوات: حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا موسى بن عقبة به إلخ[٦].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٢١٢)، ومسلم (٩٠١) من حديث عائشة.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٣).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٨٤)، ومسلم (٩٠٥).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٦).
(٦) «فتح الباري» (١١/ ١٨٩) باب (٣٧) حديث (٦٣٦٤).

وأما حديث أبى هريرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا حماد بن زيد حدثنا بديل عن عبد الله بن شقيق عن أبى هريرة ﷺ قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها» قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال: «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه. فينطلق به إلى ربه ﷻ. ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وإن الكافر إذا خرجت روحه» قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعنًا «ويقول أهل السماء: روح خبيثة جاءت من قبل الأرض. قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال أبو هريرة: فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت علية على أنفه هكذا»[1] ولهما عنه ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ يدعو: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»[2].

وقال الترمذى رحمه الله تعالى: باب ما جاء فى عذاب القبر. حدثنا أبو سلمة يحيى ابن خلف البصرى أخبرنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ -أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ- أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: نَمْ، فَيَقُولُ أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ الْتَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[3].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: إنَّ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٧٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وابن حبان (٣١١٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق المدني به، وعبد الرحمن صدوق، وقال الترمذي: حسن غريب.

الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ ، قَالَ : فَلَا يَزَالُ يُقَالُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ : فُلَانٌ فَيَقُولُونَ : مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ قَالَ : فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ ﷻ وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ قَالُوا : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ ، فَلَا يَزَالُ حَتَّى تَخْرُجَ ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا . فَيُقَالُ : فُلَانٌ ، فَيُقَالُ : لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا يُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، فَتُرْسَلُ مِنَ السَّمَاءِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ»(١) .

وقال ابن حبان فى صحيحه : حدثنا عمرو بن محمد الهمدانى حدثنا زيد بن أخرم حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا قُبِضَ أَتَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ بِحَرِيرَةٍ بَيْضَاءَ فَيَقُولُونَ : اخْرُجِي إِلَى رَوْحِ اللَّهِ ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ مِسْكٍ ، حَتَّى أَنَّهُ لَيُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا يَشُمُّونَهُ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ بَابَ السَّمَاءِ فَيُقَالُ : مَا هَذِهِ الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ؟ وَلَا يَأْتُونَ السَّمَاءَ إِلَّا قَالُوا مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَأْتُوا بِهِ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَهُمْ أَشَدُّ فَرَحًا بِهِ مِنْ أَهْلِ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ . فَيَقُولُونَ : مَا فَعَلَ فُلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ : دَعُوهُ حَتَّى يَسْتَرِيحَ فَإِنَّهُ كَانَ فِي غَمٍّ فَيَقُولُ : قَدْ مَاتَ أَمَا أَتَاكُمْ؟ فَيَقُولُونَ : ذُهِبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَاوِيَةِ . وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَأْتِيهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ بِمِسْحٍ فَيَقُولُونَ : اخْرُجِي إِلَى غَضَبِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ فَيُذْهَبُ بِهِ إِلَى بَابِ الْأَرْضِ»(٢) زاد فى رواية : «وَأَمَّا الْكَافِرُ إِذَا قُبِضَتْ نَفْسُهُ وَذُهِبَ بِهَا إِلَى بَابِ الْأَرْضِ تَقُولُ خَزَنَةُ الْأَرْضِ مَا وَجَدْنَا رِيحًا أَنْتَنَ مِنْ هَذِهِ فَيَبْلُغَ الْأَرْضَ السُّفْلَى»(٣) .

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٤) والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٤٤٢) وابن ماجه (٤٢٦٢)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١٥٥٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٨/ ١٧٧) من طريق ابن أبي ذئب به .

(٢) صحيح الإسناد : أخرجه ابن حبان (٣٠١٤)، والحاكم (١٣٠٣) من طريق هشام به ، وهشام متابع من معمر عند الحاكم (١٣٠٢) وإسناده صحيح .

(٣) صحيح الإسناد : أخرجه ابن حبان (٣٠١٣) من طريق همام بن يحيى عن قتادة عن أبي الجوزاء عن أبي هريرة ، وإسناده صحيح على كلام في أبي الجوزاء أوس بن عبد الله ، وهو ممن أخرجه له الجماعة .

وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] قال: ذلك إذا قيل له فى القبر: من ربك، وما دينك، ومن نبيك؟ فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبى محمد ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت. فيقال له: صدقت، على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث»[1]، وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِكُمْ حِينَ تُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ وَالزَّكَاةُ عَنْ يَمِينِهِ وَالصَّوْمُ عَنْ يَسَارِهِ وَكَانَ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانِ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. فَيُؤْتَى عَنْ يَمِينِهِ فَتَقُولُ الزَّكَاةُ مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ فَيُؤْتَى عَنْ يَسَارِهِ فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُؤْتَى مِنْ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْخَيْرَاتِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ فَيَجْلِسُ قَدْ مُثِّلَتْ لَهُ الشَّمْسُ قَدْ دَنَتْ لِلْغُرُوبِ فَيُقَالُ: أَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ، فَيَقُولُ: دَعُونِي حَتَّى أُصَلِّي، فَيُقَالُ لَهُ: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ فَأَخْبِرْنَا عَمَّا نَسْأَلُكَ، فَيَقُولُ: وَعَمَّ تَسْأَلُونِي؟ فَيُقَالُ: أَرَأَيْتَ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ؟ فَيَقُولُ: أَمُحَمَّدٌ؟ فَيُقَالُ لَهُ: نَعَمْ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّهُ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَى ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَى ذَلِكَ مِتَّ وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُنَوَّرُ لَهُ وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ غِبْطَةً وَسُرُورًا، ثُمَّ تُجْعَلُ نَسَمَتُهُ فِي النَّسَمِ الطَّيِّبِ، وَهِيَ طَيْرٌ خُضْرٌ يَعْلَقُ بِشَجَرِ الْجَنَّةِ. وَيُعَادُ الْجَسَدُ إِلَى مَا بَدَأَ مِنَ التُّرَابِ، وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧][2] ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عمرو، وذكر

---

(١) حسن: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٢١٥) من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) حسن: أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢١٥)، وابن حبان (٣١١٣) وهناد في «الزهد» (٣٣٧)، والطبراني في «الأوسط» (٢٦٣٠)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٢٢٠) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده حسن، ورواه عن محمد بن عمرو: عبدة بن سليمان وحماد بن سلمة ومعتمر بن سليمان وعبد الوهاب بن عطاء ويزيد.

جواب الكافر وعذابه ، وقال البزار رحمه اللَّه تعالى : حدثنا سعيد بن بحر القرطيسى حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة أحسبه رفعه قال : «**إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين فيود لو خرجت - يعنى نفسه - واللَّه يحب لقاءه وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض . فإذا قال تركت فلانًا فى الأرض أعجبهم ذلك ، وإذا قال إن فلانًا قد مات قالوا ما جيء به إلينا . وإن المؤمن يجلس فى قبره فيسأل من ربك؟ فيقول : ربى اللَّه ﷻ . ويسأل من نبيك؟ فيقول : محمد ﷺ نبيي ، فيقال : ماذا دينك؟ قال : دينى الإسلام . فيفتح له باب فى قبره فيقول أو يقال : انظر إلى مجلسك . ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة . وإذا كان عدوًّا للَّه نزل به الموت وعاين ما عاين فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا واللَّه يبغض لقاءه ، فإذا جلس فى قبره أو أجلس فيقال له من ربك؟ فيقول : لا أدرى ، فيقال : لا دريت ، فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين ، ثم يقال له : نم كما ينام المنهوش**» قلت لأبى هريرة : ما المنهوش؟ قال الذى تنهشه الدواب والحيات ، ثم يضيق عليه قبره[1] .

ثم قال : لا نعلم رواه إلا الوليد بن مسلم ، وفى بعض النسخ ابن قاسم .

وأما حديث أبى سعيد وسلمان فقال البخارى رحمه اللَّه تعالى : حدثنا عبد اللَّه بن أبى الأسود حدثنا معتمر سمعت أبى حدثنا قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبى سعيد عن النبى ﷺ : «**أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا فِيمَنْ سَلَفَ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ -قَالَ كَلِمَةً يَعْنِي- أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالًا وَوَلَدًا فَلَمَّا حَضَرَتْ الْوَفَاةُ قَالَ لِبَنِيهِ : أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا : خَيْرَ أَبٍ ، قَالَ : فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ -أَوْ لَمْ يَبْتَئِزْ- عِنْدَ اللَّهِ خَيْرًا ، وَإِنْ يَقْدِرْ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ ، فَانْظُرُوا إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْمًا فَاسْحَقُونِي -أَوْ قَالَ فَاسْهَكُونِي- فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ فَأَذْرُونِي فِيهَا**» ، فقال نبى اللَّه ﷺ : «**فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي ، فَفَعَلُوا ثُمَّ أَذْرَوْهُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ فَقَالَ اللَّهُ ﷻ : كُنْ ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ ، قَالَ اللَّهُ : أَيْ عَبْدِي مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ : مَخَافَتُكَ ، أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ ، قَالَ : فَمَا تَلَافَاهُ أَنْ رَحِمَهُ عِنْدَهَا**» ، وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى : «**فَمَا**

---

(١) حسن موقوفًا : أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٣٥) من طريق البزار بهذا الإسناد ، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥٣)، وقال: رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه . اهـ . قلت (يحيى): أخرجه عبد اللَّه بن أحمد في «السنة» (١٥٥١ بتحقيقي) عن أبيه عن يحيى بن سعيد عن يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة موقوفًا ، وإسناده حسن .

تَلَافَاهُ غَيْرُهَا» فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه: «أَذْرُونِي فِي الْبَحْرِ» أو كما حدث[١] - وفي رواية له عن أبي سعيد قال: «فَفَعَلُوا فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قال: مَخَافَتُكَ. فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَةٍ»[٢].

وقال رحمه الله تعالى «باب كلام الميت على الجنازة» حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: «قال رسول الله ﷺ: «إِذَا وُضِعَتْ الْجِنَازَةُ وَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَتْ: يَا وَيْلَهَا أَيْنَ يَذْهَبُونَ بِهَا؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ»[٣].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال «شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَإِذَا الْإِنْسَانُ دُفِنَ فَتَفَرَّقَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ مَلَكٌ فِي يَدِهِ مِطْرَاقٌ فَأَقْعَدَهُ، قَالَ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ فَيَقُولُ: هَذَا كَانَ مَنْزِلُكَ لَوْ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ آمَنْتَ فَهَذَا مَنْزِلُكَ، فَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِ فَيَقُولُ لَهُ: اسْكُنْ وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا أَوْ مُنَافِقًا يَقُولُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَيَقُولُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَلَا اهْتَدَيْتَ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: هَذَا مَنْزِلُكَ لَوْ آمَنْتَ بِرَبِّكَ، فَأَمَّا إِذْ كَفَرْتَ بِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَبْدَلَكَ بِهِ هَذَا وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى النَّارِ ثُمَّ يَقْمَعُهُ قَمْعَةً بِالْمِطْرَاقِ يَسْمَعُهَا خَلْقُ اللَّهِ كُلُّهُمْ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ». فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧][٤]. ولابن مردويه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٠٨) بهذا الإسناد واللفظ، وأخرجه (٦٤٨١) من حديث أبي سعيد أيضًا، وكذا أخرجه مسلم (٢٧٥٧)، وأخرجه البخاري (٣٤٨١)، ومسلم (٢٧٥٦) بنحوه من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٧٨) من حديث أبي سعيدالخدري مرفوعًا.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٨٠).

(٤) حسن: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣) وعبدالله في «السنة» (١٥٦٢)، وابن أبي عاصم في=

﴿الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] في القبر»(١).

وأما حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن إسماعيل. حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟» قال فإن رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله. فسألنا يوما فقال: «هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قلنا لا. قال: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ - قال بعض أصحابنا عن موسى - كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ - إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الْكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الْآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ أَوْ صَخْرَةٍ فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الْحَجَرُ فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ فَقُلْتُ مَنْ هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ قَالَ يَزِيدُ وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ فَقُلْتُ مَا هَذَا قَالَا انْطَلِقْ فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ قُلْتُ طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ قَالَا نَعَمْ أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالْكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الْآفَاقَ فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ

= «السنة» (٨٦٥) من طريق عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد، وإسناده حسن، وعباد صدوق.

(١) لم أقف على إسناده إلى أبي سعيد، وقد صح معناه من حديث البراء بن عازب ومن حديث أبي هريرة مرفوعًا.

الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمْ الزُّنَاةُ وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ الصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ فَارْفَعْ رَأْسَكَ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ قَالَا ذَاكَ مَنْزِلُكَ قُلْتُ دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي قَالَا إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»[1].

وأما حديث عثمان ﷺ فقال أبو داود: حدثنا إبراهيم بن موسى الرازى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد اللّٰه بن بجير عن هانئ مولى عثمان عن عثمان ﷺ قال: «كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ بِالتَّثْبِيتِ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»[2] قال ابن حجر: صححه الحاكم.

وأما حديث على بن أبى طالب ﷺ فقال الترمذى رحمه اللّٰه تعالى: حدثنا محمد بن حاتم المؤدب أخبرنا على بن ثابت حدثنى قيس بن الربيع وكان من بنى أسد عن الأغر بن الصباح عن حذيفة بن حصين عن على بن أبى طالب ﷺ قال: «أكثر ما دعا به رسول اللّٰه ﷺ عشية عرفة فى الموقف: «**اللّٰهم لك الحمد كالذى تقول وخيرًا مما نقول. اللّٰهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، وإليك مآبى ولك رب تراثى. اللّٰهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر، اللّٰهم إنى أعوذ بك من شر ما تجيء به الريح**»[3].

وأما حديث زيد بن ثابت فقال مسلم رحمه اللّٰه تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر ابن أبى شيبة جميعًا عن ابن علية. قال ابن أيوب: حدثنا ابن علية قال وأخبرنى سعيد

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٨٦) واللفظ له، وأصله عند مسلم (٢٢٧٥) مقتصرًا على الفقرة الأولى منه.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٣٢٢١)، والحاكم (١٣٧٢) وعبد اللّٰه بن أحمد في «زوائد الزهد» (٦٨٨ بتحقيقي) وفي «السنة» (١٥٣٠ بتحقيقي) من طريق عبد اللّٰه بن بَحير عن هانئ مولى عثمان عن عثمان بن عفان مرفوعًا به، وإسناده حسن.

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٥٢٠) وابن خزيمة في صحيحه (٢٨٤١) والبيهقي في «الشعب» (٣٨٤٢) و (٤٠٧٣) جميعًا من طريق قيس بن الربيع عن الأغر عن خليفة بن حصين عن علي مرفوعًا به، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي. قلت: فيه قيس بن الربيع ضعيف.

الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ولم أشهده من النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - قال كذا كان يقول الجريرى ، فقال : «مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟» فقال رجل أنا . قال : «فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟» قال : ماتوا فى الإشراك . فقال : «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا ، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ» . ثم أقبل علينا بوجهه فقال : «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» . قالوا : نعوذ باللَّه من عذاب النار . فقال : «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قالوا : نعوذ باللَّه من عذاب القبر قال : «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ» . قالوا : نعوذ باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن . قال : «تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ» . قالوا : نعوذ باللَّه من فتنة الدجال»[1].

وأما حديث جابر بن عبد اللَّه فقال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى : حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد اللَّه عن فتانى القبر فقال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «إِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا فَإِذَا أُدْخِلَ الْمُؤْمِنُ قَبْرَهُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ جَاءَ مَلَكٌ شَدِيدُ الانْتِهَارِ فَيَقُولُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : أَقُولُ إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ وَعَبْدُهُ فَيَقُولُ لَهُ الْمَلَكُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ الَّذِي كَانَ فِي النَّارِ قَدْ أَنْجَاكَ اللَّهُ مِنْهُ وَأَبْدَلَكَ بِمَقْعَدِكَ الَّذِي تَرَى مِنَ النَّارِ مَقْعَدَكَ الَّذِي تَرَى مِنَ الْجَنَّةِ ، فَيَرَاهُمَا كِلَاهُمَا فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ : دَعُونِي أُبَشِّرْ أَهْلِي فَيُقَالُ لَهُ : اسْكُنْ ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ فَيُقْعَدُ إِذَا تَوَلَّى عَنْهُ أَهْلُهُ فَيُقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ ، فَيُقَالُ لَهُ : لَا دَرَيْتَ هَذَا مَقْعَدُكَ الَّذِي كَانَ لَكَ مِنَ الْجَنَّةِ قَدْ أُبْدِلْتَ مَكَانَهُ مَقْعَدَكَ مِنَ النَّارِ»[2]، قال جابر : فسمعت النبى ﷺ يقول : «يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ فِي الْقَبْرِ عَلَى مَا مَاتَ الْمُؤْمِنُ عَلَى إِيمَانِهِ وَالْمُنَافِقُ عَلَى نِفَاقِهِ»[3].

---

(١) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٨٦٧).

(٢) **صحيح** : أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٥٨٥ ح ٦٧٤٤) عن ابن جريج قال : أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا ، وهذا صحيح ، وأما الإسناد الذي أورده المصنف فلم أجده ، وإنما أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٦) ومن طريقه عبد اللَّه في «السنة» (١٥٥٥ بتحقيقي) عن موسى بن داود عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر به . وإسناد أحمد ضعيف لضعف ابن لهيعة ، وبه أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٨).

(٣) **صحيح** : أخره عبدالرزاق (٣/ ٥٨٦ ح ٤٧٤٦) عن ابن جريج به ، وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٤٦) ، وعبد اللَّه في «السنة» (١٥٥٦) ، من طريق ابن لهيعة به .

ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه «وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بْنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ – وفى رواية – لَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ وَذَلِكُمْ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ الْمِحْجَنِ يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الْحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ لَهُ قَالَ : إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي ، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ ، وَحَتَّى رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الْهِرَّةِ الَّتِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا» الحديث(١).

وأما حديث سعد بن أبى وقاص ﷺ فرواه البخارى من عدة طرق : عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه ﷺ قال : «كان النبى ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ»(٢).

وأما حديث زيد بن أرقم فقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى فى صحيحه : حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحاق بن إبراهيم ومحمد بن نمير واللفظ لابن نمير ، قال إسحاق أخبرنا – وقال الآخران حدثنا – أبو معاوية عن عاصم عن عبد الله بن الحارث ، وعن أبى عثمان النهدى عن زيد بن أرقم ﷺ قال : «لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول ، كان يقول : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ وَالْهَرَمِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا ، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»(٣) رواه النسائى .

وأما حديث أبى بكرة فأخرجه النسائى : عن النبى ﷺ أنه كان يقول فى أثر الصلاة : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ»(٤).

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٩٠٤)، وابن خزيمة (١٣٨٠) وأحمد (٣/ ٣٧٤) وغيرهم من حديث جابر مرفوعًا .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٣٧٠) وغيره .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٢٢)، والنسائي (٨/ ٢٨٥ و ٢٦٠) وأحمد (٤/ ٣٧١) .

(٤) حسن : أخرجه النسائي (٣/ ٧٣) و(٨/ ٢٦٢)، وأحمد (٥/ ٣٦ و٣٩ و٤٤) وابن خزيمة (٧٤٧)، وابن حبان (١٠٢٨)، والحاكم (٩٩ و ٩٢٧) جميعًا من طريق عثمان الشحام عن مسلم بن أبي بكرة عن أبيه مرفوعًا به، وإسناده حسن، عثمن لا بأس به، ومسلم صدوق .

وأما حديث عبد الرحمن بن سمرة فقال أبو عبد اللّه الحكيم الترمذى فى كتابه «نوادر الأصول» حدثنا أبى حدثنا عبد اللّه بن نافع عن ابن أبى فديك عن عبد الرحمن بن عبد اللّه عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال: «**إنى رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلا مّن أمتى جاء ملك الموت ليقبض روحه، فجاء بره بوالديه فرد عنه، ورأيت رجلًا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوءه فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلًا من أمتى قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر اللّه ﷻ فخلصه من بينهم، ورأيت رجلًا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم، ورأيت رجلًا من أمتى يلتهب عطشًا، كلما ورد حوضًا منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه، ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه، فكلموه. ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت له سترًا على وجهه وظلا على رأسه. ورأيت رجلًا من أمتى أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة، ورأيت رجلا من أمتى جاثيًا على ركبتيه، بينه وبين اللّه حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على اللّه ﷻ، ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قبل شماله، فجاءه خوفه من اللّه تعالى فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه، ورأيت رجلًا من أمتى قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه، ورأيت رجلا من أمتى قائمًا على شفير جهنم، فجاءه وجله من اللّه فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلا من أمتى هوى فى النار، فجاءته دموعه التى بكت من خشية اللّه فى الدنيا فاستخرجته من النار، ورأيت رجلا من أمتى قائمًا على الصراط كما ترعد السعفة فجاء حسن ظنه باللّه فسكن رعدته ومضى، ورأيت رجلًا من أمتي على الصراط يزحف أحيانًا ويحبو أحيانًا، فجاءته صلاته فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط، ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى باب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا اللّه ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي الحكيم في كتاب «نوادر الأصول» (٣/ ٢٣١) لكن المطبوع محذوف الأسانيد، وأنا بعون اللّه تعالى بصدد إخراجه في طبعة مسندة كاملة الأسانيد، وأورده بهذا الإسناد القرطبي=

وراه القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «تذكرته» وقال: هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالًا خاصة تنجي من أهوال خاصة[1].

وأما حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص فرواه النسائي: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَالْهَرَمِ، وَالْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ»[2].

وللحكيم الترمذى عنه رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ ذكر فتانى القبر، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أترد لنا عقولنا يا رسول اللَّه؟ قال: «نعم كهيئتكم اليوم». فقال عمر: فى فيه الحجر[3] وروى البغوى عنه رضي الله عنه موقوفًا عليه: إذا توفى العبد المؤمن أرسل اللَّه ﷻ

= في «التذكرة» (ص ٢١٦) وابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٣٦) بهذا الإسناد به، وقال القرطبي: هذا حديث عظيم ذكر فيه أعمالًا خاصة تنجي من أهوال خاصة. واللَّه أعلم. اهـ وأورده ابن القيم في «الوابل الصيب» (ص١٠٤ بتحقيقي) وعزاه لأبي موسى المديني في كتاب: «**الترغيب في الخصال المنجية والترهيب من الخلال المردية**» قال: وبنى كتابه عليه وجعله شرحًا له، وقال: هذا حديث حسن جدًا. اهـ.

ثم قال ابن القيم: وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللَّه روحه يعظم شأن هذا الحديث، وبلغني أنه كان يقول: شواهد الصحة عليه. اهـ.

وأورده ابن القيم أيضًا في كتابه «الروح» (ص ١١٢) وقال: وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث وقال: أصول السنة تشهد له، وهو من أحسن الأحاديث. اهـ. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٠، ١٨١) وقال: رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الوسطي وفي الآخر خالد بن عبدالرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف. اهـ. وأورده المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٢١- ٢٦) وذكر في آخره أن الحافظ العراقي عزاه للخرائطي في «مكارم الأخلاق»، وقال العراقي: وسنده ضعيف، ونقل المناوي عن ابن الجوزي قوله: هذا الحديث لا يصح.

قلت (يحيى): وانظر أيضًا «تاريخ واسط» (ص١٦٩) و«العلل المتناهية» (٢/ ٦٩٨ ح ١١٦٥) و«لسان الميزان» (٦/ ٩) و«ضعيف الجامع» (٢٠٨٥) وانظر لتفصيل طرقه والكلام عنها كتابي: «**جامع أحكام القبور وما يتعلق بها**» يسر اللَّه إتمامه.

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي» (ص ٢١٧).

(٢) حسن: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٨/ ٢٦٩) وفي «السنن الكبرى» (٧٩٣٢) وأحمد في «المسند» (٢/ ١٨٥، ١٨٦) وعبداللَّه في «السنة» (١٥٧٥) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا به.

(٣) ضعيف: أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (١/ ١٧٥) و(٤/ ١٥٩) والمطبوع محذوف الأسانيد، وأخرجه أحمد (٢/ ١٧٢)، من طريق ابن لهيعة عن حيي المعافري عن أبي عبد الرحمن=

ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها: اخرجي يا أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض، فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة - أو نسمة طيبة - فلا تمر بباب إلا فتح لها، ولا يملك إلا صلى عليها، حتى يؤتى بها الرحمن ﷻ فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين. ثم يؤمر فيوسع عليه قبره، سبعون ذراعًا عرضه، وسبعون ذراعًا طوله، وينبذ له الريحان، وإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس في قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله إليه، وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال: يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى جهنم وعذاب أليم، ورب عليك غضبان[1].

وأما حديث أبيه عمرو بن العاص فرواه مسلم في قصة وفاته مطولًا، وفيه: «فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار، فإذا دفنتموني فشنوا على التراب شنًا، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جذور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي ﷻ»[2].

وأما حديث أم مبشر فأخرجه عنها ابن أبي شيبة في مصنفه قالت: دخل على النبي ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجار فيه قبور منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج فسمعته يقول «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» قلت: يارسول الله وللقبر عذاب؟ قال: «إِنَّهُمْ لَيُعَذَّبُونَ عَذَابًا فِي قُبُورِهِمْ تَسْمَعُهُ الْبَهَائِمُ»[3].

وأما حديث أبي قتادة ﷺ فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم

= الحبلي عن عبد الله بن عمرو عن عمر بن الخطاب به، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وأخرجه ابن حبان (٣١١٥) وابن عدي (٢/ ٤٥٠) من طريق ابن وهب عن حيي به، وهذا منقطع، حيي مات سنة ١١٨ هـ وابن وهب ولد سنة ١٢٥ هـ.

(١) ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٣/ ٥٦٤ ح ٦٧٠٢) عن معمر عن زيد بن أسلم عن عبد الرحمن البيلماني عن عبد الله بن عمرو موقوفًا، وإسناده ضعيف لضعف ابن البيلماني.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٢١) وغيره.

(٣) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (١٢٠٣٤)، وأحمد (٦/ ٣٦٢) وابن حبان (٣١٢٥)، وابن أبي عاصم (٨٧٥) وهناد في «الزهد» (٣٤٩) جميعًا من طريق الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مبشر مرفوعًا به، وأبو سفيان هو طلحة بن نافع أخرج له الجماعة.

الأودى حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبى إسحاق عن عامر بن سعد البجلى عن أبى قتادة الأنصارى ﷺ فى قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] الآية قال : «إن المؤمن إذا مات أجلس فى قبره فيقال له : من ربك؟ فيقول : الله ﷻ. فيقال له : من نبيك؟ فيقول : محمد بن عبد الله ﷺ. فيقال له ذلك مرات ، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له : انظر إلى منزلك من النار لو زغت ، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له : انظر إلى منزلك من الجنة إذ ثبت . وإذا مات الكافر أجلس فى قبره فيقال له : من ربك ، من نبيك؟ فيقول : لا أدرى . كنت أسمع الناس يقولون ، فيقال له : لا دريت . ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال : انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبت . ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له : انظر إلى منزلك إذ زغت . فذلك قوله تعالى : ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧]» [١].

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن إبراهيم بن سويد عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله ﷺ قال : كان نبى الله ﷺ إذا أمسى قال : «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَى الْمُلْكُ لِلَّهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ» قال أراه قال فيهن : «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، رَبِّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَخَيْرَ مَا بَعْدَهَا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ ، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ» ، وإذا أصبح قال ذلك أيضًا : «أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ» [٢] حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا حسين بن على عن زائدة عن الحسن بن عبيد الله إلخ بنحوه ، وفيه : «اللَّهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر» [٣] وقال النسائى : أخبرنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا الفضل بن موسى عن زكريا عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ﷺ قال : «كان النبى ﷺ يتعوذ من

---

(١) حسن موقوفًا : أخرجه ابن أبي حاتم ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٣٦) من طريق إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي قتادة موقوفًا ، وإسناده حسن ، إبراهيم صدوق يهم ، وباقي رجال الإسناد ثقات ، ومن طريق إبراهيم أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٣٤٧).

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٢٣) وأبو داود (٥٠٧١) والترمذي (٣٤٠١).

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٢٣).

خمس: «من البخل، والجبن، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر»[١].

وروى الطحاوى عنه ﷺ عن النبى ﷺ: «أمر بعبد من عباد الله أن يضرب فى قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ عليه قبره نارًا» الحديث[٢] ذكره العينى فى «شرح البخارى» والله أعلم بصحته. وعزاه فى «التبصرة» إلى أبى القاسم الحريرى، وتقدم عنه قريبًا حديث أم حبيبة وفيه الاستعاذة من عذاب القبر.

وأما حديث أبى طلحة فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنى عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا أنس بن مالك عن أبى طلحة أن نبى الله ﷺ أمر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلًا من صناديد قريش فقذفوا فى طوى من أطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه أصحابه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان بن فلان، يا فلان بن فلان، «أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا»؟ قال: فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال رسول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ» قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخًا وتصغيرًا ونقمة وحسرة وندمًا[٣].

وأما حديث أسماء الآخر فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء - يعنى بنت الصديق رضي الله عنهما - تحدث عن النبى ﷺ قال: «إذا دخل الإنسان قبره فإن كان مؤمنًا أحف به عمله الصلاة والصيام، قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فترده، ومن نحو

---

(١) معلول: أخرجه النسائي (٨/ ٢٦٧) وإسناده معلول، والصحيح من حديث عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب مرفوعًا وسبق الكلام عنه قبل صفحات.

(٢) حسن: أخرجه الطحاوي ومن طريقه أورده ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٣/ ٢٩٩) عن فهد بن سليمان عن عمرو بن عون عن جعفر بن سليمان عن عاصم عن شقيق عن ابن مسعود مرفوعًا، وإسناده حسن، وفهد بن سليمان رجل مشهور ترجم له ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٨٩) وقال: كتبت فوائده، ولم يقض لنا السماع منه، قلت: وهو من شيوخ أبي عوانة والدولابي وممن أخرج له ابن خزيمة في «صحيحه».

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٧٦) واللفظ له، وأخرجه مسلم (٢٨٧٣) مختصرًا من حديث أنس.

الصيام فيرده، قال: فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ يعني النبي ﷺ قال: من؟ قال: محمد. قال: أشهد أنه رسول الله، قال: فيقول: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث. وإن كان فاجرًا أو كافرًا جاءه الملك ليس بينه وبينه شيء يرده فأجلسه فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أي رجل؟ قال: محمد. قال: يقول: والله ما أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته. قال له الملك: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث. قال: ويسلط عليه دابة في قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ما شاء الله صماء لا تسمع صوته فترحمه»(١) والأنسب لمكان هذا الحديث أن ينقل عند حديثي أسماء الأولين.

وأما حديث عبد الرحمن بن حسنة فقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال: «انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومعه درقة ثم استتر بها ثم بال، فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال: «أَلَمْ تَعْلَمُوا مَا لَقِيَ صَاحِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، كَانُوا إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَوْلُ قَطَعُوا مَا أَصَابَهُ الْبَوْلُ مِنْهُمْ فَنَهَاهُمْ فَعُذِّبَ فِي قَبْرِهِ»(٢)، ورواه النسائي وابن ماجه.

وأما حديثا تميم الداري فرواه أبو يعلى الموصلي بسنده عنه مطولًا بسياق عجيب ومتن غريب(٣) وغالب معناه في الأحاديث الصحيحة فلا نطيل بسياقه استغناء عنه بغيره ولله الحمد والمنة.

وأما حديث حذيفة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال: قال عقبة لحذيفة ألا تحدثنا ما سمعت من النبي ﷺ؟ قال: سمعته يقول: «إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ لَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ: إِذَا

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٢) والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٠٥ح٢٨١) من طريق حجين به، وإسناده صحيح.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (٢٦) وفي «المجتبى» (١/ ٢٦) وابن ماجه (٢٣)، وأحمد (٤/ ١٩٦) وأبو يعلى (٩٣٢) وابن حبان (٣١٢٧) وابن أبي شيبة (١٣٠٣) من طريق الأعمش به.

(٣) ضعيف جدًا: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٥٣٧ - ٥٣٩) من طريق أبي يعلى الموصلي بإسناده عن يزيد الرقاشي عن تميم الداري مرفوعًا، وقال ابن كثير: هذا حديث غريب جدًا، وسياق عجيب، ويزيد الرقاشي رواية عن أنس له غرائب ومنكرات وهو ضعيف عند الأئمة، والله أعلم.

مُتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، ثُمَّ أَوْرُوا نَارًا حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي فِي الْيَمِّ فِي يَوْمٍ حَارٍّ أَوْ رَاحٍ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتَكَ، فَغَفَرَ لَهُ». قال عقبة وأنا سمعته يقول: حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة حدثنا عبدالملك وقال: «فِي يَوْمٍ رَاحٍ»[1].

وقد تقدمت هذه القصة من حديث أبى سعيد الخدرى.

وقد رواها البخارى رحمه اللَّه تعالى أيضًا من حديث أبى هريرة فقال: حدثنى عبد اللَّه بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ، فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ خَشْيَتُكَ فَغَفَرَ لَهُ،» وقال غيره: «مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ»[2]، ومحل هذا الحديث مع أحاديث أبى هريرة المتقدمة فلينقل إلى هناك.

وأما حديث أبى موسى فرواه أحمد والترمذى وحسنه الحاكم وصححه وهذا لفظ أحمد: عن أبى موسى ﷺ أن النبى ﷺ قال: «الميت يعذب ببكاء الحى، إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسياه، جبذ الميت وقيل: أنت عضدها، أنت ناصرها، أنت كاسيها؟»[3].

ولفظ الترمذى: «ما من ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟»[4].

وأما حديث النعمان بن بشير فرواه الشيخان البخارى ومسلم عنه ﷺ قال: «أغمى على عبد اللَّه بن رواحة، فجعلت أخته عمرة تبكى: واجبلاه، واكذا واكذا تعدد عليه،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٧٩) وحديث أبي سعيد أخرجه البخاري (٣٤٧٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٨١) وغيره.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤) والترمذي (١٠٠٣)، وابن ماجه (١٥٩٤) والروياني (٥٢١) والحاكم (٣٧٥٥) جميعًا من طريق موسى بن أبي موسى الأشعري عن أبيه مرفوعًا به، وصححه الحاكم، وقال الترمذي: حسن غريب، قلت: موسى مجهول الحال.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (١٠٠٣) وانظر ما سبق.

فقال حين أفاق : ما قلت شيئًا إلا قيل لي : أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه ﷺ»(١) .

وأما حديث عوف بن مالك فقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثني هارون بن سعيد الأيلي أخبرني ابن وهب أخبرني معاوية بن صالح عن حبيب بن عبيد عن جبير بن نفير سمعه يقول سمعت عوف بن مالك يقول صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول : «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الْأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» قال حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت(٢) .

وفي رواية : «وَقِهِ فِتْنَةَ الْقَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ»(٣) .

نصوص الكتاب والسنة في لقاء الله

وَبِاللِّقَا وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ... وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ
غُرْلًا حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ ... يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ ذَا يَوْمٌ عَسِرْ

أي : ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله ﷻ الحاصل فيه، قال الله تعالى : ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ۝٤٥ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝٤٦﴾ وقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨﴾[المؤمنون: الآية ٥٨] وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ۝٦﴾[الانشقاق: الآية ٦] وقال تعالى : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: الآية ١١٠] وقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ وقال تعالى : ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾[الأنعام: الآية ٣١] وقال تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾[يونس: الآية ١٥] وقال تعالى : ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝٥﴾[العنكبوت: الآية ٥] وقال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾[البقرة: الآية ٢٢٣] وقال تعالى : ﴿قَالَ الَّذِينَ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٢٦٧)، ولم يخرجه مسلم .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٩٦٣)، وابن حبان (٣٠٧٥)، وغيرهما .
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٩٦٣).

يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٩]
وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ [الفرقان: الآية ٣٢] وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة: الآية ٧٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ [النبأ: الآية ٢٧] وغيرها من الآيات.

وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» فقلت: يانبى الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت. فقال: «لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ- وفي رواية- وَالْمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللَّهِ»[1].

وفيه عن شريح بن هانئ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قال فأتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول الله ﷺ حديثًا إن كان كذلك فقد هلكنا. فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول الله ﷺ، وما ذاك؟ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» وليس من أحد إلا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول الله ﷺ، وليس بالذى تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه[2].

وفيه عن عبادة بن الصامت وأبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ المرفوع منه دون شرحه[3].

وفيه عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: «قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لا. قال: «فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟» قالوا: لا. قال: «فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٨٤) وغيره، والروايتان لمسلم.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٨٥).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٠٧) ومسلم (٢٦٨٣) من حديث عبادة بن الصامت مرفوعًا، وأخرجه البخاري (٦٥٠٨) ومسلم (٢٦٨٦) من حديث أبي موسى مرفوعًا.

تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا ، قَالَ : فَيَلْقَى الْعَبْدَ فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ فَيَقُولُ : بَلَى ، قَالَ فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي . ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ، فَيَقُولُ : بَلَى أَيْ رَبِّ فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي . ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ فَيَقُولُ : هَاهُنَا إِذًا ، قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ : انْطِقِي ، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ ، وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»[1] .

وفى حديث القراء أصحاب بئر معونة «بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه»[2] .

وروى أنه كان قرآنًا فنسخت تلاوته . والآيات والأحاديث فى إثبات لقاء اللَّه ﷻ كثيرة جدًا ، ومن كذب بذلك كفر .

الإيمان بالبعث والنشور

«والبعث والنشور» أى : ويدخل فى الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث والنشور ، قال اللَّه تبارك وتعالى لبنى إسرائيل ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ وقال تعالى : ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾[البقرة: الآية ٧٣] . وقال تعالى : ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾[البقرة: الآية ٢٤٣] وقال تعالى : ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾[البقرة: الآية ٢٨] وقال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٩٦٨) وغيره .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨١٤) ومسلم (٦٧٧) من حديث أنس مرفوعًا .

اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨) أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)﴾ وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)﴾ [الأعراف: الآية ٥٧]، وقال تعالى: ﴿۞ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥)﴾ [الرعد: الآية ٥]. وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠) قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾، الآيات. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣) وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)﴾ وقال تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)﴾ [التوبة: الآية ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ۞ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: الآية ١٠٤] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)﴾ [الكهف: الآية ١٢] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا

بَيْنَهُمْۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْۖ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍۚ قَالُواْ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: الآية ١٩] - إلى قوله - ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: الآية ٢١] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: الآية ٩٩] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ الآيات إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ [طه: الآية ٥٥] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١] وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ وقال تعالى عن كفر عاد: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾﴾ [النور: الآية ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣] وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَنْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: الآية ٤٥] وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [يونس: الآية ٣٤] وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: الآية ٦٤] إلى قوله تعالى: ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَإِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ - إلى قوله - ﴿قُلْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: الآية ٧٢] - إلى قوله - ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: الآية ٨٧] الآيات. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾﴾ - إلى قوله - ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الروم: الآية ١١]

الآيات – إلى قوله – ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ﴿٢٥﴾ وله من في السماوات والأرض كل له قانتون ﴿٢٦﴾ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿٢٧﴾﴾ – إلى قوله – ﴿ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون﴾ [الروم: الآية ١٩] الآيات. وقال تعالى: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: الآية ٤٠]. وقال تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون ﴿٤٨﴾ وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين ﴿٤٩﴾ فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ﴿٥٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ﴿٥٥﴾ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون ﴿٥٦﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴿٢٨﴾﴾ [القمان: الآية ٢٨]. وقال تعالى: ﴿وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد بل هم بلقاء ربهم كافرون ﴿١٠﴾ ۞ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴿١١﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٦٣] وقال تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿٤٨﴾ قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون ﴿٣٠﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴿٥١﴾﴾ [سبأ: الآية ٥١] الآيات. وقال تعالى: ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد ﴿٧﴾﴾ [سبأ: الآية ٧]. وقال تعالى: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾ [فاطر: الآية ٩] وقال تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴿١٢﴾﴾ [يس: الآية ١٢] وقال تعالى: ﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴿٣٣﴾﴾ [يس: الآية ٣٣] الآيات. وقال تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴿٤٨﴾ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ﴿٤٩﴾ فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ﴿٥٠﴾ ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون ﴿٥١﴾ قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴿٥٢﴾ إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون ﴿٥٣﴾﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴿٧٧﴾ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ﴿٧٨﴾

قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ وقال تعالى: ﴿أَمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ وقال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ * يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ الآيات، وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)﴾ [فصلت: الآية ٣٩] وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ (٥٤)﴾ [فصلت: الآية ٥٤] وقال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: الآية ٧] وقال تعالي: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١)﴾ [الزخرف: الآية ١١] وقال تعالي ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ (٣٥) فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٦) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٣٧) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٩) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٠)﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٢)﴾ [الجاثية: الآية ٢٢] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦)﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣)﴾ [الأحقاف: الآية ٣٣] وقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا

كِتَٰبٌ حَفِيظٌ (٤)﴾ إلى آخر السورة. وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا (١)﴾ [الذاريات: الآية ١] إلى قوله ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ (٦)﴾ وقال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ (١) وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ (٧) مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ (٨) يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا (٩) وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا (١٠) فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ (١١)﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥)﴾ [الطور: الآية ٤٥] الآيات وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ (٤٢) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ (٤٣) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (٤٤)﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ (٦) خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨)﴾ الآيات، وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ [القمر: الآية ٤٦] وقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ (٣١)﴾ [الرحمن: الآية ٣١] إلى آخر السورة وسورة الواقعة بتمامها، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: الآية ١٢] الآيات. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ (٦)﴾ [المجادلة: الآية ٦] - إلى قوله - ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: الآية ٧]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ (١٨)﴾ [المجادلة: الآية ١٨] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: الآية ١٣] وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: الآية ٩] الآية، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٨)﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: الآية ٢] وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥)﴾ [القلم: الآية ٣٥] الآيات، وسورة الحاقة بكمالها، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١)﴾ [المعارج: الآية ١] الآيات، وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (٤٣) خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ (٤٤)﴾ وقال تعالى: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١)﴾ [المزمل: الآية ١١] الآيات. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ (٨) فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)﴾ وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤)﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ

عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ وجاء جوابه فى الحديث «بلى إنه على كل شيء قدير»[١] وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾﴾[الإنسان: الآية ١] الآيات بل السورة بتمامها، وجميع السور التى بعدها. المرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والطارق والغاشية والفجر والبلد وغيرها من السور، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفاصيل ما فيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والإرشاد إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبر فى بدنه ويستدل به على إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسودادها، فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل بالعاجل وعلى الغيب بالشهادة، فيقول ﷻ ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾[ق: الآية ١١] ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾[فاطر: الآية ٩] ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[الروم: الآية ١٩] ﴿كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة: الآية ٧٣].

وأما الأحاديث فى هذا الباب فكثيرة جدًّا، وقد تقدم كثير منها فى مواضع متفرقة، وقال البخارى رحمه اللَّه تعالى: حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «قَالَ اللَّهُ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ»[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى فى «مسنده» حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشير بن جحاش قال: إن رسول اللَّه ﷺ بصق يومًا فى كفه فوضع عليها إصبعه، قال رسول اللَّه ﷺ: «قَالَ اللَّهُ ﷻ: بَنِي آدَمَ أَنَّى تُعْجِزُنِي وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ، حَتَّى إِذَا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ وَلِلْأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ،

---

(١) الحديث الوارد في ذلك ضعيف، أخرجه أبو داود (٨٨٧)، والترمذي (٣٣٤٧)، وأحمد (٢/ ٢٤٩)، والحميدي (٩٩٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣١٠) وفي «شعب الإيمان» (٢٠٩٧) من طريق رجل أعرابي لم يسم عن أبي هريرة مرفوعًا. وإسناده ضعيف للرجل المبهم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٧٤) وغيره.

فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ قُلْتَ : أَتَصَدَّقُ ، وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ»[١] .

ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هارون عن حريز بن عثمان به .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن العاص بن وائل أخذ عظمًا من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ : أيحيي الله هذا بعدما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ : «نعم ، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم» قال : ونزلت الآيات من آخر يس[٢] .

وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال : هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث ، منها : وقال رسول الله ﷺ : «إِنَّ فِي الْإِنْسَانِ عَظْمًا لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَدًا فِيهِ يُرَكَّبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» . قالوا : أي عظم هو يا رسول الله؟ قال : «عَجْبُ الذَّنَبِ»[٣] وفيه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ»[٤] .

---

(١) **حسن** : أخرجه أحمد (٤/ ٢١٠) ، وابن ماجه (٢٧٠٧) والحاكم (٣٨٥٥ و ٧٩١٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ١٢٣) ، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٢٧) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٣٢ ح ١١٩٣) وفي «مسند الشاميين» (١٠٨٠) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٤٧٣) جميعًا من طريق حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشير بن جحاش مرفوعًا به ، وإسناده حسن ، وصححه الحاكم ، وفيه عبد الرحمن بن ميسرة وثقة العجلي ، وقال ابن المديني مجهول ، لكن قال أبو داود شيوخ حريز كلهم ثقات .

(٢) **في إسناده ضعف** : أخرجه ابن أبي حاتم بهذا الإسناد ، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٥٨٢) وأخرجه الإسماعيلي في «معجم شيوخه» (٣/ ٧٤٢) والضياء المقدسي في «المختارة» (٨٢) من طريق عثمان بن سعيد الزيات به ، وعثمان قال عنه أبو حاتم : لا بأس به . ولم يوثقه غيره وانظر «التهذيب» وهومتابع من عمرو بن ميمون عند الحاكم (٣٦٠٦) وصححه الحاكم . وإسناده صحيح ، وعمرو ثقة ، وأبو بشر هو جعفر بن إياس من أثبت الناس في سعيد بن جبير ، إلا أن عثمان وعمرو خالفهما يعقوب بن إبراهيم وهو ثقة فرواه عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير مرسلًا ، أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٣٠) وهذا أصح لكونه غير الجادة ، وخالف الثلاثة : محمد بن بكار وهو ثقة فرواه عن هشيم عن حصين عن أبي مالك مرسلًا ، أخرجه الحارث في «مسنده» (٧١٩ زوائد الهيثمي) وكلهم يذكر أن الرجل هو العاص بن وائل لكن أخرجه ابن جرير (٩/ ٢٠٥) عن معمر عن الزهري مرسلًا وفيه أن الرجل هو أبي بن خلف .

(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٩٥٥) .

(٤) **صحيح** : أخرجه مسلم (٢٩٥٥) .

وقال رحمه اللَّه تعالى: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ» - قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال أبيت، قالوا أربعون شهرًا؟ قال أبيت، قالوا أربعون سنة؟ قال أبيت - «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ» قَالَ: «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(١).

ورواه البخارى عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش بمعناه، دون قوله: «ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً»(٢)، وتقدم حديث عبد اللَّه بن عمرو قريبًا وفيه: «ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ أَوْ قَالَ: يُنْزِلُ اللَّهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ -أَوْ الظِّلُّ نُعْمَانُ الشَّاكُّ- فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، قَالَ: فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ»(٣).

وفى «الصحيح» عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إِنِّي أَوَّلُ مَنْ يَرْفَعُ رَأْسَهُ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْآخِرَةِ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى مُتَعَلِّقٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَكَذَلِكَ كَانَ أَمْ بَعْدَ النَّفْخَةِ»(٤) وفى حديث الصور الآتى قريبًا إن شاء اللَّه: «ثم ينزل اللَّه عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر اللَّه السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر اللَّه الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات الطراثيت - أو كنبات البقل - حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال اللَّه عز وجل: ليحيا حملة العرش، فيحيون، ويأمر اللَّه عز وجل إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيا جبريل وميكائيل، فيحييان. ثم يدعو اللَّه بالأرواح ليؤتى بها، تتوهج أرواح المسلمين نورًا وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها فى الصور، ثم يأمر اللَّه تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٤).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٠) وسبق.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٣).

البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض، فيقول وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم ثم تمشى فى الأجساد كما يمشى السم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون» الحديث (١)، وروى الإمام عبد اللّه بن الإمام أحمد فى «مسند أبيه» وفى «كتاب السنة» له قال: كتبت إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك، فحدث بذلك عنى، قال حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامي قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى عن دلهم بن الأسود بن عبد اللّه بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافدًا إلى رسول اللّه ﷺ ومعه صاحب له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول اللّه ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام فى الناس خطيبًا فقال: **«أيها الناس، ألا إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام، ألا لتسمعوا اليوم. ألا فهل امرئ بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسول اللّه ﷺ؟ ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال، ألا إنى مسئول، هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا»**. فجلس الناس. وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت: يارسول اللّه ما عندك من علم الغيب؟ فضحك فقال: **«ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمها إلا اللّه ﷻ»**، وأشار بيده، فقلت: ما هن يارسول اللّه؟ قال: **«علم المنية، قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم المنى حين يكون فى الرحم، قد علمه وما تعلمونه. وعلم ما فى غد، قد علم ما أنت صانع ولا تعلمه. وعلم يوم الغيث، يشرف عليكم أزلين. مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب»**. قال لقيط: فقلت لن نعدم من رب يضحك خيرًا يا رسول اللّه. قال: **«وعلم يوم الساعة»**. قلنا يا رسول اللّه علمنا مما تعلم الناس وتعلم، فأنا من قبيل لا يصدق تصديقنا أحد، من مذحج التى تدنو علينا، وخثعم التى توالينا، وعشيرتنا التى نحن منها. قال: **«تلبثون فيها ما لبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم يبعث الصيحة، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها شيئًا إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك ﷻ يطوف فى الأرض وخلت البلاد، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ما تدع على ظهرها من**

(١) ضعيف الإسناد: وسيأتي الكلام عنه في بابه.

مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوى جالسًا، فيقول ربك مهيم لما كان فيه، يقول يا رب أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثًا بأهله». فقلت: يارسول الله فكيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع؟ قال: «أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله، الأرض أشرقت عليها وهى في مدرة بالية، فقلت لا تحيا أبدًا، ثم أرسل الله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أيامًا حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض، فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم». قال قلت: يا رسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: «أنبئك بمثل هذا فى آلاء الله، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولا تضامون فى رؤيتهما». قلت: فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك ﷺ بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك ما يخطئ وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فينضحه - أو قال: فينطحه - بمثل الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسرًا من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك ﷺ أو إنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظمأ والله ناهلة قط ما رأيتها، فلعمر إلهك ما يبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منها واحدًا». قال: قلت: يا رسول الله فيم نبصر؟ قال: «بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار». قال: قلت: يا رسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قال ﷺ: «الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو». قال: قلت: يا رسول الله ما الجنة وما النار؟ قال: «لعمر إلهك إن النار لها سبعة أبواب ما منها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عامًا». قلت: يا رسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال: «على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من خمر ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة. ولعمر إلهك ما تعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة». قلت: يارسول الله أو لنا فيها أزواج ومنهن المصلحات؟ قال: «المصلحات للصالحين» وفى لفظ «الصالحات للصالحين تلذونهن ويلذونكم مثل لذاتكم فى الدنيا غير أن لا توالد». قال لقيط: فقلت يارسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبى ﷺ قال: فقلت: يارسول الله علام أبايعك. فبسط النبى ﷺ يده وقال: «على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال المشرك وأن لا تشرك بالله

إلهًا غيره» . قال قلت : يارسول اللّه وإن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض رسول اللّه ﷺ يده وظن أنى مشترط ما لا يعطينيه . قال قلت : نحل منها حيث شئنا ولا يجنى على امرئ إلا نفسه . فبسط يده وقال : «**لك ذلك تحل حيث شئت ولا يجنى عليك إلا نفسك**» . قال : فانصرفنا عنه ثم قال : «**ها إن ذين، هنا إن ذين - مرتين ، من اتقى الناس فى الأولى والآخرة**» . فقال : له كعب بن الخدارية أحد بنى بكر بن كلاب : من هم يارسول اللّه؟ قال : «**بنو المنتفق بنو المنتفق أهل ذلك منهم**» . قال : فانصرفنا . وأقبلت عليه فقلت : يارسول اللّه هل لأحد ممن مضى من خير فى جاهليتهم؟ فقال : رجل من عرض قريش : واللّه إن أباك المنتفق لفى النار . قال : فكأنه وقع حر بين جلد وجهى ولحمه مما قال : لأبى على رءوس الناس ، فهممت أن أقول وأبوك يارسول اللّه ، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت : يارسول اللّه وأهلك؟ قال : «**وأهلى ، لعمر اللّه حيث ما أتيت على قبر كافر عامرى أو قرشى أو دوسى قل : أرسلنى إليك محمد ، فأبشر بما يسوؤك ، تجر على وجهك وبطنك فى النار**» . قال : قلت : يارسول اللّه وما فعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه ، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ : «**ذلك بأن اللّه بعث فى آخر كل سبع أمم نبيا فمن عصى نبيه كان من الضالين ، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين**»[1]، ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال : حدثنا محمد بن منصور الجواز أبو عبد اللّه قال : حدثنا يعقوب بن عيسى الزهرى قال : حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن قال : حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى ثم السمعى عن دلهم بن الأسود بن عبد اللّه عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافدًا إلى رسول اللّه ﷺ ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق . قال : فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب فصلينا معه صلاة الغداة ، فقام رسول اللّه ﷺ فى الناس خطيبًا وذكر الحديث بنحو ما تقدم مع مغايرة بعض الألفاظ[2]، وقال : الحافظ ابن القيم بعد أن ساقه فى الهدى عن زوائد المسند : هذا حديث كبير جليل

---

(١) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبداللّه بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ١٣)، وفي «السنة» (١٢٠٨ بتحقيقي) وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣٦) والحاكم (٤/ ٦٠٥)، والطبراني في المعجم الكبير» (١٩/ ٢١١ ح ٤٧٧) من طريق دلهم بن الأسود عن أبيه عن عاصم بن لقيط عن أبيه ، ومن طريق دلهم عن أبيه عن عمه لقيط به ، ورواه عن دلهم عبد الرحمن بن عياش السمعي ، وإسناده ضعيف عبد الرحمن ودلهم الأسود ثلاثتهم مجاهيل . وفي بعض ألفاظ الحديث اختلاف في الروايات وإبهام غير متضح المعنى .

(٢) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة رقم (٤٣٥) بتحقيقي .

تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لا يعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيرى وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما فى الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخارى، ورواه أئمة السنة فى كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا فى أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل فى «مسند أبيه» وفى «كتاب السنة» وقال: كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ما كتبت به إليك فحدث به عنى، ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو النبيل فى «كتاب السنة» له.

ومنهم الحافظ أبو أحمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال فى «كتاب المعرفة». ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى فى كثير من كتبه، ومنهم الحافظ أبو محمد عبد اللَّه بن محمد بن حبان أبو الشيخ الأصبهانى فى «كتاب السنة»، ومنهم الحافظ ابن الحافظ أبو عبد اللَّه محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى ابن منده حافظ أصبهان ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد اللَّه بن إسحاق الأصبهانى، وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم. وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعانى، وعبد اللَّه بن أحمد بن حنبل وغيرهما. قد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازى وأبو حاتم وأبو عبد اللَّه محمد بن إسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم فى إسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاهل أو متجاهل أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبى عبد اللَّه بن منده[١].

قلت: وقال ابن كثير بعد إيراده فى الوفود: هذا حديث غريب جدًّا، وألفاظه فى بعضها نكارة، وقد أخرجه الحافظ البيهقى فى كتاب «البعث والنشور»، وعبد الحق الأشبيلى فى «العاقبة»، والقرطبى فى كتاب «التذكرة فى أحوال الآخرة». انتهى[٢].

قلت: وقد تكلم ابن القيم عن غريب بعض مفرداته فقال رحمه اللَّه تعالى: قوله

---

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٦٧٨ طبعة الرسالة» وهو تحت الطبع بتحقيقي مشاركة مع الشيخ مسعد كامل. طبعة دار ابن رجب.

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ١٥٣) طبعة دار ابن رجب.

«تهضب» أي: تمطر، و«الأصواء» القبور. «والشربة» بفتح الراء الحوض الذي يجمع فيه الماء، وبالسكون الحنطة، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب. وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها. وقوله «حس» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال: الأصمعي: وهي مثل أوه. وقوله: يقول ﷺ **«أو إنه»** قال ابن قتيبة: فيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفًا كأنه قال: أنتم كذلك، أو أنه على ما يقول: و«الطوف» الغائط، وفي الحديث «لا يصل أحدكم وهو يدافع الطوف والبول». و«الجسر» الصراط. وقوله: فيقول ربك «مهيم» أي: ما شأنك وما أمرك وفيم كنت؟ وقوله «يشرف عليكم أزلين» الأزل بسكون الزاي الشدة والأزل على وزن الكتف هو الذي قد أصابه الأزل واشتد به حتى كاد يقنط. وقوله «فيظل يضحك» هو من صفات أفعاله ﷻ التي لا يشبهه فيها شيء من مخلوقاته كصفات ذاته. وقد وردت هذه القصة في أحاديث كثيرة لا سبيل إلى ردها كما لا سبيل إلى تشبيهها وتحريفها، وكذلك «**فأصبح ربك يطوف في الأرض**» هو من صفات فعله كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ﴾ [الفجر: الآية ٢٢] ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: الآية ١٥٨] و«**يَنْزِلُ رَبُّنَا كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا**»[١] - «**ويدنو عشية عرفة فيباهي بأهل الموقف الملائكة**»[٢]. والكلام في الجميع صراط واحد مستقيم: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولا تعطيل. وقوله «والملائكة الذين عند ربك» لا أعلم موت الملائكة جاء في حديث صريح إلا هذا وحديث إسماعيل بن رافع الطويل في الصور، وقد يستدل عليه بقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾[الزمر: الآية ٦٨].

وقوله: «**فلعمر إلهك**» هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها وأنها قديمة وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر ويوصف بها. وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر، دالة عليها. وقوله: «**ثم تجيء الصائحة**» هي صيحة البعث ونفخته. وقوله «حتى يخلف من عند رأسه» هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده تشبيه النشئة الأخرى بعد الموت بخلاف الزرع بعدما حصد، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع وقوله «فيستوي جالسًا» هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائمًا، ثم يساق إلى موقف القيامة إما

(١) سبق تخريجه، وهو صحيح.
(٢) سبق تخريجه.

راكبًا وإما ماشيا . وقوله «يقول يارب أمس اليوم» استقلالًا لمدة لبثه فى الأرض كأنه لبث فيها يومًا فقال : أمس ، أو بعض يوم فقال : اليوم ، يحسب أنه حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم . وقوله «كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع»؟ وإقرار رسول اللّه ﷺ له على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون فى دقائق المسائل ، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان ، بل كانوا مشغولين بالعمليات ، وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعمليات . وفيه دليل أنهم كانوا يوردون على رسول اللّه ﷺ ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات ، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم . وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه ، أما أعداؤه فللتعنت والمغالبة ، وأما أصحابه فللفهم والبيان وزيادة الإيمان ، وهو يجيب كلًا على سؤاله ، إلا مالا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة ، وفى هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعدما فرقها وينشئها نشأة أخرى أو يخلقه خلقًا جديدًا كما سموا فى كتابه كذلك فى موضعين منه . وقوله «أنبئك بمثل ذلك فى آلاء اللّه» آلاؤه نعمه وآياته التى تعرف بها إلى عباده ، وفيه إثباته القياس فى أدلة التوحيد والمعاد ، والقرآن مملوء منه ، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره وأنه سبحانه إذا كان قادرًا على شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله ، فقد قرر اللّه سبحانه أدلة المعاد فى كتابه أحسن تقرير وأبينه وأبلغه وأوصله إلى العقول والفطر ، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيبًا له وتعجيزًا له وطعنًا فى حكمه ، تعالى عما يقولون علوًا كبيرًا . وقوله : فى الأرض : «**أشرفت عليها وهى مدرة بالية**» كقوله تعالى : ﴿يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: الآية ٥٠] ، وقوله : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: الآية ٣٩] ، ونظائره فى القرآن كثيرة . وقوله : «**فتنظرون إليه وينظر إليكم**» فيه إثبات صفة التجلى للّه ﷻ وإثبات النظر له وإثبات رؤيته فى الآخرة ونظر المؤمنين له . وقوله : «**كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد**» قد جاء هذا الحديث وفى قوله فى حديث آخر «**لا شخص أغير من اللّه**»(١) والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولا يقع فى قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص ، بل هم أشرف عقولًا وأصح أذهانًا وأسلم قلوبًا من ذلك ، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عيانًا برؤية الشمس والقمر تحقيقًا لها ونفيا لتوهم المجاز الذى يظنه المعطلون ، وقوله «فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٤٩٩) وغيره وسبق .

قبلكم» فيه إثبات صفة اليد للَّه ﷻ بقوله وإثبات الفعل الذى هو النضح، و«الريطة» الملاءة. و«الحمم» جمع حممة وهى الفحمة. وقوله «ثم ينصرف نبيكم» هذا انصراف من موضع القيامة إلى الجنة. وقوله «ويفرق على أثره الصالحون» أى: يفزعون ويمضون على أثره. وقوله: «**فتطلعون على حوض نبيكم**» ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسر. وقد روى البخارى عن أبى هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَقَالَ لَهُمْ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟ فَقَالَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**»[1] قال: فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون فى الموقف قبل الصراط لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار. قلت: وليس بين أحاديث رسول اللَّه ﷺ تعارض ولا تناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدق بعضه بعضًا، وأصحاب هذا القول إن أرادوا أن الحوض لا يرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراط فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو لا يناقض كونه قبل الصراط، فإن قوله «طوله شهر وعرضه شهر» فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذى يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده فهذا فى حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق واللَّه أعلم. وقوله: «**واللَّه على أظمأ ناهلة قط**» الناهلة العطاش الواردون الماء. أى: يردونه أظمأ ما هم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط فإنه جسر النار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتد ظمؤهم إلى الماء فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه فى موقف القيامة. وقوله «تحبس الشمس والقمر» أى: تختفيان فتحتبسان ولايريان، والاحتباس التوارى والاختفاء، ومنه قول أبى هريرة «فانحبست». وقوله: «**ما بين البابين مسيرة سبعين عامًا**» يحتمل أن يريد به ما بين الباب والباب هذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين، ولايناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عامًا لوجهين: أحدهما: أنه لم يصرح فيه راويه بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرة أربعين عامًا، والثانى: أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه واللَّه أعلم. وقوله فى خمر الجنة: «**ما بها صداع ولا ندامة**» تعريض بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

والمال وحصول الشر الذى يوجبه زوال العقل، و«ماء غير آسن» هو الذى لم يتغير بطول مكثه، وقوله فى نساء الجنة «غير أن لا توالد» قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين: قالت طائفة: لا يكون فيها حبل ولا ولادة، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه فى «المسند» وفيه «غير أن لا منى ولا منية»[(١)].

وأثبتت طائفة من السلف الولادة فى الجنة واحتجت بما رواه الترمذى فى «جامعه» من حديث أبى الصديق الناجى عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي**»[(٢)] قال: الترمذى حسن غريب، ورواه ابن ماجه. قالت الطائفة الأولى: هذا لا يدل على وقوع الولادة فى الجنة فإنه علقه بالشرط فقال: إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهى، وهذا تأويل إسحاق بن راهويه حكاه البخارى عنه، قالوا والجنة دار جزاء على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاء، قالوا والجنة دار خلود ولا موت فيها فلو توالد فيها أهلها على الدوام والأوابد لما وسعتهم، وإنما وسعتهم الدنيا بالموت. وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت: «إذا» إنما تكون للمحقق وقوعه لا المشكوك فيه، وقد صح أنه سبحانه ينشئ فى الجنة خلقًا ليسكنهم إياها بلا عمل، قالوا وأطفال المسلمين أيضًا فيها بغير عمل، وأما من حيث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم، فإن أدناهم من ينظر فى ملكه مسيرة ألفى عام، وقوله: «يارسول الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون» لا جواب لهذه المسألة لأنه أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله، وإن أراد أقصى ما نحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار فلا تعلم نفس أقصى ما ينتهى إليه من ذلك وإن كان الانتهاء إلى نعيم وجحيم، ولهذا لم يجبه النبى ﷺ وقوله فى عقد البيعة «وزيال المشرك» أى: مفارقته ومعاداته فلا تجاوره ولا تواله، كما جاء فى الحديث الذى فى السنن: «**لَا تَرَاءَى نَارَاهُمَا**»[(٣)] يعنى المسلمين والمشركين، وقوله: «حيث ما مررت بقبر كافر فقل أرسلنى

---

(١) ضعيف: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٩٦ ح ٧٤٧٩) وفي «مسند الشاميين» (١٦١٩) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١) جميعًا من طريق خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة مرفوعًا، وإسناده ضعيف خالد بن يزيد ضعيف واتهم.

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٥٦٣) وابن ماجه (٤٣٣٨) وأحمد (٣/ ٩)، والدارمي (٢٨٣٤) وابن حبان (٧٤٠٤) وأبو يعلى (١٠٥١) وأبوالشيخ في «العظمة» (٥٨٧) جميعًا من طريق معاذ بن هشام عن أبي عن عامر الأحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد مرفوعًا، وقال الترمذي: حسن غريب.

(٣) مرسل: أخرجه الترمذي (١٦٠٤)، وأبو داود (٢٦٤٥) والشافعي في «مسنده» (ص ٢٠٢) والبيهقي=

إليك محمد» هذا إرسال تقريع وتوبيخ، لا تبليغ أمر ونهى، وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم، ودليل على أن من مات مشركًا فهو فى النار وإن مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه، وليس معهم حجة من اللَّه به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلومًا من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبار عقوبات اللَّه لأهله متداولة بين الأمم قرنًا بعد قرن، فللّه الحجة البالغة على المشركين فى كل وقت، ولو لم يكن إلا ما فطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته وأنه يستحيل فى كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد فى الأرض معلومة لأهلها، فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل واللَّه أعلم [١]. اهـ.

فصل: منكرو البعث على أربعة أصناف

ثم منكرو البعث على أربعة أصناف: صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هى أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

والصنف الثانى من الدهرية يقال: لهم الدورية، وهم منكرون للخالق أيضًا، ويعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكابروا فى المعقول وكذبوا المنقول، قبحهم اللَّه تعالى، وهاتان الطائفتان يعمهم قوله ﷻ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: الآية ٢٤]، ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [المؤمنون: الآية ٣٧] أي: يموت الآباء ويحيا الأبناء هكذا أبدًا، وهو قول الطائفة الأولى، والمعنى

= في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٠، ١٣١) و (٩/ ١٤٢) من طريق إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد اللَّه مرفوعًا، وقد رواه عن إسماعيل: مروان بن معاوية أبو معاوية، وخالفه: عبدة بن سليمان عند الترمذي (١٦٠٥) ومحمد بن العلاء عند النسائي في «الكبرى» (٦٩٨٢) فروياه عن إسماعيل عن قيس مرسلًا، ورجح الترمذي في «السنن» الإرسال، ونقل في «العلل» (٤٨٣ شرح أبي طالب القاضي) عن البخاري أن الصحيح عن قيس بن حازم مرسل، وأن المرفوع غير محفوظ.

(١) آخر كلام ابن القيم في «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٨ - ٦٨٦).

الثانى : أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبدًا ولا حساب ولا جزاء بل ولا موجد ولا معدم ولا محاسب ولا مجازى . وهذا قول الدورية .

الصنف الثالث : الدهرية من مشركى العرب ومن وافقهم ، وهم مقرون بالبداءة ، وإن اللَّه تعالى ربهم وخالقهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: الآية ٨٧] ، ومع هذا قالوا : ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الدخان: الآية ٣٥] ، فأقروا بالبداءة والمبدى، وأنكروا البعث والمعاد، وهم المذكورون فى حديث أبى هريرة الصحيح : **«وَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ»**[١] .

والصنف الرابع : ملاحدة الجهمية ومن وافقهم ، وأقروا بمعاد ليس على ما فى القرآن ولا فيما أخبرت به الرسل عن اللَّه ﷻ ، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدمًا محضًا ، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره ، فحينئذ تكون الأرض التى تحدث أخبارها وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هى هذه ، وتكون الأجساد التى تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصى ليست هى التى أعيدت بل هى غيرها ، والأبدان التى تنعم فى الجنة وتثاب ليست هى التى عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال ، بل هى غيرها تبتدأ ابتداء محضًا ، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى ! وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه اللَّه فيهم فى كافيته :

وَقَضَى بأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ خَلْقَهُ ... عَدَمًا وَيَقْلِبُهُ وُجُودًا ثَانِ
الْعَرْشُ وَالْكُرْسِي وَالأَرْوَاحُ وَالْـ ... أَمْلاَكُ وَالأَفْلاَكُ وَالْقَمَرَانِ
وَالأَرْضُ وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ وَسَائِرُ الْـ ... أَكْوَانِ مِنْ عَرَضٍ وَمِنْ جُثْمَانِ
كُلٌّ سَيفْنِيهِ الْفَنَاءَ الْمَحْضَ لاَ ... يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ كَظِلٍّ فَانِ
وَيعِيدُ ذَا الْمَعْدُومَ أَيضًا ثَانِيا ... مَحْضُ الْوَجُودِ إِعَادَةٌ بِزَمَانِ
هَذَا الْمَعَادُ وَذَلِكَ الْمَبْدَا لَدَى ... جَهْمٍ وَقَدْ نَسَبُوهُ لِلْقُرْآنِ
هَذَا الَّذِي قَادَ ابْنَ سِينَا وَالأُلَى ... قَالُواْ مَقَالَتَهُ إِلَى الْكُفْرَانِ
لَمْ تَقْبَلِ الأَذْهَانُ ذَا وَتَوَهَّمُوا ... أَنَّ الرَّسُولَ عَنَاهُ بِالإِيمَانِ
هَذَا كِتَابُ اللَّهِ أَنَّى قَالَ ذَا ... أَوْ عَبْدُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٩٧٤) وغيره، وسبق .

أَوْ صَحْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ تَابِعٌ ... لَهُمُ عَلَى الإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ
بَلْ صَرَّحَ الْوَحْيِ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ ... حَقًّا مُغَيِّرُ هَذِهِ الأَكْوَانِ
فَيُبَدِّلُ اللَّهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... وَالأَرْضُ أَيْضًا ذَاتُ تَبْدِيلاَنِ
وَهُمَا كَتَبْدِيلِ الْجُلُودِ لِسَاكِنِي النْ ... نِيرَانِ عِنْدَ النُّضْجِ مِنْ نِيرَانِ
وَكَذَاكَ يَقْبِضُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ ... بِيَدَيهِ مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ
وَتُحَدِّثُ الأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا ... أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ
وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهْيَ عَدْلٌ بِالَّذِي ... مِنْ فَوْقِهَا قَدْ أَحْدَثَ الثَّقَلاَنِ
أَفَيَشْهَدُ الْعَدَمُ الَّذِي هُوَ كَاسْمِهِ ... لاَ شَيءَ هَذَا لَيسَ فِي الإِمْكَانِ
لَكِنْ تُسَوَّى ثُمَّ تُبْسَطُ ثُمْ تُشَـ ... ـدُ ثُمَّ تُبْدَلُ وَهْيَ ذَاتُ كَيانِ
وَتُمَدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا ... مِنْ غَيرِ أَوْدِيةٍ وَلاَ كُثْبَانِ
وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا ... كَالأُسْطُوَانِ نَفَائِسَ الأَثْمَانِ
كُلٌّ يَرَاهُ بِعَينِهِ وَعِيانِهِ ... مَا لامْرِئٍ بِالأَخْذِ مِنْهُ يدَانِ
وَكَذَا الْجِبَالُ تُفَتُّ فَتًّا مُحْكَمًا ... فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُثْبَانِ
وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ ... وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الأَلْوَانِ
وَتُبَسُّ بَسًّا مِثْلَ ذَاكَ فَتَنْثَنِي ... مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاظِرِ الإِنْسَانِ
وَكَذَا الْبِحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ ... قَدْ فُجِّرَتْ تَفْجِيرَ ذِي سُلْطَانِ
وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ يأْذَنُ رَبُّنَا ... لَهُمَا فَيَجْتَمِعَانِ يلْتَقِيانِ
هَذِي مُكَوَّرَةٌ وَهَذَا خَاسِفٌ ... وَكِلاَهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ
وَكَوَاكِبُ الأَفْلاَكِ تُنْثَرُ كُلُّهَا ... كَلآلِئٍ نُثِرَتْ عَلَى مَيدَانِ
وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِرًا ... وَتَمُورُ أَيْضًا أَيمَا مَوَرَانِ
وَتَصِيرُ بَعْدَ الإِنْشِقَاقِ كَمِثْلِ هَا ... ذَا الْمُهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةً كَدِهَانِ
وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِي لاَ يفْنِيهِمَا ... أَيْضًا وَإِنَّهُمَا لَمَخْلُوقَانِ
وَالْحُورُ لاَ تَفْنَى كَذَلِكَ جَنَّةُ الْـ ... ـمَأْوَى وَمَا فِيهَا مِنَ الْوِلْدَانِ
وَلأَجْلِ هَذَا قَالَ جَهْمٌ إِنَّهَا ... عَدَمٌ وَلَمْ تُخْلَقْ إِلَى ذَا الآنِ
وَالأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى ... أَجْسَامُهُمْ حُفِظَتْ مِنَ الدِّيدَانِ
مَا لِلْبِلَى بِلُحُومِهِمْ وَجُسُومِهِمْ ... أَبَدًا وَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ يدَانِ
وَكَذَاكَ عُجْبُ الظَّهْرِ لاَ يبْلَى بَلَى ... مِنْهُ تُرَكَّبُ خِلْقَةُ الإِنْسَانِ

وَكَذَلِكَ الأَرْوَاحُ لاَ تَبْلَى كَمَا تَبْلَى الْجُسُومُ وَلاَ بِلَى اللُّحْمَانِ
وَلأَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يقِرَّ الْجَهْمُ مَا الْـ أَرْوَاحُ خَارِجَةٌ عَنِ الأَبْدَانِ
لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضٍ بِهَا قَامَتْ وَذَا فِي غَايَةِ الْبُطْلاَنِ
فَالشَّأْنُ لِلأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا أَبْدَانَهَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ شَانِ
إِمَّا عَذَابٌ أَوْ نَعِيمٌ دَائِمٌ قَدْ نُعِّمَتْ بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ
وَتَصِيرُ طَيرًا سَارِحًا مَعْ شَكْلِهَا تَجْنِي الثِّمَارَ بِجَنَّةِ الْحَيوَانِ
وَتَظَلُّ وَارِدَةً لأَنْهَارٍ بِهَا حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الْجُثْمَانِ
لَكِنَّ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي جَوْفِ طَيرٍ أَخْضَرٍ رَيانِ
فَلَهُمْ بِذَاكَ مَزِيةٌ فِي عَيشِهِمْ وَنَعِيمُهُمْ لِلرُّوحِ وَالأَبْدَانِ
بَذَلُوا الْجُسُومَ لِرَبِّهِمْ فَأَعَاضَهُمْ أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيرِ بِالإِحْسَانِ
وَلَهَا قَنَادِيلُ إِلَيهَا تَنْتَهِي مَأْوَى لَهَا كَمَسَاكِنِ الإِنْسَانِ
فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةً مِنْهَا بِهَذِي الدَّارِ فِي جُثْمَانِ
وَعَذَابُ أَشْقَاهَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي قَدْ عَايَنَتْ أَبْصَارُنَا بِعِيانِ
وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا عَرَضٌ أَبَوْا ذَا كُلَّهُ تَبًّا لِذِي نُكْرَانِ
وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِخْرَاجَ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْمَعَادِ الثَّانِي
أَلْقَى عَلَى الأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا وَاللَّهُ مُقْتَدِرٌ وَذُو سُلْطَانِ
مَطَرًا غَلِيظًا أَبيضًا مُتَتَابِعًا عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ
فَتَظَلُّ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الْوَرَى وَلُحُومُهمْ كَمَنَابِتِ الرَّيحَانِ
حَتَّى إِذَا مَا الأُمُّ حَانَ وِلاَدُهَا وَتَمَخَّضَتْ فَنِفَاسُهَا مُتَدَانِ
أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَا فَتَشَقَّقَتْ فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ الشُّبَّانِ
وَتَخَلَّتِ الأُمُّ الْوَلُودُ وَأَخْرَجَتْ أَثْقَالَهَا أُنْثَى وَمِنْ ذُكْرَانِ
وَاللَّهُ ينْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشْأَةٍ أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ
هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْـ هَادِي بِهِ فَاحْرِصْ عَلَى الإِيمَانِ
مَا قَالَ إِنَّ اللَّهَ يعْدِمُ خَلْقَهُ طُرًّا كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحَيرَانِ

قوله «**هذا الميعاد وذلك المبدأ لذى جهم**» تقدم تقريره وتقدم ترجمة جهم وبيان مذهبه وعمن أخذه ومن أخذ عنه. وقوله: «**وهو الذى قاد ابن سينا**» هو أبو على بن سينا واسمه الحسن بن عبد الله. وهو رئيس الفلاسفة ومهذب مذهبهم، له «كتاب الإشارات» الذى

هذب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلًا إلى الأديان ، وكان - فيما ذكر ابن القيم - يقول بقدم العالم وإنكار المعاد ونفى علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم وبعثه من فى القبور ، وكان ابن سينا هذا تفقه مذهب الفلاسفة من كتب الفارابى أبى نصر التركى الفيلسوف وكان الفارابى هذا قبحه اللَّه يقول بالمعاد الروحانى لا الجثمانى ، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة ، وله مذاهب فى ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين ، وتحمل ذلك عنه ابن سينا ونصره ، وقد رد عليه الغزالى فى «تهافت الفلاسفة» فى عشرين مجلسًا له كفره فى ثلاث منها وهى قوله بقدم العالم ، وعدم المعاد الجثمانى ، وقوله إن اللَّه لا يعلم الجزئيات ، وبدعه فى البواقى . قال ابن كثير : ويقال إنه تاب عند الموت فاللَّه أعلم . وقوله رحمه اللَّه «**والألى قالوا مقالته إلى الكفران**» يعنى بذلك أتباع ابن سينا وأنصار زندقته ومن أكبرهم وأشهرهم النصير الطوسى واسمه محمد بن عبد اللَّه ويقال : له الخواجا نصر الدين ، فإنه انتدب لنصر مذهب ابن سينا والذب عنه وقام فى ذلك وقعد وشرح إشاراته وكان يسميها فيما يزعمون قرآن الخاصة ، ويسمى كتاب اللَّه تعالى قرآن العامة ، ورد على الشهرستانى فى مصارعته ابن سينا بكتاب سماه «مصارعة المصارع» ، قال ابن القيم : وقفنا على الكتابين ، نصر فيه أن اللَّه تعالى لم يخلق السموات والأرض فى ستة أيام ، وأنه لا يعلم شيئًا ، وأنه لا يفعل شيئًا بقدرته واختياره ، ولا يبعث من فى القبور ، وذكر عنه أنه تعلم السحر فى آخر الأمر فكان ساحرًا يعبد الأصنام ، إلى أن قال : وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الكافرين باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . قلت وكان الطوسى هذا فيما ذكر أهل التاريخ وزيرًا لهولاكو خان وهو الذى بنى الرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم ونقل إليها أوقاف المسلمين من النفقات والمكاتب وغيرها ، قال ابن كثير رحمه اللَّه تعالى : إنه عمل الرصد بمدينة مراغة سنة سبع وخمسين وستمائة .

فعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ورتب لكل واحد فى اليوم والليلة ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للطبيب فى اليوم درهمان ، ومدرسة لكل فقيه فى اليوم درهم ، ودار حديث لكل محدث نصف درهم فى اليوم[1] ، وقد أطال ابن القيم رحمه اللَّه تعالى فى الكلام عليه فليراجع ، وأما هولاكو خان ملك التتار الذى كان الطوسى وزيرًا له فذكر ابن كثير هلاكه فى سنة أربع وستين وستمائة وقال : كان ملكًا جبارًا كفارًا لعنه اللَّه تعالى قتل في المسلمين

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٣٠٠) طبعة دار ابن رجب .

شرقًا وغربًا ما لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم وسيجازيه على ذلك شر الجزاء، كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق، وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة، وهو كان يترامى على محبة المعقولات ولا يتصور منها شيئًا، وإنما كان همته فى تدبير الملك وتملك البلاد شيئًا فشيئًا حتى أباده الله فى هذه السنة وقيل فى سنة ثلاث وستين ودفن فى مدينة تلا. لا رحمه الله تبارك وتعالى[١].

وقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

بَلْ صَرَّحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ ... حَقًّا مُغَيِّرُ هَذِهِ الأَكْوَانِ

إلخ. يشير بذلك إلى قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨] الآيات، وإلى ما فى «الصحيحين» من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ**»[٢]، وفى «صحيح البخارى» عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ، نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ**»[٣] وفى «صحيح مسلم» عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨] قالت قلت: أين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «**عَلَى الصِّرَاطِ**»[٤] وفيه من حديث اليهودى الذى سأل رسول الله ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال: رسول الله ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**»[٥] الحديث، ولابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى عن أبى أيوب الأنصارى رضي الله عنه أن حبرًا من اليهود سأل النبى ﷺ فقال: أرأيت إذ يقول الله تعالى فى كتابه ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨] فأين الخلق عند ذلك؟ فقال: «**أضياف الله، فلن يعجزهم ما لديه**»[٦] ورواه ابن

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٣٣٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٩١).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٣١٥)، وابن خزيمة (٢٣٢) وغيرهما من حديث ثوبان.

(٦) ضعيف: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٢٥٣) من طريق أبي المغيرة عن أبي مريم عن سعيد بن ثوبان عن أبي أيوب، وإسناده ضعيف سعيد مجهول ترجمته ب «الجرح والتعديل» (٤/ ٩) و«تعجيل المنفعة» (ص ١٥٠) والراوي عنه هو أبو بكر بن عبد الله بن أبي مريم وهو ضعيف.

أبى حاتم أيضًا، وفى حديث الصور الطويل عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «**يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم فى هذه المبدلة**»(١).

وهذا هو الذى أشار رحمه الله تعالى إليه بقوله: «**وتمد أيضًا مثل مد أديمنا**» إلخ البيت، وقوله: «**وهما كتبديل الجلود لساكني النيران**» إلخ يشير إلى قول الله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: الآية ٥٦]، ووجه المشابهة بين التبديلين أن جلود الكفار كلما احترقت قيل لها عودى فعادت كما كانت، ومعنى قوله: ﴿غَيْرَهَا﴾ [النساء: الآية ٥٦] أى: صارت غيرها لعودها بعدما نضجت واحترقت، وإلا فهى هى التى عملت المعاصى فى الدنيا وبها تجازى فى الآخرة. وقال ابن عباس ﷺ: «يبدلون جلودًا بيضًا أمثال القراطيس»(٢)، يعنى: تجدد لهم الجلود التى نضجت كذاك ليتجدد لهم العذاب أبدًا والعياذ بالله، وكذلك تبديل الأرض والسموات هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهى هى، والله أعلم.

وقوله رحمه الله تعالى: «**وكذاك يقبض أرضه وسماءه بيديه**» إلخ. يشير إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: الآية ٦٧]، وفى «الصحيحين» عن ابن مسعود ﷺ قال: جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله ﷻ يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: «﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: الآية ٦٧]»(٣) الآية.

وللإمام أحمد والترمذى رحمهما الله عن ابن عباس ﷺ قال: مر يهودى برسول الله ﷺ وهو جالس فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله ﷻ السماء على ذه؟ وأشار بالسبابة، والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، كل ذلك ويشير

(١) **ضعيف**: وسيأتي في الكلام عن الصور.

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير (٥/ ١٤٢) عن ابن عمر موقوفًا بإسناد ضعيف، وليس عن ابن عباس.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤١٤) ومسلم (٢٧٨٦).

بأصابعه، قال: فأنزل الله ﷻ ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: الآية ٩١] الآية(١)»، وفي الصحيحين أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ**»(٢) وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْبِض يَوْم الْقِيَامَة الْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَع وَتَكُون السَّمَاوَات بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِك**»(٣) وفي لفظ لمسلم: «**يَأْخُذُ اللَّهُ ﷻ سَمَاوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدَيْهِ فَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - أَنَا الْمَلِكُ**» حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى أني لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ(٤)»، ولفظ أحمد رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٧] ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرب نفسه، أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرن به»(٥) ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة، يطوى ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة**»(٦).

---

(١) في إسناده ضعف: أخرجه الترمذي (٣٢٤٠) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٥١) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٣٦) من طريق أبي كدينة عن عطاء بن السائب عن أبي الضحى عن ابن عباس، وعطاء صدوق اختلط ولم يذكر العلماء أبا كدينة فيمن روي عنه قبل الاختلاط، وأبو كدينة متابع، تابعه عمران بن عيينة عن عبد الله في «السنة» (٥٣٥) لكن عمران لم يذكر أيضًا فيمن سمع من عطاء قبل الاختلاط.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٨٨).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٧٢)، وابن حبان (٧٣٢٧) والنسائي في «الكبرى» (٧٦٩٥) من طريق حماد عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلقة عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي حاتم ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٠١) وفي إسناده أبوالواصل واسمه عبد الحميد بن واصل، كذا ورد اسمه في «المعجم الأوسط» للطبراني (٦٦١) «والمختارة» للضياءالمقدسي (٢٢٩٠)، ويروي عنه محمد بن سلمة الحراني، لكن ترجم له ابن الجوزي في «الضعفاء والمتروكين» لأبي الواصل وسماه: عبد الواحد بن واصل، ونقل عن الأزدي تضعفيه (ت ٢٢٠٥) وترجم ابن حجر في «تعجيل المنفعة (ص ٥٢٧) لأبي الواصل يروي عن ابن مسعود وعنه عبد الكريم الجزري وهو مجهول.

وقوله رحمه الله تعالى: «وتحدث الأرض التى كنا بها، أخبارها» إلخ يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝﴾، وروى الإمام أحمد والترمذى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: الآية ٤] قال: «أتدرون ما أخبارها؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها»[(١)] ثم قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح غريب، وفى «معجم الطبرانى» من حديث ابن لهيعة حدثنى الحارث بن يزيد سمع ربيعة الحدسى أن رسول الله ﷺ قال: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وأنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًّا إلا وهى مخبرة»[(٢)] وقال البخارى رحمه الله تعالى: «أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد»[(٣)]، وكذا قال ابن عباس[(٤)].

وعنه ﷺ قال: قال لها ربها: قولى فقالت[(٥)].

وقال مجاهد: أوحى لها أى: أمرها[(٦)].

---

(١) ضعيف: أخرجه الترمذي (٢٤٢٩ و ٣٣٥٣)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٩٣) وأحمد (٢/ ٣٧٤) والحاكم (٣٠١٢ و ٣٩٦٥) والبيهقي في «الشعب» (٨٩٢٧) من طريق يحيى بن أبي سليمان عن المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا، وصححه الحاكم، وقال الترمذي مرة: حسن غريب، وقال مرة: حسن صحيح، قلت: وإسناده ضعيف لضعف يحيى بن أبي سليمان، وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٢٩٦) من طريق رشدين بن سعد عن يحيى بن أبي سليمان عن أبي حازم عن أنس، ويحيى ورشدين ضعيفان.

(٢) ضعيف: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ٦٥ح ٤٥٩٦) من طريق ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ربيعة الجرشي مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف ابن لهيعة، وأيضًا فربيعة مختلف في صحبته، والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٤١) وعزاه الطبراني في «الكبير» وقال: وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف.

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٦٣٩) كتاب التفسير، باب (٩٩).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦٧) عن محمد بن سنان القزاز عن أبي عاصم عن شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس: «أوحى لها: أوحى إليها» وإسناده ضعيف لضعف محمد بن سنان.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٦٦) بالإسناد السابق، والعلة واحدة.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٦٦، ٢٦٧) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد. وهذا منقطع لأن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد.

وقوله رحمه الله تعالى:

وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا كَالأُسْطُوَانِ نَفَائِسَ الأَثْمَ
كُلٌّ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ.... إلخ.

يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝﴾[الزلزلة: الآية ٢] وإلى ما رواه مسلم رحمه الله تعالى في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ: «تَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا أَمْثَالَ الْأُسْطُوَانِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، فَيَجِيءُ الْقَاتِلُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَتَلْتُ، وَيَجِيءُ الْقَاطِعُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قَطَعْتُ رَحِمِي، وَيَجِيءُ السَّارِقُ فَيَقُولُ: فِي هَذَا قُطِعَتْ يَدِي، ثُمَّ يَدَعُونَهُ فَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُ شَيْئًا»[1].

وقوله: «**وكذا الجبال تفت فتًا محكمًا**» إلخ يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۝ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۝ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝﴾، وقوله ﷻ ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾[النمل: الآية ٨٨]، الآية، وقوله ﷻ: ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ۝ فَكَانَتْ هَبَاءً مُّنبَثًّا ۝﴾، وقوله ﷻ: ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝﴾[المعارج: الآية ٩]، وفي آية القارعة ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝﴾[القارعة: الآية ٥]. وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ۝﴾[المزمل: الآية ١٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝﴾[المرسلات: الآية ١٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝﴾[التكوير: الآية ٣] وقوله ﷻ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝﴾[النبأ: الآية ٢٠]، وقوله ﷻ: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝﴾[الحاقة: الآية ١٤]، وقوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾[الكهف: الآية ٤٧]، وما في معانيها من الآيات. قال ابن عباس رضي الله عنهما: سأل رجل من ثقيف رسول الله ﷺ: كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾[طه: الآية ١٠٥][2] أي: هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[طه: الآية ١٠٥] أي: يذهبها عن أماكنها ويسيرها تسييرًا فيذرها أي: الأرض قاعًا صفصفًا أي: بسطًا واحدًا، والقاع هو: المنبسط المستوى من الأرض، والصفصف الأملس ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۝﴾[طه: الآية ١٠٧] أي: لا ترى في الأرض يومئذ واديًا ولا رابية ولا صدعًا ولا أكمة ولا مكانًا منخفضًا ولا مرتفعًا». كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصري

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٣) والترمذي (٢٢٠٨) وغيرهما.

(٢) لم أقف له على إسناد.

والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم اللّه تعالى[١]، وقوله تعالى: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: الآية ٨٨] أي: قائمة واقفة، ﴿وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: الآية ٨٨] أي: تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض، قال البغوى رحمه اللّه تعالى: وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد ما بين أطرافه فى حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لا يرى لعظمه وهو سائر[٢] وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم فى قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ۝﴾ [الواقعة: الآية ٥] أي: فتتت فتًّا[٣]، وقال عطاء ومجاهد ومقاتل: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول[٤]، قال سعيد بن المسيب والسدى: كسرت كسرًا، وقال الكلبى: سيرت على وجه الأرض تسييرًا، وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت، ونظيرها ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: الآية ١٠٥][٥] وقال ابن كيسان: جعلت كثيبًا مهيلًا بعد أن كانت شامخة طويلة، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ۝﴾ [الواقعة: الآية ٦] غبارًا متفرقًا كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل الكوة وهو الهباء، وقال أبو اسحاق عن الحارث عن على ﷺ ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: الآية ٦]: كهرج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شيء[٦]، وقال العوفى عن ابن عباس: «الهباء يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فإذا وقع لم يكن شيئًا»[٧]، وقال عكرمة: «المنبث الذى قد ذرته الريح وبثته»، وقال قتادة: هباء منبثًّا، كيبيس الشجر الذى تذروه الرياح[٨] وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدى: «العهن الصوف»[٩]، وقال البغوى: كالصوف المصبوغ، ولا يقال عهن إلا للمصبوغ، قال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف

---

(١) انظر «تفسير ابن جرير» (١٦/ ٢١٢، ٢١٣) و«تفسير ابن كثير» (٣/ ١٦٦).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/ ١٨٣).

(٣) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٧/ ١٦٨) وإسناده إلى ابن عباس ضعيف للانقطاع، وإلى مجاهد ضعيف كذلك، وإلى عكرمة حسن.

(٤) أخرجه ابن جرير عن مجاهد (٢٧/ ١٦٨) بإسناد ضعيف فيه محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف.

(٥) أورده القرطبي في «تفسيره» (١٧/ ١٩٧) عن الحسن من غير عزو.

(٦) **ضعيف**: لضعف الحارث الأعور، والأثر أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٧/ ١٦٩).

(٧) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٦٩) من طريق العوفيين عن ابن عباس.

(٨) **حسن إلى قتادة**: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٦٩) عن بشر عن يزيد بن سعيد عن قتادة.

(٩) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).

الصوف[١].

وقال المنفوش: المندوف، وقال ابن كثير: المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق[٢]، وقال فى قوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: الآية ١٤] أى: تصير ككثبان الرمل بعدما كانت حجارة صماء[٣]، وقال البغوى: رملًا سائلًا، قال الكلبى: هو الرمل الذى إذا أخذت منه شيئًا تبعك ما بعده، يقال: أهلت الرمل أهيله هيلًا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه[٤]، وقال: ﴿نُسِفَتۡ﴾ [المرسلات: الآية ١٠] قلعت من أماكنها[٥]، وقال ابن كثير: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر[٦]، وقال فى ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ [النبأ: الآية ٢٠] أى: يخيل إلى الناظر أنها شيء، وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر[٧]، وقال فى ﴿نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ﴾ [الكهف: الآية ٤٧]: تذهب عن أماكنها وتزول[٨]، ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: الآية ٤٧] أى: بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يوارى أحدًا، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافية، قال مجاهد وقتادة: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: الآية ٤٧]: لا حجر فيها ولا غيابة وقال قتادة أيضًا: لا بناء ولا شجر[٩]، وقال البغوى: ﴿فَدُكَّتَا﴾ [الحاقة: الآية ١٤] كسرتا ﴿دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: الآية ١٤] كسرة ﴿وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: الآية ٢١٣] قال: وأول ما تتغير الجبال تصير رملًا مهيلًا، ثم عهنًا منفوشًا، ثم تصير هباء منثورًا[١٠].

وقوله رحمه اللّٰه تعالى: «وكذا البحار فإنها مسجورة، قد فجرت» إلخ يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ [التكوير: الآية ٦]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣﴾ [الانفطار: الآية ٣]. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: «فجر اللّٰه تعالى بعضها فى

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥١٣).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٤٤).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٣٨).
(٤) «تفسير البغوي» (٨/ ٢٥٦).
(٥) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٠٤).
(٦) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٠).
(٧) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٤).
(٨) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٨٨).
(٩) آخر كلام ابن كثير (٤/ ٨٨)، والأثر أخرجهما ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٢٥٧) فأما أثر مجاهد فضعيف، وأما أثر قتادة: «لا بناء ولا شجر» فحسن إليه.
(١٠) «تفسير البغوي» (٨/ ٢٠٩)

بعض»[١]، وقال الحسن: فجر اللَّه تعالى بعضها فى بعض فذهب ماؤها[٢]، وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها[٣]، وقال الكلبى: ملئت، وقوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: الآية ٦] قال ابن عباس: أوقدت فصارت نارًا تضطرم، وقال مجاهد ومقاتل: يعنى فجر بعضها فى بعض، العذب والملح، فصارت كلها بحرًا واحدًا[٤]، وقال الكلبى: ملئت، وقيل: صارت مياهها بحرًا واحدًا من الحميم لأهل النار، وقال الحسن: يبست وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق قطرة[٥]، والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم اللَّه أنها يفجر بعضها فى بعض فتمتلئ، ثم تسجر نارًا فيذهب ماؤها، ولهذا جمع ابن القيم رحمه اللَّه تعالى بينهما فقال: «**مسجورة قد فجرت**» واللَّه تعالى أعلم.

وقوله رحمه اللَّه تعالى: «**وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعان**» .. إلخ يشير إلى قول اللَّه ﷻ ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾، وقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: الآية ١]، خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه. ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: الآية ٩] أى: صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقال: على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: الآية ١] أظلمت، وقال العوفى عنه: ذهبت، وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت، وكذا قال الضحاك، وقال قتادة: ذهب ضوؤها، وقال سعيد بن جبير: كورت غورت، وقال ربيع بن خيثم: رمى بها، وقال أبو صالح: ألقيت، وعنه أيضًا: نكست، وقال زيد بن أسلم: تقع فى الأرض[٦]، وقال ابن جرير: والصواب عندنا من القول فى ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: الآية ١] جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها[٧]، ولابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: الآية ١] قال: يكور اللَّه تعالى الشمس والقمر والنجوم

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٨٥) وإسناده منقطع.
(٢) فيه ضعف: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٨٥) من طريق معمر عن الحسن، وفي رواية معمر عن البصريين ضعف.
(٣) حسن إلى قتادة: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٨٥) بإسناد حسن إلى قتادة.
(٤) حسن إلى قتادة: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٨٥).
(٥) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٦٨) بإسناد إلى الحسن وقتادة.
(٦) انظر «تفسير ابن جرير» (٣٠/ ٦٤) و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٧٦).
(٧) «تفسير ابن جرير» (٣٠/ ٦٤).

يوم القيامة في البحر ويبعث الله تعالى ريحًا دبورًا فيضرمها نارًا[١]، وكذا قال: عامر الشعبي، ولابن أبي حاتم عن ابن يزيد بن أبي مريم عن أبيه أن رسول الله قال في قول الله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير: الآية ١] قال: «**كورت في جهنم**»[٢] وللبخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ «**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُكَوَّرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٣].

وللبزار عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشمس والقمر ثوران في النار عقيران يوم القيامة**»[٤].

وقوله رحمه الله تعالى: «**وكواكب الأفلاك تنثر كلها**» إلخ يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير: الآية ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: الآية ٢]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ [المرسلات: الآية ٨]، أي: محي نورها وذهب ضوؤها وانكدرت: تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائر إذا سقط عن عشه قال الكلبي وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجومًا فلا يبقى نجم إلا وقع.

وقوله رحمه الله تعالى: «**وكذا الشمس تشق شقًّا ظاهرًا وتمور**» إلخ يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق: الآية ١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦﴾ [الحاقة: الآية ١٦]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٥]، وقوله ﷻ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: الآية ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: الآية ١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ [التكوير: الآية ١١]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾ [المرسلات: الآية ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩﴾ [النبأ: الآية ١٩]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطور: الآية ٩]، وقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المعارج: الآية ٨]. وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرحمن: الآية ٣٧]، وقوله: ﴿ٱنشَقَّتِ﴾ [الرحمن: الآية ٣٧] أي: صارت أبوابًا لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ [الرحمن: الآية ٣٧]

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٦٨)، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٦) من طريق مجالد وهو ضعيف عن شيخ عن ابن عباس.

(٢) **ضعيف**: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٦) من طريق ابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف للإرسال.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٠٠) بلفظ: مكوران.

(٤) **ضعيف جدًّا بهذا اللفظ**: أخرجه الطيالسي (٢١٠٣) وأبو يعلى (٤١١٦) وابن عدي (٣/ ١٠٣) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٩٣) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٣٠) من طريق درست عن يزيد بن أبان الرقاشي عن أنس مرفوعًا، ويزيد ضعيف ودرست منكر الحديث.

عن ابن عباس: «تغير لونها»[١]، وعنه قال: «كالفرس الورد»[٢]، وقال أبو صالح: «كالبرذون الورد»[٣].

وحكى البغوى وغيره أن الفرس الورد تكون فى الربيع صفراء وفى الشتاء حمراء فإذا اشتد البرد اغبر لونها، فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: الآية ٣٧] قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع: «هو جمع دهن[٤]، شبه السماء فى تلونها بلون الورد من الخيل، وشبه الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه»، وقال عطاء بن أبى رباح: «كالدهان كعصير الزيت يتلون فى الساعة ألوانًا»، وقال مقاتل: «كدهن الورد الصافى»، وقال ابن جريج: «تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حر جهنم». وقال ابن عباس والكلبى: «كالدهان أى: كالأديم الأحمر وجمعه دهنة ودهن»، وقال عطاء الخراسانى: كلون الدهن فى الصفوة، وقال قتادة: «هى اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذو ألوان»[٥]، وقال ابن كثير رحمه الله: «تذوب كما يذوب الدردى والفضة فى السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول القيامة العظيم»[٦].

وللإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم»[٧] قال الجوهرى: «الطش المطر الضعيف». وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝﴾ [الطور: الآية ٩] قال ابن عباس وقتادة: «تتحرك تحريكًا»، وعنه: «هو تشققها» وقال مجاهد: «تدور دورًا»، وقال الضحاك: «استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها فى بعض»، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك فى استدارة[٨].

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٤١) بسند ضعيف، من طريق العوفيين عنه.

(٢) **ضعيف**: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٤١) من طريق قابوس عن أبيه عن ابن عباس.

(٣) **صحيح إلى مجاهد**: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٤١).

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٤١) عن مجاهد بإسناد منقطع.

(٥) **حسن إلى قتادة**: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٤١) بإسناد حسن.

(٦) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٧٦).

(٧) **ضعيف**: أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٦) وأبو يعلى (٤٠٤١) والضياء في «المختارة» (٢٦٨٩، ٢٦٩٠) من طريق عبد الرحمن بن أبي الصهباء عن أبي غالب الباهلي عن أنس مرفوعًا، إسناده ضعيف عبد الرحمن مجهول ترجمته «بالتاريخ الكبير» (٥/ ٢٩٨) وأنكر ابن حبان على أبي غالب هذا الحديث وأورده في ترجمته في «المجروحين» (٣/ ٥٩).

(٨) انظر «تفسير ابن جرير» (٢٧/ ٢١) و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٤١).

وقال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض، وقيل تضطرب، وقال البغوي: تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة، قال: والمور يجمع هذه المعاني كلها: فهو في اللغة الذهاب والمجيء، والتردد والدوران والاضطراب [١].

وقال تعالى: ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾، عن علي قال: «**تنشق السماء من المجرة**» [٢] رواه ابن أبي حاتم، والملك: اسم جنس - أي: الملائكة - على أرجاء السماء، قال ابن عباس: على ما لم ير منها أي: حافاتها، وكذلك قال: سعيد بن جبير والأوزاعي، وقال الضحاك: أي: أطرافها، وقال الحسن البصري: أبوابها، وقال الربيع بن أنس: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض [٣]، وقوله تعالى: ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: الآية ١٨] متشقق، قال الحسن وقتادة أي: بسببه من شدته وهوله، و﴿فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: الآية ٩] قال ابن كثير: أي: انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها [٤].

وقوله رحمه الله: «**والعرش والكرسي لا يفنيهما**» إلخ وكذا قوله: «**والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى**» إلخ يعني: أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لا للفناء، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء الله إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها في مواضع كثيرة من كتابه، وسيأتي ذكر ما تيسر منها، وقد جاء في تفسير قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: الآية ٦٨]، إن المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب، وقد قال الإمام أحمد في ذلك: إنه هو اعتقاد السلف الصالح قال: فإن احتج مبتدع بقوله ﷻ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: الآية ٨٨]، و﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن: الآية ٢٦]. قيل إن المراد كل شيء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فانٍ، ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور في سورة الزمر، وأيضًا فإن الجنة دار مقام وسرور وسلامة والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت، وكذا جاء في العرش أن الله يأمره أن يأخذ الصور من

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ٣٨٧).

(٢) ضعيف: أورده ابن كثير في تفسيره» (٤/ ٤١٥) من طريق ابن أبي حاتم بإسناده عن سماك عن شيخ من بني أسد عن علي والشيخ مبهم.

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤١٥) و«تفسير ابن جرير» (٢٩/ ٥٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٠).

إسرافيل عليه السلام عند موته كما فى حديث الصور الطويل، وقوله: «**ولأجل هذا قال جهم إنها عدم**» إلخ يعنى: أن لجهم إلحادًا فى آيات الله جميعها، فكما ألحد فى آيات الأسماء والصفات ألحد أيضًا فى آيات الوعد والوعيد، وجحد وجود الجنة والنار الآن، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة فيهما وقضى أيضًا بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتى إن شاء الله.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَالأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى أَجْسَامُهُمْ حُفِظَتْ مِنَ الدِّيدَانِ

إلخ. يشير إلى ما فى السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا على من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة على**». قالوا: يا رسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال يقولون: بليت. قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[1] وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحدًا لا يصلى على إلا عرضت على صلاته حتى يفرغ**»، قال: قلت وبعد الموت؟ قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[2]، ورواه ابن ماجه بإسناد جيد، وفى رواية للطبرانى: «**لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا بَلَغَنِي صَلَاته**»، قلنا: وبعد وفاتك؟ قال: «**وَبَعْدَ وَفَاتِي إِنَّ اللَّه ﷻ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْض أَنْ تَأْكُل أَجْسَاد الْأَنْبِيَاء**»[3] والأحاديث فى بلوغ صلاتنا إليه، وعرض أعمالنا عليه كثيرة جدًا، وبعضها فى الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد[4].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (١٠٤٧ و١٥٣١)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٩١) وفي الكبرى (١٦٦٦)، وابن ماجه (١٠٨٥ و١٦٣٦)، وأحمد (٤/ ٨)، وابن خزيمة (١٧٣٣)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (١٠٢٩ و٨٦٨١) من طريق عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبي الأشعث شراحيل بن آدة عن أوس بن أوس مرفوعًا به، وإسناده صحيح.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ١٣١) مختصرًا من طريق ابن وهب به، وإسناده ضعيف للانقطاع بين أبي الدرداء وعبادة بن نسي وبين عبادة بن نسي وزيد بن أيمن.

(٣) صحيح بشواهده: وهذا اللفظ لم أقف على إسناده، وقد أورده الشوكاني في «نيل الأوطار» (٣/ ٣٠٥) وعزاه أيضًا للطبراني.

(٤) انظر فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل بن إسحاق القاضي الجهضمي بتحقيقي.

وقد ثبت أيضًا فى أجساد الشهداء أنها لا تبلى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخارى رحمه اللَّه تعالى: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال: «لما حضر أحد دعانى أبى من الليل فقال لى: ما أرانى إلا مقتولًا فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ، وإنى لا أترك بعدى أعز على منك غير نفس رسول اللَّه ﷺ، وإن على دينًا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا، فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت معه آخر فى قبره، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئته غير أذنه»(١).

ولأصحاب السنن عنه ﷺ من حديث طويل، وفيه فبينا أنا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال: يا جابر بن عبد اللَّه، واللَّه لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل»(٢).

وللبيهقى عنه ﷺ قال: لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دمًا»(٣).

وفى رواية ابن إسحاق عنه قال: «فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس»(٤)، وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يجرى العين نادى مناديه: من كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر: فحفرنا عنهم فوجدت أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره فى قبره -

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٥١) وغيره.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣١٦٥)، والترمذي (١٧١٧)، والنسائي (٤/ ٧٩)، وابن ماجه (١٥١٦) لكن لي عند أحد منهم هذا اللفظ، إنما عندهم أصل الحديث مختصرًا، وإنما ورد هذا اللفظ عند أحمد (٣/ ٣٩٧)، والدارمي (٤٥)، وهو عند الجميع من طريق الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن جابر بن عبد اللَّه، وإسناده صحيح.

ونبيح ثقة كما حررته في غير موضع، وانظر تعليقي على حديث رقم (٢٢١) من كتاب «أخلاق النبي ﷺ وآدابه» لأبي الشيخ الأصبهاني.

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٩/ ٢٤٢) من طريق سعيد بن عثمان عن إسحاق بن إسماعيل عن سفيان بن عيينة عن أبي الزبير عن جابر، وليس فيه أن الرجل حمزة. ثم أخرجه من طريق عبد الجبار بن الورد عن أبي الزبير عن جابر مصرحًا بأنه حمزة، وانظر «غوامض الأسماء المبهمة» لابن بشكوال (٢/ ٥٦٧).

(٤) أورده الشوكاني في «نيل الأوطار» (٤/ ١٦٩) وعزاه لابن إسحاق في «المغازي» عن أبي الزبير عن جابر وقال: بإسناد صحيح.

عمرو بن الجموح - ويده على جرحه - فأزيلت عنه فانبعث جرحه دمًا، ويقال: إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك، رضي الله عنهم أجمعين، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا [١]، وفي ذلك آثار كثيرة.

وقوله رحمه الله تعالى:

(وكذاك عجب الظهر لا يبلى) إلخ.

يشير إلى حديث أبي هريرة المتقدم قريبًا وفيه «وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [٢].

وقوله رحمه الله تعالى: «**وكذلك الأرواح لا تبلى**» إلخ يشير إلى ما تقدم ذكر بعضه قريبًا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أن الأرواح ليست هي مطلق حياة الجسم العارضة، بل هي حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها فيه ويفسد بخروجها منه، وهي النسمة التي يموت الإنسان بخروجها من جسده، وأنها لها حقيقة، وأنها تنفخ وتقبض وتصعد وتهبط، وأنها بعد مفارقتها الجسد إما أن تنعم أو تعذب، وإما أن تفتح لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله، أو تغلق دونها فيذهب بها إلى سجين والعياذ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمد، وأنها تجمع في الصور وتطير بنفخ إسرافيل إذا أمره الله، فتطير كل روح إلى جسدها الذي كانت تعمره في الدنيا حتى تدخله وتدب فيه دبيب السم في اللديغ حتى يقوم بشرًا سويا، وأنها بعد خروجها من الجسد تكلم وتتكلم وتسأل وتجيب وتخبر كما ثبت بنصوص الكتاب والسنة، وأما كيفية الروح وكنهها فليس لبشر العلم به ولا الاطلاع عليه، ولهذا لما سألت اليهود النبي ﷺ عنه أنزل الله تعالى جوابهم ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٥] [٣]، وقوله رحمه الله تعالى:

وَلأَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يُقِرَّ الْجَهْمُ مَا الْـ ... أَرْوَاحُ خَارِجَةٌ عَنِ الأَبْدَانِ
لَكِنَّهَا مِنْ أَعْرَاضٍ بِهَا... إلخ.

يعني: أنه مذهب الجهم في الروح هو مذهب الفلاسفة الحائرين أن الروح ليس شيئًا يقوم بنفسه بل عرض والعرض في اصطلاحهم هو ما لا يستقل ولا يستقر، فمنزلة الروح

(١) الواقدي تالف واتهم.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٥٥) وغيره، وسبق.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٢٥)، ومسلم (٢٧٩٤) من حديث ابن مسعود.

عندهم من الجسد كمنزلة السمع من السامع والبصر من المبصر، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصر والسمع والذات التي يقوم بها موجودة، فجحدوا أن لكون النفس التي هي الروح شيئًا قائمًا بنفسه، وأنه ينفخ في الجنين في بطن أمه بعد الأربعين الثالثة، وأن ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: الآية ٤٢]، وجحدوا كونها شيئًا يساق وينزع عند الموت ويعرج بها إلى الله ﷻ فيفتح لها أبواب السماء إن كانت محسنة أو تغلق دونها إن كانت مسيئة، ولا أن روح الأنبياء والمؤمنين في الرفيق الأعلى وأرواح الكفار في سجين، فكذبوا بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله، فضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل، وقوله رحمه الله تعالى:

فَالشَّأْنُ لِلأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا ... أَبْدَانَهَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ شَانِ

يعني: أن أعظم شأنًا من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبر عيانًا، والغيب شهادة والمستور مكشوفًا، والمخبأ ظاهرًا، فليس الخبر كالمعاينة ولا علم اليقين كعين اليقين، فالمصدق يرى ويجد مصداق ما جاء به النص كما علمه وتيقنه فيزداد بشرى وفرحًا وسرورًا، والمكذب يرى ويجد حور تكذيبه بذلك، وغب ما جناه على نفسه ويذوق وبال أمره، وكل يفضى إلى ما قدم.

وقوله: «إما نعيم أو عذاب» إلخ يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وغير ذلك مما في معناه من الآيات، وقدمنا منها جملة وقدمنا من الأحاديث في أحوال الاحتضار والبرزخ وما يتعلق بذلك ما يبلغ حد التواتر، فليرجع إليه، ولله الحمد والمنة.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وتصير طيرًا سارحًا مع شكلها» إلخ يشير إلى حديث كعب بن مالك المسلسل بالأئمة: «نَسَمَةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلَقُ فِي شَجَرَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ»(١) وقوله رحمه الله تعالى: «لكن أرواح الذين استشهدوا في جوف طير أخضر» إلخ.

---

(١) صحيح: أخرجه مالك في الموطأ (ص٢٤٠)، والنسائي (٤/ ١٠٨)، وابن ماجة (٤٢٧١)، وأحمد (٣/ ٤٥٥) وغيرهم، وسبق تخريجه.

يشير إلى قول الله ﷻ ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩] ، الآيات وما فى معناها . وفى «الصحيح» من حديث الأعمش عن عبد الله ابن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦٩] قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ ﷻ اطِّلَاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا**»[1] وغير ذلك من الأحاديث.

وقوله:

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِخْرَاجَ الْوَرَى ... بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْمَعَادِ الثَّانِي

أَلْقَى عَلَى الأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا ... وَاللَّهُ مُقْتَدِرٌ وَذُو سُلْطَانِ

مَطَرًا غَلِيظًا أَبْيَضًا مُتَتَابِعًا ... عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ

إلخ. يشير إلى حديث عبد الله بن عمر ﷺ بطوله وفيه: «**ثم يرسل الله - أو قال: ينزل الله - تعالى مطرًا كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس**»[2] الحديث، وفى حديث الصور الطويل: «**ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل**»[3] وهو الذى عناه بقوله «عشرًا وعشرًا بعدها عشران».

وقوله: «**أوحى لها رب السماء فتشققت**» إلخ

يشير إلى قول الله ﷻ ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾ [الانفطار: الآية ٤] ، وقوله: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾﴾ [العاديات: الآية ٩] ، قال ابن عباس: بحثت[4] ، وقال السدى: تبعثر تحرك فيخرج من فيها، وقال البغوى: «بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء»،

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٨٧) وغيره.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٤٠) وغيره.
(٣) ضعيف: وسيأتي في باب الصور.
(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٨٥) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا منقطع.

يقال: بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه[1]، وقال: في الآية الأخرى ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾[العاديات: الآية ٩]: أثير وأخرج ﴿مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾[العاديات: الآية ٩] أي: من الأموات[2].

وقوله: «**وتخلت الأم الولود**» إلخ. يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٤]، قال مجاهد وسعيد وقتادة: ألقت ما في بطنها من الأموات وتخلت منهم. اهـ[3].

وقوله: «**وأخرجت أثقالها**» إلخ. يشير إلى قوله ﷻ: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾﴾[الزلزلة: الآية ٢]، - إلى قوله - ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾[الزلزلة: الآية ٥]، قال ابن كثير رحمه الله: يعني: ألقت ما فيها من الموتى، قاله غير واحد من السلف[4]: وقد تقدم تفسيرها بإلقائها أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان، وقال البغوي رحمه الله: أثقالها موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها[5]، وقوله رحمه الله: «**والله ينشئ خلقه**» أي: هم أنفسهم لا غيرهم بعد موتهم «**في نشأة أخرى**» يشير إلى قول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾، فهذه هي النشأة الأولى قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾ [النجم: الآية ٤٧]، وهو البعث بعد الموت قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾، وما في معنى ذلك من الآيات والأحاديث، والمقصود أن الله ﷻ يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعدما فرقهم وينشرهم بعدما مزقهم، ويعيدهم كما خلقهم، قد علم الله ما تنقص الأرض منهم ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَيْءٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر: الآية ٤٤].

وقوله: «**ما قال: إن الله يعدم خلقه**» إلخ أي: لم يقل الله تعالى ولا رسوله ﷺ إنه يعدمهم العدم المحض ويأتي بغيرهم، ولا إن المثاب غير من عمل الطاعات في الدنيا، ولا إن المعذب غير من مرد على المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[النساء: الآية ٤٠]، :

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٣٥٥).
(٢) تفسير البغوي (٨/ ٥٠٩).
(٣) أخرجه ابن جرير (٣٠/ ١١٤) بإسناد حسن إلى قتادة، وبإسناد منقطع إلى مجاهد.
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٤٠).
(٥) تفسير البغوي (٨/ ٥٠١).

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: الآية ٤٦]، ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: الآية ٣١]، بل قال تعالى: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ۝﴾ [طه: الآية ٥٥]، فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها، ليسوا غيرهم كما يقوله الزنادقة قبحهم الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ: «**فتخرجون من الأصواء ومن مصارعكم**»(١) ولم يقل أنه غيركم الذى يخرج، والكلام فى هذا الباب يطول جدًّا، والنصوص فيها لا تحصى كثرة، وإنما أشرنا إلى بعض من كل، ودق من جل، وقطرة من بحر، والله المستعان.

إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التى سقنا من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصار والإيجاز ولله الحمد والمنة، ولنرجع إلى شرح أبيات المتن المذكور.

الإيمان باليوم الآخر

«**وبقيا منا ينفخ الصور**» أى: وكما يدخل فى الإيمان باليوم الآخر الموت وما بعده من فتنة القبر ونعيمه وعذابه وباللقاء والبعث والنشور والقيام من القبور كذلك يدخل فى ذلك الإيمان بالصور والنفخ الذى جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذى وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم فى ذكر الملائكة، وقد ذكر الله ﷻ النفخ فيه فى مواضع من كتابه، كقوله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝﴾ [الزمر: الآية ٦٨]، الآيات، وقال: تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ ۝﴾ [النمل: الآية ٨٧] الآيات، وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية ٧٣]، ولنسق ههنا حديث الصور بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآيات ولما اجتمع به مما تفرق فى غيره من الأحاديث وبالله التوفيق.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية الآخرى: وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبى القاسم الطبرانى فى كتابه «المطولات» قال: حدثنا أحمد بن الحسن المصرى الأيلى حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة

(١) ضعيف الإسناد: وهو في حديث لقيط بن عامر، وقد سبق بطوله.

من أصحابه فقال[١]: «**إن اللّه تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصًا بصره فى العرش ينتظر متى يؤمر**» قلت: يا رسول اللّه وما الصور؟ قال: «**القرن**» قلت: كيف هو؟ قال: «**عظيم، والذى بعثنى بالحق إن عظم دارة كعرض السموات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة القيام لرب العالمين، يأمر اللّه تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ، فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء اللّه، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهى كقول اللّه تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥﴾ [ص: الآية ١٥]، فيسير اللّه الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابًا، ثم ترتج الأرض بأهلها رجًا فتكون كالسفينة المرمية فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق فى العرش ترجرجه الرياح، وهو الذى يقول: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾، فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولى الناس مدبرين ما لهم من أمر اللّه من عاصم، ينادى بعضهم بعضًا، وهو الذى يقول اللّه تعالى: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: الآية ٣٢]، فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوا أمرًا عظيمًا لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما اللّه به عليم، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها**»، قال رسول اللّه ﷺ: «**الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك**» قال: أبو هريرة: يا رسول اللّه من استثنى اللّه ﷻ حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: الآية ٨٧]، قال: «**أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم اللّه فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب**

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢٧٣)، وابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ٣٠) و(١٧/ ١١٠) و(٢٠/ ١٨، ١٩) و(٢٣/ ١٤و١٣٢)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ١٤٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٨٢١)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٢٢٦) من طرق عن إسماعيل بن أبي رافع واختلف عليه اختلافًا كثيرًا، فمرة يجعله عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن محمد بن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن محمد بن يزيد عن رجل عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن يزيد عن رجل عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، ومرة عن يزيد بن أبي زياد عن رجل عن محمد بن كعب عن رجل عن أبي هريرة، وإسناده ضعيف، وإسماعيل متكلم فيه، وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٤٧)، وسيورد المصنف كلامه في آخر الحديث.

الله يبعثه على شرار خلقه» قال : «وهو الذى يقول الله ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾ »، «فيقومون فى ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار ﷻ فيقول: يارب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول: يارب بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة العرش وبقى جبريل وميكائيل وبقيت أنا، فيقول الله ﷻ: ليمت جبريل وميكائيل، فينطق الله تعالى العرش فيقول: يارب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت فإنى كتبت الموت على كل من كان تحت عرشى، فيموتان. ثم يأتى ملك الموت إلى الجبار فيقول: يارب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله ﷻ وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول: بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: لتمت حملة العرش. فتموت، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتى ملك الموت فيقول: يارب قد مات حملة عرشك، فيقول الله وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول: يارب، بقيت أنت الحى الذى لا تموت وبقيت أنا، فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقى، خلقتك لما رأيت، فمت، فيموت. فإذا لم يبق إلا الله القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد كان آخرًا كما كان أولًا، طوى السماء والأرض طى السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار – ثلاثًا – ثم هتف بصوته: لمن الملك اليوم ثلاث مرات فلا يجيبه أحد. ثم يقول لنفسه: لله الواحد القهار يقول الله تعالى: ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨]، فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا. ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم فى هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى من كان فى بطنها كان فى بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها، ثم ينزل الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يومًا حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعًا، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال: الله ﷻ: ليحى حملة عرشى، فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحى جبريل ومكائيل، فيحييان، ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نورًا وأرواح

الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعًا ثم يلقيها فى الصور، ثم يأمر اللَّه إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول: وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فتدخل فى الخياشيم ثم تمشى فى الأجساد كما يمشى السم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعًا إلى ربكم تنسلون ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾﴾ [القمر: الآية٨]، حفاة عراة غرلًا، فتقفون موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دمًا وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه اللَّه بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلًا، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، فيستقرئون الأنبياء نبيًّا نبيًّا كلما جاءوا نبيًّا أبى عليهم»، قال: رسول اللَّه ﷺ: «حتى يأتونى فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدًا». قال أبو هريرة: يا رسول اللَّه وما الفحص؟ قال: «قدام العرش، حتى يبعث اللَّه إلى ملكًا فيأخذ بعضدى ويرفعنى فيقول لى: يا محمد. فأقول: نعم يا رب، فيقول ﷻ: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يا رب وعدتنى الشفاعة في خلقك فاقض بينهم، قال اللَّه: قد شفعتك، أنا آتيكم أقضى بينكم». قال: رسول اللَّه ﷺ: «فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذا سمعنا من السماء حسًّا شديدًا فهالنا، فينزل أهل السموات الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتي إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا وهو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار ﷻ فى ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل فى تسبيحهم يقولون: سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان الحى الذى لا يموت، سبحان الذى يميت الخلائق ولا يموت، سبوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح، سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولا يموت. فيضع اللَّه كرسيه حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشر الجن والإنس إنى قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر

أعمالكم، فأنصتوا إلى، فإنما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيرًا فليحمد اللَّه، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. ثم يأمر اللَّه جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾. أو ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٥]، شك أبو عاصم ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: الآية ٥٩]، فيميز اللَّه الناس وتجثو الأمم، يقول اللَّه تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢٨]، «فيقضى اللَّه ﷻ بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضى بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضى للجماء من ذات القرن، فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال اللَّه لها: كونى ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتنى كنت ترابًا، ثم يقضى اللَّه تعالى بين العباد، فكان أول ما يقضى فيه الدماء، ويأتى كل قتيل فى سبيل اللَّه، ويأمر اللَّه ﷻ كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول: يارب فيم قتلنى هذا؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتهم لتكون العزة لك، فيقول اللَّه له صدقت، فيجعل اللَّه وجهه مثل نور الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتى كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول: يارب قتلنى هذا؟ فيقول تعالى - وهو أعلم: لم قتلتهم؟ فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لى، فيقول: تعست، ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان فى مشيئة اللَّه إن شاء عذبه وإن شاء رحمه، ثم يقضى اللَّه تعالى بين من بقى فى خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها اللَّه للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء، فإذا فرغ اللَّه تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق: ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون اللَّه، فلا يبقى أحد عبد من دون اللَّه إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار»، وهو الذى يقول: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٩]، فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم اللَّه فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون واللَّه واللَّه ما لنا إله إلا اللَّه، وما كنا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم، فيخرون للأذقان سجدًا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل اللَّه ﷻ أصلابهم كصياصى البقر، ثم يأذن اللَّه لهم فيرفعون ويضرب اللَّه

الصراط بين ظهرانى جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة ، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق ، أو كمر الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال ، فناج سالم ، وناج مخدوش ، ومكدوس على وجهه فى جهنم ، فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا : من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون : من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام؟ خلقه الله ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلًا ، فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله ، فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله تخيره خليلًا ، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبًا ويقول : ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإن الله قربه نجيا وكلمه وأنزل عليه التوراة فيؤتى موسى فيطلب ذلك فيذكر ذنبًا ويقول : لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم ، فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول : ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد، قال رسول الله ﷺ : فيأتونى ولى عند ربى ثلاث شفاعات وعدنيهن ، فأنطلق فآتى الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لى فأحيا ويرحب بى ، فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربى خررت له ساجدًا فيأذن الله لى من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ، ثم يقول : ارفع رأسك يا محمد واشفع تشفع وسل تعط ، فإذا رفعت رأسى يقول الله تعالى – وهو أعلم – ما شأنك؟ فأقول يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى أهل الجنة فيدخلون الجنة ، فيقول الله : قد شفعتك ، وقد أذنت لهم فى دخول الجنة» وكان رسول الله ﷺ يقول : «والذى نفسى بيده ما أنتم فى الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة ، سبعين مما ينشئ الله ﷻ وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى فى الدنيا ، فيدخل على الأولى فى غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجًا من سندس وإستبرق ، ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك فى قصبة الياقوت ، كبدها له مرآة ، وكبده لها مرآة فبينا هو عندها لايملها ولا تمله ما يأتيها مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكى قبلها ، فبينا هو كذلك إذ نودى : إنا قد عرفنا أنك لا تَمل ولا تُمل ، إلا أنه لا منى ولا منية ، إلا أن لك أزواجًا غيرها ، فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له : والله ما أرى فى الجنة شيئًا أحسن منك ولا فى الجنة شيء أحب إلى منك ، وإذا وقع أهل النار فى النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم ،

فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها»، قال رسول الله ﷺ: «فأقول يارب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيمانًا، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد، ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبة إيمانًا ثلثي دينار، ثم يقول ثلث دينار، ثم يقول ربع دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرًا قط ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع، حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاء أن يشفع له، ثم يقول: بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال: له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما يلي الشمس منها أخيضر وما يلي الظل منها أصيفر، فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذر، مكتوب في رقابهم: الجهنميون عتقاء الرحمن، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ما عملوا خيرًا لله قط. فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب، فيمحوه الله ﷻ عنهم». قال ابن كثير: ثم ذكره بطوله ثم قال: هذا حديث مشهور وهو غريب جدًّا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد ابن حنبل وابن أبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء. قال: رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جدًّا ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقًا واحدًا فأنكر عليه بسبب ذلك، وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفًا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم[1]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٠).

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»[(١)] وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر»، فقالوا: يا رسول الله وما تأمرنا؟ قال: «قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل»[(٢)].

«غر لا حفاة» الأغرل الأقلف، حفاة غير منتعلين ﴿جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: الآية ٧]، شبهوا بالجراد المنتشر لكثرته ولكونه ليس له وجهة يقصدها بل يختلف ويموج بعضه في بعض وهم كذلك، قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ۝ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٤٢)، والترمذي (٢٤٣٠)، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٨١)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، والدارمي (٢٧٩٨)، وابن حبان (٧٣١٢)، والحاكم (٣٦٣١ و٨٦٨٠)، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم جميعًا من طرق عن سليمان التيمي عن أسلم العجلي عن بشر بن شغاف عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا به، وإسناده صحيح.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٤٣١ و ٣٢٤٣) وابن ماجه (٤٢٧٣)، وأحمد (٣/ ٧، ٧٣)، وعبد بن حميد (٨٨٦)، والحميدي (٧٥٤)، وابن أبي شيبة (٢٩٥٨٧)، وابن المبارك في «الزهد» (١٥٩٧)، والطبراني في «الصغير» (٤٥)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣٩٧) جميعًا من طريق العوفي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وحسنه الترمذي، وإسناده تالف فإن عطية العوفي ضعيف جدًا في روايته عن أبي سعيد الخدري، فإنه كان يروي عن الكلبي الكذاب ويكنيه أبا سعيد، وأخرجه أحمد (١/ ٣٢٦)، وابن جرير (٢٩/ ١٥٠ و١٥١)، والحاكم (٨٦٧٧)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٢٨ ح١٢٦٧٠ و ١٢٦٧١)، وفي «الأوسط» (٣٦٦٣) من طريق العوفي عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده تالف لضعف العوفي مع الاختلاف عليه، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٧٤)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٩٥ ح٥٠٧٢) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٩) من طريق خالد أبي العلاء عن عطية عن زيد بن أرقم، وإسناده تالف أيضًا لضعف خالد وعطية مع الاختلاف عليه، ومدار الجميع على عطية العوفي.

لكن أخرجه الحاكم (٨٦٧٨) من طريق أبي يحيى إسماعيل التيمي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف إسماعيل التيمي، لكنه متابع من جرير وهو ثقة عند ابن حبان (٨٢٣)، وأبي يعلى (١٠٨٤) ومتابع من موسى بن أعين عند أبي الشيخ في «العظمة» (٣٩٦) وخالفهم سفيان الثوري وهو أوثق من الجميع فرواه عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد أخرجه أحد (٣/ ٧٣) وهذا مقدم على طريق الأعمش عن أبي صالح، لأن الأعمش عن أبي صالح طريق الجادة، والأعمش عن عطية غير الجادة، وغير الجادة مقدمة على الجادة، وعلى الأعمش خلاف آخر، فقد رواه أبو مسلم قائد الأعمش عن الأعمش عن أبي إدريس الأودي عن عطية بن أبي سعيد، أشار إلى هذه الرواية الطبراني في «الأوسط» عقب حديث رقم (٣٦٦٣)، ثم وجدت الخطيب البغدادي أخرجه في «تاريخ بغداد» (٣/ ٣٦٣) من طريق أبي مسلم قائد الأعمش عن الأعمش بالأوجه الثلاث على العطف، لكن أبو مسلم هو عبيد الله بن سعيد بن مسلم وهو ضعيف.

﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ۝٧ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى ثَلَاثِ طَرَائِقَ رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ، وَاثْنَانِ عَلَى بَعِيرٍ، وَثَلَاثَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَأَرْبَعَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَعَشَرَةٌ عَلَى بَعِيرٍ، وَيَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ تَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا، وَتَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا، وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا، وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا**»[1].

وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ يخطب فقال: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا** ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾[الأنبياء: الآية ١٠٤]»، الآية، «**وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلَائِقِ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّهُ سَيُجَاءُ بِرِجَالٍ مِنْ أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ** ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١١٨﴾، قال: «**فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**»[2]، وفي رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّكُمْ مُلَاقُو اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً مُشَاةً غُرْلًا**»[3] وفي أخرى قال: «سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر»[4]، وفيهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**»، قالت عائشة فقلت: يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: «**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**»[5].

وفي رواية النسائي «فقالت عائشة: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾[عبس: الآية ٣٧]»[6]، وروى هو وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**تحشرون حفاة عراة مشاة غرلًا**»، قال فقالت زوجته: يا رسول الله ينظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾[عبس: الآية ٣٧]، أو

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٤).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٥).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).
(٦) صحيح: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٤/ ١١٤)، وفي «الكبرى» (١١٦٤٨) وغيره من حديث عائشة.

قال: «**ما أشغلهم عن النظر**»[(١)] رواه الترمذي بنحوه وقال: حسن صحيح، وروى ابن أبي حاتم عن أنس ﷺ قال: «سألت عائشة ﷺ رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني سائلتك عن حديث فتخبرني أنت به، قال: «**إن كان عندي منه علم**».
قالت: يانبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال: «**حفاة عراة**»، قالت: واسوأتاه من يوم القيامة، قال: «**وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أو لا يكون**»، قالت: أية آية يانبي الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: الآية ٣٧][(٢)]، وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن سودة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الناس حفاة عراة غرلًا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان**»، فقلت: يارسول الله واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال: «**قد شغل الناس، لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه**»[(٣)] وفي «الصحيحين» عن قتادة عن أنس بن مالك ﷺ أن رجلا قال: يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» قال قتادة: بلى وعزة ربنا[(٤)]، قلت: وذلك قول الله ﷻ

---

(١) ضعيف الإسناد ويصح بشواهده: وهذا أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٦٤٧)، والحاكم (٢٩٩٥) من طريق ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مرفوعًا، وأخرجه الترمذي (٣٣٣٢) من طريق ثابت عن هلال عن عكرمة عن ابن عباس. وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم، وهلال متكلم فيه ولم يضبطه، وقد رواه غيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس بغير هذا اللفظ كما سبق في رواية «الصحيحين».

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٦١)، وأورده ابن كثير (٤/ ٤٧٥) من طريق ابن أبي حاتم، عن الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس به، وإسناده ضعيف لضعف عائذ بن شريح وهو مترجم له في «اللسان» (٣/ ٢٧٤).

(٣) في إسناده ضعف: أخرجه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٠)، ومن طريق أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٧٥) من طريق إسماعيل بن أبي أويس عن أبيه عن محمد بن أبي عياش عن عطاء بن يسار عن سودة به، ومن طريق ابن أبي أويس أخرجه الحاكم (٣٨٩٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٤ ح٩١)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٣٠٦٦)، وابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (١/ ٢١٩)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٣٣) وعزاه للطبراني وقال: ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عياش وهو ثقة. وقال ابن كثير: هذا حديث غريب من هذا الوجه جدًا.
قلت (يحيى): إسماعيل بن أبي أويس متكلم فيه وله تفردات، وأما محمد ففي بعض المصادر أنه ابن عياش، وفي بعضها أنه ابن أبي عياش، فإن كان هو ابن عياش العامري فمجهول، وترجمته بالجرح والتعديل (٨/ ٥١)، وإن كان هو ابن أبي عياش وهو الصواب وكذا هو في أكثر المصادر، ولم أقف على ترجمته.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦).

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] الآيات، فشتان ما بين الفريقين، وفرقان ما بين الطريقين، أولئك يفدون ركبانًا إلى جنات النعيم، ورحمة الرحمن الرحيم، وزيارة الرب العظيم، وهؤلاء يسحبون سحبًا إلى نار الجحيم، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم، ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (٨٦)﴾، قال ابن عباس: «وفدًا ركبانًا»[1].

وقال أبو هريرة: «على الإبل»[2]، وقال ابن جريج: «على النجائب»، وقال الثورى: «على الإبل النوق»، قال قتادة: «إلى الجنة»[3]، وقال على بن أبى طالب رضي الله عنه: «ما يحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت»[4]، وروى عبد الله بن الإمام أحمد فى مسند أبيه عن النعمان بن سعد قال: كنا عند على رضي الله عنه فقرأ هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥)﴾ [مريم: الآية ٨٥] قال: **«لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة»**[5]، ورواه ابن أبى حاتم وزاد: **«عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد»**[6]، ولابن أبى حاتم عنه رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥)﴾ [مريم: الآية ٨٥] فقال: ما أظن الوفد إلا الركب يا رسول الله، فقال: النبى ﷺ: **«والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون - أو يؤتون - بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداها فتغسل ما فى بطونهم من دنس، ويغتسلون**

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ١٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣١٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا منقطع.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١٢٧) من طريق رجل لم يسم عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٦/ ١٢٧) أثر ابن جريج والثوري وقتادة، وفي الأسانيد إليهم مقال.

(٤) ضعيف: أخرجه بنحوه ابن جرير (١٦/ ١٢٦) من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي، والنعمان مجهول وعبد الرحمن ضعيف، وانظر ما يأتي.

(٥) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ١٥٥)، والحاكم (٣٤٢٥)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٣١٧)، وابن جرير (١٦/ ١٢٦) بالإسناد السابق وهو ضعيف، ووقع بالأصل هنا: النعمان بن سويد وهو خطأ، صوابه: النعمان بن سعد.

(٦) ضعيف: وهذا اللفظ في الروايات السابقة إلا رواية أحمد.

من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولا أشعارهم بعدها أبدًا، وتجرى عليهم نضرة النعيم فينتهون - أو فيأتون - باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين»(١) وذكر الحديث مطولًا والصحيح وقفه. ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: الآية ٨٦] أي: عطاشًا قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد الجماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش. قلت: ولكنهم وردوا لا إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها، ومهلها وحميمها. وفى حديث الشفاعة الطويل: «فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ أَلَا تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا» الحديث(٢).

فسبحان اللَّه وبحمده اللَّه أكبر، كانوا فى الدنيا على السواء يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يؤتاها من يحبه اللَّه ومن لا يحب، فلما جاءهم الموت عرف كل منهم سبيله، واتضح له مقيله. فلما كانوا فى البرزخ خلا كل منهم بعمله وأفضى إلى ما قدم قبل أجله، فبينما هو كذلك إذ صرخ بهم الصارخ وصاح بهم الصائح، فخرجوا من الأجداث مسرعين، وإلى الداعى مهطعين. هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه، هؤلاء فى النور ينظرون، وأولئك فى ظلمات لا يبصرون. هؤلاء إلى الرحمن يفدون، وأولئك إلى النار يردون. هؤلاء حلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا. وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطونًا منهم وظهورًا. هؤلاء وقاهم اللَّه شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورًا، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرًا، متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، وأولئك أعتد اللَّه لهم سعيرًا، إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظًا وزفيرًا، وإذا ألقوا منها مكانًا ضيقًا مقرنين دعوا هنالك ثبورًا، لا تدعوا اليوم ثبورًا واحدًا وادعوا ثبورًا كثيرًا، هؤلاء عليهم حلل السندس والإستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنون في الأصفاد سرابيلهم من قطران.

---

(١) ضعيف: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٣٨) و(٤/ ٦٩) من طريق ابن حاتم بإسناده عن علي، وذكر ابن كثير في الموضوع الأول أن هذا الحديث غريب جدًا، وقال في الموضع الثاني: هذا حديث غريب، وكأنه مرسل. اهـ.

قلت: وفي إسناده أبو معاذ البصري سليمان بن أرقم وهو ضعيف ولم يسنده بل أرسله، والراوي عنه مسلمة بن جعفر البجلي وهو ضعيف أيضًا وترجمته باللسان (٦/ ٤١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

هؤلاء إلى زيارة ربهم يركبون، وأولئك إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون هؤلاء ينظرون إلى ربهم بكرة وعشية، وأولئك تركوا في جهنم جثيا، هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وما هم بخارجين من النار. هؤلاء يقرون بذنوبهم فيغفرها لهم رب العالمين، وأولئك ينادى بهم على رءوس الأشهاد، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين فحينئذ ظهر الفرقان وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، والمستور مكشوفًا، والمخبأ ظاهراً ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: الآية ٢٨]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢١]، كم كاسٍ في الدنيا طال يومئذ عريه، كم طاعم في الدنيا عظم يومئذ جوعه، كم ريان في الدنيا اشتد عطشه، كم ناعم في الدنيا حق به يومئذ بؤسه ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

الاجتماع ليوم الفصل

وَيجْمَعُ الخَلْقَ لِيَوْمِ الفَصْلِ جَمِيعهمْ عُلْوِيهِمْ وَالسُّفْلِي
فِي مَوْقِفٍ يجُلُّ فِيهِ الخَطْبُ وَيَعْظُمُ الهَوْلُ بِهِ وَالكَرْبُ

«ويجمع الخلق» أولهم وآخرهم «ليوم الفصل» يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، سماه الله تعالى يوم الفصل لذلك، وسماه يوم التغابن لكثرة المغبونين يومئذ، وسماه يوم الجمع لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وسماه يوم التلاق؛ لأنه يلقى فيه العبد ربه، ويلقى فيه العامل عمله، ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهل السموات والأرضين، وسماه يوم القيامة؛ لأن فيه قيام الخلائق من القبور، وسماه يوم التناد، لتنادي العباد بعضهم بعضًا، ولمناداة الله ﷻ عباده فيه، وبندائهم ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون، ولتنادي أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولمناداة أصحاب الأعراف كلًا من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك قال الله ﷻ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: الآية ٨٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: الآية ٩]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: الآية ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾

[الكهف: الآية ٩٩] . وقال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا * وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ، وقال تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ ، وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ ، وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ﴾[التوبة: الآية ٧٧] ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ ، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾[النبإ: الآية ٣٨] ، ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾[الفرقان: الآية ٢٥] ، وقبل ذلك ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾[الفرقان: الآية ٢٢] ، وقال في السعداء: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾[الأنبياء: الآية ١٠٣] ، وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾ ، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾[القصص: الآية ٦٢] ، إلى قوله - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾[القصص: الآية ٦٥] ، وقال تعالى: في مناداة المنافقين المؤمنين: ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[الحديد: الآية ١٤] ، الآيات، وقال تعالى: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ، إلى قوله في أصحاب الأعراف ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[الأعراف: الآية ٤٦] - إلى قوله - ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ﴾[الأعراف: الآية ٤٨] - إلى قوله - ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾[الأعراف: الآية ٥٠] ، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾[هود: الآية ١٨] ، وغيرها من الآيات.

«**وجميعهم علويهم**» وهم: عوالم السموات «**والسفلي**» وهو: عوالم الأرضين، وقد تقدم في حديث الصور كيفية صفوفهم وتضعيفهم وإحاطة بعضها ببعض. «**في موقف**» عظيم «**يجل**» يشتد «**فيه الخطب**» الشأن والأمر «**ويعظم الهول**» الأمر الفظيع الهائل «**به**» أي: فيه «**والكرب**» الحزن الآخذ بالنفس والهم والغم، وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴿٤٣﴾﴾ ، وقال

تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَـٰظِمِينَ﴾ [غافر: الآية ١٨]، وقال تعالى: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: الآية ٤] – إلى قوله – ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: الآية ٧] – إلى قوله ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإنسان: الآية ٢٧]، وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «يقومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ حَتَّى يغيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ»[١]، ورواه أحمد بلفظ: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ: لِعَظَمَةِ الرَّحْمَنِ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى إِنَّ الْعَرَقَ لَيُلْجِمُ الرِّجَالَ إِلَى أَنْصَافِ آذَانِهِمْ»[٢]، وله عن المقداد بن الأسود الكندي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ مِنَ الْعِبَادِ حَتَّى تَكُونَ قِيدَ مِيلٍ أَوِ اثْنَيْنِ قال: فَتَصْهَرُهُمُ الشَّمْسُ فَيَكُونُونَ فِي الْعَرَقِ كَقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْخُذُهُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ إِلْجَامًا»[٣] رواه مسلم والترمذي، وروى أحمد أيضًا عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «تَدْنُو الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مِيلٍ، وَيُزَادُ فِي حَرِّهَا كَذَا وَكَذَا، يَغْلِي مِنْهَا الْهَوَامُّ كَمَا يَغْلِي الْقُدُورُ، يَعْرَقُونَ فِيهَا عَلَى قَدْرِ خَطَايَاهُمْ، مِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى وَسَطِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ»[٤]، وفيه عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تَدْنُو الشَّمْسُ مِنَ الأَرْضِ فَيَعْرَقُ النَّاسُ، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَبْلُغُ عَرَقُهُ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْعَجُزَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ الْخَاصِرَةَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ مَنْكِبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْلُغُ وَسَطَ فِيهِ – وأشار بيده

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣١)، ومسلم (٢٨٦٢) من حديث ابن عمر وليس من حديث عائشة.

(٢) صحيح لغيره: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣١) عن يزيد عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وإسناده حسن لولا عنعنة ابن إسحاق، لكن يتقوى الحديث بما سبق ويصح.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٦٤)، والترمذي (٢٤٢١)، وأحمد (٦/ ٣)، وابن حبان (٧٣٣٠).

(٤) حسن: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٨٨ ح٧٧٧٩) من طريق معاوية بن صالح عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا به، والقاسم بن عبد الرحمن لا بأس به، على بعض كلام فيه، ويتقوى حديثه بشواهده، والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٥) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الحمن وقد وثقه غير واحد.

فألجمها فاه، رأيت رسول اللَّه ﷺ يشير بيديه هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه» وضرب بيده إشارة[١]. وفي «الصحيح» من حديث أبي هريرة ﵁ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الْأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**»[٢].

ولابن أبي حاتم عنه ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ لبشير الغفاري: «**كيف أنت صانع في يوم يقوم الناس فيه ثلاثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمره**»، قال بشير: المستعان اللَّه، قال: «**فإذا أويت إلى فراشك فتعوَّذ باللَّه من كرب يوم القيامة وسوء الحساب**»[٣]، وفي «السنن» عن عائشة ﵂ أن رسول اللَّه ﷺ كان يتعوذ باللَّه من ضيق المقام يوم القيامة[٤].

وقوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٣] قال قتادة: مسرعين، وقال مجاهد: «مديمي النظر» ومعنى الإهطاع أنهم لا يلتفتون يمينًا ولا شمالا، ولا يعرفون مواطن أقدامهم: ﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٣] قال القتيبي: المقنع الذي يرفع رأسه، ويقبل ببصره على ما بين يديه، وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه ابن حبان (٧٣٢٩)، والحاكم (٨٧٠٤) والطبراني (١٧/ ٣٠٢ح ٨٣٤) عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعًا به وإسناده صحيح، وأخرجه أحمد (٤/ ١٥٧)، والطبراني (١٧/ ٣٠٦ ح ٨٤٤) من طريق ابن لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعًا.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) ضعيف: أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٩٣)، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٨٥) لابن أبي حاتم من طريق عبد السلام بن عجلان عن أبي يزيد المدني عن أبي هريرة به، وإسناده ضعيف عبد السلام ضعيف وشيخه مجهول.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو داود (٧٦٦)، والنسائي في «المجتبى» (٣/ ٢٠٨) و(٨/ ٢٨٤)، وفي «الكبرى» (١٣١٧ و٧٩٧٦)، وابن ماجة (١٣٥٦)، وابن أبي شيبة (٢٩٣٣٦) جميعًا من طريق معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد عن عائشة. قلت: وإسناده ضعيف، وأزهر قال عنه الحافظ في «التقريب» صدوق، وذكر في «التهذيب» أن أزهر بن سعيد هو أزهر بن عبد اللَّه ولم يوثقه غير العجلي وذكره ابن حبان في «الثقات»، وأما الأزدي فقال: يتكلمون فيه، وذكره ابن الجارود في «الضعفاء» وقال: كان يسب عليا. وقال أبو داود: إني لأبغض أزهر الحرازي، وقال ابن سعد: كان قليل الحديث.

وانظر «تهذيب التهذيب» (١/ ٢٠٣ و٢٠٥) فالذي يترجح أن الرجل مجهول أو ضعيف، واللَّه أعلم.

(٥) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٢٣٧) قول قتادة ومجاهد والإسناد إليهما فيه ضعف، وكذا أخرج قول الحسن (١٣/ ٢٣٩).

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٣] لا ترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وهي شاخصة قد شغلهم ما بين أيديهم ﴿وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٣] أي: هي خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها[١]، فأفئدتهم هواء لا شيء فيها، ومنه سمي ما بين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لا تعنى شيئًا ولا تعقل من الخوف. وقال سعيد بن جبير: مترددة تمور في أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه[٢].

قال البغوي رحمه الله تعالى: وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم. اهـ[٣].

وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ﴾ [غافر: الآية ١٨] قال قتادة: وقفت القلوب في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها[٤].

وكذا قال عكرمة والسدي وغير واحد، ومعنى ﴿كَاظِمِينَ﴾ [غافر: الآية ١٨] أي: ساكتين لا يتكلم أحد إلا بإذنه. ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ: الآية ٣٨]، وقال ابن جريج: باكين، وقال البغوي: مكروبين ممتلئين خوفًا وجزعًا، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به[٥] ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: الآية ٤]، في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ في الزكاة وفيه: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ إِبِلٌ لَا يُعْطِي حَقَّهَا فِي نَجْدَتِهَا وَرِسْلِهَا**». قلنا: يا رسول الله، ما نجدتها ورسلها؟ قال: «**فِي عُسْرِهَا وَيُسْرِهَا فَإِنَّهَا تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَغَذِّ مَا كَانَتْ وَأَسْمَنِهِ وَآشَرِهِ يُبْطَحُ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ فَتَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا إِذَا جَاءَتْ أُخْرَاهَا أُعِيدَتْ عَلَيْهِ أُولَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ فَيَرَى سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»[٦] الحديث. ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾، لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، قال العوفي عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضًا

---

(١) **حسن إلى قتادة**: أخرجه بنحوه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٢٤١) بإسناد حسن إلى قتادة.

(٢) **حسن إلى سعيد**: أخرجه ابن جرير (١٣/ ٢٤٠) بإسناد حسن.

(٣) تفسير البغوي (٤/ ٣٥٩).

(٤) **حسن إلى قتادة**: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٥٢) عن قتادة بإسناد حسن، وعن السدي بإسناد ضعيف.

(٥) تفسير البغوي (٧/ ١٤٤).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧)، وأحمد (٢/ ٤٨٩)، وغيرهم واللفظ لأحمد.

ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك، يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: الآية ٣٧][١]، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ [لقمان: الآية ٣٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا لَا يُحۡمَلۡ مِنۡهُ شَيۡءٞ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰٓۗ﴾ [فاطر: الآية ١٨]، قال عكرمة: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني؟ وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول: يا مؤمن إن لي عندك يدًا قد عرفت كيف كنت لك في الدنيا وقد اللّهتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيرًا، فيقول: يابني إني قد اللّهتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل ما تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئًا. ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة أو يا هذه أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرًا، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنة واللّهدة تهبينها إلي لعلّي أنجو بها مما ترين. قال: فتقول: ما أيسر ما طلبت، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئًا. إني أتخوف مثل الذي تتخوف. يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا﴾ [فاطر: الآية ١٨] الآية، ويقول تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ﴾ [لقمان: الآية ٣٣] ويقول تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾، ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ [المدثر: الآية ٨] نفخ ﴿فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: الآية ٨]، الصور[٢]، روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ**». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فما تأمرنا يارسول الله! قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا**»[٣] رواه الإمام أحمد وابن جرير ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩﴾ [المدثر: الآية ٩]، شديد. ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠﴾ [المدثر: الآية ١٠]، عليهم، وروي عن زرارة بن أوفى قاضي البصرة رحمه الله تعالى أنه قرأ في صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ١٠﴾ شهق شهقة

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٧٣) من طريق العوفيين عن ابن عباس.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أورده ابن كثير في«تفسيره» (٣/ ٥٥٣) عن ابن أبي حاتم عن أبي عبد الله الطهراني عن حفص بن عمر عن الحاكم بن أبان عن عكرمة به، وإسناده ضعيف، حفص بن عمر هو العدني الملقب بالفرخ وهو ضعيف، وأما الطهراني فثقة وهو محمد بن حماد.

(٣) **ضعيف**: وسبق من حديث ابن عباس وأبي سعيد الخدري وزيد بن أرقم.

فمات[١]، أولئك قوم قرءوا القرآن بقلوب حاضرة وآذان واعية، وبصائر نافذة، وأفهام جلية ونفوس علية، مستحضرين تأويل معانيه حين وقوعها وأوان وعيدها، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله فأثمر ذلك في قلوبهم خشية الله ﷻ، فذابوا خوفًا وحياء من ربهم وشوقًا إليه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: الآية ٢٨]، وقال تعالى فيهم: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾[الإنسان: الآية ٧]، قال ابن عباس فاشيا، وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض[٢].

وقال مقاتل: كان شره فاشيا في السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفي الأرض نسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء، قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجة واستطال، ومنه قول الأعشى:

فَبَانَتْ وَقَدْ أَثَارَتْ فِي الفُؤَا ... دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرًا

يعني: ممتدًا فاشيا[٣]، وقوله: ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾[الإنسان: الآية ١٠]، قال ابن عباس: ضيقًا طويلا[٤]، وعنه قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران[٥].

وقال مجاهد: ﴿عَبُوسًا﴾ [الإنسان: الآية ١٠] العابس الشفتين ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: الآية ١٠] تقبض الوجه بالسيور. وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: الآية ١٠] تقليص الجبين وما بين العينين من الهول. وقال ابن زيد: العبوس الشر والقمطرير الشديد[٦].

---

(١) **صحيح إلى زرارة بن أوفى**: أخرجه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (١٤٠٠ بتحقيقي) عن هدبة بن خالد عن أبي جناب القصاب قال: صلى بنا زرارة بن أوفى. . . وذكره، وإسناده صحيح، ومن طريق عبد الله أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٥٨).

(٢) **حسن إلى قتادة**: أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢٠٩) بإسناد حسن.

(٣) تفسير ابن جرير (٢٩/ ٢٠٩).

(٤) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢١٢) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا منقطع.

(٥) **حسن إلى ابن عباس**: أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٢١١) بإسناد حسن.

(٦) انظر تفسير ابن جرير (٢٩/ ٢١٢)، وأثر ابن زيد صحيح إليه، والأثر عن قتادة قد ورد بمعناه بإسناد حسن.

وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد يقال: هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب. وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارًا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة. ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا ... عليكم إذا ما كان يوم قماطر(١)

حشر الخلائق للعرض ... وأحضروا للعرض والحساب

وانقطعت علائق الأنساب

«وأحضروا للعرض» العرض له معنيان معنى عام وهو: عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له صفحاتهم لا تخفى عليه منهم خافية. وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب. والمعنى الثاني هو: عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم، والحساب: المناقشة، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز في غير ما موضع إجمالًا وتفصيلًا كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة: الآية ١٨] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: الآية ٤٨]، الآيات، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝٨٣ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨٤ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝٨٥﴾، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾، وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات: الآية ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾، وغير ذلك من الآيات.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة: الآية ١٨] (٢)، وروى أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يعرض الناس يوم القيامة

---

(١) تفسير ابن جرير (٢٩/ ٢١١).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٠٦) عن مالك بن مغول بلاغًا عن عمر، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٤٥٩) عن وكيع عن جعفر بن برقان عن رجل عن عمر، وأشار إليه الترمذي في سننه عقب حديث رقم (٢٤٥٩)، وأورده بلفظ: ويروى.

ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله»(١) وللترمذي عن أبي هريرة ﷺ نحوه(٢).

وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود نحوه موقوفًا(٣)، وفي «الصحيحين»: سئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال: «**مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا إِلَّا هَذِهِ الآيَةَ الفَاذَّةَ الجَامِعَةَ**» ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾(٤)، وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية بن الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمع غيرها(٥).

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن ماجه (٤٢٧٧)، وأحمد (٤/ ٤١٤) عن وكيع عن علي بن علي الرفاعي عن الحسن عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا، ورواه عن وكيع: أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، وخالفهما الحسن بن قزعة عند ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٥٩) فرواه عن وكيع بهذا الإسناد موقوفًا، ووكيع متابع على الوقف، تابعه ابن المبارك كما في «الزهد» (٣٩٥ زيادات نعيم بن حماد) ونعيم مخالف، خالفه محمد بن عبد الرحمن بن سهم عند أبي نعيم في «الحلية» (٢/ ٩٤) فرواه عن ابن المبارك عن علي عن الحسن عن عامر بن قيس موقوفًا، وعامر تابعي، وأحمد وأبو بكر بن أبي شيبة مخالفان أيضًا خالفهما أبو كريب عند الترمذي (٢٤٢٥) فرواه عن وكيع عن علي عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعًا، وأشار الترمذي إلى أن بعضهم رواه عن علي عن الحسن عن أبي موسى، وضعف الترمذي الوجهين، وقال: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة. اهـ. ثم قال عن حديث أبي موسى: ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى.

وللحديث شاهد موقوف أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٥٩) عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليمان بن حيان عن مروان الأصفر عن أبي وائل عن ابن مسعود موقوفًا، ورجال إسناده ثقات إلا سليمان بن حيان فمتكلم فيه وهو ممن أخرج له الجماعة وقد ذكر العلماء أنه سيئ الحفظ يغلط ويخطئ، وهو كما قال ابن معين: صدوق وليس بحجة.

قلت: فمثله لا تقبل تفرداته في الأسانيد أو المتون والله أعلم.

وللحديث شاهد مرسل أخرجه ابن جرير (٢٩/ ٥٩) عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة مرسلًا، وإسناده حسن إلى قتادة وعلته الإرسال.

(٢) ضعيف: وانظره فيما سبق.

(٣) في إسناده ضعف: وتخريجه فما سبق.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٦٣)، ومسلم (٩٨٧) من حديث أبي هريرة.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٥/ ٥٩)، وابن المبارك في «الزهد» (٨٠)، والحاكم (٦٥٧١)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ٧٦ ح ٧٤١١)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٣٩)، والبيهقي في «الزهد=

وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ فرفع أبو بكر يده وقال: يارسول الله أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال: **«يا أبابكر ما رأيت في الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة»**[1] وعن أبي العالية في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون وعماذا أجابوا المرسلين[2]؟ وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: والذي لا إله غيره، ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم ماذا غرك مني بي؟ ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟ ابن آدم ماذا أجبت المرسلين؟»[3].

ولابن أبي حاتم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«يا معاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه، وعن فتات الطينة بإصبعيه، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك»**[4]، وعن ابن عباس ﴿فَوَرَبِّكَ

= الكبير» (٨٦٨)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٨/ ١٣ح١ - ٣) من طرق عن جرير بن حازم عن الحسن عن صعصعة بن معاوية، وفي بعض طرقه: عن الحسن أن صعصعة قدم على النبي ﷺ، وصورة هذا صورة المرسل، والحسن عنعن ولم يصرح بالسماع.

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٢٦٨) والطبراني في «الأوسط» (٨٤٠٧)، والبيهقي في «الشعب» (٩٨٠٨)، والضياء في «المختارة» (٢٢٤٣) من طريق هيثم بن الربيع عن سماك بن عطية عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس، وإسناده ضعيف لضعف هيثم بن الربيع، وحديثه هذا منكر، وقد رواه ابن بشار عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي إدريس مرسلًا وهذا أصح أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٦٨)، ورواه ابن علية عن أيوب عن أبي قلابة وجادة في كتابه مرسلًا أخرجه ابن جرير (٢٥/ ٣٢).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن جرير (١٤/ ٦٧) من طريق أبي جعفر عن الربيع عن أبي العالية، وأبو جعفر هو الرازي ضعيف.

(٣) صحيح إلى ابن مسعود: أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٥١٤ - ٥١٦) بتحقيقي، وابن المبارك في الزهد (٣٨)، وابن نصر في «الصلاة» (٨٤٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٨٢ ح٨٨٩٩)، وغيرهم من طريق شريك وأبي عوانة عن هلال بن أبي حميد عن عبد الله بن عكيم عن ابن مسعود.

(٤) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم ومن طريقه أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٦٠) عن أحمد بن أبي الحواري عن يونس الحذاء عن أبي حمزة عن معاذ بن جبل مرفوعًا به، ومن طريق ابن أبي الحواري أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/ ٣١) وإسناده ضعيف وقد أورد ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥١٠) حديثًا بهذا الإسناد ثم قال: قال ابن أبي حاتم: يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان، وأبو حمزة عن معاذ مرسل. اهـ.

﴿لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝﴾ [الرحمن: الآية ٣٩]، قال: «لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لم عملتم كذا وكذا»[١] وفي «الصحيح» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «لَيسَ أحَدٌ يحاسَبُ يوْمَ القِيامَةِ إلَّا هَلَكَ»، فقلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝﴾، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّما ذَلِكَ العَرضُ، ولَيسَ أحَدٌ يناقَشُ الحِسابُ يوْمَ القِيامَةِ إلَّا عُذِّبَ»[٢] وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ كان يقول: «يجَاءُ بالكَافِرِ يوْمَ القِيامَةِ فيقَالُ لَهُ: أرَأيتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأرْضِ ذَهَبًا أكُنْتَ تفْتَدِي بِهِ؟ فيقُولُ: نَعَمْ. فيقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ ما هُوَ أيسَرَ مِنْ ذَلِكَ»[٣].

وفيه عن عدي بن حاتم قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلَّا وَسَيكَلِّمُهُ اللَّه يوْمَ القِيامَةِ لَيسَ بَينَ اللَّه وَبَينَهُ تُرْجُمانٌ، فَينْظُرُ أيمَنَ مِنْهُ فَلا يرَى إلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وينْظُرُ أشْأمَ مِنْهُ فَلا يرَى إلَّا مَا قَدَّمَ، وَينْظُرُ بَينَ يدَيهِ فَلا يرَى إلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[٤].

وفيه عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذا عرض رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن - أو قال: يا ابن عمر - هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يدْنُو المُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يضَعَ عَلَيهِ كَنَفَهُ فَيقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ: تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يقُولُ: أعْرِفُ، يقُولُ: رَبِّ أعْرِفُ، مَرَّتَينِ فَيقُولُ أنَا سَتَرْتُهَا في الدُّنْيا وَأغْفِرُهَا لَكَ اليوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأمَّا الآخَرُونَ أوِ الكُفَّارُ فَينَادِى عَلَى رُءُوسِ الأشْهَادِ: هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ألَا لَعْنَةُ اللَّه عَلَى الظَّالِمِينَ»[٥] وفي الترمذي عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ حَتَّى يسْألُ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَ أفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أينَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أبْلاهُ»[٦] وقال: حسن صحيح.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (١٤/ ٦٧) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا منقطع.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٣) و(٦٥٣٧)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٢٨٠٥).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٦) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٣٧)، والروياني (١٣١٣)، وأبو يعلى (٧٤٣٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣٢) من طريق أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن سعيد بن عبد الله بن=

«وانقطعت علائق الأنساب» كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾[المؤمنون: الآية ١٠١] ، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾ [المعارج: الآية ١٠] ، الآيات، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾[عبس: الآية ٣٤] ، الآيات، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجئ فليأخذ حقه، قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيرًا، ومصداق ذلك في كتاب الله ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾[المؤمنون: الآية ١٠١][(١)] رواه ابن أبي حاتم، وروى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الرجل ليقول في الجنة: ما فعل بصديقي فلان؟ وصديقه في الجحيم»، فيقول الله تعالى: أخرجوا له صديقه إلى الجنة، فيقول من بقي: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[(٢)] قال الحسن رحمه الله تعالى: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة. وعن قتادة في قول

= جريج عن أبي برزة الأسلمي مرفوعًا به، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قلت: وإسناده حسن، وقد أشار إليه الدارقطني في «العلل» (٦/ ٣٠٩ح ١١٦٠)، وذكر أن هذا مما انفرد به أبو بكر بن عياش عن الأعمش.

قلت: وللحديث شواهد تقويه منها حديث ابن عباس عند الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٠٢ ح١١١٧٧)، وفي الأوسط (٩٤٠٦) من طريق حسين الأشقر عن هشيم عن أبي هاشم الرماني عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعًا. وهذا أحسنها من ناحية الإسناد، أما باقي الشواهد فتالفة فمن ذلك حديث ابن مسعود أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، وابن نصر في الصلاة (٨٤٦)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٨ح ٩٧٧٢)، وفي «الصغير» (٧٦٠)، وفي إسناده حسين بن قيس الرحبي وهو متروك، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٥٧٦) من طريق آخر عن ابن مسعود وفيه: نهشل بن سعيد وهو متروك واتهم.

وورد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه ابن نصر في «الصلاة» (٨٤٧) من طريق العوفي عنه، والعوفي ضعيف جدًا إذا روى عن أبي سعيد فإنه كان يروي عن الكلبي الكذاب ويكنيه أبا سعيد، يوهم أنه الخدري.

وورد من حديث معاذ أخرجه الدارمي (٥٣٩)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ٦٠ ح١١١)، والبيهقي في «الشعب» (١٧٨٥) من طريق يعل أحدهما الآخر وكليهما ضعيف، واختلف فيهما بالرفع والوقف أيضًا، وكليهما لا يصح.

(١) في إسناده ضعف: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٥/ ٨٩)، وفي إسناده ضعف.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه البغوي في «تفسيره» (٦/ ١٢٠) وفي إسناده رجل مبهم.

اللّه ﷻ ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ ، قال : يفر هابيل من قابيل : ويفر النبي ﷺ من أمه أمه ، وإبراهيم عليه السلام من أبيه ، ولوط عليه السلام من صاحبته ، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧﴾ [عبس: الآية ٣٧] ، يشغله عن شأن غيره ، وفى الحديث الصحيح في أمر الشفاعة «أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند اللّه في الخلائق يقول : نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي ، حتى إن عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي ، لا أسأله مريم التي ولدتنى»[1].

وَارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الاهوَالِ ... وَانْعَجَمَ البَلِيغُ فِي المَقَالِ

وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْقَيومِ ... وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلمَظْلُومِ

«وارتكمت» اجتمعت «سحائب الأهوال» جمع هول وهو : الأمر الشديد الهائل المفظع «وانعجم» أسكت فلم يتكلم . «البليغ» الذي كان في الدنيا مقتدرًا على البلاغة والفصاحة «في المقال» قال اللّه تعالى : ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: الآية ١٠٥]، وقال تعالى : ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: الآية ١٠٨]، وقال تعالى : ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ۝٣٨﴾ [النبأ: الآية ٣٨]، قال ابن عباس : ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ﴾ [طه: الآية ١٠٨]سكنت[2]﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: الآية ١٠٨] قال : تحريك الشفاه من غير منطق[3]، وعنه الهمس : الصوت الخفي[4]، وعنه هو وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع بن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم ؛ الهمس : نقل الأقدام إلى المحشر كأخفاف الإبل[5]، وقال سعيد بن جبير : همسًا سر الحديث ووطء الأقدام، فجمع بين القولين، وفي حديث الشفاعة : «وَلَا يتَكَلَّمُ يوْمَئِذٍ إِلَا الرُّسُلُ» الحديث[6].

---

(١) ضعيف جدًا : وهذا اللفظ ليس في «الصحيحين» ولا أحدهما كما وهم بعض محققي الكتاب ، وإنما أخرجه بهذا اللفظ أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٧٢) من طريق سلام الخواص عن فرات بن السائب عن زاذان عن كعب الأحبار موقوفًا ، وفيه فرات منكر الحديث .

(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه ابن جرير (١٦/ ٢١٤) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهذا منقطع .

(٣) ورد نحو هذا التفسير من كلام مجاهد ، وورد من قول ابن عباس أن الهمس هو الصوت الخفي ، أخرجه ابن جرير (١٦/ ٢١٤) ، وإسناده ضعيف .

(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه ابن جرير (١٦/ ٢١٤) بإسناد منقطع .

(٥) أخرجه ابن جرير (١٦/ ٢١٤ - ٢١٥) من طرق عنهم ، وإسناده صحيح إلى ابن زيد ، وحسن إلى قتادة .

(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا .

«وعنت الوجوه» ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير عان. «القيوم» تضمين لمعنى قوله ﷻ: ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ﴾ [طه: الآية ١١١]، قال ابن عباس وغير واحد: «**خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت، القيوم الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء يدبره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به**» ﴿وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [طه: الآية ١١١] قال ابن عباس: خسر من أشرك بالله، والظلم هو: الشرك، وقيل المراد بالظلم هنا العموم فيتناول الشرك وغيره من ظلم العبد نفسه وظلم العباد بعضهم بعضًا، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء. وفي بعض الأحاديث «يقول الله ﷻ وعزتي وجلالي لا يجاوزني اليوم ظلم ظالم»[١].

وفي «الصحيحين»: «**إِيَاكُمْ وَالظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يوْمَ القِيامَةِ**»[٢] فعلى هذا المعنى ظلم دون ظلم وخيبة دون خيبة، والخيبة كل الخيبة لمن لقى الله وهو به مشرك، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، وقد تقدم حديث عائشة عند أحمد: «**الدواوين ثلاثة: ديوان لا يغفره الله، وديوان لا يعبأ الله به، وديوان لا يترك الله منه شيئًا**»[٣] الحديث.

«واقتص من ذي الظلم» أي: اقتص من الظالم «للمظلوم». قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: الآية ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٧﴾ [غافر: الآية ١٧] إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَقۡضِي بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [غافر: الآية ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الزمر: الآية ٦٩]، ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: الآية ٧٥] وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠﴾ [الزمر: الآية ٧٠]. وغيرها من الآيات. وقال البخاري رحمه الله تعالى: «باب القصاص يوم القيامة، وهي الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور،

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣٨٦)، وغيره، واللفظ له، وهو جزء من حديث الصور الطويل، وقد سبق الكلام عنه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩) من حديث عمر بنحوه، وأخرجه مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر بنحوه، واللفظ الذي أورده المصنف أخرجه أحمد (٢/ ١٩٥) وغيره من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا به.

(٣) أسانيده ضعيفة: وسبق تخريجه والكلام عنه في فصل ضد التوحيد وهو الشرك.

الحقة والحاقة واللّهد، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار»[١] ثم ساق بسنده حديث ابن مسعود قال النبي ﷺ: «أَوَّلُ مَا يقْضَى بَيْنَ النَّاسِ بِالدِّمَاءِ»[٢] وحديث أبي هريرة ﷺأن رسول اللّه ﷺقال: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»[٣].

وحديث أبي سعيد الخدري ﷺقال: قال رسول اللّه ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[٤].

وللترمذي عن أبي هريرة ﷺأن رسول اللّه ﷺقال: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟» قالوا: المفلس فينا يا رسول اللّه من لا درهم له ولا متاع، قال رسول اللّه ﷺ: «الْمُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصَّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[٥] هذا حديث حسن صحيح، وله عنه ﷺأن رسول اللّه ﷺقال: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا حَتَّى تُقَادُ الشَّاةُ الْجَلْحَاءُ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»[٦] قال: وفي الباب عن أبي داود وعبد اللّه بن أنيس حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح، وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد اللّه ﷺقال: بلغني حديث عن رجل سمعه من النبي ﷺ، فاشتريت بعيرًا ثم شددت عليه رحلًا فسرت عليه شهرًا حتى قدمت عليه الشام، فإذا عبد اللّه بن أنيس، فقلت

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (١١/ ٤٣٦) كتاب الرقاق باب رقم (٤٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣٣)، ومسلم (١٦٧٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٣٥).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤٢٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٣ و٣٣٤ و٣٧١)، وابن حبان (٤٤١١ و٧٣٥٩)، وأبو يعلى (٦٤٩٩)، وغيرهم من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٨٢)، والترمذي (٢٤٢٠) وغيرهما.

للبواب: قل له جابر على الباب، فقال: ابن عبد الله؟ قلت: نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقني واعتنقته، فقلت: حديث بلغني عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ في القصاص فخشيت أن تموت وأموت قبل أن أسمعه، فقال سمعت رسول الله يقول: **«يحشر الله ﷻ الناس يوم القيامة - أو قال: العباد - عراة غرلًا بهمًا»**. قلت: وما بهمًا؟ قال: **«ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة»**. قال: قلنا كيف وإنما نأتي الله ﷻ حفاة عراة غرلًا بهمًا؟ قال: **«بالحسنات والسيئات»**[١] وقد أشار البخاري إلى هذا الحديث في مواضع من «صحيحه» تعليقًا ووصله في كتاب خلق أفعال العباد[٢]، وروى عبد الله بن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة»**[٣] وروى رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «رأي رسول الله ﷺ شاتين ينتطحان فقال: **«أتدري ما ينتطحان يا أبا هريرة؟»** قلت لا. قال: **«لكن الله يدري وسيحكم بينهما»**[٤].

---

(١) ضعيف الإسناد، وسبق الكلام عليه وتخريجه في مبحث كلام الله ﷻ.

(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في صحيحه قبل حديث (٧٤٨١) بصيغة التمريض، ووصله في «خلق أفعال العباد» (ص٩٨)، وفي «الأدب المفرد» (ح٩٧٠)، وانظر الموضع المشار إليه في التعليق السابق.

(٣) ضعيف: أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١/ ٧٢)، العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٨٥)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٢٣٢) من طريق حجاج بن نصير عن شعبة عن العوام بن مزاحم عن أبي عثمان النهدي عن عثمان بن عفان مرفوعًا به. وإسناده ضعيف، وأورده ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٢١٧ ح٢١٤٢)، ونقل عن أبيه قوله: ليس لهذا الحديث أصل من حديث شعبة، ثم أورده (٢/ ٢٢٦ح٢١٦٦)، ونقل عن أبي زرعة قوله: هذا خطأ، إنما هو شعبة عن العوام بن مزاحم عن أبي السليل قال: قال سلمان موقوف. وأورده الدارقطني في «العلل» (٣/ ٦٢ ح٢٨٧) وصوب الوقف. قلت: وحجاج بن نصير ضعيف.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٥/ ١٦٢) من طريق شعبة وأبي معاوية عن الأعمش عن منذر الثوري عن أشياخ له عن أبي ذر مرفوعًا، وإسناده ضعيف لإبهام الشيوخ، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٧/ ١٨٩) من طريق معمر عن الأعمش عن أبي ذر، ومن طريق مطر بن خليفة عن منذر الثوري عن أبي ذر. وهما معلولان برواية شعبة وأبي معاوية.

وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلأَجْنَادِ وَجِيءَ بِالكِتَابِ وَالأَشْهَادِ
وَشَهِدَ الأَعْضَاءُ والجَوارِحُ وَبَدَتِ السَّوْءَاتُ وَالفَضَائِحُ
وَابْتُلِيتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرْ وَانْكَشَفَ المَخْفِي في الضَّمَائِرْ

«**وساوت الملوك**» العظماء الرؤساء الكبراء «**للأجناد**» الرعايا، أي: صاروا سواء في ذلك الموقف مشتركين في هوله الفظيع وكربه الشديد إلا من رحم اللَّه، وليس لأحد منهم مقال، ولا يملك لنفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، كل امرئ بما كسب رهين، قال اللَّه تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: الآية ٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: الآية ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝١٦﴾ [غافر: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار: الآية ١٩]. وغير ذلك من الآيات، قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: الآية ٤] يقول لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكمًا كملكهم في الدنيا [١].

قال: ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة. يدينهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، إلا من عفا عنه [٢]، وقال البغوي في قوله ﷻ: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: الآية ٢٦] أي: الملك الذي هو الملك الحق ملك الرحمن يوم القيامة [٣].

وقال ابن عباس ﵄: يريد أن يوم القيامة لا ملك يقضي غيره، وفي الحديث الصحيح المتقدم: «**يَقْبِضُ اللَّه تَعَالَى الأَرْضَ وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ**» [٤] وفي لفظ: «**أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ**» [٥] وقال قتادة: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ۝١٩﴾ [الانفطار: الآية ١٩] والأمر واللَّه اليوم للَّه، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد [٦]، وقال البغوي: يوم لا يملِّك اللَّه في ذلك اليوم أحدًا من خلقه شيئًا

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٢٤)، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٦) من طريق الضحاك عن ابن عباس، وهذا منقطع.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير (١/ ٦٨)، وابن أبي حاتم (٢٥) من طريق الضحاك عن ابن عباس، وهذا منقطع.

(٣) تفسير البغوي (٦/ ٨٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤١٢)، ومسلم (٢٧٨٨) من حديث ابن عمر مرفوعًا.

(٥) **صحيح**: وهو في رواية أحمد في المسند (٢/ ٧٢ و٨٧).

(٦) **حسن إلى قتادة**: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٩٠) بإسناد حسن.

كما ملّكهم في الدنيا[١].

«**وجيء بالكتاب والأشهاد**» قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ﴾ [الكهف: الآية ٤٩]، وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٩]، وقال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣]، وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النحل: الآية ٨٤]، إلى قوله: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ ۚ﴾ [النحل: الآية ٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ الآية.

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: الآية ٢١]، وغير ذلك من الآيات. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يوسف بن راشد حدثنا جرير وأبو أسامة – واللفظ لجرير – عن الأعمش عن أبي صالح. وقال أبو أسامة: حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فذلك قوله جل ذكره** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣]»[٢].

والوسط العدل. ورواه أحمد وأصحاب السنن، ورواه الإمام أحمد أيضًا بلفظ: «**يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَكُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ. فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ. فَيُدْعَى ﷺ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَّغَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُقَالُ: وَمَا عِلْمُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيُّنَا فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ**

---

(١) تفسير البغوي (٨/ ٣٥٨).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٣٩)، وهذا الإسناد عنده برقم (٤٤٨٧)، وأخرجه الترمذي (٢٩٦١)، وابن ماجه (٤٢٨٤)، وأحمد (٣/ ٣٢ و٥٨) وغيرهم.

بَلَّغُوا . فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: الآية ١٤٣] قال : عدلا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: الآية ١٤٣] (١).

وفي «الصحيحين» عن ابن مسعود ﷺ قال : «قال لي رسول الله ﷺ : «**اقْرَأْ عَلَيَّ**» ، فقلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال : «**نَعَمْ ، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**» فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: الآية ٤١] فقال : «**حَسْبُكَ الآنَ**» فإذا عيناه تذرفان» (٢) قال ابن كثير رحمه الله تعالى : ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي : كتاب الأعمال الذي فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي : من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي : يا حسرتنا وويلنا على ما فرطنا في أعمالنا ، ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي : لا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا ولا عملًا وإن صغر إلا أحصاها أي : ضبطها وحفظها (٣).

وروى الطبراني بإسناده عن سعد بن جنادة قال : لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفرًا من الأرض ليس فيه شيء ، فقال النبي ﷺ : «**اجمعوا ، من وجد عودًا فليأت به ، ومن وجد حطبًا أو شيئًا فليأت به**» قال : فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركامًا ، فقال النبي ﷺ : «**أترون هذا الله فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا ، فليتق الله رجل ولا يذنب صغيرة ولا كبيرة فإنها محصاة عليه**» (٤).

وروى البغوي بإسناده عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ : «**إياكم ومحقرات الذنوب . فإنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزتهم ، وإن محقرات الذنوب لموبقات**» (٥) وقوله : ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٣/ ٥٨) عن أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا به .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٥٠٥٥) ، ومسلم (٨٠٠) واللفظ للبخاري .

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٨٨) .

(٤) ضعيف : أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٥٢ ح٥٤٨٥) من طريق محمد بن سعد العوفي عن أبيه عن عمه عن يونس بن نفيع عن سعد بن جنادة ، وإسناده مسلسل بالضعفاء .

(٥) صحيح : أخرجه أحمد (٥/ ٣١) ، والروياني (١٠٦٥) ، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٦٥ ح٥٨٧٢) ، وفي «الأوسط» (٧٣٢٣) ، وفي «الصغير» (٩٠٤) من طريق أنس بن عياض عن أبي حازم عن سهل بن سعد مرفوعًا به .

عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]، كقوله ﷻ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: الآية ٣٠]، وقوله ﷻ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التكوير: الآية ١٤]، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفطار: الآية ٥]، وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: الآية ١٣]، وغيرها من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص: الآية ٧٥]، قال البغوي: يعني رسولهم الذي أرسل إليهم[1].

وهو قول مجاهد[2]، وروى ابن جرير عن عثمان بن عفان أنه خطب فقرأ هذه الآية: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: الآية ٢١]، فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت[3]، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائق الملك والشهيد العمل، وكذا قال الضحاك والسدي، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه[5].

وقوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزمر: الآية ٦٩] أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: الآية ٦٩] بنور خالقها، ذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو، قاله البغوي[6]، والحديث: «**لا يتضارون في رؤيته**»[7]، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] قال قتادة: كتاب الأعمال[8].

﴿وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الزمر: الآية ٦٩]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [النساء: الآية ٦٩]، أي: الملائكة الحفظة أعمال العباد قال ذلك عطاء.

---

(١) تفسير البغوي (٦/ ٢١٩).

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير (٢٠/ ١٠٤) بإسناد ضعيف عن مجاهد.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير (٢٦/ ١٦٢) بإسناد ضعيف عن عثمان.

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٦/ ١٦٢) بإسناد ضعيف عن مجاهد، وإسناده حسن عن قتادة، وأثر ابن زيد بمعناه بإسناد صحيح.

(٥) تفسير ابن جرير (٢٦/ ١٦١ و١٦٢)، وأثر ابن عباس والضحاك ضعيفا الإسناد.

(٦) تفسير البغوي (٧/ ١٣٢).

(٧) **صحيح**: وهو في الصحيحين وسبق تخريجه.

(٨) **حسن إلى قتادة**: أخرجه ابن جرير (١٥/ ٢٥٨).

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: الآية ٢١] قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمد ﷺ، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: الآية ٧٨].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: الآية ٥١] يعني الملائكة، قال البغوي: يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب[1].

«وشهدت» على كل جاحد «الأعضاء» أعضاؤه «والجوارح» عطف تفسير، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: الآية ٦٥]، الآيات. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۞ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۞ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾، الآيات وغيرها. وروى مسلم والنسائي وابن أبي حاتم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «**كنا عند النبي ﷺ** فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «**مِنْ مُجَادَلَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ، فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**»[2]. وروى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «**إنكم تدعون مفدمًا على أفواهكم بالفدام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه**»[3] ورواه النسائي عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به، وله هو ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامة الطويل قال: فيه «**ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فَيَقُولُ: مَا أَنْتَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا عَبْدُكَ، آمَنْتُ بِكَ وَبِنَبِيِّكَ وَبِكِتَابِكَ،**

---

(١) انظر تفسير البغوي (٧/ ١٥٢).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٦٩)، والنسائي في «الكبرى» (١١٦٥٣)، وابن حبان (٧٣٥٨)، والحاكم (٨٧٧٨)، وأبو يعلى (٣٩٧٥)، وغيرهم من حديث أنس مرفوعًا به.

(٣) حسن الإسناد: أخرجه النسائي في «الكبرى» (١١٤٦٩)، وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٩٨) عن عبد الرزاق بهذا الإسناد، وإسناده حسن.

وَصُمْتُ وَصَلَّيْتُ وَتَصَدَّقْتُ وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، قَالَ: فَيُقَالُ لَهُ: أَلَا نَبْعَثُ شَاهِدَنَا؟ عَلَيْكَ وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيْهِ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِمَا كَانَ يَعْمَلُ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ»[1] وهذا الحديث تقدم قريبًا بطوله ولله الحمد. وهذا والله أعلم يتضمن بيان قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: الآية ١٨]، الآية، وروى ابن جرير وابن أبي حاتم وأحمد رحمهم الله تعالى عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى»[2]. وفي رواية أحمد «من الرجل الشمال»[3].

وروى ابن جرير عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف، فيقول: نعم، أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله ذنوبه ويستره منها، قال: فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئًا، وتبدو حسناته فوَدَّ أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول: أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ الله فيقول: لا وعزتك، أي رب ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه، قال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: فأنا أحسب أول ما ينطق منه فخذه اليمنى» ثم تلا ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: الآية ٦٥][4]. وروى

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٦٨)، وغيره، وسبق تخريجه.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن جرير (٢٣/ ٢٤)، و(٢٤/ ١٠٧)، والروياني (٢٧٥)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٣٣ح ٩٢١)، وفي مسند الشاميين (١٦٣٥) من طريق إسماعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر مرفوعًا، وقد رواه عن إسماعيل لى هذا الوجه: الهيثم بن خارجة ومحمد بن المبارك الصوري وهشام بن عمار، وخالفهم الحكم بن نافع عند أحمد في المسند (٤/ ١٥١) فرواه عن إسماعيل عن ضمضم عن شريح عمن حدثه عن عقبة، فزاد واسطة بين عقبة وشريح، ورجح أبو زرعة هذا الطريق كما في العلل لابن أبي حاتم (٢/ ٨٧ح١٧٥٦)، وإسناد الحديث ضعيف لإبهام الواسطة.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، وانظر ما سبق.

أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٣/ ٢٤) عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن يونس بن عبيد عن حميد بن هلال عن أبي بردة عن أبي موسى موقوفًا وإسناده صحيح إليه.

أبو يعلى عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم، فيقول: هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول: كذبوا، فيقول: أهلك وعشيرتك فيقول: كذبوا فيقول: احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم اللَّه تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار**»(١).

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرق: «**إن يوم القيامة يأتي على الناس منه حين لا ينطقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذن لهم، ثم يؤذن لهم فيختصمون، فيجحد الجاحد بشركه باللَّه تعالى، فيحلفون له كما يحلفون لكم، فيبعث اللَّه تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم، ويختم على أفواههم، ثم يفتح لهم الأفواه، فتخاصم الجوارح فتقول: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾** [فصلت: الآية ٢١]، فتقر الألسنة بعد الجحود»(٢)، وروى أيضًا عن رافع أبي الحسن قال: وصف رجلًا جحد قال: فيشير اللَّه تعالى إلى لسانه فيربو في فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة. ثم يقول لآرابه تكلمي واشهدي عليه، فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده، وفرجه ويداه ورجلاه: صنعنا عملنا فعلنا(٣).

وله أيضًا عن جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه قال: لما رجعت إلى رسول اللَّه ﷺ مهاجرة البحر قال: «**أَلَا تُحَدِّثُوا بِأَعَاجِيبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ**» فقال فتية منهم: بلى يا رسول اللَّه، بينما نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى متهم، فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها، فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غدر إذا وضع اللَّه الكرسي وجمع الأولين والآخرين، وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرى وأمرك عنده غدًا. قال: يقول رسول اللَّه ﷺ: «**صَدَقَتْ صَدَقَتْ كَيفَ يُقَدِّسُ اللَّه**

---

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير (١٨/ ١٠٥)، وأبو يعلى (١٣٩٢)، والحاكم (٨٧٩٠) من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا. وهي صحيفة ضعيفة.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٨٩٧٧)، ومن طريقه أورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٩٧)، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف.

(٣) صحيح إلى رافع: أخرجه ابن أبي حاتم، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٩٧) عن عبدة بن سليمان عن ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبد الرحمن بن جبير الحضرمي عن رافع به.

تَعَالَى قَوْمًا لَا يؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ»[١]، ورواه ابن أبي الدنيا. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر عن ابن مسعود: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فصلت: الآية ٢٢]، الآية: كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال: بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال: بعضهم يسمع بعضه وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ [فصلت: الآية ٢٢]، الحديث[٢] تقدم لفظه في إثبات السمع والبصر ولله الحمد.

«ابتليت» أي: اختبرت «هنالك» الإشارة إلى موقف القيامة العظيم، وهوله الجسيم «السرائر» جمع سريرة وهي ضد العلانية «وانكشف المخفي» المستور «في الضمائر» إشارة إلى قول الله ﷻ ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ [الطارق: الآية ٩]، قال البغوي رحمه الله تعالى: وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا، قال قتادة ومقاتل: تختبر، قال عطاء بن أبي رباح: السرائر: فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فإنها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال: صمت ولم يصم، وصليت ولم يصل، واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها، قال ابن عمر رضي الله عنهما: يبدي الله ﷻ يوم القيامة كل سر، فيكون زينًا في وجوه وشينًا في وجوه، يعني من أداها كان وجهه مشرقًا ومن ضيعها كان وجهه أغبر[٣]. وفي «الصحيح» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ ابنِ فُلَانٍ»[٤] عياذًا بالله من ذلك.

---

(١) حسن بمجموع طرقه: وسبق الكلام على طرقه عند كلام المصنف في ذكر أقوال الصحابة في مبحث الفوقية.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٢١)، ومسلم (٢٧٧٥).

(٣) تفسير البغوي (٨/ ٣٩٤)، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ١٤٦ و١٤٧) أثر عطاء بن أبي رباح بإسناد ضعيف، وأخرج أثر قتادة بإسناد حسن.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧١١١)، ومسلم (١٧٣٥) من حديث ابن عمر، وليس عندهما لفظ: عند استه، وإنما أخرجه بهذا اللفظ [illegible] لم (١٧٣٨) وغيره من حديث أبي سعيد.

وَنُشِرَتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ تُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ
طُوبَى لِمَنْ يُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ كِتَابُهُ بُشْرَى بِحُورٍ عِينِ
وَالْوَيلُ لِلآخِذِ بِالشِّمَالِ وَرَاءَ ظَهرٍ لِلْجَحِيمِ صَالِي

«ونشرت صحائف»كتب «الأعمال» من حسنات وسيئات قال اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: الآية ١٠]، «تؤخذ باليمين» للمؤمن «والشمال»للكافر «طوبى» أطيب شيء، واسم شجرة في الجنة، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها «لمن يأخذ باليمين كتابه بشرى» أعظم بشارة «بحور» جمع حوراء صفة لهن، من حور العين وهو شدة سواد العينين في شدة بياضهما «عين»حسان الأعين «والويل»كلمة عذاب، ووادفي جهنم «للآخذ بالشمال»كتابه «وراء ظهر للجحيم صال» اسم فاعل من صلى يصلي غمر فيها، وقد ذكر اللّه تعالى تطاير الصحف ونشرها، وتناولها في غير موضع من كتابه، مع بيان منازل أهلها، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝٢٥ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝٢٦ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩﴾ [الجاثية: الآية ٢٩]، قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ﴾ [الإسراء: الآية ١٣]: طائره وهو ما طار عنه من عمله من خير وشر، ويلزم به ويجازى عليه، ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣] قال معمر: وتلا الحسن البصري: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: الآية ١٧]، يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك،

فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتابًا تلقاه منشورًا ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ﴾ [الإسراء: الآية ١٤]، الآية فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك[1].

وروى البزار عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: الآية ٧١] قال: «**يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه، ويمد له في جسمه ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ، فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللَّهم آتنا بهذا، وبارك لنا في هذا. فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإن لكل رجل منكم مثل هذا، وأما الكافر فيسود وجهه، ويمد له في جسمه، ويراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا، اللَّهم لا تأتنا به، فيأتيهم فيقولون: اللَّهم أخزه، فيقول: أبعدكم الله، فإن لكل رجل منكم مثل هذا**»[2] حديث غريب حسنه الترمذي. وفي السنن عن عائشة ﷺ أنها ذكرت النار فبكت، فقال رسول الله ﷺ: «**ما يبكيك؟**» قالت: **ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟** فقال رسول الله ﷺ: «**أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: الآية ١٩] حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم**»[3] وروى ابن أبي حاتم عن أبي عثمان قال: «**المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئاته تغير لونه، حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات، قال:**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ٥٣)، وفي إسناده إلى الحسن ضعف.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣١٣٦)، وابن حبان (٧٣٤٩)، وأبو يعلى (٦١٤٤)، وأبو نعيم (٩/ ١٥) من طرق عن إسرائيل عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدي عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا، وقال الترمذي: حسن غريب.
قلت: عبد الرحمن السدي مجهول الحال. وأيضًا فقد اختلف في الحديث بالرفع والوقف، قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٨٩ح١٧٦٢): قال أبي: إسرائيل يرفع الحديث والثوري لا يرفعه، والثوري أحفظ.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٧٥٥)، والحاكم (٨٧٢٢)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص ٢١٠) من طريق الحسن عن عائشة به، والحسن رأي عائشة ولم يروعنها، وهو مدلس وقد عنعن، والحديث أخرجه أحمد (٦/ ١١٠) بلفظ مختلف وزيادات من حديث عائشة، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.

فعند ذلك يقول: هاؤم اقرءوا كتابيه»[١].

وله عن عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: «إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدى - أي: يظهر - سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم، أي رب، فيقول له: إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك، فيقول عند ذلك ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ حين نجا من فضيحته يوم القيامة»[٢]، وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح في النجوى، وفيه في المؤمن «ثُمَّ يعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ بِيمِينِه، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ فَيقُولُ الاشْهَادُ» ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: الآية ١٨][٣]، وعن ابن السائب في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: الآية ٢٥]، قال ابن السائب: «تلوى يده اليسرى خلف ظهره، ثم يعطى كتابه، وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطى كتابه» وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره، وقال البغوي في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠﴾ [الانشقاق: الآية ١٠]، قال: فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره[٤].

فصل فيما جاء في الميزان

وَالوَزْنُ بِالقِسْطِ فَلَا ظُلْمٌ وَلَا	يؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلَا
فَبَيْنَ نَاجٍ وَراجِحٍ مِيزَانُهُ	وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ

«والوزن» لأعمال العباد «بالقسط» العدل «فلا ظلم» على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه العدل الحكيم الذي حرم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرمًا فلا يهضم أحد من حسناته. «ولا يؤخذ عبد بسوى ما عملا» الألف للأطلاق قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ

---

(١) حسن إلى أبي عثمان: أورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤١٦) عن ابن أبي حاتم عن بشر بن مطر الواسطي عن يزيد بن هارون عن عاصم الأحول عن أبي عثمان، وهذا إسناد حسن وبشر قال عنه أبو حاتم: صدوق، وقال الدارقطني: ثقة، وقال ابن حبان: يخطئ ويخالف، وترجمته باللسان (٢/ ٤٠).

(٢) ضعيف: أخرجه ابن أبي حاتم ومن طريقه أورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤١٦)، وفي إسناده: موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف.

أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤).

نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ [غافر: الآية ١٧]، وقال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: الآية ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧]، وقال تعالى عن لقمان: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾﴾ [لقمان: الآية ١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: الآية ٤٠] «فبين ناج راجح ميزانه» إلخ، قال الله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ الآيات. وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]، وفي الترمذي عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال: «**سألت النبي ﷺ** أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: «**أَنَا فَاعِلٌ**» يعني إن شاء الله - قلت: يارسول الله ﷺ فأين أطلبك؟ قال: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**»، قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ**». قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المواطن**»[1] هذا حديث حسن غريب، وفي «سنن أبي داود» وغيره حديث عائشة المتقدم وفيه «وعند الميزان حتى يثقل أو يخف» الحديث[2].

والقول في الموزون على ثلاثة أوجه:

الأول: أنه الأعمال نفسها هي التي توزن، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع في الميزان، ويدل لذلك حديث أبي هريرة ﷺ في «الصحيح» قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وأحمد (٣/ ١٧٨) من طريقين عن حرب بن ميمون عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه به. وقال الترمذي: حسن غريب. قلت: وإسناده حسن وحرب صدوق والنضر ثقة.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٧٥٥) وسبق قريبًا.

«كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»[1]، وفي «الصحيح» عن أبي أمامة الباهلي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ» قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة[2].

ومعاوية هو بن سلام. وفيه عن النواس بن سمعان الكلابي قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ» وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد قال: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِن طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا»[3] وقال الترمذي رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجيء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث، وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثواب قراءة القرآن. وفي حديث النواس بن سمعان عن النبي ﷺ ما يدل على ما فسروا إذ قال النبي ﷺ «وَأَهْلُهُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا» ففي هذا دلالة أنه يجيء ثواب العمل. اهـ[4].

قلت: ولا مانع من كون الآتي هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث: فأما أن يقال: إن الآتي هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله، لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعل العبد وعمله ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: الآية ٩٦]، وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «**تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة**» قال ثم سكت ساعة ثم قال: «**تعلموا سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك،**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠٤) وغيره.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٨٠٥)، والترمذي (٢٨٨٣) وغيرهما.

(٤) «سنن الترمذي» (٥/ ١٦٠ عقب حديث ٢٨٨٣).

فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت مقلتك وإن كل تاجر من وراء تجارتك، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج من الوقار ويكسا والداه حلتان لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود، ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلًا»[١]، وإسناده حسن، والقول بأن الأعمال هي ذاتها التي توزن، ذكره البغوي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والقول الثاني: أن صحائف الأعمال هي ذاتها التي توزن، ويدل لذلك ما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال: رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا. أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيُبْهَتُ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ! فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَاحِدَةً لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: أَحْضِرُوهُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ قَالَ: فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، وَلَا يَثْقُلُ شَيْءٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»[٢] ورواه الترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: حسن غريب.

والثالث: أن الموزون ثواب العمل وهو اطراد ما نقله الترمذي في معنى حديث النواس.

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٥/ ٣٤٨ و٣٥٢)، وابن ماجه (٣٧٨١)، والدارمي (٢/ ٥٤٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٠٤٥)، والبيهقي في «الشعب» (١٩٨٩ و١٩٩٠)، والآجري في أخلاق حملة القرآن بتحقيقي (ح٢٧) من طرق عن بشير بن مهاجر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه مرفوعًا به، وعند بعضهم مختصر، وبشير يترجح ضعفه خاصة إذا انفرد، وانظر تعليقي على أخلاق حملة القرآن للآجري.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد (٢/ ٢١٣)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٧١)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٢٥)، والحاكم (٩)، والبيهقي في «الشعب» (٢٨٣) جميعًا من طريق الليث بن سعد عن عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا به، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم على شرط مسلم، وإسناده صحيح.

الرابع: أن الموزون هو العامل نفسه. ويدل لذلك ما روى أحمد عن علي رضي الله عنه أن ابن مسعود رضي الله عنه صعد شجرة يجتنى الكباث، فجعل الناس يعجبون من دقة ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ هُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ**»[1]، وروى البخاري في «صحيحه» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**» وقال: اقرءوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]»[2].

ولابن أبي حاتم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلا يزنها**» قال: اقرءوا ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]»[3].

رواه ابن جرير. وروى البزار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل رجل من قريش يخطر في حلة له. فلما قام عن النبي قال: «**يا بريدة هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنًا**»[4].

قلت: والذي استظهر من النصوص - والله أعلم. أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها، ويدل لذلك ما رواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال: قال رسول الله ﷺ: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار. قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله**

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، وفي «فضائل الصحابة» (١٥٥٢)، وابن حبان (٧٠٦٩)، والطيالسي (٣٥٥)، وأبو يعلى (٥٣١٠ و٥٣٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٩/ ٧٨ح ٨٤٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٢٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن ابن مسعود به، وإسناده حسن، والكباث هو سواك الأراك.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به، وأما قوله: اقرءوا... إلخ فقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٣٠٢): القائل يحتمل أن يكون الصحابي، أو هو مرفوع من بقية الحديث.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١٣٥)، وأورده ابن كثير (٣/ ١٠٨) من طريق ابن أبي حاتم، كلاهما من طريق ابن أبي الزناد عن صالح مولى التوأمة عن أبي هريرة. وإسناده ضعيف لضعف عبد الرحمن بن أبي الزناد وصالح بن نبهان. وقد ورد معناه من كلام عبيد بن عمير وهو أصح.

(٤) ضعيف: أخرجه البزار، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٠٨)، والهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٢٥)، وفي إسناده عون بن عمارة وهو ضعيف.

فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان»[١] فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفه وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة، وروى أحمد عن عائشة ﵂ أن رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال يا رسول الله: إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «**يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافًا لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلًا لك. وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك**» فجعل الرجل يبكي بين يدى رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «**ماله لا يقرأ كتاب الله**» ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧]، فقال الرجل: يارسول الله ما أجد شيئًا خيرًا من فراق هؤلاء - يعني عبيده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم[٢].

فصل فيما جاء في الصراط

وَيـنـصَـبُ الـجِـسْـرُ بِـلَا امْـتِـرَاءِ ... كَـمَـا أَتَـى فِـى مُـحْـكَـمِ الأَنْـبَـاءِ
يـجُـوزُهُ الـنـاسُ عَـلَـى أَحْـوالِ ... بِـقَـدْرِ كَـسْـبِـهِـمْ مِـنَ الأَعْـمَـالِ
فَـبـيـنَ مُـجْـتَـازٍ إِلـى الـجِـنَـانِ ... وَمُـسْـرِفٍ يـكَـبُّ فـي الـنِّـيـرَانِ

«وينصب الجسر» وهو الصراط على متن جهنم «بلا امتراء» بلا شك «كما أتى في

---

(١) ضعيف بهذا اللفظ: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢١) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف، وسبق الحديث بغير هذا اللفظ بإسناد صحيح.

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣١٦٥)، وأحمد (٦/ ٢٨٠)، والبيهقي في «الشعب» (٨٥٨٦) من طريق عبد الررحمن بن غزوان عن ليث بن سعد عن مالك بن أنس عن الزهري عن عروة عن عائشة. وإسناده صحيح، إلا أنه غلط، ولذا قال الترمذي عقبه: هذا حديث غريب لا نعرفة إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان. اهـ، وقال البيهقي في «الشعب»: تفرد بن قراد، ويشبه أن يكون غلطًا من بعض الكتاب.

قلت (يحيى بن سوس): قراد هو عبد الرحمن بن غزوان وهو ثقة أخرج له البخاري وغيره، لكن له مفاريد لا يتابع عليها، وهذا الحديث من مفاريده، وأنكره عليه الدارقطني وذكر أنه ليس بمحفوظ بهذا الإسناد، وأن قرادًا أخطأ فيه، وأن الحديث من رواية الليث عن زياد بن عجلان عن زياد مولى ابن عياش مرسلًا، وانظر «تهذيب التهذيب» (٦/ ٢٢٤).

محكم «الأنبياء» من الآيات والأحاديث «يجوزه» يمر عليه الناس «على أحوال» متفاوتة «بقدر كسبهم» في الحياة الدنيا «من الأعمال» من إحسان أو إساءة أو تخليط «ف» هم «بين مجتاز» عليه «إلى الجنان» وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع، «ومسرف» على نفسه «يكب في النيران» فلا ينجو، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها، قال اللّه تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾، وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال: بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال: بعضنا يدخلونها جميعًا ثم ينجي اللّه الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد اللّه فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعًا. وقال: سليمانُ مَرَّةً: يدخلونها جميعًا وأهوى بإصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعت رسول اللّه ﷺ يقول «لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها، فتكون على المؤمن بردًا وسلامًا كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجًا من بردهم، ثم ينجي اللّه الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا»[1].

وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال: قال: أهل الجنة بعدما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة[2].

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٨) وعبد بن حميد (١١٠٦) من طريق كثير بن زياد به، وإسناده ضعيف، أبو سمية مجهول لم يوثق، ولم يرو عنه إلا كثير بن زياد، والحديث أخرجه الحاكم (٨٧٤٤) من طريق كثير، لكن جعله عن منية الأزدية عن عبد الرحمن بن شيبة عن جابر، ومنية مجهولة، وسليمان المذكور هنا هو سليمان بن حرب أحد رواة الحديث.

(٢) صحيح إلى خالد بن معدان: أخرجه هناد في الزهد (٢٣١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٤٢٩) من طريق سفيان عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان به، وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٠٧) عن سفيان عن رجل عن خالد، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية (٥/ ٢١٢) من طريق عيسى بن يونس عن ثور عن خالد به، وأخرجه ابن جرير (١٦/ ١٠٩) من طريق بكار بن أبي مروان عن خالد به. =

وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعًا رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال: «ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت، قال: إني ذكرت قول الله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] فلا أدري أأنجو منها أم لا». وله عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن الأزرق، فقال ابن عباس: «الورود الدخول». فقال نافع: لا. فقرأ ابن عباس ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨] . ورِدوا أم لا[1]؟ وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: الآية ٩٨] ، أوردوها أم لا لله أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع[2]، وروى ابن جرير عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه رجل يقال له: أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له: يا بن عباس أرأيت قول الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: الآية ٧١] قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا[3].

وعنه رضي الله عنه في ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] قال: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ﴾ [هود: الآية ٩٨] الآية ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: الآية ٨٦] فسمى الورود على النار دخولًا وليس بصادر[4]، وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله هو ابن مسعود رضي الله عنه ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] قال: رسول الله ﷺ: «يرِدُ النَّاسُ كُلُّهُمْ ثُمَّ يصْدُرُونَ عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ»[5].

= قلت: هذا مقطوع لا يفيد حكمًا وهو محمول على التفسير، إلا أن خالد بن معدان يكثر من الإسرائيليات، والله أعلم.

(١) ضعيف: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٠)، وابن جرير (١٦/ ١٠)، والحاكم (٨٧٤٧و٨٧٤٨) من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عبد الله بن رواحة... وذكره وإسناده ضعيف، قيس مخضرم، وعبد الله بن رواحة مات في حياة النبي ﷺ يوم مؤتة.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ١٠٨) من طريق عبد الرزاق عن ابن عيينة عن عمرو عمن سمع ابن عباس، وإسناده ضعيف لإبهام من سمع ابن عباس.

(٣) ضعيف: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١١١)، وفي إسناده أسباط بن نصر وهو ضعيف.

(٤) ضعيف: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١٠٩) من طريق العوفيين عن ابن عباس.

(٥) حسن الإسناد: أخرجه الترمذي (٣١٥٩)، وأحمد (١/ ٤٣٤)، والحاكم (٣٤٢١ و٨٧٤١) من طريق إسرائيل عن إسماعيل السدي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود مرفوعًا به، ورواه عن إسرائيل عبيد الله بن موسى وعبد الرحمن بن مهدي، وقال الترمذي: حديث حسن، وصححه الحاكم. لكن=

ورواه الترمذي هكذا مرفوعًا، وقد رواه ابن أبي حاتم عنه موقوفًا قال: «يرد الناس جميعًا الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم: فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامي قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس» الحديث[1]، وروى ابن جرير عنه في ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة «الأولى» كالبرق، «والثانية» كالريح، «والثالثة» كأجود الخيل، «والرابعة» كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللَّهم سلم سلم[2]، وقال قتادة قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] قال: هو الممر عليها[3]، وقال: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها[4]. وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال: رسول اللَّه ﷺ: «لَايمُوتُ لَاحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ، إلَا تَحِلَّةَ القَسَمِ»[5]. قال الزهري كأنه يريد هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝٧١﴾ [مريم: الآية ٧١][6] قال ابن مسعود: قسمًا واجبًا[7]، وفيهما عن أبي هريرة ﷺ أيضًا

= رواه شعبة عن إسرائيل بهذا الإسناد ولم يرفعه، أخرجه الترمذي (٣١٦٠) والحاكم (٨٧٤٢ و٨٧٤٣)، وقال شعبة: عمدًا أدعه. يعني الرفع، وأورده الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٧٢ ح٨٧٤)، وقال: ووقفه شعبة ويحتمل أن يكون مرفوعًا.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي حاتم، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١٣٣)، وفي إسناده أسباط بن نصر وهو ضعيف.

(٢) صحيح إلى ابن مسعود: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١١٠) عن خلاد بن أسلم عن النضر عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود موقوفًا، وهذا إسناد صحيح.

(٣) حسن إلى قتادة: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١١٠) عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة بنحوه.

(٤) صحيح إلى ابن زيد: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١١١) عن يونس عن ابن وهب عن ابن زيد.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٥١)، ومسلم (٢٦٣٢).

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود الطيالسي (٢٣٠٤) وفي إسناده زمعة بن صالح وهو ضعيف، وقول الزهري هذا ليس في رواية «الصحيحين».

(٧) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ١١٤) عن ابن مسعود، ولا يصح، وأخرجه من قول قتادة بإسناد حسن.

مرفوعًا من حديثه الطويل في الرؤية والشفاعة وفيه: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُم السَّعْدَانَ؟» هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: «فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمُ الْمُوبَقُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ، أَوِ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ، أَوِ الْمُجَازَى، أَوْ نَحْوُهُ»[١] الحديث، وفيهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ من حديثه الطويل في ذلك مرفوعًا وفيه: «ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيِ جَهَنَّمَ»، قلنا يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، يَمُرُّ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا» الحديث[٢] ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» الحديث[٣].

وفي رواية عن ابن مسعود: «رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا»[٤] وفيه عن أبي هريرة وحذيفة ﷺ في حديث استفتاح الجنة عن النبي ﷺ مطولًا، وفيه: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ»، قال: قلت بأبي أنت وأمي أي: شيء كمر البرق؟ قال: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ، رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا»، قال: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا»[٥].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٧)، وأحمد (١/ ٤١٠).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٥).

وفيه أيضًا في بعض طرق حديث أبي سعيد المتقدم قال: سعيد: «بلغني أن الجسر أدق من الشعرة وأحد من السيف»[(١)]، وفيه عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله ﷺ يسأل عن الورود الحديث، وفيه رؤية الله تعالى «فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ»، قال: «فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقٍ أَوْ مُؤْمِنٍ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ، وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ» وذكر الحديث[(٢)].

وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: الآية ١٢] قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة»[(٣)].

رواه ابن أبي حاتم وابن جرير، وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه»[(٤)]، وروى الطبراني عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله تعالى يعطي كل مؤمن نورًا وكل منافق نورًا، فإذا استووا على الصراط سلب الله تعالى نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا»[(٥)] قلت: وذلك من تأويل قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩١)، وأحمد (٣/ ٣٨٣).

(٣) حسن إلى ابن مسعود: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٥٥٨)، وعزاه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٦) لابن جرير وابن أبي حاتم من طريق المنهال بن عمرو عن قيس بن السكن عن ابن مسعود موقوفًا به. وإسناده حسن، وقد روي عن المنهال مرفوعًا بإسناد مختلف، ولا يصح، وانظر السنة لعبد الله بن أحمد (١٢٩٤ بتحقيقي).

(٤) ضعيف للإرسال، أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٢٢٢) بإسناد حسن إلى قتادة، لكنه مرسل، وهذا رواية وليس تفسيرًا.

(٥) ضعيف جدًا: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ١٢٢ح١١٢٤٢)، وفي إسناده إسحاق بن بشر أبو حذيفة، وهو متروك، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٩).

يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: الآية ٨] ، وروى ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء وأبي ذر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم**» فقال له رجل: يا نبي الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم ما بين نوح إلى أمتك؟ فقال: «**أعرفهم محجلون من أثر الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم**»[(١)] وقال الضحاك: «ليس أحد إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأي ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين، فقالوا ربنا أتمم لنا نورنا»[(٢)].

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: الآية ١٢] قال: «على الصراط». اهـ[(٣)].

وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة، وردوا الآيات والأحاديث الواردة في الورود والمقام المحمود والشفاعة، ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس رضي الله عنهما في الورود، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الدخول. وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن

---

(١) في إسناده ضعف، ولمعناه شواهد، وهذا أخرجه ابن أبي حاتم، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٩)، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٣/ ٣٠٤ح ٣٢٣٤) من طريق يزيد بن أبي حبيب عن سعيد بن مسعود عن عبد الرحمن بن جبير عن أبي الدرداء وأبي ذر مرفوعًا به، وإسناده ضعيف لجهالة حال سعد بن مسعود وهو المصري التجيبي، ترجمته ب«التاريخ الكبير» (٤/ ٦٤) و«الجرح اولتعديل» (٤/ ٩٤)، وترجم له ابن ماكولا في «الإكمال» (٤/ ٩٧) وذكر أنه كان صالحًا أسند حديثًا واحدًا. وفي إسناد الطبراني أيضًا: عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف، ولمعنى الحديث شواهد يتقوى بها، فيصح لشواهده، والله أعلم.

(٢) أخرجه ابن جرير (٢٨/ ١٦٩) من قول الحسن بإسناد ضعيف، وأخرجه الحاكم (٣٨٣٢) عن ابن عباس بإسناد ضعيف أيضًا.

(٣) صحيح إلى الحسن: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٣١٧) عن حفص بن غياث عن أشعث عن الحسن به، وإسناده صحيح، وأشعث هو ابن سوار الكندي.

دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨] أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافع أما والله أنت وأنا سنردها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك[١].

فصل فيما ورد في الجنة والنار

وَالنَّارُ وَالجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا مَوْجُودَتَانِ لَا فَنَاءَ لَهُمَا

أي: ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، والبحث فيه ينحصر في ثلاثة أمور:

الأول: كونهما حقًّا لا ريب فيهما ولا شك، وأن النار دار أعداء الله، والجنة دار أوليائه. وهذا هو المشار إليه بقولنا حق، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، الآيات. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ * وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾، الآية. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا * إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾، وقال تعالى في أولياء الشيطان: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا

(١) ضعيف: أخرجه ابن جرير (١٦/ ١٠٨)، وفي إسناده مبهم.

يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾، وقال تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ءَامِنِينَ﴾. الآيات، وغيرها كثيرة في القرآن شهيرة، كلما يذكر الجنة عطف عليها بذكر النار، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة، فتارة يعد ويتوعد، وتارة يرغب في الجنة ويدعو إليها ويرهب من النار ويحذر منها، وتارة يخبر عما أعد في الجنة من النعيم المقيم لأوليائه، ويخبر عما أرصد في النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك. فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد عن الأوزاعي قال: حدثني عمير بن هانئ قال: حدثني جنادة بن أبي أمية عن عبادة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ»[1] زاد في رواية: «مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ»[2] ووافقه على إخراجه مسلم وغيره. ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَوْ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ»[3].

زاد في رواية «وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[4] هذا لفظ البخاري في باب التهجد، وقد

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).
(٢) صحيح: وتخريجه فيما سبق.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١١٢٠)، ومسلم (٧٦٩).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١١٢٠).

روياه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبي ﷺ قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقية الله وحقية رسله وحقية وعده الصادق، وهما أي: الجنة والنار من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه في غير ما موضع من كتابه. وفي حديث عبادة هذا أنه ﷺ علق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك، ولهذا يقول الله ﷻ يوم القيامة لأهل النار ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝٦٤﴾، وقال تعالى: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾، الآيات وغيرها. وتقدم في بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد «قال: فحدثني ما الإيمان؟ قال: **«الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين، وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت، وتؤمن بالجنة والنار، والحساب والميزان»** الحديث[1]، وغير ذلك من الأحاديث.

البحث الثاني: اعتقاد وجودهما الآن، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: الآية ٢١]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾ [السجدة: الآية ١٧]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾، وغيرها من الآيات يخبر تعالى أنها معدة قد أوجدت، وأنها مخفية لأولياء الله تعالى مدخرة لهم، وأنها في السماء، وأن النبي ﷺ أتاها ليلة المعراج ورآها.

وقال تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: الآية ٢٤]، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ١١]، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: الآية ٣١]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢﴾، فهي أيضًا معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم. وقال البخاري في صحيحه: «باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة»[2] ثم ذكر فيه حديث ابن عمر ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ فَإِنَّهُ يُعْرَضُ عَلَى مَقْعَدِهِ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ، فَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ»**[3] وحديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال: **«اطَّلَعْتُ فِي الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ»**[4] وحديث أبي هريرة ؓ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (١/ ٣١٨)، وسبق.

(٢) فتح الباري (٦/ ٣٥٢) كتاب بدء الخلق، باب رقم (٨).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٤٠)، ومسلم (٢٨٦٦).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٤١ و٦٤٤٩)، ومسلم (٢٧٣٧)، لكنه عند البخاري من حديث=

قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا القَصْرُ؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا»، فبكى عمر وقال: عليك أغار يارسول الله»[١] وحديثه رضي الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فاقرءوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: الآية ١٧]»[٢]، ثم ساق الأحاديث في صفتها ثم قال: «باب صفة النار وأنها مخلوقة»[٣] ثم ذكر فيه حديث أبي ذر وأبي سعيد رضي الله عنهما قال النبي ﷺ: «أَبْرِدُوا بِالصَّلَاةِ فَإِنَّ شِدَّةَ الحَرِّ مِنْ فَيحِ جَهَنَّمَ»[٤] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَقَالَتْ: رَبِّ أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الحَرِّ وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ فِي الزَّمْهَرِيرِ»[٥] وحديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضي الله عنهم قال رسول الله ﷺ: «الحُمَّى مِنْ فَيحِ جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ»[٦] وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ» قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: «فُضِّلَتْ عَلَيهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا»[٧] وفيه من حديث أنس بن مالك في المعراج: «ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِي، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ»[٨] وفيه من حديث مالك بن صعصعة في ذلك وفيه: «ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى،

= أبي رجاء عن عمران بن حصين، وعند مسلم من حديث أبي رجاء عن ابن عباس، وقال الحافظ في الفتح (١١/ ٣٠٥): وكلا الإسنادين ليس فيه مقال، ويحتمل أن يكون عند أبي رجاء عن كلٍّ منهما.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٤٢)، ومسلم (٢٣٩٥).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٣) فتح الباري (٦/ ٣٦٦) كتاب بدء الخلق، باب (١٠).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٥٨)، ومسلم (٦١٦) من حديث أبي ذر مرفوعًا، وأخرجه البخاري (٣٢٥٩) من حديث أبي سعيد مرفوعًا.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٦١) من حديث ابن عباس، وأخرجه البخاري (٣٢٦٢)، ومسلم (٢٢١٢) من حديث رافع بن خديج، وأخرجه البخاري (٣٢٦٣)، ومسلم (٢٢١٠) من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (٣٢٦٤)، ومسلم (٢٢٠٩) من حديث ابن عمر مرفوعًا من حديث جميعهم.

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

(٨) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس بن مالك عن أبي ذر مرفوعًا به.

فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ ، قَالَ : هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ ، فَقُلْتُ : مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ : أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ» الحديث[١] ، وفيهما من حديث صلاة الكسوف وخطبته ﷺ فيها وأنه عرضت عليه الجنة والنار ، وأنه ﷺ أراد أن يتناول من الجنة عنقودًا فقصرت يده عنه ، وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا ، وأنه رأى النار ورأي فيها صاحب المحجن الذي كان يسرق الحاج ، ورأى فيها عمرو بن لحي يجر قصبه في النار ، ورأي المرأة التي تعذب هرة حبستها[٢] وقال ﷺ : «لَمْ أَرَ مَنْظَرًا كَالْيَوم أَفْظَعُ»[٣] ، وفي «صحيح مسلم» و«السنن» و«المسند» من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال : «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرَائِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ : انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَرَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ ، فَقَالَ : ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ قَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ، قَالَ : ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى النَّارِ ، قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا . ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَسْمَعَ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلَهَا ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ : اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ : وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا»[٤] .

وقد تقدم في أحاديث عذاب القبر وأحوال البرزخ ذكر الجنة والنار ، ورؤية كل منزلة فيها ، وعرض مقعده عليه ، وفتح باب إحديهما إليه وأن أرواللّه المؤمنين في عليين ، وأرواللّه الفجار في سجين ، وغير ما ذكرنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة ما لا يحصى وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا : «موجودتان» .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة مرفوعًا به .

(٢) صحيح : وسبق تخريجه .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٣١)، ومسلم (٩٠٧).

(٤) حسن : والحديث لم يخرجه مسلم ، وإنما أخرجه أبو داود (٤٧٤٤)، والترمذي (٢٥٦٠)، والنسائي (٧/ ٣)، وأحمد (٢/ ٣٣٢، ٣٥٤و ٣٧٣)، وابن حبان (٧٣٩٤)، والحاكم (٧١) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا به .

البحث الثالث : في دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما وأنهما لا تفنيان أبدًا ولا يفنى من فيهما .

وإلى هذه المسألة الإشارة بقولنا : «لا فناء لهما» قال الله تعالى في الجنة : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ١٠٠] ، وقال تعالى : ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: الآية ٤٨]، وقال تعالى : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: الآية ١٠٨]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: الآية ٥٤]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ [الدخان: الآية ٥١]– إلى قوله تعالى – ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: الآية ٣٣] ، وغير ذلك من الآيات ، فأخبر تعالى بأبديتها بقوله : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ﴾ [النساء: الآية ٥٧] ، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: الآية ٥٤] وأبدية حياة أهلها بقوله : ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ﴾ [الدخان: الآية ٥٦]وعدم انقطاعها عنهم قوله : ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: الآية ٣٣] – ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: الآية ١٠٨] وبعدم خروجهم بقوله : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: الآية ٤٨] وكذلك النار قال الله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ﴾ ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: الآية ٢٣]، وقال تعالى : ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: الآية ٣٧]، وقال تعالى : ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٧] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ ، الآيات . وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ ، وقال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: الآية ٤٥] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾﴾ [طه: الآية ٧٤] ، وقال تعالى : ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا

يَحۡيَىٰ﴾ ، وقال تعالى : ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ۝٢٣﴾ [النبأ: الآية ٢٣] ، إلى قوله : ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمۡ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: الآية ٣٠] . وغير ذلك في القرآن كثير ، فأخبرنا تعالى في هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبد الآبدين ودهر الداهرين لا فكاك لهم منها ولا خلاص ، ولات حين مناص . فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [النساء: الآية ٥٧] ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى : ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: الآية ١٦٧] ، ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله ﷻ : ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ [فاطر: الآية ٣٦] ، وقوله تعالى : ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ﴾ [الزخرف: الآية ٧٥] ، ونفى فناءهم فيها بقوله ﷻ : ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ۝١٣﴾ [الأعلى: الآية ١٣] ، وقوله : ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: الآية ٥٦] ، وقال البخاري : رحمه اللّٰه تعالى في قول اللّٰه ﷻ : ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [مريم: الآية ٣٩] ، حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : «**يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ فَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، ثُمَّ يُنَادِي : يَا أَهْلَ النَّارِ! فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ نَعَمْ هَذَا الْمَوْتُ ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ ، فَيُذْبَحُ ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ**» ، ثم قرأ ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ [مريم: الآية ٣٩] «**وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ أَهْلُ الدُّنْيَا وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**»[1] ووافقه على إخراجه مسلم من حديث أبي سعيد هذا ، وأخرجاه أيضا من حديث عبد اللّٰه بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول اللّٰه ﷺ : «**إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُذْبَحُ ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ**»[2] وفي رواية لمسلم عن عبد اللّٰه هو ابن عمر رضي الله عنهما قال إن رسول اللّٰه ﷺ قال : «**يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ فَيَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ**»[3] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٣٠) ، ومسلم (٢٨٤٩) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٤٨) ، ومسلم (٢٨٥٠) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٤٤) ، ومسلم (٢٨٥٠) ، وليس عند البخاري «كل خالد فيما هو فيه» بل عنده «خلود» .

ورواه البخاري دون قوله «كل خالد» إلخ، وله عن أبي هريرة ﷺقال: قال النبي ﷺ: «يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَاأَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ» (١) وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا بشر (يعني ابن الفضل) عن أبي مسلمة عن أبي نضرة عن أبي سعيد ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ». فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺقد كان بالبادية (٢) ورواه الإمام أحمد من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ، وفي الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ما ذكرنا، وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

نعم: جاءت الأحاديث الصريحة بإخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جنايتهم، وأنهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتي إن شاء الله قريبًا، وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتهم في مقدار ما تأخذ منهم، وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أخرجوا منها وأدخلوا الجنة، وأنهم ليأتين عليها يوم وهي تصفق في أبوابها ليس بها أحد (٣) وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: الآية ١٠٧] الآية، وعلى ذلك يحمل ما ورد من آثار الصحابة، وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «الوابل الصيب» قال رحمه الله تعالى: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبيث وطيب - كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض - وهاتان الداران لا تفنيان - ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥) وغيره.

(٣) منكر: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٢٠) من طريق العلاء بن زيدل عن أنس مرفوعًا به، والعلاء متروك واتهم، وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٤٧ ح٧٩٦٩)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ١٢٢) من طريق جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعًا، وجعفر متروك الحديث، وبه أعله الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٠)، وأخرجه البزار في مسنده (٦/ ٤٤٢ ح٢٤٧٨) عن محمد بن بشير عن أبي داود عن شعبة عن أبي بلج عن عمرو بن ميمون عن عبد الله بن عمرو موقوفًا به، وزاد في آخره: يعني من الموحدين. لكن محمد بن بشير أظنه المصري وهو مجهول.

دار العصاة، فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد، فإنهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض. انتهى كلامه رحمه الله تعالى [١].

(فصل)

قالت اليهود قبحهم الله: إن النار يدخلها قوم من الكفار ويخرجون منها بعد أيام، ثم يخلفهم آخرون، كما قص الله تعالى ذلك عنهم في سورة البقرة إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة: الآية ٨٠]، ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾﴾، وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: «**لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم**، فقال رسول الله ﷺ: «**اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَهُنَا مِنَ اليهُودِ**»، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَبُوكُمْ؟**» قالوا: أبونا فلان. فقال رسول الله ﷺ: «**كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ**» فقالوا: صدقت وبررت. فقال: ﷺ: «**هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته لأبينا. قال لهم رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟**» فقالوا: نكون فيها يسيرًا ثم تخلفوننا فيها. فقال لهم رسول الله ﷺ: «**اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا**»، ثم قال لهم: «**فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟**» قالوا: نعم. فقال: «**هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًّا**»؟ فقالوا: نعم. فقال: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟**» فقالوا: أردنا إن كنت كذابًا نستريح منك، وإن كنت نبيًّا لم يضرك [٢].

وقال ابن عربي إمام الاتحادية محيي الزندقة والإلحاد في آيات الله تعالى: إن أهلها

---

(١) «الوابل الصيب» لابن القيم (ص٣٠ بتحقيقي) طبعة دار ابن رجب.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٧٧) وغيره.

يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعهم. وقال الجهم وشيعته: إن الجنة والنار تفنيان كلتاهما لأنهما حادثتان، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه: بناء على أصله الفاسد في منع تسلسل الحوادث وبقائها بإبقاء اللّٰه تعالى لها، وقال طائفة من المعتزلة والقدرية: لم يكونا الآن موجودتين بل ينشئهما اللّٰه تعالى يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله اللّٰه وأنه ينبغي أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، قياسًا للّٰه تعالى على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجسيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة، فردوا من نصوص الكتاب والسنة ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم قبحهم اللّٰه تعالى. وقال أبو الهذيل العلاف: تفنى حركات أهل الجنة والنار ويصيرون جمادًا لا يحسون بنعيم ولا ألم. وكل هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، ومحادة ومشاقة للّٰه تعالى وللرسول ﷺ، وتقديم للعقول السخيفة وزبالة الأذهان البعيدة والقلوب الشقية البا يدة، وزخارف فاسدي السيرة والسريرة والظاهر والباطن والعمل والعقيدة. وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه اللّٰه تعالى في نونيته الكافية الشافية في أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته دمرهم اللّٰه تعالى:

وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعَطَّلًا ... وَالْفِعْلُ مُمْتَنِعٌ بِلَا إِمْكَانِ
ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ ... مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ قَامَ بِالدَّيَّانِ
بَلْ حَالُهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَاتِهِ ... قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهَا سِيَانِ
وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا ... جَنَّاتُ عَدْنٍ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ
فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمِ مَعَادِنَا ... فَهُمَا عَلَى الأَوْقَاتِ فَانِيَتَانِ
وَتَلَطَّفَ الْعَلَّافُ مِنْ أَتْبَاعِهِ ... فَأَتَى بِضِحْكَةِ جَاهِلٍ مَجَّانِ
قَالَ الْفَنَاءُ يَكُونُ فِي الْحَرَكَاتِ لَا ... فِي الذَّاتِ وَاعَجَبًا لِذَا الْهَذَيَانِ
أَيَصِيرُ أَهْلُ الْخُلْدِ فِي جَنَّاتِهِمْ ... وَجَحِيمِهِمْ كَحِجَارَةِ الْبُنْيَانِ
مَا حَالُ مَنْ قَدْ كَانَ يَغْشَى أَهْلَهُ ... عِنْدَ انْقِضَاءِ تَحَرُّكِ الْحَيَوَانِ
وَكَذَاكَ مَا حَالُ الَّذِي رَفَعَتْ يَدَا ... هُ أَكْلَةً مِنْ صَفْحَةٍ وَخِوَانِ
فَتَنَاهَتِ الْحَرَكَاتُ قَبْلَ وُصُولِهَا ... لِلْفَمِّ عِنْدَ تَفَتُّحِ الأَسْنَانِ
وَكَذَاكَ مَا حَالُ الَّذِي امْتَدَّتْ يَدٌ ... مِنْهُ إِلَى قِنْوٍ مِنَ الْقِنْوَانِ

فَتَنَاهَتِ الْحَرَكَاتُ قَبْلَ الاخْذِ هَلْ	يبْقَى كَذَلِكَ سَائِرَ الازْمَانِ
تَبًّا لِهَاتِيكَ الْعُقُولِ فَإِنَّهَا	وَاللَّهِ قَدْ مُسِخَتْ عَلَى الابْدَانِ
تَبًّا لِمَنْ أَضْحَى يقَدِّمُها عَلَى الْـ	آثَارِ وَالأخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

فصل: فيما جاء في الحوض والكوثر

وَحَوْضُ خَيرِ الخَلِق حَقٌّ وَبِهِ ... يشْرَبُ في الأُخْرَى جَمِيعُ حِزْبِهِ

«وحوض خير الخلق» نبينا محمد ﷺ وهو الكوثر الذي أعطاه ربه ﷺ «حق» لا مرية فيه «وبه» بالحوض «يشرب» أي: يروى ولذا عدى «بالباء» دون «من» لتضمن الشرب ههنا معنى الرى «في الأخرى» أي: في الدار الآخرة «وجميع حزبه» وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذي أنزل معه، قال الله تبارك وتعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾، وروى البخاري بسنده إلى أبي بشر عن أبي سعيد بن جبير عن ابن عباس ﷺ أنه قال في الكوثر: هو الخير الذي أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فإن الناس يزعمون أنه «نهر» في الجنة. فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه [1]. اهـ.

وقد ورد في ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ واشتهر واستفاض بل تواتر في كتب «السنة» من «الصحاح» و«الحسان» والمسانيد والسنن. فمن روى ذلك عنه من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وحارثة بن وهب، وجندب بن عبد الله، وسهل بن سعد وعائشة، وعقبة بن عامر، وعبدالله بن مسعود، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأسماء بنت أبي بكر، وثوبان، وأبو ذر، وأم سلمة، وجابر بن سمرة، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب وحذيفة، وأبوبرزة الأسلمي، والمستورد بن شداد، وأبو سعيد الخدري، وعبد الله بن زيد، وأسامة بن زيد.

فأما عن أنس بن مالك فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس ﷺ قال: لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء قال: **«أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ»** [2].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٦٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٩٦٤)، والترمذي (٣٣٥٩) وغيرهما.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الوليد حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ، وحدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ، قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذ أنا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ - أو طِيبُهُ - مِسْكٌ أَذْفَرُ» شك هدبة [١].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن عقير قال: حدثني ابن وهب عن يونس قال ابن شهاب: حدثني أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ قَدْرَ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ اليَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الأَبَارِيقِ بِعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَما بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ» وبلفظ: «تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ كعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ» [٢] وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب حدثنا عبد العزيز عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْضَ حَتَّى عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي فَأَقُولُ: أَصْحَابِي! فَيَقُولُ: لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» [٣] ورواه مسلم بلفظ إن النبي ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أَصْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ» [٤].

وأما عن ابن عمر فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثني نافع عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ» [٥] ورواه مسلم بلفظ: «مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ» [٦] وزاد في رواية: «فِيهِ أَبَارِيقُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ. مَنْ وَرَدَهُ فَشَرِبَ مِنْهُ لَا يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» زاد في أخرى: قال عبيد الله «فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال» [٧].

---

(١) صحيح :أخرجه البخاري (٦٥٨١) وغيره. ووقع بالأصل: شك شعبة. وهو خطأ، صوبته من «صحيح البخاري».

(٢) صحيح :أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣)، وغيرهما من حديث أنس، وهو باللفظين الأخيرين عند مسلم.

(٣) صحيح :أخرجه البخاري (٦٥٨٢).

(٤) صحيح :أخرجه مسلم (٢٣٠٤).

(٥) صحيح :أخرجه البخاري (٦٥٧٧).

(٦) صحيح :أخرجه مسلم (٢٢٩٩).

(٧) صحيح :والروايتان لمسلم (٢٢٩٩).

وأما عن حارثة بن وهب فقال البخاري رحمه اللّه تعالى: حدثنا على بن عبد اللّه حدثنا حرمي بن عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خالد أنه سمع حارثة بن وهب رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ وذكر الحوض فقال: «كَمَا بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ»(١) وزاد ابن أبي عدي عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع النبي ﷺ قوله: «حَوْضُه مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ والمَدِينَةِ» فقال: له المستورد «ألم تسمعه قال: الأواني؟ قال: لا. قال: المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب»(٢) ورواه مسلم بهذا اللفظ.

وأما عن جندب بن عبد اللّه فقال البخاري رحمه اللّه تعالى: حدثنا عبدان أخبرني أبي عن شعبة عن عبد الملك، قال: سمعتُ جندبًا قال: سمعتُ النبي ﷺ: يقول: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ»(٣) رواه مسلم هكذا.

وأما عن سهل بن سعد فقال البخاري رحمه اللّه تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن مطرف حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبي ﷺ: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ»(٤) قال: أبو حازم فسمعنى النعمان بن أبى عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت نعم فقال: أشهد على أبى سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها: «فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالَ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي» - ورواه مسلم وفيه: «لمن بدل بعدى»(٥).

وأما عن عائشة فقال: البخاري رحمه اللّه تعالى: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة رضي الله عنها قال: سألتها عن قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١] قالت: «نَهَرٌ أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم»(٦).

وقال مسلم رحمه اللّه تعالى: حدثنا ابن أبى عمر حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خيثم عن عبد اللّه بن عبيد اللّه بن أبى مليكة أنه سمع عائشة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول اللّه ﷺ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩١).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٢)، ومسلم (٢٢٩٨).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).
أخرجه البخاري (٦٥٨٣)، ومسلم (٢٢٩٠).
أخرجه البخاري (٦٥٨٤)، ومسلم (٢٢٩٠).
أخرجه البخاري (٤٩٦٥).

يقول وهو بين ظهراني أصحابه: «إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللَّهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»(١).

وأما عن عقبة بن عامر فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الليث عن يزيد عن أبي الخير عن عقبة ﷺ أن النبي ﷺ خرج يومًا فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال: «إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ» - أو - «مَفَاتِيحَ الأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ أَنْ تُشْرِكُوا بَعدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»(٢) ورواه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ: صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». قال عقبة: وكانت آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر(٣).

وأما عن عبد الله بن مسعود فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبدالله ﷺ عن النبي ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ»(٤)، وحدثني عمرو بن علي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة قال: سمعت أبا وائل عن عبدالله ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ رِجَالٌ مِنكُمْ ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ: أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٥) تابعه عاصم عن أبي وائل، وقال: حصين عن أبي وائل عن حذيفة عن النبي ﷺ وروى مسلم حديث ابن مسعود بلفظ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْض وَلأُنَازِعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِم أَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»(٦) وأشار إلى حديث حذيفة بنحو رواية الأعمش ومغيرة.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٠)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٩٦).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٥).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٦، وقوله: تابعه... إلخ كلام البخاري رحمه الله.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٩٧)، وحديث حذيفة عنده بنفس الرقم.

وأما عن أبي هريرة فقال البخاري رحمه اللّه تعالى: حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامي حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبي قال: حدثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ فَإِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِن بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: إِلَى أَيْنَ؟ قال: إلى النار واللّه، قلت وما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى، ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم قال: هلم، قلت إلى أين؟ قال: إلى النار واللّه، قلتُ: ما شَأْنُهُمْ، قال: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى فَلا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلَ هَمَلِ النَّعَمِ»[١]، وله عنه أنه كان يحدث أن رسول اللّه ﷺ قال: «يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ القِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلأُونَ عَنِ الحَوْضِ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أَصْحَابِي فَيَقُولُ إِنَّكَ لَا عِلْمَ لَك بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى»[٢] وله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، ومِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي»[٣] وقال مسلم رحمه اللّه تعالى: حدثنا عبدالرحمن بن سلام الجمحي حدثنا الربيع (يعني ابن مسلم) عن محمد بن زياد عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالاً كَمَا تُذَادُ الغَرِيبَةُ مِنَ الإِبِلِ»[٤] وله عن أبي حاتم ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ» قالوا: يا رسولَ اللّه أتعرفنا يومئذٍ؟ قال: «نَعَمْ لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ»[٥].

وأما عن عبد اللّه بن عمرو بن العاص فقال البخاري رحمه اللّه تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد اللّه بن عمرو قال: النبي ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةِ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ وَكِيزَانُهُ كنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلا يَظْمَأُ أَبَدًا»[٦] ورواه مسلم بلفظ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ ومَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنِ الوَرَقِ وريحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وكِيزَانُهُ كنُجُومِ السَّمَاءِ،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨٧). .
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨٦).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٨٨).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٠٢).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٧).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٧٩).

فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا» (١).

وأما عن ابن عباس: فهو ما تقدم في أول الباب (٢)، وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير عنه ﷺ قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجري على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل (٣).

وله عن عطاء بن السائب قال: قال لي محارب بن دثار: ما قال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس: أنه الخير الكثير، فقال: صدق والله إنه للخير الكثير، ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١] قال رسول الله ﷺ: «**الكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ يَجْرِي عَلَى الدُّرِّ واليَاقُوتِ**» (٤).

وأما عن أسماء فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم عن نافع عن ابن عمر، قال: حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِم**» وكان ابن أبي مليكة يقول: «اللَّهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا» (٥) ورواه مسلم بسند حديث عبد الله بن عمرو متصلًا بمتنه ولفظه كلفظ البخاري.

وأما عن ثوبان فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى وابن بشار وألفاظهم متقاربة قالوا: حدثنا معاذ وهو ابن هشام حدثني أبي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن ثوبان ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لَبِقَعْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لأَهْلِ اليَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**»،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٩٢).

(٢) وهو صحيح، أخرجه البخاري (٤٩٦٦ و٦٥٧٨).

(٣) حسن إلى ابن عباس: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٢٠) عن أبي كريب عن عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفًا. وإسناده حسن، وعمر بن عبيد صدوق وهو الطنافسي، وعطاء هو ابن السائب صدوق اختلط، لكن للحديث شواهد تقويه.

(٤) صحيح بشواهده: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٣٢٥) عن يعقوب عن ابن علية عن عطاء بن السائب به، وعطاء مختلط، وسماع ابن علية منه بعد الاختلاط، وأخرجه ابن جرير حديث ابن عمر من طريق هشيم وابن فضيل عن عطاء به، والحديث يصح بشواهده.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣).

فسئل عن عرضه فقال: «**مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّان**». وسئل عن شرابه فقال: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ العَسَلِ يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يُمِدَّانِهِ مِنَ الجَنَّةِ أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ وَالآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**»(١).

وقال: الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن إسماعيل أنبأنا يحيى بن صالح أنبأنا محمد بن مهاجر عن العباس عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إلي عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد، فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين لقد شق على مركبي البريد. فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، قال أبو سلام: حدثني ثوبان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**حَوْضِي مِنْ عَدَنَ إِلَى عَمَّانَ الْبَلْقَاءِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَكَاوِيبُهُ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا، أَوَّلُ النَّاسِ وُرُودًا عَلَيْهِ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، الشُّعْثُ رُءُوسًا، الدُّنْسُ ثِيَابًا، الَّذِينَ لَا يَنْكِحُونَ الْمُتَنَعِّمَاتِ، وَلَا تُفْتَحُ لَهُمُ السُّدَدُ**» قال عمر: لكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد، نكحت فاطمة بنت عبد الملك، لا جرم أني لأغسل رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ(٢)، ورواه ابن ماجه بلفظ: «**إن حوضي ما بين عدن إلى أيلة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، أكاويبه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا**» الحديث. وفيه قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته وفيه «ولا أدهن رأسي حتى يشعث»(٣).

وأما عن أبي ذر فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم واللفظ لابن أبي شيبة، قال: إسحاق أخبرنا - وقال الآخران: حدثنا - عبد العزيز بن عبد الصمد العمي عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٠١).

(٢) **ضعيف بهذا الطول**: أخرجه الترمذي (٢٤٤٤)، والحاكم (٧٣٧٤)، والروياني (٦٥٣)، والباغندي في مسند عمر بن عبد العزيز (٦٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٩٦)، وأخرجه في «مسند الشاميين» (١٤١١) من غير الموقوف، جميعًا من طرق عن محمد بن المهاجر عن العباس بن سالم عن أبي سلام عن ثوبان، وإسناده صحيح، وصححه الحاكم إلا أن الترمذي قال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، ثم وقفت على علته، وهي أن العباس لم يسمعه من أبي سلام، ولم يحضرر القصة، ووقع في رواية ابن ماجة (٤٣٠٣) عند العباس قال: نبئت عن أبي سلام.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٣)، وانظر ما سبق.

أبي ذر قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»(١) رواه الترمذي بهذا اللفظ وقال: حسن صحيح غريب.

وأما عن أم سلمة ﵂ فقال مسلم بن الحجاج: حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني عمرو وهو ابن الحارث أن بكيرًا حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت «كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يومًا من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «أَيُّهَا النَّاسُ»، فقلت للجارية: استأخري عني، قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء فقلت: إني من الناس. فقال رسول الله ﷺ: «إِنِّي لَكُمْ فَرَطٌ عَلَى الْحَوْضِ، فَإِيَّايَ لَا يَأْتِيَنَّ أَحَدُكُمْ فَيُذَبُّ عَنِّي كَمَا يُذَبُّ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، فَأَقُولُ: فِيمَ هَذَا؟ فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا»(٢).

وأما عن جابر بن سمرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثني أبي رحمه الله تعالى حدثني زياد بن خيثمة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال: «أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ»(٣).

وأما عن زيد بن أرقم فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا حفص بن عمر النمري حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلًا فقال: «مَا أَنْتُمْ بِجُزْءٍ مِنْ مَائَةِ أَلْفِ جُزْءٍ مِمَّنْ يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ». قال: قلت كم كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٠٠)، والترمذي (٢٤٤٥)، وأحمد (٥/ ١٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٩٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٠٥).

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٤٦)، وأحمد (٤/ ٣٦٧ و٣٦٩ و٣٧١)، والطيالسي (٦٧٧)، وابن الجعد (٨٥)، وابن أبي عاصم (٧٣٣)، والحاكم (٢٥٦ و٢٥٧)، وابن أبي شيبة (٣١٦٨٧)، =

وأما عن سمرة بن جندب فقال الترمذي رحمه اللّه تعالى: حدثنا أحمد بن نيزك البغدادي أنبأنا محمد بن بكار الدمشقي أنبأنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«إن لكل نبي حوضًا وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة»** [١] هذا حديث حسن غريب. وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح. انتهى.

وأما عن حذيفة: فتقدمت الإشارة إليه عند الشيخين بعد روايتهما حديث ابن مسعود [٢].

وقال ابن ماجة رحمه اللّه تعالى: حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا على بن مسهر عن أبي مالك سعد بن طارق عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ»** قيل: يا رسول اللّه أتعرفنا؟ قال: **«نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ»** [٣].

ورواه مسلم في الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند.

وأما عن أبي برزة فقال أبو داود رحمه اللّه تعالى: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عبدالسلام بن أبى حازم أبو طالوت قال: شهدت أبا برزة دخل على عبيد اللّه بن زياد فحدثني فلان سماه مسلم وكان في السماط فلما رآه عبيد اللّه قال: إن محمديكم هذا لدحداح، ففهمها الشيخ فقال: ما كنت أحسب أني أبقى في قوم يعيروني بصحبة محمد ﷺ، فقال له عبيد اللّه: إن صحبة محمد ﷺ لك زين غير شين، ثم قال: إنما بعثت إليك

= والطبراني (٥/ ١٧٦ ح٤٩٩٩ و٥٠٠٠) من طرق عن عمرو بن مرة عن طلحة أبي حمزة عن زيد بن أرقم به، وإسناده صحيح، وطلحة وثقه النسائي وأخرج له البخاري وأصحاب السنن.

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٤٤٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٣٤) والطبراني في «المعجم الكبير» (٧/ ٢١٢ ح٦٨٨١) من طريق محمد بن بكار بهذا الإسناد به، وقال الترمذي: هذا حديث غريب. قلت: سعيد بن بشير ضعيف، وحديثه هذا منكر، فقد خالفه هشام بن حسان فرواه عن الحسن مرسلًا، أخرجه ابن المبارك في الزهد (ح٤٠٤ زيادات نعيم) عن هشام به، وأشار الترمذي إلى الإرسال ورجحه.

(٢) أشار البخاري إلى حديث حذيفة عقب حديث (٦٥٧٦) وأما مسلم فأسنده (٢٢٩٧).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٨)، وابن ماجة (٤٣٠٢).

لأسألك عن الحوض سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئًا؟ فقال أبو برزة: نعم لا مرة ولا اثنتين ولا ثلاثًا ولا أربعًا ولا خمسًا، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضبًا[(١)].

وأما عن المستورد: فتقدم في المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب[(٢)].

وأما حديث أبي سعيد الخدري فقال ابن ماجة رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا حدثنا عطية عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «**إن لي حوضًا ما بين الكعبة وبيت المقدس أبيض من اللبن آنيته عدد النجوم، وإني لأكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة**»[(٣)].

وأما عن عبد الله بن زيد: فرواه البخاري ومسلم عنه مطولًا في قصة قسم غنائم حنين، وفي آخره قوله ﷺ للأنصار رضي الله عنهم: «**إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الحَوْضِ**»[(٤)].

وأما عن أسامة بن زيد فقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثني البرني حدثنا ابن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير أخبرني حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد «أن رسول الله ﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجار فقالت: خرج يا نبي الله عامدًا نحوك، فأظنه أخطأك في بعض أزقة بني النجار، أولا تدخل يا رسول الله؟ فدخل، فقدمت إليه حيسًا فأكل منه، فقالت: يا رسول الله هنيئًا لك ومريئًا، لقد جئت وأنا أريد أن آتيك لأهنيك وأمريك، أخبرني أبو عمارة أنك أعطيت نهرًا في الجنة يدعى الكوثر. فقال: «**أجل وعرضه**» - يعني أرضه -

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٧٤٩) بهذا الإسناد به وهو صحيح، ومسلم بن إبراهيم ثقة مأمون إلا أنه مخالف، خالفه عبد الصمد عند أحمد في «المسند» (٤/ ٤٢٤) وعبيد الله بن عبد المجيد وعبد الله بن حمران عند الخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٣٣٥) فرووه ثلاثتهم عن عبد السلام أبي طالوت عن العباس الجريري عن أبي برزة به، والعباس ثقة، والحديث في الحالتين صحيح، وله طريق آخر عن أبي برزة فقد أخرجه أحمد (٤/ ٤١٩ و٤٢٥)، وعبد الرزاق (١١/ ٤٠٤)، وابن أبي عاصم (٧٠٣) عن مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة عن أبي برزة، لكن مطر ضعيف.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٢)، ومسلم (٢٢٩٨).

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجه (٤٣٠١) وعبد بن حميد (٩٠٤)، وأبو يعلى (١٠٢٨)، وابن أبي عاصم (٧٢٣)، وابن أبي شيبة (٣١٦٨١ و٣٤١٠٤)، وإسناده ضعيف لضعف عطية العوفي.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٠٦١).

«ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ» [(١)].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : حرام بن عثمان ضعيف ، ولكن هذا سياق حسن ، وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث اهـ [(٢)].

قلت : وقد ذكرنا ما تيسر . وفي الباب عدة أحاديث غير ما ذكرنا ، ولمن ذكرنا من الصحابة أحاديث أخرى لم نذكرها ، ولهم روايات في الأصول التي عزونا إليها غير ما سقنا ، وإنما أشرنا إشارة إلى بعضها لتعرف شهرة هذا الباب واستفاضته وتواتره مع الإيجاز والاختصار . ولله الحمد والمنة .

فصل: في الأحاديث الواردة عن لواء الحمد

كَذَا لَهُ لِوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَرْ وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ جَمِيعًا تُحْشَرْ

قال الترمذي رحمه الله تعالى : حدثنا الحسين بن يزيد الكوفي حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا ، وأَنَا خَطِيبُهُم إِذَا وَفَدُوا ، وأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا ، لِوَاءُ الحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي ، وَأَنَا أَكْرَمُ عَلَى رَبِّي وَلَا فَخْرَ**» [(٣)] هذا حديث حسن غريب . وقال رحمه الله تعالى : حدثنا محمد بن بشار أنبأنا أبو عامر العقدي أنبأنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال : «**مَثَلِي فِي النَّبِيِّينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا وَأَجْمَلَهَا وَتَرَكَ مِنْهَا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِالْبِنَاءِ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ : لَوْ تَمَّ مَوْضِعُ تِلْكَ اللَّبِنَةِ! وَأَنَا فِي النَّبِيِّينَ مَوْضِعُ تِلْكَ اللَّبِنَةِ**» [(٤)] ، وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال : «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم**

---

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه ابن جرير في تفسيره (٣٠/ ٣٢٥) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٥١ ح٢٩٦٠) من طريق حرام بن عثمان عن الأعرج عن أسامة بن زيد به ، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٣) ، وعزاه للطبراني وأعله بحرام بن عثمان ، قال : وهو متروك .

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥٩) .

(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه الترمذي (٣٦١٠) ، وأبو يعلى (١٦٠) وفي إسناده ليث بن أبي سليم وهو ضعيف ، وعند أبي يعلى زيادة عبيد الله بن زحر ، وهو متكلم فيه .

(٤) صحيح لغيره : أما هذا فأخرجه الترمذي (٣٦١٣) وغيره ، وفيه عبد الله بن محمد بن عقيل متكلم فيه ، لكن الحديث أخرجه بهذا اللفظ البخاري (٣٥٣٤) ، ومسلم (٢٢٨٧) وغيرهما من حديث جابر بن عبد الله مرفوعًا به .

وصاحب شفاعتهم غير فخر»(١) هذا حديث حسن صحيح غريب. حدثنا ابن أبي عمر أنبأنا سفيان عن ابن جدعان عن أبي نضرة عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وما من نبي يومئذ؛ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر»**(٢) وفي الحديث قصة. هذا حديث حسن. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا على بن نصر بن على الجهضمي أنبأنا عبيد الله بن عبد المجيد أنبأنا زمعة بن صالح عن مسلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجبًا إن الله اتخذ من خلقه خليلًا اتخذ إبراهيم خليلًا، وقال آخر: ماذا يعجب من كلام موسى كلمه تكليمًا، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال: **«قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجي الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر»**(٣).

هذا حديث غريب. قلت: ومعناه ثابت في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلوم عند من له خبرة بالعلم.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٦١٣)، وابن ماجه (٤٣١٤)، وأحمد (٥٥/ ١٣٧ و١٣٨)، وعبد بن حميد (١٧١)، وابن أبي عاصم (٧٨٧)، وابن أبي شيبة (٣١٦٤٠)، وابن المبارك في «الزهد» (١٦١٧)، والحاكم (٢٤٠ و٢٤١ و٦٩٦٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٢٩) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن الصفيل عن أبي بن كعب به، وعبد الله بن عقيل فيه ضعف.

(٢) ضعيف الإسناد وله شواهد: أخرجه الترمذي (٣١٤٨)، و(٣٦١٥) وأحمد (١/ ٢٨١ و٢٩٥)، وأبو يعلى (٢٣٢٨) من طرق عن علي بن زيد بن جدعان به، وابن جدعان ضعيف.

(٣) ضعيف: أخرجه الترمذي (٣٦١٦)، والدارمي (٤٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣٣٩) من طريق زمعة بن صالح به، وقال الترمذي: هذا حديث غريب.
قلت: زمعة ضعيف.

فصل: في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود

كَذَا لهُ الشَّفاعَةُ العُظْمَى كَمَا ... قَدْ خَصَّهُ اللَّه بِهـا تَكَـرُّمَا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّه لَا كَمَا يرَى ... كُلُّ قبُورِي عَلَـى اللَّه افْتَـرَى

«كذا له» النبينا ﷺ «الشفاعة العظمى» يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذي قال اللَّه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩]، ولذا قلنا «قد خصه اللَّه بها» بالشفاعة «تكرمًا» منه ﷻ عليه ﷺ وعلى أمته، به كما في الصحيح عن جابر بن عبد اللَّه ﷺ أن النبي ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[(١)].

وفيه عنه ﷺ عن النبي ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ قَدْ دَعَا بِهَا فِي أُمَّتِهِ، وَخَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٢)] وفيه عن أنس ﷺ أن نبي اللَّه ﷺ قال: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ دَعَاهَا لِأُمَّتِهِ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[(٣)] وفيه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا»[(٤)].

وفيه عن عبد اللَّه بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ تلا قول اللَّه ﷻ في إبراهيم ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ [إبراهيم: الآية ٣٦]، وقال عيسى ﵇: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: الآية ١١٨] فرفع يديه، وقال: «اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي، وَبَكَى»، فقال اللَّه ﷻ: «يا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟»، فأتاه جبريل ﵇ فسأله، فأخبره رسول اللَّه ﷺ بما قال: - وهو أعلم - فقال اللَّه تعالى: «يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠١) من حديث جابر.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٠٥)، ومسلم (٢٠٠) من حديث أنس.
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٠٤)، ومسلم (١٩٩) من حديث أبي هريرة، واللفظ لمسلم.

أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ»(١).

وفيه عنه ﷺ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمِ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ، لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»(٢).

وفيه عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلَاةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣)، وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله ﷻ، سواء في ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له في الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: الآية ٢٥٥]، ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾[يونس: الآية ٣]، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النجم: الآية ٢٦]، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر: الآية ٤٤]، ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[الزخرف: الآية ٨٦]، ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾[النبأ: الآية ٣٨]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾[طه: الآية ١٠٩]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾[الأنبياء: الآية ٢٨]، وقال تعالى في الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾[المدثر: الآية ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[غافر: الآية ١٨]، وقال عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾[البقرة: الآية ٢٥٤]، وسيأتي في ذكر الأحاديث مراجعة الرسل الشفاعة بينهم حتى تنتهي إلى نبينا ﷺ وأنه يأتي فيستأذن ربه ﷻ، ثم يسجد ويحمده

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٢).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا به.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦١٤).

بمحامد يعلمه تعالى إياها، ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع، وأنه يحد له حدًّا فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك، وفي كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذن له، ويحد له حدًّا حتى ينجو جميع الموحدين، وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتى يؤذن له، إلى أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود. والمقصود أن الشفاعة ملك للَّه ﷻ ولا تسأل إلا منه، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حين يأذن في الشفاعة.

«لا كما يرى كل قبوري» نسبة إلى القبور لعبادته أهلها «على اللَّه افترى» في ما ينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التي هي ملك للَّه ﷻ لا يقدر عليها غيره تعالى ولا شريك له فيها، ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات، وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات، وكشف الكربات والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم، وقد تقدم كشف عوارهم، وهتك أستارهم بما يشفي ويكفي، وللَّه الحمد والمنة.

يشْفَعُ أَولًا إِلَى الرَّحْمَنِ فِي ... فَصْلِ القَضَاءِ بَينَ أَهْلِ المَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يطْلُبَها النَّاسُ إِلى ... كُلِّ أُولي العَزْمِ الهدَاةِ الفُضَلَا

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ: وهي أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي ذكر اللَّه ﷻ له ووعده إياه وأمرنا رسول اللَّه ﷺ أن نسأل اللَّه إياه له ﷺ بعد كل أذان، وقال البخاري رحمه اللَّه تعالى: باب قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩][1]، حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن علي قال: سمعت ابن عمر ﵄ يقول: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه اللَّه المقام المحمود»[2].

وقال مسلم رحمه اللَّه تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد اللَّه بن نمير واتفقا في سياق الحديث إلا ما يزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف، قال: حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة ﵁ قال: أُتي رسول اللَّه ﷺ

(١) «فتح الباري» (٨/ ٢٧٢) كتاب التفسير باب (١١).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧١٨).

يومًا بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ وَسَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ ﷺ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ﷺ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى ﷺ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا نَفْسِي نَفْسِي اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَغَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهِ اشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ

الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ لَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى»[1] قال: وحدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال: «وضعت بين يدي رسول اللهﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه، فنهس نهسة فقال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» ثم نهس أخرى فقال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال: «**أَلَا تَقُولُونَ كَيفَ؟**» قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «**يقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ**» وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيان عن أبي زرعة، وزاد في قصة إبراهيم فقال: وذكر قوله في الكوكب: هذا ربي، وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إني سقيم، قال: «**والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر**»، أو «**هجر ومكة**»، قال: «**لا أدري أي ذلك قال**»[2] وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك أن رسول اللهﷺ قال: «**يُبْعَثُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ وَيَكْسُونِي رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى حُلَّةً خَضْرَاءَ ثُمَّ يُؤْذَنُ لِي فَأَقُولُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَقُولَ فَذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ**»[3] وسيأتي إن شاء الله تعالى في حديث أنسﷺ قولهﷺ: «**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَهْتَمُّونَ لِذَلِكَ**» - وفي لفظة «**فَيُلْهَمُونَ لِذَلِكَ - فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبِّنَا حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَأْتُونَ آدَمَ**» الحديث[4] وتقدم في حديث الصور قولهﷺ: «**فتقفون موقفًا واحدًا مقداره سبعون عامًا لا ينظر إليكم ولا يقضي بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع. ثم تدمعون دمًا، وتعرقون حتى يلجمكم العرق ويبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأتي ويقول: ما أنا بصاحب ذلك. فيستقرءون الأنبياء نبيًّا نبيًّا كلما جاءوا نبيًّا أبى عليهم**»، قال رسول اللهﷺ: «**حتى يأتوني فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدًا**» قال أبو هريرة: يا رسول الله! وما الفحص؟ قال: «**قدام العرش، حتى**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٠) مختصرًا، وهو بهذا السياق عند مسلم (١٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٤).

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٦)، وابن حبان (٦٤٧٩)، وابن أبي عاصم (٧٨٥)، والحاكم (٣٣٨٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٧٩٧)، وابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٤٦ و١٤٧) من طريق بقية بن الوليد ومحمد بن حرب عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن كعب بن مالك مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وبقية صرح بالتحديث.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (٦٥٦٥).

يبعث اللَّه إلي ملكًا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي : يا محمد ، فأقول : نعم يارب فيقول اللَّه ﷻ : ما شأنك؟ وهو أعلم ، فأقول : يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في خلقك فاقض بينهم . قال اللَّه تعالى : قد شفعتك ، أنا آتيكم أقضي بينكم»[١] الحديث . وروى الإمام أحمد عن أنس ﷺ قال : حدثني نبي اللَّه ﷺ قال : «**إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي تَعْبُرُ عَلَى الصِّرَاطِ إِذْ جَاءَنِي عِيسَى فَقَالَ : هَذِهِ الْأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَا مُحَمَّدُ يَسْأَلُونَ - أَوْ قَالَ : يَجْتَمِعُونَ إِلَيْكَ - وَيَدْعُونَ اللَّهَ ﷻ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الْأُمَمِ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ اللَّهُ لِغَمِّ مَا هُمْ فِيهِ وَالْخَلْقُ مُلْجَمُونَ فِي الْعَرَقِ وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ عَلَيْهِ كَالزَّكْمَةِ وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيَتَغَشَّاهُ الْمَوْتُ قَالَ قَالَ لِعِيسَى انْتَظِرْ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ قَالَ فَذَهَبَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قَامَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَلَقِيَ مَا لَمْ يَلْقَ مَلَكٌ مُصْطَفًى وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ فَأَوْحَى اللَّهُ ﷻ إِلَى جِبْرِيلَ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ فَقُلْ لَهُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ**» الحديث[٢].

وعند مسلم وغيره من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف : «**فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا مَسْأَلَةٌ تَسْأَلُنِيهَا فَقُلْتُ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأُمَّتِي وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ حَتَّى إِبْرَاهِيمُ ﷺ**»[٣].

فصل: اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة

وَثَانِيَا يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ ... دَارِ النَّعِيمِ لِأُولِي الْفَلَاحِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ ... قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلَا نُكْرَانِ

هذه الشفاعة الثانية في استفتاح باب الجنة ، وقد جاء في الأحاديث أنها أيضًا من المقام المحمود، وقال مسلم رحمه اللَّه تعالى : حدثنا قتيبة بن سعيد وإسحاق بن إبراهيم . قال : قتيبة حدثنا جرير عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال : قال

---

(١) ضعيف : وسبق تخريجه والكلام عليه في بابه .

(٢) حسن : أخرجه أحمد (٣/ ١٧٨) عن يونس بن محمد عن حرب بن ميمون أبي الخطاب عن النضر بن أنس عن أبيه مرفوعًا به .

وإسناده حسن ، حرب صدوق وباقي رجال الإسناد ثقات . ومن طريق يونس أخرجه الضياء المقدسي في «المختارة» (٢٦٩٥ و٢٦٩٦) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٨٢٠)، وابن حبان (٧٤٠)، وأحمد (٥/ ١٢٧ و١٢٨) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا به .

رسول الله ﷺ : «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يشْفَعُ في الجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الانْبِياءِ تَبَعًا**»(١) وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «**أَنَا أَكْثَرُ الانْبِياءِ تَبَعًا يوْمَ القِيامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يقْرَعُ بَابَ الجَنَّةِ**»(٢).

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن المختار بن فلفل قال: قال أنس بن مالك قال النبي ﷺ : «**أَنَا أَوَّلُ شَفِيعٍ في الجَنَّة، لَمْ يصَدَّقْ نَبِي مِنَ الانْبِياءِ مَا صُدِّقْتُ، وَإِنَّ مِنَ الانْبِياءِ نَبِيًّا مَا يصَدِّقُهُ مِنْ أُمَّتِهِ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ**»(٣).

وحدثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا: هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «**آتي بَابَ الجَنَّةِ يوْمَ القِيامَةِ فَأَسْتَفْتِحَ، فيقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ مُحَمَّدٌ، فيقُولُ بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لَاحَدٍ قَبْلَكَ**»(٤).

قال: حدثنا محمد بن طريف بن خليفة البجلي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة، وأبو مالك ربعي عن حذيفة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ : «**يَجْمَعُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى النَّاسَ فَيَقُومُ الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تُزْلَفَ لَهُمُ الْجَنَّةُ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الْجَنَّةَ فَيَقُولُ وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ قَالَ فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ اعْمِدُوا إِلَى مُوسَى ﷺ الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ تَكْلِيمًا فَيَأْتُونَ مُوسَى ﷺ فَيَقُولُ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كَلِمَةِ اللَّهِ وَرُوحِهِ فَيَقُولُ عِيسَى ﷺ لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤْذَنُ لَهُ وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**»(٥) الحديث - تقدم باقيه في الصراط، وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر قال: سمعت حمزة بن عبد الله بن عمر قال: سمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٦)، وأبو يعلى (٣٩٥٩) وغيرهما.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٦)، وابن حبان (٦٤٨١)، وغيرهما.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٦)، وأبو يعلى (٣٩٧٠).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٧)، وأحمد (٣/ ١٣٦)، وعبد بن حميد (١٢٧١).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٩٥) عن حديث أبي هريرة وحذيفة مرفوعًا به.

قال رسول الله ﷺ: «**مَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَسْأَلُ النَّاسَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ**»[١]، وقال: «**إِنَّ الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَرَقُ نِصْفَ الْأُذُنِ فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ اسْتَغَاثُوا بِآدَمَ ثُمَّ بِمُوسَى ثُمَّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ**» وزاد عبد الله حدثني الليث قال: حدثني ابن أبي جعفر: «**فَيَشْفَعُ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ فَيَمْشِي حَتَّى يَأْخُذَ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَيَوْمَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللَّهُ مَقَامًا مَحْمُودًا يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ**»[٢].

ففي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين: الأولى: في فصل القضاء، والثانية: في استفتاح باب الجنة، وسمى ذلك كله المقام المحمود.

«**هذا**» أي: ما ذكر «**وهاتان الشفاعتان**» المذكورتان اللتان هما المقام المحمود «**قد خصتا**» أي: جعلهما الله تعالى خاصتين «**به**» أي بنبينا محمد ﷺ وليستا لأحد غيره «**بلا نكران**» بين أهل السنة والجماعة، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة الثالثة: في إخراج عصاة الموحدين من النار، وهي المشار إليها بقولنا:

وَثَالِثًا يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ ... مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى الإِسْلَامِ
وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلَى الْجِنَانِ ... بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان ﷺ ورضوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها في عصر التابعين المعتزلة، وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ويشهدون أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون رمضان، ويحجون البيت الحرام، ويسألون الله الجنة، ويستعيذون به من النار، في كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدينه مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم في جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله ﷻ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: الآية ٢٨]، وقوله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٧٥).

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية: الآية ٢١]، وقوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾، وغيرها من الآيات وسائر الأحاديث الواردة.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: وقال حجاج بن منهال: حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحُنَا مِنْ مَكَانِنَا فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا قَالَ فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَكِنِ ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ قَالَ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ ثَلَاثَ كَلِمَاتٍ كَذَبَهُنَّ وَلَكِنِ ائْتُوا مُوسَى عَبْدًا آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا قَالَ فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَقُولُ إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ قَتْلَهُ النَّفْسَ وَلَكِنِ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَرُوحَ اللَّهِ وَكَلِمَتَهُ قَالَ فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ هُنَاكُمْ وَلَكِنِ ائْتُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدًا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ فَيَأْتُونِي فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي فَيَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَالَ قَتَادَةُ وَسَمِعْتُهُ أَيْضًا يَقُولُ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّانِيَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فِي دَارِهِ فَيُؤْذَنُ لِي عَلَيْهِ فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِدًا فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي ثُمَّ يَقُولُ ارْفَعْ مُحَمَّدُ وَقُلْ يُسْمَعْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ قَالَ ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ» قال قتادة: وقد سمعته يقول «فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ حَتَّى مَا يَبْقَى فِي النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ» أي: وجب عليه الخلود.

قال: ثم تلا هذه الآية ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩] قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ[١].

وقال أيضًا: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يوْمَ القِيامَةِ فيقُولُونَ: لَو اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا حَتَّى يريحنا مِنْ مَكَانِنا» - وذكره مختصرًا وقال: في الثالثة أو الرابعة - «حَتَّى مَا بَقِيَ في النَّارِ إِلَّا مَنْ حَبَسَهُ القُرْآنُ» وكان قتادة يقول عند هذا: أي: وجب عليه الخلود[٢]، ورواه مسلم من طرق بنحوه وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الربيع العتكي حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى. (ح) وحدثنا سعيد بن منصور - واللفظ له، حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه، وأجلس ثابتًا معه على سريره، فقال: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة. قال: حدثنا محمد ﷺ قال: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ لَهُ اشْفَعْ لِذُرِّيَّتِكَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّهُ خَلِيلُ اللَّهِ فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّهُ كَلِيمُ اللَّهِ فَيُؤْتَى مُوسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَام فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ فَيُؤْتَى عِيسَى فَيَقُولُ لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُوتَى فَأَقُولُ أَنَا لَهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ لِي فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ يُلْهِمُنِيهِ اللَّهُ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ بُرَّةٍ أَوْ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ مِنْهَا فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ ثُمَّ أَعُودُ إِلَى رَبِّي فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي فَيُقَالُ لِي انْطَلِقْ فَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِنْ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٩٣)، واللفظ للبخاري.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٦٥)، ومسلم (١٩٣).

فَأُخْرِجُهُ مِنَ النَّارِ فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ» هذا حديث أنس الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبان. قلنا: لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مُسْتَخْفٍ في دار أبي خليفة. قال: فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا: يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه في الشفاعة. قال: هيه، فحدثناه الحديث فقال: هيه. قلنا ما زادنا. قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع، ولقد ترك شيئًا ما أدري أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا، قلنا له: حدثنا. فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل ما ذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه «ثُمَّ أَرْجِعُ إِلَى رَبِّي فِي الرَّابِعَةِ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا فَيُقَالُ لِي يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ فَأَقُولُ يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ لَكَ أَوْ قَالَ لَيْسَ ذَاكَ إِلَيْكَ وَلَكِنْ وَعِزَّتِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي وَجِبْرِيَائِي لَأُخْرِجَنَّ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» قال: فأشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك ﷺ أراه قال: قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع [(١)].

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا زيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة وهشام صاحب الدستواء عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ. (ح) وحدثني أبو غسان المسعمي ومحمد بن المثنى قالا حدثنا معاذ وهو ابن هشام قال: حدثني أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً» زاد ابن منهال في روايته: قال يزيد: فلقيت شعبة فحدثته بالحديث فقال شعبة: حدثنا ابن قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ بالحديث، إلا أن شعبة جعل مكان الذرة ذرة، قال يزيد: صحف فيها أبو بسطام [(٢)].

وقال: رحمه اللَّه تعالى: حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم يعني محمد بن أيوب قال: حدثني يزيد الفقير قال: كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال: فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد اللَّه ﷺ يحدث القوم جالس إلى سارية لعلها عند رسول اللَّه ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال: فقلت له يا صاحب رسول اللَّه ﷺ ما هذا الذي

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (ص١٨٢ - ١٨٤ ح١٩٣). وابن أبي عاصم (٨٢٨)، واللفظ لمسلم.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣)، واللفظ لمسلم وليس عند البخاري زيادة ابن منهال.

تحدثون والله تعالى يقول ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٩٢] ، ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾ [الحج: الآية ٢٢] ، فما هذا الذي تقولون؟ قال: فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعني الذي يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذي يخرج الله به من يخرج. قال: ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال: وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قومًا يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال: فيدخلون نهرًا من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير رجل واحد؛ أو كما قال أبو نعيم[١]

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابرًا رضي الله عنه يقول: سمعه من النبي ﷺ بأذنه يقول: «**إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ**»[٢] وفي رواية له عن حماد بن زيد قال: قلت لعمرو بن دينار: «**سمعت جابرًا بن عبد الله** رضي الله عنهما يحدث عن رسول الله ﷺ أن الله يخرج قومًا من النار بالشفاعة؟ قال: **«نعم»**[٣] ورواه البخاري، وفي رواية له أن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِالشَّفَاعَةِ كَأَنَّهُمُ الثَّعَارِيرُ**» قال: الضغابيس وكان قد سقط فمه[٤].

وقال: حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «**يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ الجُهَنَّمِيينَ**»[٥].

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٩١) وغيره.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٩١).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٥٨) وغيره من حديث جابر.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٥٩).

قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ»(١) .

وهذه الشفاعة الثالثة قد فسر بها المقام المحمود أيضًا كما في حديث أنس وحديث جابر ﷺ فيكون المقام المحمود عامًّا لجميع الشفاعات التي أوتيها نبينا محمد ﷺ لكن جمهور المفسرين فسروه بالشفاعتين الأوليتين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيره من عباد اللَّه المكرمين ، وأما هذه الشفاعة الثالثة فيه وإن كانت من المقام المحمود الذي وعده فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثير من عباد اللَّه المخلصين ولكن هو ﷺ المقدم فيها ، ولم يشفع أحد من خلق اللَّه تعالى في مثل ما يشفع فيه رسول اللَّه ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل ، ثم بعده يشفع من أذن اللَّه تعالى له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء اللَّه تعالى من المؤمنين المتقين ، ويشفع الأفراط كل منهم يكرمه اللَّه تعالى على قدر ما هو له أهل ، ثم يخرج اللَّه تعالى من النار برحمته أقوامًا بدون شفاعة الشافعين ، ولذا قلنا في ذلك :

وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ	وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلَاحٍ وَوَلِي
وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيرَانِ	جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
فِي نَهرِ الحَيَاةِ يُطْرَحُونَا	فَحْمًا فَيَحْيونَ وَيَنْبُتُونَا
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيئَاتِهِ	حَبُّ حَمِيلِ السَّيلِ في حَافَاتِهِ

تقدم في حديث أبي هريرة المتفق عليه في طريق الرؤية قول النبي ﷺ «حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ مِمَّنْ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النَّارِ يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُودِ تَأْكُلُ النَّارُ مِنَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ فَيُخْرَجُونَ مِنَ النَّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ»(٢) الحديث تقدم بطوله وتقدم حديث أبي سعيد المتفق عليه أيضًا بطوله – وفيه في نعت المرور على الصراط : «حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِي إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٦٥٧٠)، وأصله برقم (٩٩).

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا ثُمَّ يَعُودُونَ فَيَقُولُ اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا» - قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرءوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: الآية ٤٠]- «فَيَشْفَعُ النَّبِيُّونَ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ فَيَقُولُ الْجَبَّارُ بَقِيَتْ شَفَاعَتِي فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ أَقْوَامًا قَدِ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهَرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ فَيَنْبُتُونَ فِي حَافَتَيْهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ وَإِلَى جَانِبِ الشَّجَرَةِ فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْسِ مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ فَيَخْرُجُونَ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ فَيُجْعَلُ فِي رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمَنِ أَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ فَيُقَالُ لَهُمْ لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[1].

وفي لفظ مسلم «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ فَيَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا ثُمَّ يَقُولُ ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»، وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يقول: «إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرءوا إن شئتم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝٤٠﴾ [النساء: الآية ٤٠]، «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، وانظر فيما يأتي لفظ مسلم.

الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ نَهَرُ الْحَيَاةِ فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ وَمَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ»، فقالوا يا رسول الله: كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمِ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ ثُمَّ يَقُولُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ فَيَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُونَ يَا رَبَّنَا أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا فَيَقُولُ رِضَايَ فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[1]، وفيهما من حديثه أيضًا أن رسول الله ﷺ قال: «يُدْخِلُ اللَّهُ أهلَ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ. ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَن وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِن إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَمًا قَدِ امْتُحِشُوا فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الحَيَاةِ، أو الحَيَا فَيَنبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً»[2] – وفي رواية لمسلم: «كَمَا تَنْبُتُ الْغُثَاءَةُ فِي جَانِبِ السَّيْلِ»[3]

وله عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا فَإِنَّهُمْ لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يَحْيَوْنَ وَلَكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ أَوْ قَالَ بِخَطَايَاهُمْ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ثُمَّ قِيلَ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ تَكُونُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»، فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية»[4] وللترمذي عن أبي أمامة رضي الله عنه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يدْخُلَ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيهِمْ وَلَا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلفًا وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي» هذا حديث حسن غريب[5].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٤).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٥).

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٤٢٨٦)، وأحمد (٥/ ٢٦٨)، وابن أبي شيبة (٣١٧١٤)، وابن أبي عاصم (٥٨٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨/ ١١٠ح٧٥٢٠)، وفي «مسند الشاميين» (٨٢٠) من طريق إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد الألهاني عن أبي أمامة مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٣١٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١٥٣٦) من طريق سليم بن عثمان عن محمد بن زياد عن أبي أمامة، وسليم منكر الحديث.

وله عن عبد الله بن شقيق قال: كنت مع رهط بإيلياء فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدْخُلُ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ»، قيل: يا رسول الله سواك؟ قال: «سِوَاي» فلما قام قلت: من هذا؟ قالوا هذا ابن أبي الجذعاء[1].

هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن أبي الجذعاء هو عبد الله، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد رواه ابن ماجه، وللترمذي أيضًا عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمتي من يشفع للفئام من الناس، فمنهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل. حتى يدخلوا الجنة»[2]، هذا حديث حسن.

وروى أبو داود عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ» ورواه ابن ماجه[3]، وله عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «خُيِّرْتُ بَيْنَ الشَّفَاعَةِ وَبَيْنَ أَنْ يَدْخُلَ نِصْفُ أُمَّتِي الْجَنَّةَ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ لِأَنَّهَا أَعَمُّ وَأَكْفَى أَتُرَوْنَهَا لِلْمُتَّقِينَ لَا وَلَكِنَّهَا لِلْمُذْنِبِينَ الْخَطَّائِينَ الْمُتَلَوِّثِينَ»[4] وله عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَدْرُونَ مَا خَيَّرَنِي رَبِّي اللَّيْلَةَ؟» قلنا: الله ورسوله ﷺ أعلم، قال: «فَإِنَّهُ خَيَّرَنِي بَيْنَ أَنْ يُدْخِلَ نِصْفَ أُمَّتِي الْجَنَّةَ وَبَيْنَ الشَّفَاعَةِ فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ». قلنا يا رسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها، قال: «هِيَ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»[5] ورواه الترمذي بلفظ: «فَاخْتَرْتُ الشَّفَاعَةَ، وَهِيَ لِمَنْ مَاتَ

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٣٨)، وأحمد (٣/ ٤٦٩) من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن خالد الحذاء عن عبد الله بن شقيق عن رجل من أصحاب النبي مرفوعًا به، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. قلت: وإسناده صحيح، وله شواهد انظرها في تعليقي على كتاب الزهد للإمام أحمد (ح٦٧١).

(٢) ضعيف: أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٧) من طريق عطية عن أبي سعيد مرفوعًا، وقال الترمذي: حديث حسن. قلت: عطية العوفي ضعيف.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٦٦)، وأبو داود (٤٧٤٠)، والترمذي (٢٦٠٠)، وابن ماجه (٤٣١٥).

(٤) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٣١١) عن إسماعيل بن أسد عن أبي بدر وهو شجاع بن الوليد عن زياد بن خيثمة عن نعيم بن أبي هند عن ربعي عن أبي موسى مرفوعًا به، وإسناده حسن، وقد رواه عبد السلام بن حرب وهو متكلم فيه وله مناكير عن زياد بن خيثمة عن نعمان بن قراد عن ابن عمر مرفوعًا، أخرجه البيهقي في الاعتقاد (ص٢٠٢)، وأخرجه من طريق أبي مالك الأشجعي عن ربعي عن حذيفة موقوفًا.

(٥) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٤٣١٧)، وابن أبي عاصم (٨٢٠)، والحاكم (٣٦ و٢٢١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٧٥)، وفي «المعجم الكبير» (١٨/ ٦٨ ح١٢٦) من طريق ابن جابر عن سليم بن عامر عن عوف بن مالك مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وأخرجه الترمذي (٢٤٤١) من طريق قتادة عن=

لَا يشْرِكُ بِاللَّه شَيْئًا»(١) والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا مشهورة مستفيضة بل متواترة، وقد ذكرنا منها ما فيه كفاية، وتقدم في أحاديث الرؤية جملة منها عن جماعة من الصحابة، وبقي من النصوص في هذا الباب كثير، وبالله التوفيق.

باب الإيمان بالقضاء والقدر

وَالسَّادِسُ الإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ فَأَيْقِنَنْ بِهَا وَلَا تُمَارِ
فَكُلُّ شَيءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ وَالكُلُّ في أُمِّ الكِتَابِ مُسْتَطَرْ

«والسادس» من أركان الإيمان المشروحة في حديث جبريل وغيره وهو «الإيمان» بالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: الآية ٤٩]، الآيات. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: الآية ٤٧]، وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾، إلى آخر السورة.

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: قرأت على مالك بن أنس «ح». وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس أنه قال: أدركت ناسًا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كل شيء بقدر» قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى

= أبي المليح عن عوف بن مالك، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨١٩) من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة عن عوف بن مالك قلت: وسقطت الواسطة بين عوف وأبي قلابة، وقال الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيقه للسنة لابن أبي عاصم: إسناده صحيح على شرط مسلم إن كان أبو قلابة سمعه من عوف بن مالك فإنه قد رمي بالتدليس. اهـ. قلت: بينهما واسطة هو أبو المليح، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٧٢ح١٣٣) من طريق خالد الحذاء به.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٤٤١) وانظر ما سبق.

الْعَجْزُ وَالْكَيسُ»، أو «الْكَيسُ وَالْعَجزُ»[١].

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا وكيع بن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عياد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول اللَّه ﷺ في القدر، فنزلت ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾، ورواه الترمذي وابن ماجه[٢].

وقال البخاري رحمه اللَّه تعالى: باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٨]، حدثنا عبد اللَّه بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَا تَسْأَلِ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَسْتَفْرِغَ صَحْفَتَهَا وَلْتَنْكِحْ فَإِنَّ لَهَا مَا قُدِّرَ لَهَا»[٣] حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال: كنت عند النبي ﷺ إذ جاءه رسول إحدى بناته وعنده سعد وأبي بن كعب ومعاذ أن ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها: «لِلَّهِ مَا أَخَذَ وَلِلَّهِ مَا أَعْطَى، كُلٌّ بِأَجَلٍ، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»[٤].

حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد اللَّه أخبرنا يونس عن الزهري قال: أخبرني عبد اللَّه محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ جاءه رجل من الأنصار فقال: يا رسول اللَّه إنا نصيب سبيًا ونحب المال كيف ترى في العزل؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «أَوَإِنَّكُمْ تَفْعَلُونَ ذَلِكَ لَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَفْعَلُوا ذَلِكُمْ فَإِنَّهَا لَيْسَتْ نَسَمَةٌ كَتَبَ اللَّهُ أَنْ تَخْرُجَ إِلَّا هِيَ كَائِنَةٌ»[٥] وقال رحمه اللَّه تعالى: حدثنا بشر بن محمد أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال اللَّه ﷻ: «لَا يَأْتِ ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ وَلَكِنْ يُلْقِيهِ الْقَدَرُ وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ أَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ»[٦].

وقال أيضًا: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ قُدِّرَ لَهُ وَلَكِنْ يُلْقِيهِ النَّذْرُ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٥)، ومالك في «الموطأ» (ص٨٩٩)، وأحمد (٢/ ١١٠)، وابن حبان (٦١٤٩).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٦)، والترمذي (٣٢٩٠)، وابن ماجة (٨٣).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠١)، ومسلم (١٤٠٨).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٢)، ومسلم (٩٢٣).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٣)، ومسلم (١٤٣٨).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٩)، ومسلم (١٦٤٠).

إِلَى الْقَدَرِ قَدْ قُدِّرَ لَهُ فَيَسْتَخْرِجُ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ فَيُؤْتِي عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُؤْتِي عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ»[1] .

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حيان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»[2] وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الترمذي وغيره قول النبي ﷺ له «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ»[3] الحديث. والأحاديث في القدر كثيرة جدًا قد تقدم منها أشياء متفرقة وسنذكر منها ما ييسره الله ﷻ في هذا الباب.

فصل

واعلم – رحمك الله تعالى، ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه، وهدانا وإياك صراطه المستقيم – أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب: المرتبة الأولى: بعلم الله ﷻ المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم، ومن هو منهم من أهل الجنة، ومن هو منهم من أهل النار، من قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دقيق ذلك كله وجليله، وكثيره وقليله، وظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير، عالم الغيب والشهادة، علام الغيوب كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ﴾[الحشر: الآية ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[الطلاق: الآية ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾[الجن: الآية ٢٨]، وقال تعالى: ﴿عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾[سبأ: الآية ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٤)، وابن ماجه (٤١٦٨) وغيرهما.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٩٩) وغيره، وسبق تخريجه وهو من حديث زيد بن ثابت.

ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: الآية ١٢٥] ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: الآية ٣٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٣]، ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: الآية ١٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: الآية ٣٠]، الآيات، وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٢١٦]، وقال البخاري رحمه اللّه تعالى: باب اللّه أعلم بما كانوا عاملين[١]، حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سئل النبي ﷺ عن أولاد المشركين فقال: «**اللّه أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[٢] وحدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال: وأخبرني عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول «سئل رسول اللّه ﷺ عن ذراري المشركين فقال: «**اللّه أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[٣].

حدثنا إسحاق أخبرنا عبدالرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ كَمَا تُنْتِجُونَ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّى تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا**». قالوا يا رسول اللّه أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال: «**اللّه أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا عَامِلِينَ**»[٤]، وقال: أيضًا رحمه اللّه تعالى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرشك قال: سمعت مطرف بن عبد اللّه بن الشخير يحدث عن عمران بن حصين قال: «قال رجل: يا رسول اللّه أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال: «**نَعَمْ**». قال: فلم يعمل العاملون؟ قال: «**كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» أو «**لِمَا يُسِّرَ لَهُ**»[٥].

وقال رحمه الله أيضًا: حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا أبو غسان حدثني أبو حازم عن سهل أن رجلًا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ، فنظر

---

(١) فتح الباري (١١/ ٥٤٦) كتاب القدر باب (٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٧)، ومسلم (٢٦٦٠).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٨)، ومسلم (٢٦٥٨).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٩)، ومسلم (٢٦٥٨).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٦)، ومسلم (٢٦٤٩).

إليه النبي ﷺ فقال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا» فاتبعه رجل من القوم، وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعًا فقال: أشهد أنك رسول الله. فقال: «وَمَا ذَاكَ؟» قال: قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين، فعرفت أنه لا يموت على ذلك. فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه. فقال النبي ﷺ عند ذلك: «إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الأَعْمَالَ بِالخَوَاتِيمِ»(١).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة بن مستقلة عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»(٢).

حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير بن العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت «توفي صبي، فقلت: طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أَوَ لَا تَدْرِينَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الجَنَّةَ وَخَلَقَ النَّارَ فَخَلَقَ لِهَذِهِ أَهْلًا وَلِهَذِهِ أَهْلًا»(٣).

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت «دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت: يا رسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ يا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلجَنَّةِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ، وَخَلَقَ لِلنَّارِ أَهْلًا خَلَقَهُمْ لَهَا وَهُمْ فِي أَصْلَابِ آبَائِهِمْ»(٤).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز - يعني ابن محمد - عن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٧)، ومسلم (١١٢)، واللفظ للبخاري.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦١)، وأبو داود (٤٧٠٥)، والترمذي (٣١٥٠).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٢)، وابن حبان (١٣٨).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٦٢)، وابن ماجه (٨٢)، وأحمد (٦/ ٢٠٨)، وغيرهم.

العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ ثُمَّ يُخْتَمُ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»[1] قلت: وهذا الحديث وما في معناه تفسيره عند أهل العلم والسنة على حديث سهل بن سعد عند مسلم رحمه الله تعالى قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد الرحمن القاري عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الرجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو للنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّار، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو للنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[2] الحديث تفسيره الأول أن عمل المختوم له بالشقاوة إذا ظهر صلاحه إنما هو فيما يبدو للناس.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي حدثنا عثمان بن عمر حدثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي قال: قال لي عمران بن الحصين: أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبت الحجة عليهم. فقلت: بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلمًا؟ قال: ففزعت من ذلك فزعًا شديدًا وقلت: كل شيء خلق الله وملك يداه فلا يسئل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله تعالى إني لم أرد بما سألتك إلا حزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أفي شيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاه به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: «**لَا بَلْ شَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ وَمَضَى فِيهِمْ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ** عز وجل ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾»[3].

وفيه عن علي رضي الله عنه قال: «**كان رسول الله** ﷺ ذات يوم جالسًا وفي يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ**»، قالوا: يا رسول الله فلم يعمل، أفلا يتكل؟ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥١).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١٢٢) من طريق قتيبة به.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٠).

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠][1]، والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها، وقد تقدم منها جملة في إثبات علم الله ﷻ من توحيد المعرفة والإثبات.

«**فصل**» المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى الذي لم يفرط فيه من شيء، قال الله ﷻ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾، وقال تعالى عن موسى حين قال: له فرعون ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: الآية ٧٠]، وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [يونس: الآية ٦١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: الآية ١١]، إلى غير ذلك من الآيات التي يقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب، أو يذكر كل حدته. وكتابه تعالى من علمه. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبدان بن أبي حمزة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبي عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: «كنا جلوسًا مع النبي ﷺ ومعه عود ينكت في الأرض وقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ**». فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ**»، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾﴾ [الليل: الآية ٥] الآية[2].

ورواه مسلم بأبسط منه فقال رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبي شيبة وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم - واللفظ لزهير - قال إسحاق: أخبرنا وقال الآخران: حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكّس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ**

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٤٧)، وأحمد (١/ ٨٢).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦٠٥)، وانظر ما يأتي.

الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً» قال: فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فمن كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال: «أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ» ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾(١).

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا أبو الزبير «ح». وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبي الزبير عن جابر قال: جاء سراقة بن مالك ابن جعشم قال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما نعمل اليوم أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لَا بَلْ فِيمَا جَفَّتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَجَرَتْ بِهِ الْمَقَادِيرُ» .. قال: ففيم العمل؟ قال: زهير: ثم تكلم الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت ما قال؟ فقال: «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ»(٢) - وفي رواية قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ عَامِلٍ مُيَسَّرٌ لِعَمَلِهِ»(٣) وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾ [الأنبياء: الآية ٩٥]، ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: الآية ٣٦]، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: الآية ٢٧]، وقال منصور بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: وحرم بالحبشية وجب(٤).

حدثني محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيت شيئًا أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا، أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطْقُ، وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي، وَالْفَرْجُ يُصَدِّقُ ذَلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ» ورواه مسلم بهذا اللفظ(٥) وبلفظ قال: «كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٤٨)، وأحمد (٣/ ٢٩٢).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٤٨).
(٤) «فتح الباري» (١١/ ٥٥٦) كتاب القدر باب (٩). وقال الحافظ في «الفتح»: لم أقف على هذا التعليق موصولًا. اهـ. يعني من طريق منصور بن النعمان.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٦١٢)، ومسلم (٢٦٥٧)، وأبو داود (٢١٥٢) من حديث ابن عباس عن أبي هريرة مرفوعًا به.

النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاِسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلَامُ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ»[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا يونس حدثنا الليث عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه ركب خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال له رسول الله ﷺ: «يَا غُلَامُ، إِنِّي مُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ فَلْتَسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[2] ورواه الترمذي بنحوه وقال: حسن صحيح، وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «أَتَدْرُونَ مَا هَذَانِ الْكِتَابَانِ؟» قال: قلنا: إلا أن تخبرنا يا رسول الله قال للذي في يده اليمنى: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». ثم قال للذي في يساره: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ أَسْمَاءُ أَهْلِ النَّارِ وَأَسْمَاءُ آبَائِهِمْ وَقَبَائِلِهِمْ ثُمَّ أُجْمِلَ عَلَى آخِرِهِمْ فَلَا يُزَادُ فِيهِمْ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُمْ أَبَدًا». فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذًا نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، فَإِنَّ صَاحِبَ الْجَنَّةِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ، وَإِنَّ صَاحِبَ النَّارِ يُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَإِنْ عَمِلَ أَيَّ عَمَلٍ»، ثم قال: بيده فقبضها ثم قال: «فَرَغَ رَبُّكُمْ عز وجل مِنَ الْعِبَادِ». ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ». ونبذ باليسرى فقال: «وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» ورواه الترمذي بنحوه وقال: حديث صحيح حسن غريب[3]، وغير ذلك من الأحاديث كثير.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٧)، وأحمد (٢/ ٣٧٩).

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وسبق تخريجه.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي (٢١٤١)، وأحمد (٢/ ١٦٧)، وابن أبي عاصم (٣٤٨) من طريق الليث بن سعد عن أبي قبيل حيي بن هانئ عن شفي بن ماتع عن عبد الله بن عمرو بن العاص به، وقال الترمذي: حسن غريب صحيح.

قلت: حيي صدوق وباقي رجال الإسناد ثقات.

(فصل) والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير:

الأول: التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض عندما خلق اللَّه تعالى القلم، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: الآية ٥١]، الآية. وقال ﷻ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾.

وقال البخاري رحمه اللَّه تعالى: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: «دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ**». قالوا: قد بشرتنا فأعطنا - مرتين - ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: «**اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ**»، قالوا: قد قبلنا يا رسول اللَّه. قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ**»، فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فواللَّه لو وددت أني كنت تركتها»[(١)].

وقال مسلم رحمه اللَّه تعالى: حدثنا أبوالطاهر أحمد بن عمرو بن عبد اللَّه بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[(٢)].

ولهما عن أبي هريرة حديث احتجاج آدم وموسى، وهذا اللفظ لمسلم، قال رسول اللَّه ﷺ: «**احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى** عليهما السلام **عِنْدَ رَبِّهِمَا فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى قَالَ مُوسَى: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَأَسْكَنَكَ فِي جَنَّتِهِ، ثُمَّ أَهْبَطْتَ النَّاسَ بِخَطِيئَتِكَ إِلَى الْأَرْضِ؟ فَقَالَ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، الَّذِي اصْطَفَاكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلَامِهِ، وَأَعْطَاكَ الْأَلْوَاحَ فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَقَرَّبَكَ نَجِيًّا، فَبِكَمْ وَجَدْتَ اللَّهَ كَتَبَ التَّوْرَاةَ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ؟ قَالَ مُوسَى: بِأَرْبَعِينَ عَامًا، قَالَ آدَمُ: فَهَلْ وَجَدْتَ فِيهَا: وَعَصَى آدَمُ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣١٩١)، وأحمد (٤/ ٤٣١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٥٣).

رَبَّهُ فَغَوَى؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَفَتَلُومُنِي عَلَى أَنْ عَمِلْتُ عَمَلًا كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيَّ أَنْ أَعْمَلَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟» . قال رسول اللّه ﷺ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» [١]وله عندهما وغيرهما ألفاظ من طرق كثيرة . وقال أبو داود رحمه اللّه تعالى : حدثنا جعفر بن مسافر الهذلى حدثنا يحيى بن حسان حدثنا الوليد بن رباح عن إبراهيم بن أبى عيلة عن أبى حفصة قال : قال : عبادة بن الصامت لابنه : يا بنى إنك إن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول اللّه ﷺيقول : «**إن أول ما خلق اللّه القلم فقال له : اكتب . قال : رب وماذا أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة**» . يا بنى إنى سمعت رسول اللّه ﷺيقول : «**من مات على غير هذا فليس منى**» [٢]وقال الترمذى رحمه اللّه تعالى : حدثنا يحيى بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسى أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال : قدمت مكة فلقيت عطاء بن رباح فقلت له : يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون فى القدر. قال: يا بنى أتقرأ القرآن؟ قلت نعم. قال: فاقرأ الزخرف. قال: فقرأت ﴿حمٓ ۝ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝﴾ ، قال : أتدرى ما أم الكتاب . قلت اللّه ورسوله أعلم قال: فإنه كتاب كتبه اللّه قبل أن يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض . فيه : إن فرعون من أهل النار ، وفيه تبت يدا أبى لهب وتب ، قال : عطاء : فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول اللّه ﷺفسألته : ما كانت وصية أبيك عند الموت؟ قال : دعانى فقال : يا بنى اتق اللّه ، واعلم أنك لن تتقى اللّه تعالى حتى تؤمن باللّه والقدر كله خيره وشره ، فإن مت على غير هذا دخلت النار . إنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : «**إن أول ما خلق اللّه تعالى القلم فقال : اكتب ، قال : ما أكتب؟ قال : اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد**» هذا حديث غريب [٣].

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٤٠٩)، ومسلم (٢٦٥٢)، وله طرق مفصلة في كتاب «السنة» لعبد اللّه بن أحمد بتحقيقي .

(٢) **في إسناده ضعف** : أخرجه أبو داود (٤٧٠٠)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٩) عن جعفر بن مسافر به ، وفي إسناده أبو حفصة حبيش بن شريح مجهول الحال ، وأيضًا فإبراهيم بن أبي عبلة يجعله مرة عن أبي حفصة ، ومرة عن أبي يزيد الأزدي عن عبادة كما عند الطبراني في «الشاميين» (٥٨)، ومرة عن أبي عبد العزيز الأردني عن عبادة كما في «السنة» لابن أبي عاصم (١٠٢).

(٣) **ضعيف الإسناد** : أخرجه الترمذي (٢١٥٥)، وأبو داود الطيالسي (٥٧٧) وابن الجعد (٣٤٤٤) من طريق عبد الواحد بن سليم به ، وعبد الواحد ضعيف ، وقال الترمذي : حديث غريب من هذا الوجه .

وقال البخاري رحمه اللَّه تعالى: قال: أصبغ أخبرني ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يا رسول اللَّه إني رجل شاب وأخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به من النساء، فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فقال النبي ﷺ: **«يَا أَبَا هُرَيْرَةَ جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لَاقٍ، فَاخْتَصِ عَلَى ذَلِكَ أَوْ ذَرْ»** [١]، وغير ذلك من الأحاديث.

(فصل) التقدير الثاني من تقادير الكتابة: كتابة الميثاق يوم ألست بربكم قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٠٢]،

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد اللَّه بن الديلي عن عبد اللَّه بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إِنَّ اللَّهَ عز وجل خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ فَمَنْ أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ ضَلَّ فَلِذَلِكَ أَقُولُ: جَفَّ الْقَلَمُ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ عز وجل»** حسنه الترمذي [٢].

وقال أحمد رحمه الله: حدثنا هشيم وسمعته أنا منه قال: حدثنا أبو الربيع عن يونس عن أبي إدريس عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ حِينَ خَلَقَهُ فَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُمْنَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً بَيْضَاءَ كَأَنَّهُمُ الذَّرُّ، وَضَرَبَ كَتِفَهُ الْيُسْرَى فَأَخْرَجَ ذُرِّيَّةً سَوْدَاءَ كَأَنَّهُمُ الْحُمَمُ، فَقَالَ لِلَّذِي فِي يَمِينِهِ: إِلَى الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَقَالَ لِلَّذِي فِي كَفِّهِ الْيُسْرَى: إِلَى النَّارِ وَلَا أُبَالِي»** [٣].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٧٦).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٦ و١٩٧) والترمذي (٢٦٤٢) والطيالسي (٢٢٩١)، وابن أبي عاصم (٢٤١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٥٣٢) من طرق عن عبد اللَّه بن الديلمي عن عبد اللَّه بن عمرو مرفوعًا به.

(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٦/ ٤٤١) بهذا الإسناد به، وإسناده صحيح، وأبو إدريس هو الخولاني. ووقع بالأصل: وقال أحمد رحمه اللَّه تعالى: حدثنا هشيم وسمعته أنا منه. . . إلخ، وهو خطأ، والقائل: وسمعته أنا منه، هو عبد اللَّه بن أحمد، لكن المصنف رحمه اللَّه قال فيما يأتي: وقال رحمه اللَّه تعالى: حدثنا الحسن بن سوار. . . والقائل هنا هو أحمد، لذا تركت الكلام على حاله، ولم أصوبه، واكتفيت بالتنبيه عليه.

وقال رحمه اللَّه تعالى : حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث - يعنى ابن سعد - عن معاوية بن رشاد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضي الله عنه قال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**إن اللَّه عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال : هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى**» . قال : فقال قائل يا رسول اللَّه فعلى ماذا نعمل؟ قال : «**على مواقع القدر**»[1] وفى الباب عن معاذ ونضرة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ ، وحديث عبد الرحمن هذا رجاله رجال الصحيحين إلى الصحابى . وروى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه اللَّه تعالى عن زيد بن أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف : الآية ١٧٢] فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : سمعت رسول اللَّه ﷺ يسأل عنها فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ، فقال : رجل يا رسول اللَّه ففيم العمل؟**» قال : فقال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال الجنة فيدخله ربه الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار**»[2] .

وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى : حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير - يعنى ابن أبى حازم - عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال : «**أخذ اللَّه تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان**» يعنى عرفة - «**فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا قال : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾**»[3] صححه الحاكم . وروى ابنه عبد اللَّه فى زوائده على مسند أبيه حدثنا

---

(١) حسن : أخرجه أحمد (٤/ ١٨٦) ، وابن حبان (٣٣٨) من طريق الليث بن سعد عن معاوية بن صالح به ، ومعاوية صدوق .

(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه مالك (٢/ ٨٩٨) وإسناده ضعيف للانقطاع وسبق مفصلًا في أوائل الكتاب تخريجه .

(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢) ، وسبق تخريجه والكلام عليه في أوائل الكتاب .

محمد بن يعقوب الريالى حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى يحدث عن الربيع بن أنس عن رفيع أبى العالية عن أبى بن كعب ﷺ فى قول الله ﷻ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] الآية قال: «جمعهم فجعلهم أرواحًا ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا: بلى، قال: فإنى أشهد عليكم السموات السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بذلك، اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى فلا تشركوا بى شيئًا، إنى سأرسل إليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبى قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لا رب غيرك. فأقروا بذلك» الحديث[1].

وقال الإمام الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى عمران قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ، أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي»[2] ورواه مسلم وغيره، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة، وقد قدمنا منها جملة وافية فى أول هذا الشرح عند الكلام عن الميثاق. ولله الحمد والمنة.

(فصل) التقدير (الثالث): العمرى عند تخليق النطفة فى الرحم، فيكتب إذ ذاك ذكورتها وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ماهو لاق فلا يزاد فيه ولا ينقص منه. قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: الآية ٥]، الآيات، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [فاطر: الآية ١١]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾

---

(١) ضعيف الإسناد: وسبق تخريجه في أوائل الكتاب.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٣٤)، ومسلم (٢٨٠٥).

[غافر: الآية ٦٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: الآية ٣٢]، وغيرها من الآيات، وروى البخارى ومسلم بإسناديهما إلى سليمان الأعمش قال: سمعت زيد بن وهب عن عبد الله - يعنى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه - قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا»[1] وهذا لفظ مسلم، ولهما من حديث حماد بن زيد عن عبيد الله بن أبى بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا قَالَ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ»[2]، وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى الزبير المكى أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره، فأتى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال: له حذيفة بن أسيد الغفارى فحدثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ ثِنْتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا فَصَوَّرَهَا وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجِلْدَهَا وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَجَلُهُ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ رِزْقُهُ؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَةِ فِي يَدِهِ فَلَا يَزِيدُ عَلَى مَا أُمِرَ وَلَا يَنْقُصُ»[3] وفى رواية له من طريق آخر «فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ أَسَوِيٌّ أَوْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ، ثُمَّ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣) واللفظ لمسلم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٩٥)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

يَقُولُ: يَا رَبِّ مَا رِزْقُهُ؟ مَا أَجَلُهُ؟ مَا خُلُقُهُ؟ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا»[١] وفى رواية لأحمد: «فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَاذَا؟ أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ؟ أَذَكَرٌ أَمْ أُنثى؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَيَكْتُبَانِ، فَيَقُولَانِ: مَاذَا؟ أَذَكَرٌ أَمْ أُنثَى؟ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ، فَيَكْتُبَانِ، فَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَثَرُهُ، وَمُصِيبَتُهُ، وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصَّحِيفَةُ فَلَا يُزَادُ عَلَى مَا فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ»[٢] وله عن جابر ﷺ قال: قال: رسول اللّه ﷺ: «إذا استقرت النطفة فى الرحم أربعين يومًا أو أربعين ليلة بعث اللّه إليه ملكًا فيقول يا رب ما رزقه فيقال له. فيقول: يا رب ما أجله فيقال له. فيقول: يا رب ذكر أم أنثى؟ فيعلمه. فيقول: يا رب شقى أو سعيد؟ فيعلمه»[٣]، تفرد به وإسناده حسن، وله عن أبى الدرداء ﷺ قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «فَرَغَ اللَّهُ إِلَى كُلِّ عَبْدٍ مِنْ خَمْسٍ: مِنْ أَجَلِهِ، وَرِزْقِهِ، وَأَثَرِهِ، وَشَقِيٍّ، أَمْ سَعِيدٍ»[٤] والأحاديث فى ذلك.

(فصل) والرابع: التقدير الحولى فى ليلة القدر، يقدر فيها كل ما يكون فى السنة إلى مثله، قال اللّه تبارك وتعالى: بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾، الآيات.

قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم[٥]، وقال سعيد بن جبير: يؤذن للحجاج فى ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولا يزاد فيهم ولا ينقص منهم[٦]، وقال الحسن البصرى: واللّه الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان وإنها لليلة القدر، ويفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضى اللّه تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها[٧]، وقال

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦٤٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٤/ ٦)، والبيهقي (٧/ ٤٢١)، وأصله في مسلم من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد مرفوعًا به.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٣/ ٣٩٧)، وفي إسناده خصيف بن عبد الرحمن وهو ضعيف.

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٧) وعبد اللّه في «السنة» (٩٣٢ بتحقيقي)، وابن أبي عاصم (٣٠٧) وغيرهم من طريق خالد بن صبيح عن إسماعيل بن عبيد اللّه عن أم الدرداء عن أبي الدرداء مرفوعًا فيه\ وفي إسناد الحديث خلاف انظره في تعليقي على «السنة» لعبد اللّه.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٥٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهذا منقطع، ومن طريق ابن أبي نجيح أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨٦٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٦٠).

(٦) صحيح إلى سعيد بن جبير، أخرجه ابن جرير (٣٠/ ٢٥٩) عن أبي كريب عن وكيع عن سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير.

ابن عباس : يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال : يحج فلان ويحج فلان [١]، وقال مقاتل : يقدر الله تعالى فى ليلة القدر أمر السنة فى بلاده وعباده إلى السنة القابلة [٢]، وقال أبو عبد الرحمن السلمى : يقدر أمر السنة كلها فى ليلة القدر [٣]، وذكر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية : إنك لترى الرجل غشى فى الأسواق وقد وقع اسمه فى الموتى، وروى عن ابن عمر ومجاهد وأبى مالك والضحاك : فى ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة وما يكون فيها من الآجال والأرزاق وما يكون فيها إلى آخرها . والآثار فى ذلك عن الصحابة وأئمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرة شهيرة [٤] .

(فصل) والخامس : التقدير اليومى وهو سوق المقادير إلى المواقيت التى قدرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى : ﴿يَسْئَلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرحمن: الآية ٢٩]، وروى ابن جرير رحمه الله تعالى عن منيب بن عبد الله بن منيب الأزدى عن أبيه قال : «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية ٢٩] فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشأن؟ قال : «**أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين**» [٥] .

وروى ابن أبي حاتم عن أبى الدرداء رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «قال الله عز وجل : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية ٢٩] قال : **من شأنه أن يغفر ذنبًا ويفرج كربًا ويرفع قومًا ويضع آخرين**» [٦]، وعلقه البخارى موقوفًا، وروى البزار عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبى ﷺ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية ٢٩] قال : «**يغفر ذنبًا ويكشف كربًا**» [٧] .

---

(١) حسن إلى الحسن البصري : أخرجه ابن جرير (٢٥/ ١٠٨) من طريقين عن ربيعة بن كلثوم وهو صدوق عن الحسن به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٠٥٠) عن ابن عباس من غير إسناد .

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٥/ ١٠٨) .

(٤) أخرجه ابن جرير (٢٥/ ١٠٩)، والحاكم (٣٦٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٣٦٦١) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٥) انظر «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٣٨) .

(٦) ضعيف : أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٣٥)، والطبراني في «الأوسط» (٦٦١٩) وفي إسناده منيب بن عبد الله، وهو مجهول، وعمرو بن بكر السكسكي وهو متروك .

(٧) ضعيف : أخرجه ابن ماجه (٢٠٢)، وابن حبان (٦٨٩)، وابن أبي عاصم (٣٠١)، والطبراني في «الأوسط» (٣١٤٠)، والبيهقي في «الشعب» (١١٠١) من طريق الوزير بن صبيح عن يونس أم الدرداء=

وله هو وابن جرير عن ابن عباس ﷺ : إن الله خلق لوحًا محفوظًا من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق في كل نظرة ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء[١]، وروى ابن أبي حاتم عن وسويد بن جبلة الفزاري قال: إن ربكم كل يوم هو في شأن فيعتق رقابًا، ويعطي رغابًا، ويقحم عقابًا[٢]، وقال الأعمش: عن مجاهد عن عبيد بن عمير ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: الآية ٢٩] قال: من شأنه أن يجيب داعيا، أو يعطي سائلًا أو يفك عانيًا، أو يشفي سقيمًا[٣]، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعيًا ويكشف كربًا، ويجيب مضطرًا ويغفر ذنبًا[٤]، وقال قتادة: لا يستغني عنه أهل السموات والأرض يحيي حيًا ويميت ميتًا. ويربي صغيرًا ويفك أسيرًا. وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم[٥]، وقال الحسين بن فضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت، وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد بر جديد. وذكر البغوي رحمه الله تعالى قول المفسرين من شأنه أن يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويعز قومًا ويذل قومًا ويشفي مريضًا ويفك عانيًا ويفرج مكروبًا ويجيب داعيا ويعطي سائلًا ويغفر ذنبًا إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه ما يشاء[٦].

وجملة القول في ذلك أن التقدير اليومي هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه، في

= عن أبي الدرداء مرفوعًا، وإسناده ضعيف لضعف الوزير بن صبيح، وأخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥١٧ فتح) كتاب التفسير باب (٥٥) سورة الرحمن تعليقًا عن أبي الدرداء موقوفًا، وأخرج الموقوف البيهقي في «الشعب» (١١٠٢)، وأورد الدارقطني الحديث في «العلل» (٦/ ٢٢٨ ح١٠٩٣)، وقال عن الموقوف: وهو الصواب.

(١) ضعيف: أخرجه البزار، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٤)، وفي إسناده عبد الرحمن بن البيلماني وهو ضعيف، وابنه محمد، وهو ضعيف أيضًا.

(٢) ضعيف: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٣٥)، والحاكم (٣٧٧١ و٣٩١٧) من طريق أبي حمزة الثمالي وهو ضعيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) صحيح إلى سويد بن جبلة: أخرجه ابن أبي حاتم (١٩٢٦١) عن أبي اليمان الحمصي عن حريز بن عثمان عن سويد بن جبلة به.

(٤) صحيح إلى عبيد بن عمير: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٤٩٩٩)، عن أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير، وإسناده صحيح، وأخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٣٤) بإسناد ضعيف.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ١٣٥) عن ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهذا منقطع.

(٦) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٧٤) عن قتادة من غير عزو أو إسناد.

(٧) «تفسير البغوي» (٧/ ٤٤٦).

الوقت الذى سبق أنه يناله فيه ، لا يتقدمه ولا يتأخره ، كما أن فى الآخرة يأتى تأويل الجزاء الموعود إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر . ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون . ولهذا قال سفيان بن عيينة فيما ذكره عنه البغوى رحمه اللَّه تعالى[1] : الدهر كله عند اللَّه يومان أحدهما مدة أيام الدنيا ، والآخر يوم القيامة ، فالشأن الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يعنى وغير ذلك ، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب اهـ. ثم هذا التقدير اليومى تفصيل من التقدير الحولى ، والحولى تفصيل من التقدير العمرى عند تخليق النطفة ، والعمرى تفصيل من التقدير العمرى الأول يوم الميثاق ، وهو تفصيل من التقدير الأزلى الذى خطه القلم فى الإمام المبين ، والإمام المبين هو من علم اللَّه ﷻ . وكذلك منتهى المقادير فى آخريتها إلى علم اللَّه ﷻ ، فانتهت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: الآية ٤٢] .

(فصل) والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر : الإيمان بمشيئة اللَّه النافذة وقدرته الشاملة ، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون ، ويفترقان فى ما لم يكن ولا هو كائن ، فما شاء اللَّه تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: الآية ٨٢] ، وما لم يشأ اللَّه تعالى لم يكن لعدم مشيئة اللَّه تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ٣٥] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: الآية ١١٨] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: الآية ٩٩] ، ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: الآية ٣١] ، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: الآية ٢٥٣] ، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾ [السجدة: الآية ١٣] ، فالسبب فى عدم وجود الشيء هو عدم مشيئة اللَّه تعالى إيجاده ، لا أنه عجز عنه ، تعالى اللَّه وتقدس وتنزه عن ذلك ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: الآية ٤٤] .

(فصل) والمرتبة الرابعة : مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن اللَّه ﷻ خالق كل شيء ، فهو خالق كل عامل وعمله ، وكل متحرك وحركته ، وكل ساكن وسكونه ، وما من ذرة فى السموات ولا فى الأرض إلا واللَّه ﷻ خالقها وخالق حركتها وسكونها ، سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ، وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما فى توحيد المعرفة

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ٤٤٦).

والإثبات بما أغنى عن إعادته . ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

(فصل) وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة ، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم ، وهو تعالى الذي منحهم إياه وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة ، وبحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون ، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعهم ولم يحملهم إلا طاقتهم ، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم فى الكتاب والسنة ، ووصفهم به ، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى ولا يشاءون إلا أن يشاء الله ﷻ ، ولا يفعلون إلا ما يجعله إياهم فاعلين ، كما جمع تعالى بين ذلك فى غير ما موضع من كتابه كقوله ﷻ : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٨] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ ، وقوله تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ ، وقوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] ، الآية ، وقال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: الآية ٧] ، وقال تعالى : ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: الآية ٧٢] ، أى : بسببه ، وقال تعالى : ﴿ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [يونس: الآية ٥٢] ، وقال النبى ﷺ : «**الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ**»[١] وقال البخارى رحمه الله تعالى[٢] : باب ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣] ، ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: الآية ٥٧] حدثنا النعمان أخبرنا جرير هو ابن حازم عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب ﷺ قال : رأيت النبى ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول :

«وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا صُمْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا ... وَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا
وَالْمُشْرِكُونَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا ... إِذَا أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا»[٣].

---

(١) صحيح : وسبق تخريجه .
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٥٧٠) كتاب القدر باب (١٦) .
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٦٦٢٠)، ومسلم (١٨٠٣) .

وقال ﷺ في الحمر : «ما أنزل الله على فيها شيئًا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝﴾»[1] وغير ذلك ما لا يحصى ، وقد تقدم منها جملة وافية فى إثبات الإرادة والمشيئة والخلق ، فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم . فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم ، تبع لقدرة الله سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله ، إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم ، وليس مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هى عين مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته وفعله ، كما ليسوا هم إياه تعالى الله عن ذلك بل أفعالهم المخلوقة لله القائمة بهم لائقة مضافة إليهم ، حقيقة ، وهى من آثار أفعال الله تعالى القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة ، فالله فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة ، والله تعالى هاد حقيقة ، والعبد مهتد حقيقة ، ولهذا أضاف تعالى كلا من الفعلين إلى من قام به فقال ﷻ : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾[الكهف: الآية ١٧] ، فإضافة الهداية إلى الله تعالى حقيقة ، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة ، وكما أن الهادى تعالى ليس هو عين المهتدى ، فكذلك ليست الهداية هى عين الاهتداء ، وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة ، وذلك العبد يكون ضالًا حقيقة ، وهو ﷻ خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال جل وعلا : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝﴾[التغابن: الآية ٢] ، أى : هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك كونًا لا شرعًا ، فلابد من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[البقرة: الآية ٢٦٥] ، فأضاف الله تعالى الخلق الذى هو فعله القائم به إليه حقيقة ، وأضاف الإيمان والكفر الذى هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة ، والله تبارك وتعالى هو الذى جعلهم كذلك ، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التى منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها . والمقصود أن الله سبحانه فى جميع تصرفاته فى عباده فاعل حقيقة ، والعبد منفعل حقيقة ، فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق كفر ، ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كفر ، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة ، فالأول : قول القدرية النفاة ، وأول من أحدثه فى هذه الأمة معبد الجهنى فى آخر عصر الصحابة كما قدمنا عن يحيى بن يعمر فى سياق حديث جبريل السابق

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).

فى سؤاله النبى ﷺ عن الدين ، وأنكر عليه ذلك بقية الصحابة وأئمة التابعين وتبرءوا من هذا الاعتقاد وكفروا منتحليه ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بعضًا بمجانبته والفرار من مجالسته ، ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التى انتحلها هو ورءوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزال[1] ، وعمرو بن عبيد[2] ومن فى معناهم وعلى طريقتهم حتى بالغ بعضهم فأنكرَ علم اللَّه تعالى وأنكر كتابة المقادير السابقة وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم ، ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة ، فأما واصل بن عطاء فقال فيه أبو الفتح الأزدى : رجل سوء كافر ، قال الذهبى : كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة ، ومما قيل فيه :

ويجعل البر قمحًا فى تصرفه وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرًا فى القول يجعله فعاذ بالغيث إشفاقًا من المطر

وكان يتوقف فى عدالة أهل الجمل ويقول : إحدى الطائفتين فسقت لا بعينها ، فلو شهدت عندى عائشة وعلى وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم . هلك سنة إحدى وثلاثين ومائة . وأما عمرو بن عبيد فهو ابن ثوبان - ويقال : ابن كيسان - التيمى مولاهم أبو عثمان البصرى من أبناء فارس قال ابن كثير : هو شيخ القدرية والمعتزلة ، روى الحديث عن الحسن البصرى وعبيد اللَّه بن أنس وأبى العالية وأبى قلابة ، وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة والأعمش وكان من أقرانه وعبد الوارث بن سعيد ، وهارون بن موسى ويحيي القطان ويزيد بن زريع ، قال الإمام أحمد : ليس بأهل أن يحدث عنه ، وقال على بن المدينى ويحيى ابن معين : ليس بشيء . وزاد ابن معين : وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع . وقال الفلاس : متروك صاحب بدعة كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه . وكان ابن مهدى لا يحدث عنه ، وقال أبو حاتم : متروك ، وقال النسائى : ليس بثقة ، وقال شعبة عن يونس بن عبيد : كان عمرو بن عبيد يكذب فى الحديث ، وقال حماد بن سلمة قال لى حميد : لا تأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصرى ، وكذا قال : أيوب وعوف بن عون ، وقال أيوب : ما كنت أعدله عقلًا ، وقال مطر

(١) ترجمة واصل بن عطاء في «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥/ ٤٦٤)، و«لسان الميزان» (٦/ ٢٨٣).
(٢) ترجمة عمرو بن عبيد بـ«التهذيب» (٨/ ٧٠)، و«تاريخ بغداد» (١٢/ ١٦٦)، وفي كتاب الدارقطني كتاب «أخبار عمرو بن عبيد» وهو قيد الطبع بتحقيقي.

الوراق : والله لا أصدقه فى شيء ، وقال ابن المبارك : إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر ، وقد ضعفه غير واحد من أئمة الجرح والتعديل ، وأثنى عليه آخرون فى عبادته وزهده وتقشفه . وقال الحسن البصرى : هذا سيد شباب القراء ما لم يحدث . قالوا : فأحدث والله أشد الحدث ، وقال ابن حيان : كان من أهل الورع والعبادة إلى أن أحدث ما أحدث ، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة . وكان يشتم الصحابة ويكذب فى الحديث وهمًا لا تعمدًا . وقد روى عنه أنه قال : إن كانت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: الآية ١] فى اللوح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة ، وروى له حديث ابن مسعود : حدثنا الصادق المصدوق : «إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا - فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ : رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ» إلى آخره[١] ، فقال : لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته ، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته ، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته ، ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته ، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت : ما على هذا أخذت علينا الميثاق ، وهذا من أقبح الكفر ، لعنه الله إن كان قال : هذا ، وإذا كان مكذوبًا عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقه وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى :

أيها الطالب علمًا ... ائت حماد بن زيد
فخذ العلم بحلم ... ثم قيده بقيد
وذر البدعة من ... آثار عمرو بن عبيد

وقال ابن عدى : كان عمرو يغر الناس بتقشفه ، وهو مذموم ضعيف الحديث جدًّا معلن بالبدع وقال الدارقطنى : ضعيف الحديث . وقال الخطيب البغدادى : جالس الحسن واشتهر بصحبته ، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال : بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث رحمهم الله تعالى .

ثم توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصوا به ، ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم ، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات ، ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات ، ثم افترقوا فى أفعال الله كما افترقوا فى علمه ، ففرقة قالت : كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولا مخلوقة له ، لا خيرها ولا شرها ، والأخرى قالت : الخير من أفعالهم مخلوق له تعالى ومقدور له ، وأما الشر فليس عندهم مخلوقًا لله ولا

(١) الحديث صحيح ، وسبق تخريجه .

مقدورًا له، فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه، وأثبتوا خالقين، فهم في الحقيقة مجوس ثنوية، بل أعظم منهم، فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين، ولولا تناقضهم لكانوا أكفر من المجوس، فإن اطراد قولهم ولازمه وحاصله وهو إخراج أفعال العباد عن خلق الله ﷻ وملكه وأنها ليست داخلة في ربوبيته ﷻ، وأنه يكون في ملكه ما لا يريد ويريد ما لا يكون، وأنهم أغنياء عن الله ﷻ فلا يستعينون على طاعته ولا ترك معصيته ولا يعوذون به من شرور أنفسهم ولا سيئات أعمالهم ولا يستهدونه الصراط المستقيم، فقول إياك نعبد وإياك نستعين وقول ولا حول ولا قوة إلا بالله لا معنى له عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٩]، هذا مع انكارهم علم الله ﷻ وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًا كبيرًا.

(نص) والقول الثاني وهو إضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى الله ﷻ هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف وكالهاوي من أعلى إلى أسفل. وأن تكليف الله ﷻ عباده - من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصي - كتكليف الحيوان البهيم كالطيران وتكليف المقعد بالمشي وتكليف الأعمى بنقط الكتاب، وأن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لا على أفعالهم، وأن ذلك كتعذيب الطويل لم لم يكن قصيرًا والقصير لم لم يكن طويلًا والأسود لم لم يكن أبيض والأبيض لِمَ لَمْ يكن أسود، فسلبوا العبد قدرته واختياره، وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها» ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوه في عدله وشرعه. فلا قيام عندهم لسوق الجهاد، ولا معنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف في غير وسع وتحميل ما لا يطاق والظلم الذي حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرمًا فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيرًا، وإن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته. هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيرًا من عباراتهم

التى لا يستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى فى كتابه أقوال الكفار قبحهم الله [1]، فمن ذلك قول بعضهم:

ألقاه فى اليم مكتوفًا وقال: له إياك إياك أن تبتل بالماء

وقول آخر قبحه الله:

دعانى وسد الباب عنى فهل إلى دخولى سبيل بينوا لى قضيتى

وقول كافر آخر فضّ الله فاه:

وضعوا اللحم للبزا ة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزاة إذ خلعوا عنهم الرسن
لو أرادوا صيانتى ستروا وجهك الحسن. . . اهـ

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف إفساده فقال: لى خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره، وصعد رجل يومًا على سطح دار له فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما، فقال: الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك، فقال: لعلمك بالقضاء والقدر أحب إلى من كل شيء، أنت حر لوجه الله، ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهى تقول القضاء والقدر. فقال: يا عدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا، فقالت: أوه تركت السنة وأخذت بمذهب ابن عباس. فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال: لولاك لضللت، ورأى آخر رجلًا يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت هذا قضاء الله وقدره. فقال: الخيرة فيما قضى الله. فلقب بالخيرة فيما قضى الله، وكان إذا دعى به غضب. وقيل لبعض هؤلاء: أليس هو يقول ولا يرضى لعباده الكفر؟ فقال: دعنا من هذا، رضيه وأحبه وأراده، وما أفسدنا غيره. ولقد بالغ بعضهم فى ذلك حتى قال: : القدر عذر لجميع العصاة، وإنما مثلنا فى ذلك كما قيل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وبلغ بعض هؤلاء أن عليا مر بقتلى النهروان فقال: بؤسا لكم، لقد ضركم من غركم، فقيل: من غرهم؟ فقال: الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأمانى. فقال: هذا القائل: كان على قدريًا، وإلا فالله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد، واجتمع جماعة من هؤلاء يومًا فتذاكروا القدر، فجرى ذكر الهدهد وقوله ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾

(١) «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص١٥٢).

[النمل: الآية ٢٤] ، فقال: كان الهدهد قدريا، أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله. وسئل بعض هؤلاء عن قول الله تعالى لإبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] ، أيمنعه ثم يسأله ما منعه؟ قال: نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه. قال له: فما معنى قوله ﷻ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: الآية ٣٩] ، إذا كان هو الذي منعهم؟ قال: استهزاء بهم قال: فما معني قوله ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٧] ، قال: فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه، بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى. وقال بعض هؤلاء وقد عوتب على ارتكابه معاصي الله فقال: إن كنت عاصيًا لأمره فأنا مطيع لإرادته. وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال: إلى متى هذا اللوم؟ ولو خلى لسجد، ولكن منع. وأخذ يقيم عذره، فقال: بعض الحاضرين: تبًا لك سائر اليوم، أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن؟ وجاء جماعة إلى منزل رجل من هؤلاء فلم يجدوه، فلما رجع قال: كنت أصلح بين قوم. فقيل له: وأصلحت بينهم؟ قال: أصلحت إن لم يفسد الله. فقيل له: بؤسًا لك أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربك. ومر بلص مقطوع اليد على بعض هؤلاء فقال: مسكين مظلوم أجبره على السرقة، ثم قطع يده عليها، وقيل لبعضهم: أترى الله كلف عباده ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه؟ قال: والله قد فعل ذلك، ولكن لا نجسر أن نتكلم، وقال: بعض هؤلاء: ذنبة أذنبها أحب إلى من عبادة الملائكة. قيل: ولم؟ قال: لعلمي بأن الله قضاها على وقدرها، ولم يقضها إلا والخيرة لى فيها، وقال: بعض هؤلاء: العارف لا ينكر منكرًا لاستبصاره بسر الله فى القدر. قال: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: عاتبت بعض شيوخ هؤلاء، فقال لى: المحبة نار تحرق من القلب ما سوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأى شيء أبغض منه؟ قال: فقلت له: إذا كان المحبوب قد أبغض من فى الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببتهم أنت وواليتهم، أكنت وليا للمحبوب، أو عدوًا له؟ قال: فكأنما ألقم حجرًا. وقرأ قارئ بحضرة هؤلاء ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] ، فقال: هو والله منعه، ولو قال: إبليس ذلك لكان صادقًا، وقد أخطأ إبليس الحجة، ولو كنت حاضرًا لقلت له: أنت منعته. وسمع بعض هؤلاء قارئًا يقرأ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: الآية ١٧] ، فقال: ليس من هذا بشيء، بل أضلهم وأعماهم. اهـ. إلى أن قال: فيقال: الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقًا الذين ما قدروا الله حق قدره، ولا عرفوه حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه، ولا نزهوه عما لا يليق به، وبغضوه إلى عباده وبغضوهم

إليه سبحانه وأساءوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماء اللَّه حقًا الذين جاء فيهم الحديث «**يقال: يوم القيامة أين خصماء اللَّه؟ فيؤمر بهم إلى النار**»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فى تائيته:

ويدعى خصوم اللَّه يوم معادهم	**إلى النار طرًا فرقة القدرية**
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا	**به اللَّه أو ماروا به للشريعة**

قال: وسمعته يقول: القدرية المذمومون فى السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث: نفاته وهم القدرية المجوسية، والمعارضون به للشريعة الذين قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: الآية ١٤٨]، وهم القدرية المشركون. والمخاصمون به للرب سبحانه وهم أعداء اللَّه تعالى وخصومه وهم القدرية الإبليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على اللَّه بالقدر فقال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: الآية ٣٩]، ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم. فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم، ومن أشبه أباه آدم فما ظلم. ومن برأ نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس[2]. ثم ساق كلامًا طويلًا فى فرق القدرية وضلالهم إلى أن قال رحمه اللَّه تعالى[3]: فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم إما فى جميع تركتهم وإما فى كثير منها وإما فى جزء منها، وهدى اللَّه بفضله ورثة أنبيائه ورسله لميراث نبيهم ﷺ وأصحابه ﷺ، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض بل آمنوا بقضاء اللَّه وقدره ومشيئته العامة النافذة وأنه ما شاء اللَّه كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد، وأنه هو الذى جعل المؤمن مؤمنًا والمصلى مصليا والمتقى متقيا، وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره وأئمة الضلالة يدعون إلى النار، وأنه ألهم كل نفس فجورها وتقواها، وأنه يهدى من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وأنه هو الذى وفق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم فإنه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به، ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه، وأنه من يهد اللَّه فلا مضل له ومن يضلل فلا

---

(١) **ضعيف**: أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٣٦)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥١٠) عن حبيب بن عمرو عن أبيه عن ابن عمر عن أبيه، وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٤٣٥ ح ٢٨١٠)، ونقل عن أبيه قوله: هذا حديث منكر، وحبيب بن عمرو ضعيف الحديث مجهول لم يرو عنه غير بقية. اهـ، وأورده الدارقطني في «العلل» (٢/ ٧١ ح ١١٥)، وقال: وهو حديث مضطرب.

(٢) آخر كلام ابن القيم في «طريق الهجرتين» (ص١٥٦).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص١٦٠).

هادى له، وأنه لو شاء لآمن من فى الأرض كلهم جميعًا إيمانًا يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم، وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن اللَّه يفعل ما يريد، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

القضاء والقدر أربع مراتب

والقضاء والقدر عندهم أربع مراتب جاء بها نبيهم ﷺ وأخبر بها عن ربه تعالى: الأول علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم، الثانية كتابته ذلك فى الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض، الثالثة مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه، الرابعة خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لا خالق إلا اللَّه، واللَّه خالق كل شيء، فالخالق عندهم واحد وما سواه فمخلوق، ولا واسطة عندهم بين الخالق والمخلوق، ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيم فى كل ما فعله وخلقه، وأن مصدر ذلك جميعه عن حكمة تامة هى التى اقتضت صدور ذلك وخلقه، وأن حكمته حكمة حق عائدة إليه قائمة به كسائر صفاته، وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدروه كما يقوله نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها، بل أهى أمر وراء ذلك، وهى الغاية المحبوبة المطلوبة التى هى متعلق محبته وحمده ولأجلها خلق فسوى وقدر فهدى وأمات وأحيا وأسعد وأشقى وأضل وهدى ومنع وأعطى، وهذه الحكمة هى الغاية والفعل وسيلة إليها، فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفى للغايات وهو محال، إذ نفى الغاية مستلزم لنفى الوسيلة، فنفى الوسيلة وهى الفعل لازم لنفى الغاية وهى الحكمة ونفى قيام الفعل والحكمة به نفى لهما فى الحقيقة، إذ فعل لا يقوم بفاعله وحكمة لا تقوم بالحكيم شيء لا يعقل، وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته، وهذا لازم لمن نفى ذلك ولا محيد له عنه وإن أبى التزامه. وأما من أثبت حكمته تعالى وأفعاله على الوجه المطبق للعقل والفطرة ولم جاءت به الرسل لم يلزم من قوله محذور البتة بل قوله حق ولازم الحق حق كائنًا ما كان.

والمقصود: أن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر والحكم والغايات المحمودة فى أفعال الرب تعالى وأوامره، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهى وصدقوا بالوعد والوعيد، فآمنوا بالخالق الذى من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة، وبالأمر الذى من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب، فصدقوا بالخلق والأمر ولم ينفوهما بنفى لوازمهما كما فعلت القدرية

المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر، وكانوا أسعد الناس بالحق وأقربهم عصبة فى هذا الميراث النبوى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم [١]، انتهى ما سقنا من كلامه رحمه الله تعالى. وقد بسط الكلام قبل ذلك وبعده فشفى وكفى. رحمه الله تعالى.

والمقصود: أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر، وانفكاك أحدهما من الآخر محال، فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة لله تعالى فى أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وطعن فى حكمته وعدله، وانتقاد عليه فى إرسال الرسل وإنزال الكتب، وخلق الجنة لأوليائه المصدقين بها، وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين - الحكيم فى خلقه وشرعه، العدل فى قوله وفعله وحكمه إلى العبث والظلم فى ذلك كله، وكذلك الانقياد فى الشرع مع نفى القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة البارى وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن فى ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى العجز ووصفه بما لا يستحق الإلهية ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يغني عنك شيئًا، تعالى ربنا وتقدس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علوا كبيرًا، بل الإيمان بالقدر، خيره وشره، هو نظام التوحيد، كما أن الإتيان بالأسباب التى توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولا ينتظم أمر الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل للشرع كما قرر النبى ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال: لما قيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «**لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ**» [٢].

فمن نفى القدر رغم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعانى ربوبيته، وجعل العبد مستقلًا بأفعاله خالقًا لها، فأثبت خالقًا آخر مع الله تعالى، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون، ومن أثبته محتجًا به على الشرع محاربًا له نافيا عن العبد قدرته واختياره التى منحه الله تعالى إياها وأمره ونهاه وأخبره بحسبها زاعمًا أن الله تعالى كلف عباده ما لا يطاق فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وإلى العبث وإلى ما لا يليق به، ورجح حجة إبليس وأثبتها وأقام عذره وكان هو إمامه فى ذلك إذ يقول ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الأعراف: الآية ١٦] وأما المؤمنون حقًا فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله تعالى خالق ذلك كله لا خالق

---

(١) آخر كلام ابن القيم في «طريق الهجرتين» (ص١٦٢).

(٢) صحيح: وسبق تخريجه.

غيره ولا رب سواه، وينقادون للشرع أمره ونهيه، ويصدقون خبر الكتاب والرسول، ويحكمونه فى أنفسهم سرًّا وجهرًا، وأن الهداية والإضلال بيد اللَّه يهدى من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: الآية ٣٠]، وله فى ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركا لا على القدر. ويعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب، ولا يحتجون به على المعاصى والمعايب، فإذا وفقوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا الحمد للَّه الذى هدانا سبلنا ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣]، ولم يقولوا كما قال: الفاجر ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: الآية ٧٨]، وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال: الأبوان ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٣]، ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه، ولم يقولوا كما قال: إبليس لعنة اللَّه عليه ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الأعراف: الآية ١٦] وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء اللَّه وقدره واستسلموا لتصرف ربهم، ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ [البقرة: الآية ١٥٦]، ولم يقولوا كما قال: الذين كفروا ﴿وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: الآية ١٥٦].

فصل: القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال

واتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لا يمنع العمل ولا يوجب الاتكال، بل يوجب الحد والاجتهاد والحرص على العمل، ولهذا لما أخبر النبى ﷺ أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها فقيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: «لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ» ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل: ٥-١٠][(١)]، كما فى الأحاديث التى قدمنا وغيرها. فاللَّه ﷻ لما قدر المقادير وهيأ لها أسبابًا وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب فى المعاش والمعاد، وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له فى الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له ميسر له، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب

(١) صحيح: وسبق تخريجه.

الموصلة إليها كان أشد اجتهادًا فى فعلها والقيام بها وأعظم منه فى أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سببًا فى وجود الزرع ، والنكاح سببًا فى وجود النسل ، وكذلك العمل الصالح سبب فى دخول الجنة ، والعمل السيئ سبب فى دخول النار . وقد فقه هذا كل الفقه من قال : من الصحابة لما سمع أحاديث القدر «ما كنت بأشد اجتهادًا منى الآن» وقال النبى ﷺ فى الحديث المتقدم : «**احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجَزَنَّ ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ : لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا ، وَلَكِنْ قُلْ : قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ**»(١) ، وفى المسند والترمذى وابن ماجه من حديث الزهرى عن ابن أبى خزيمة عن أبيه أن رجلًا أتى النبى ﷺ فقال : أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل ترد من قدر اللَّه شيئًا ؟ قال : «**هى من قدر اللَّه**»(٢) يعنى أن اللَّه تبارك وتعالى قدر الخير والشر وأسباب كل منهما .

ذكر ما جاء من الأحاديث فى ذمّ القدرية

تقدم فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة أن هذه الآية ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ ، أنها نزلت فى المخاصمين فى القدر(٣) ، وتقدم فيهم أحاديث الصحابة من روايتهم سؤال جبريل عن الدين وغير ذلك من الأحاديث التى سقناها متفرقة فى مواضع من هذا المجموع ، وقال : أبو داود رحمه اللَّه تعالى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم قال : حدثنى بمنى عن أبيه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال «**القدرية مجوس هذه الأمة ، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**»(٤) ورواه الإمام أحمد عنه بلفظ أن رسول اللَّه ﷺ قال : «**لكل أمة مجوس ، ومجوس أمتى الذين يقولون لا قدر ، إن مرضوا فلا تعودوهم ، . . .** »(٥) إلخ وفى رواية «**إن لكل أمة مجوسًا وإن مجوس أمتى**

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٦٤) .

(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه الترمذي (٢٠٦٥ و٢١٤٨) ، وابن ماجة (٣٤٣٧) ، وأحمد (٣/ ٤٢١) من طريق الزهري عن ابن أبي خزامة عن أبيه ، وإسناده ضعيف ، وابن أبي خزامة مجهول .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٦) ، والترمذي (٢١٥٧ و٣٢٩٠) ، وابن ماجه (٨٣) .

(٤) ضعيف : أخرجه أبو داود (٤٦٩١) ، وإسناده منقطع بين ابن عمر وأبي حازم ، وانظر ما يأتي .

(٥) ضعيف : أخرجه أبو داود (٤٦٩٢) ، وأحمد (٢/ ٨٦) ، وعبد اللَّه في «السنة» بتحقيقي (٩٩٥) ، وفي إسناده عمر بن عبد اللَّه مولى غفرة وهو ضعيف .

المكذبون بالقدر»[١] إلخ وله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في هذه الأمة مسخ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية**»[٢] .

وله عن نافع قال: كان لابن عمر رضي الله عنهما صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر: إنه بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر، فإياك أن تكتب إلى فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ يُكَذِّبُونَ بِالْقَدَرِ**»[٣] وللترمذي عن نافع عنه رضي الله عنه جاءه رجل فقال: إن فلانًا يقرأ عليك السلام، فقال: إنه بلغني أنه قد أحدث، فإن كان قد أحدث فلا تقرئه مني السلام فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «**فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ -أَوْ فِي أُمَّتِي الشَّكُّ مِنْهُ- خَسْفٌ أَوْ مَسْخٌ أَوْ قَذْفٌ فِي أَهْلِ الْقَدَرِ**» هذا حديث حسن صحيح غريب[٤] . وقال أبو داود رحمه الله أيضًا: حدثنا محمد بن أبي كثير أخبرنا سفيان عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ: «**لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولن لا قدر، من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن يلحقهم بالدجال**»[٥] .

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى أبو عبد الرحمن قال: حدثني سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون الحضرمي عن ربيعة الحشرى عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم**»[٦] صحيح، وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن ابن سنان عن

---

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ١٢٥) وعلته ما سبق.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ١٠٨) وفي إسناده رشدين بن سعد وهو ضعيف.

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ٩٠)، وأبو داود (٤٦١٣)، والترمذي (٢١٥٢)، وابن ماجة (٤٠٦١)، وعبد الله في «السنة» (٩٩٨)، والحاكم (٢٨٥) من طريق أبي صخر حميد بن زياد بن أبي المخارق عن نافع به.

(٤) حسن: وتخريجه بما سبق.

(٥) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٦٩٢) وغيره، وسبق قريبًا، وإسناده ضعيف لضعف عمر مولى غفرة.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٧١٠)، وأحمد (١/ ٣٠)، وابن حبان (٧٩)، وعبد الله في «السنة» (٩١٢)، والحاكم (٢٨٧) من طريق حكيم بن شريك الهذلي عن يحيى بن ميمون عن ربيعة الجرشي عن أبي هريرة عن عمر بن الخطاب مرفوعًا به، وإسناده ضعيف، حكيم بن شريك مجهول.

وهب بن خالد الحمصى عن ابن الديلمى قال : أتيت أبى بن كعب فقلت له : وقع فى نفسى شيء من القدر فحدثنى بشيء لعل اللّه أن يذهبه من قلبى ، فقال : لو أن اللّه عذب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالمهم ، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحد ذهبًا فى سبيل اللّه ما قبله اللّه منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطاك لم يكن لصيبك ، ولو مت على غير هذا لدخلت النار . قال : ثم أتيت عبد اللّه بن مسعود فقال : مثل ذلك ، قال : ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال : مثل ذلك ، قال : ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثنى عن النبى مثل ذلك [١] ، وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه فى ذلك [٢] ، وقال الترمذى رحمه اللّه تعالى : حدثنا واصل بن عبد الأعلى أخبرنا محمد بن فضيل عن القاسم بن حبيب وعلى بن نزار عن نزار عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول اللّه ﷺ : **«صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية»** هذا حديث حسن غريب [٣] ، وقال رحمه اللّه تعالى : حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبة عن منصور عن ربعى بن خراش عن على رضي الله عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : **«لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ»** [٤] .

---

(١) حسن : أخرجه أبو داود (٤٦٩٩) ، وابن ماجه (٧٧) ، وأحمد (٥/ ١٨٢ و١٨٩) ، وعبد اللّه في «السنة» (٩١٤) وغيرهم من طريق سفيان عن أبي سنان سعيد بن سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي به .

(٢) سبق تخريجه ، وفي إسناده ضعف .

(٣) ضعيف : أخرجه الترمذي (٢١٥٦) ، وابن ماجه (٩٢) من طريق علي بن نزار به ، ونزار وابنه ضعيفان ، وأخرجه عبد اللّه في السنة (٧١٩) من طريق نزار به ، ولم يرفعه وإسناده ضعيف لضعف نزار ، وله شاهد من حديث أنس أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات (٣١١) بتحقيقي لكن حديث أنس موضوع .

(٤) رجاله ثقات : أخرجه أحمد (١/ ٩٧) وعبداللّه في «السنة» (٩١٦) وابن أبي عاصم (١٣٠ و٨٨٧) ، والضياء في «المختارة» (٤٤٠) جميعًا من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن منصور عن ربعي عن علي مرفوعًا ، ومحمد بن جعفر متابع على هذا الوجه ، تابعه أبو داود الطيالسي عند الترمذي (٢١٤٥) لكن خالفهما النضر بن شميل فرواه عن شعبة به ، وزاد رجلًا بين علي وربعي ، وقال الترمذي : حديث أبي داود عن شعبة عندي أصح من حديث النضر . اهـ .

قلت «يحيى بن سوس» : لكن قد رواه سفيان عن منصور به على الوجهين باختلاف على سفيان ، ورواه شريك عن منصور ، واختلف فيه على الوجهين ، ولا يترجح أحد الطريقين على الآخر ، إلا أن يقال : رواه ربعي على الوجهين ، فسمعه من رجل عن علي ثم سمعه من علي ، وهذا غير ممتنع ، لكن الجزم به عسر ، واللّه أعلم .

وقال رحمه الله تعالى: باب ما جاء من التشديد فى الخوض فى القدر. حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحى أنبأنا صالح المرى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع فى القدر، فغضب حتى أحمر وجهه حتى كأنما فقيء فى وجنتيه حب الرمان، فقال: **«أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»**[١].

ولأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر، قال: وكأنما تفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب، قال: فقال لهم: **«ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم»**. قال: فما غبطت نفسى بمجلس فيه رسول الله ﷺ لم أشهده بما غبطت نفسى بذلك المجلس أنى لم أشهده، ورواه ابن ماجه[٢] ولأحمد عن أبى الدرداء ﷺ عن النبى ﷺ قال: **« لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر»**[٣] وله عن محمد بن عبيد المكى عن ابن عباس ﷺ قال: قيل لابن عباس ﷺ إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر، فقال: دلونى عليه، وهو يومئذ قد عمى، قالوا وما تصنع به يا ابن عباس؟ قال: والذى نفسى بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته فى يدى لأدقنها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«كأنى بنساء بنى فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن مشركات»** هذا أول شرك هذه الأمة، **«والذى نفسى بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرًا كما أخرجوه من أن يكون قدر شرًا!»**[٤].

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢١٣٣)، وأبو يعلى (٦٠٤٥) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٧٢) وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٧٢) من طريق صالح المري به، وإسناده ضعيف لضعف صالح، وله شاهد من حديث أنس أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٠٥٢) وابن عدي في «الكامل» (٧/ ١٥٣) وفي إسناده يوسف بن عطية وهو متروك.

(٢) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ١٧٨) وابن ماجة (٨٥) عن أبي معاوية عن داود بن أبي هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا به، وإسناده حسن.

(٣) في إسناده ضعف: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤١) وابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢١) من طريق سليمان بن عتبة عن يونس بن ميسرة عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء مرفوعًا به، وسليمان متكلم فيه. والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في تحقيقه لكتاب «السنة» لابن أبي عاصم.

(٤) ضعيف: أخرجه أحمد (١/ ٣٣٠)، من طريق الأوزاعي عن بعض إخوانه عن محمد بن عبيد المكي عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف، بعض إخوان الأوزاعي مبهمون، ومحمد بن عبيد المكي ضعيف.

وروى البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : ما نزلت هذه الآيات ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ۝٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ ، إلا فى أهل القدر [١].

ولابن أبى حاتم عن ابن زرارة عن أبيه عن النبى ﷺ أنه تلا هذه الآية ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ قال : «فنزلت فى أناس من أمتى يكونون فى آخر الزمان يكذبون بقدر اللّٰه» [٢]. وروى الحسن بن عفرة عن عطاء بن أبى رياح قال : أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه فقلت له : تكلم فى القدر ، فقال : أو فعلوها ؟ قلت نعم قال : فو اللّٰه ما نزلت هذه الآية إلا فيهم ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ أولئك شرار هذه الأمة ، فلا تعودوا مرضاهم ولا تصلوا على موتاهم ، إن رأيت أحدًا منهم فقأت عينيه بأصبعى هاتين [٣].

ذكر أقوال الصحابة فى هذا الباب

تقدم قول ابن عمر ليحيى بن يعمر ، وقول أبى بن كعب وعبد اللّٰه بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت لابن الديلمى ، ووصية عبادة بن الصامت لابنه ، وروى عبد اللّٰه بن أحمد عن ابن عباس قال : أول ما خلق اللّٰه القلم ثم قال : اكتب قال : ما أكتب؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة [٤].

---

(١) ضعيف : أخرجه البزار ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٦٨) وفي إسناده يونس بن الحارث وهو ضعيف ، وبه أعله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧).

(٢) ضعيف : أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥/ ٢٧٦ ح ٥٣١٦) من طريق سعيد بن عمرو بن جعدة عن ابن زرارة عن أبيه مرفوعًا به ، وسعيد مجهول الحال ، وترجمته في «التاريخ الكبير» (٣/ ٥٠٠) و«الجرح والتعديل» (٤/ ٤٩) و«تعجيل المنفعة» (ص ١٥٤) ، وابن زرارة مبهم ، والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧) وقال : وفيه من لم أعرفه .

(٣) حسن إلى ابن عباس : أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٢٤٠) عن الحسن بن عرفة عن مروان بن شجاع الجزري عن عبدالملك بن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس ، به ، وإسناده حسن ، ومروان صدوق ، ومن طريق الحسن بن عرفة أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٠٥) واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٩٤٨ و ١١٦٢).

(٤) صحيح إلى ابن عباس : أخرجه عبد اللّٰه بن أحمد في «السنة» (٩٤٥ بتحقيقي) وسوف أقتصر في تخريج الآثار التي يوردها المصنف من كتاب «السنة» ، على تخريجها منه ، ومن أراد زيادة تخريج فقد فصلت في تخريج هذه الآثار في تعليقي على كتاب «السنة» ولله الحمد والمنة .

وله عنه : فكتب فيما كتب ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المسد: الآية ١](١) وله عنه قال : أخرج اللَّه ذرية آدم من ظهره مثل الذر فسماهم ، قال : هذا فلان وهذا فلان ، ثم قبض قبضتين فقال للتى فى يمينه : ادخلوا الجنة ، وقال : للتى فى يده الأخرى : ادخلوا النار ولا أبالى (٢).

وله عنه قال : إن الرجل ليمشى فى الأسواق وإن اسمه لفى الموتى (٣)، وله عنه ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: الآية ٣٩]، قال : إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت ، وله عنه إن أول ما خلق اللَّه القلم فأمره أن يكتب ما يريده أن يخلق فالكتاب عنده ، ثم قرأ ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: الآية ٤](٤)، وله عن عكرمة قال : سئل عن ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير ؟ قال : إن سليمان نزل منزلا فلم يدر ما بعد الماء وكان الهدهد مهندسًا قال : فأراد أن يسأله عن الماء ففقده . قلت وكيف يكون مهندسًا والصبى ينصب له الحيالة فيصيده . قال : إذا جاء القدر حال دون البصر (٥)، وله عن أبى الزبير أنه كان يطوف مع طاوس بالبيت فمر بمعبد الجهنى . فقال قائل لطاوس : هذا معبد الجهنى الذى يقول فى القدر ، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه ، فقال : أنت المفترى على اللَّه القائل ما لا تعلم ، قال معبد : يكذب على . قال أبو الزبير : فعدلت مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس ، فقال له طاوس : يا أبا عباس الذين يقولون فى القدر ، فقال ابن عباس : أرونى بعضهم ، قال : قلنا صانع ماذا ؟ قال : إذن أجعل يدى فى رأسه ثم أدق عنقه ، وله عنه قال : ليس قوم أبغض إلى من القدرية إنهم لا يعلمون قدرة اللَّه ، إن اللَّه تعالى يقول ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣](٦)، وله عن طاوس قال : كنت مع ابن عباس فى حلقة قال : فذكروا أهل القدر ، قال : فقال : أفى الحلقة منهم أحد فأخذ برأسه ثم أقرأ عليه ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى الْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤﴾ [الإسراء: الآية ٤] ، وأقرأ عليه آية كذا واية كذا(٧).

---

(١) صحيح إلى ابن عباس : أخرجه عبداللَّه في «السنة» (٩٥٠).
(٢) صحيح إلى ابن عباس : أخرجه عبداللَّه (٩٦٢).
(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه عبداللَّه (٩٧٣).
(٤) صحيح إلى ابن عباس : أخرجه عبداللَّه (٩٧٤).
(٥) حسن إلى ابن عباس : أخرجه عبد اللَّه (٩٧٦).
(٦) حسن إلى ابن عباس : أخرجه عبد اللَّه (٩٩٠)
(٧) ضعيف الإسناد : أخرجه عبداللَّه (٩٩١).

وله عنه وذكر عنده القدرية فقال : لو رأيت أحدًا منه لعضضت أنفه [(١)].

وله عنه قال : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد [(٢)].

وفى لفظ : فمن وحد وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد [(٣)].

وله عن أبى يحيى مولى ابن عفراء قال : يا ابن عباس ما تقول فى القدر لو أن هؤلاء أتوك يسألونك – وقال مرة – يسألونك عن القدر إن زنى وإن سرق أو شرب؟ فحسر قميصه حتى أخرج منكبيه وقال : يا أبا يحيى لعلك من الذين ينكرون القدر ويكذبون به ، والله لو أعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتهم ، إن زنى فبقدر ، وإن سرق فبقدر ، وإن شرب الخمر فبقدر [(٤)]، وروى إسحاق بن الملائى عنه فى قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] ، قال : إن الله تعالى أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه ، وكتب رزقه ، وأجله ، ومصيباته ، ثم أخرج من ظهره ولده كهيئة الذر فأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم ، وكتب رزقهم وأجلهم ومصيباتهم [(٥)]، وفى تفسير أسباط عن السدى عن أصحابه عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس [(٦)].

وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود ، وعن أناس من أصحاب النبى ﷺ ورضى عنهم فى قوله : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] الآية قال : لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتى ، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة البذر فقال : ادخلوا النار ولا أبالى . فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، ثم أخذ منهم الميثاق فقال : ألست بربكم؟ قالوا : بلى ، فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية ، فقال : هو والملائكة ﴿شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله (١٠٠٤).
(٢) صحيح إلى ابن عباس : أخرجه عبدالله (١٠٠٥).
(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله (١٠٠٧ و ١٠١٠).
(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله (١٠١٠).
(٥) ضعيف الإسناد : أخرجه عبدالله (١٠١٩).
(٦) حسن إلى ابن عباس : أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩٢٩٧) عن عمار بن خالد عن يحيى القطان عن المسعود عن علي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به .

ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ ، الآية فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف إن الله ربه ، ولا مشرك إلا وهو يقول ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٢٣] فذلك قوله ﷻ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢] وذلك حين يقول ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: الآية ٨٣] ، وذلك حين يقول ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَـٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٤٩] ، قال : يعنى يوم الميثاق(١).

وعن مقسم عن ابن عباس ﵄ ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: الآية ٢٩] ، قال : نستنسخ الحفظة من أم الكتاب ما يعمل بنو آدم ، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب(٢) ، وعنه ﵁ قال : كتب فى الذكر عنده كل شيء هو كائن ، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر ما يعمل العباد ، ثم قرأ ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢٩] ، وفى تفسير الضحاك عنه ﵁ فى هذه الآية قال : هى أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية ما يصيب الإنسان فى ذلك اليوم أو الليلة الذي يقتل والذي يغرق والذي يقع من فوق بيت والذي يتردي من جبل والذي يقع والذي يحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كله ، وإذا كان الشيء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما فى السماء مكتوبًا فى الذكر الحكيم ، وقال أبو بكر الصديق ﵁ : خلق الله الخلق قبضتين فقال لمن فى يمينه : ادخلوا الجنة بسلام وقال لمن فى يده الأخرى : ادخلوا النار ولا أبالى(٣).

ولعبد الله بن الإمام أحمد عن ابن عباس ﵄ قال : لا يزال أمر هذه الأمة قوامًا ، أو مقاربًا ، مالم يتكلموا فى القدر(٤) ، وله عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال حين طعن : ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٨](٥) ، وله عن عبد الله بن الحارث الهاشمي قال : خطب عمر ﵁ بالجابية وفى لفظ بالشام والجاثليق ماثل فيشهد فقال : «من يهده الله فلا مضل له

---

(١) انظر «تفسير ابن جرير» (٩/ ١١٦ ، ١١٧).

(٢) **حسن إلى ابن عباس** : أخرجه ابن جرير (٢٥/ ١٥٦) عن أبي كريب عن طلق بن غنام عن زائدة عن عطاء عن مقسم عن ابن عباس.

(٣) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٢٣) عن الثوري عن فطر عن ابن سابط عن أبي بكر ، وإسناده ضعيف عبد الرحمن بن سابط عن أبي بكر منقطع.

(٤) **صحيح إلى ابن عباس** : أخرجه عبدالله (٩٤٣).

(٥) **صحيح إلى عمر** : أخرجه عبدالله (٩٦٧).

ومن يضلل فلا هادى له» فقال: الجاثليق بقميصه هكذا يعنى نفضه، وقال: إن الله لا يضل أحدًا. فقال: ما يقول؟ فقالوا ما قال. فقال: كذبت عدو الله، الله خلقك، والله أضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله، والله لولا عقد لك لضربت عنقك ثم قال: إن الله خلق آدم فنثر ذريته فى يديه ثم كتب أهل الجنة وما عاملون، وكتب أهل النار وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. قال: فتصدع الناس وما يتنازع فى القدر[1].

وقال على رضي الله عنه: ما من آدمى إلا ومعه ملك يقيه ما لم يقدر عليه، فإذا جاء القدر خلاه وإياه[2]. وله عنه رضي الله عنه قال: وذكر عنده القدر يومًا فأدخل إصبعيه السبابة والوسطى فى فيه فرقم بهما باطن يديه فقال: أشهد أن هاتين الرقمتين كانتا فى أم الكتاب[3]، وله عن أسير بن جابر قال: طلبت عليًّا فى منزله فلم أجده، فنظرت فإذا هو فى ناحية المسجد، قال: فقلت له - كأنه خوفه - قال: فقال: إيه ليس أحد إلا ومعه ملك يدفع عنه ما لم ينزل القدر. فإذا نزل القدر لم يغن شيئًا[4].

وله عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - وقال: له رجل إنا نسافر فنلقى قومًا يقولون لا قدر - قال: إذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء وهم منه برآء ثلاث مرات[5].

ولعبد الرزاق عن يحيى بن يعمر قال قلت لابن عمر: إن أناسًا عندنا يقولون الخير والشر بقدر. وناس عندنا يقولون الخير بقدر والشر ليس بقدر، فقال ابن عمر: إذا رجعت إليهم فقل لهم: إن ابن عمر يقول إنه منكم بريء وأنتم منه برآء[6]، ولعبد الله بن أحمد عنه رضي الله عنه قال: من زعم أن مع الله بارئًا أو قاضيا أو رازقًا أو يملك لنفسه ضرًا أو نفعًا أو موتًا أو حياة أو نشورًا بعثه الله يوم القيامة فأخرسه وأعمى بصره وجعل عمله هباء منثورًا وقطع به الأسباب وكبه على وجه فى النار[7]، وله عن نافع قال قيل لابن عمر: إن قومًا يقولون لا

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله (١٠١١).

(٢) صحيح إلى علي: أخرجه عبدالله (٩٤٨).

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله (١٠٣٧) وفي إسناده عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب وهو مجهول الحال.

(٤) صحيح إلى علي: أخرجه عبدالله (٩٥١).

(٥) صحيح إلى ابن عمر: أخرجه عبدالله (٩٧٧ و ١٠٠٢).

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» (١٠٠٨) وفي إسناده من لم يتبين لي تعيينه، وهو سعيد بن حيان.

(٧) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله في «السنة» (١٠٣٩) وفي إسناده مؤمل بن إسماعيل وهو سيئ الحفظ.

قدر، فقال: أولئك القدريون. أولئك مجوس هذه الأمة[١].

وله عن أبى هريرة ﷺ قال: مضت الكتب وجفت الأقلام فشقى أو سعيد فريق فى الجنة وفريق فى السعير[٢].

وله عن الحسن بن على ﷺ قال: رفع الكتاب وجفت الأقلام وأمور تقضى فى كتاب قد خلا[٣] وفى رواية: قضى القضاء وجف القلم وأمور تكفى فى كتاب قد خلا[٤].

وله عنه ﷺ قال: سيكون ناس يصدقون بقدر ويكذبون بقدر فيلعنهم أبو هريرة عند قوله هذا[٥]، وله عن عمار مولى بنى هاشم قال: سألت أبا هريرة عن القدر فقال: اكتفى بآخر سورة الفتح[٦].

وله عن أبى الحجاج الأزدى عن سلمان ﷺ قال لقيته بماء سبذان قال فقلت له: أخبرنى كيف الإيمان بالقدر؟ قال: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولا تقل لو كان كذا لكان كذا ولو نفعل كذا لكان كذا[٧].

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: قال عمرو بن العاص لأبى موسى الأشعرى: وددت أنى وجدت من أخاصم إليه ربى. فقال أبو موسى: أنا فقال عمرو بن العاص: أيقدر على شيئًا يعذبنى عليه؟ فقال أبو موسى نعم، قال لم؟ قال لأنه لا يظلمك. فقال عمرو: صدقت[٨].

وله عن ابن الديلمى سألت عبد الله بن عمرو عن «جف القلم» فقال: إن الله حين خلق الخلق ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه شيء منه اهتدى[٩] وكلام الصحابة فى هذا الباب يطول ذكره، وقد جمعت فيه التصانيف الكثيرة.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله (١٠٤٠) وفي إسناده مؤمل بن إسماعيل يترجح ضعفه.
(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله (٩٥٣) وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف.
(٣) صحيح إلى الحسن بن علي: أخرجه عبد الله (٩٤٩).
(٤) حسن إلى الحسن بن علي: أخرجه عبد الله (٩٥٦).
(٥) حسن إلى أبي هريرة: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٠٠١).
(٦) حسن إلى أبي هريرة: أخرجه عبدالله (١٠١٢).
(٧) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله (١٠٠٤) وماء سبذان موضع بأصبهان، وفي إسناده رجل مجهول يكنى أبا الحجاج.
(٨) ضعيف الإسناد: أخرجه عبدالله (١٠٠٩) بإسناد منقطع.
(٩) صحيح إلى عبد الله بن عمرو: أخرجه عبدالله في «السنة» (١٠١٤).

ذكر أقوال التابعين

قال عبيد بن عمير: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم[١].

وقال سعيد بن جبير ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾[الأنفال: الآية ٢٤] قال: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان[٢].

وقال رحمه الله تعالى فذكر قصة بختنصر وملك ابنه فرأى كفًّا فرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين. فدعا الكهان والعلماء فلم يجد عندهم منه علمًا. فقالت له أمه، إنك لو أعدت لدانيال منزلته التي كانت له من أبيك - وكان قد جفاه - أخبرك. فدعاه فقال: إني معيد لك منزلتك من أبي فأخبرنا ما هذان السطران؟ قال أما ما ذكرت أنك معيد لي منزلتي من أبيك فلا حاجة لي بذلك. وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة. فأخرج من في القصر أجمعين وأمر بقفلة جلاد فقفلت بها الأبواب عليه. وأدخل معه آمن أهل القرية في نفسه. معه سيف. وقال له: من جاء من خلق الله فاقتله وإن قال أنا فلان، وبعث الله عليه البطن فجعل يمشي والآخر مستيقظ، حتى إذا كان على شطر الليل رقد ورقد صاحبه، ثم نبهه البطن فذهب يمشي والآخر راقد فرجع فاستيقظ فقال: أنا فلان، وضربه بالسيف فقتله[٣]، وقال ابن المسيب: ما قدر الله فهو قدر[٤].

وكان إياس بن معاوية يقول: أعلم الناس بالقدر ضعفاؤهم، يقول: إن كل من لم يدخل في خصومة القدر كان من قوله إذا تكلم: كان من قدر الله كذا وكذا[٥].

وقال معمر: إن ابن شبرمة كان يغضب إذا قيل له مد الله في عمرك. يقول: إن العمر لا يزاد فيه ولا ينقص[٦]، وقال أبو حازم: قال الله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾[الشمس:

---

(١) صحيح إلى عبيد بن عمير الليثي: أخرجه عبدالله (٩٥٤).

(٢) حسن إلى سعيد بن جبير: أخرجه عبد الله (٩٥٥).

(٣) صحيح إلى سعيد بن جبير: أخرجه عبدالله (٩٥٧).

(٤) رجاله إسناده ثقات: أخرجه عبد الله (٩٥٨) لكنه من طريق معمر عن قتادة عن سعيد بن المسيب، وفي رواية معمر عن قتادة والبصريين ضعف.

(٥) رجال إسناده ثقات: أخرجه عبد الله (٩٥٩) من طريق معمر عن إياس، وإياس بصري، وفي رواية معمر عن البصريين ضعف.

(٦) صحيح إلى ابن شبرمة: وهو عبد الله، والأثر أخرجه عبد الله (٩٦٠).

الآية٨] قال : فالفاجرة ألهمها اللّه الفجور ، والتقية ألهمها اللّه التقوى[١] ، وقال مجاهد : قول اللّه ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٠] قال : علم من إبليس المعصية وخلقه لها[٢] .

وعن إبراهيم بن أبى عبلة قال : وقف رجاء بن حيوة على مكحول وأنا معه فقال : يا مكحول بلغنى أنك تكلمت فى شيء من القدر ، وواللّه لو أعلم ذلك لا كنت صاحبك من بين الناس . فقال مكحول : لا واللّه أصلحك اللّه . ما ذاك من شأنى ولا من قولى أو نحو ذلك[٣] .

وقال إبراهيم النخعى : إن آفة كل دين كان قبلكم أو قال : آفة كل دين القدر[٤] .

وقال مطرف بن عبد اللّه بن الشخير : لم يوكل فى القرآن إلى القدر ، وأخبرنا أنا إليه نصير[٥] .

وكان طاوس بمكة يصلى ورجلان خلفه يتجادلان فى القدر . فانصرف إليهما فقال : يرحمكما اللّه تجادلان فى حكم اللّه[٦] ؟ وقال ميمون : لا تسبوا أصحاب النبى ﷺ ، ولا تعلموا النجوم ، ولا تجادلوا أهل القدر[٧] ، وقال طاوس أيضًا أدركت ناسًا من أصحاب النبى ﷺ يقولون : كل شيء بقدر[٨] .

وقال أبو حازم : لعن اللّه دينًا أنا أكبر منه – يعنى التكذيب بالقدر[٩] – يقول هذا عندما يروى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول اللّه ﷺ قال «لا يؤمن[١٠] بالقدر خيره وشره» . وعن عمرو بن محمد قال : كنت عند سالم بن عبد اللّه فجاءه رجل فقال :

---

(١) صحيح إلى أبي حازم : أخرجه عبد اللّه (٩٦٥) وأبو حازم هو سلمة بن دينار .
(٢) صحيح إلى مجاهد : أخرجه عبد اللّه (٩٣٨ و ٩٦٦) .
(٣) صحيح إلى رجاء بن حيوة ومكحول : أخرجه عبد اللّه (٩٦٨) .
(٤) صحيح إلى إبراهيم النخعي : أخرجه عبد اللّه (٩٧١) .
(٥) صحيح إلى مطرف : أخرجه عبد اللّه (٩٧٥) .
(٦) ضعيف الإسناد : أخرجه عبد اللّه في (٩٨٨) وفي إسناده رجل مبهم .
(٧) صحيح إلى ميمون : وهو ابن مهران ، والأثر أخرجه عبد اللّه (٩٨٩) .
(٨) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٥٥) وعبد اللّه «السنة» (٩٩٢) وغيرهما .
(٩) صحيح إلى أبي حازم : أخرجه عبد اللّه (٩٩٧) .
(١٠) حسن : أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٨١ و ٢١٢) وعبد اللّه في «السنة» (٩٩٦) من طريق أبي حازم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا به ، وأخرجه أبو يعلى (٧٣٤٠) من طريق هشام به سعد عن عمرو بن شعيب بمثله .

الزنى بقدر؟ فقال: نعم. قال كتبه على؟ قال نعم، قال: ويعذبنى عليه؟ قال فأخذ له فى الحصى[١].

وقال الحسن: من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن[٢].

وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ٦٣] قال: أعمال لا بد لهم من أن يعملوها[٣]، وعن أبى صالح ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾[النساء: الآية ٧٩] وأنا قدرتها عليك[٤]، وقال حميد: قدم الحسن مكة، فقال لى فقهاء مكة – الحسن بن مسلم وعبد اللّه بن عبيد – لو كلمت الحسن فأخلانا يومًا. فكلمت الحسن فقلت: يا أبا سعيد إخوانك يحبون أن تجلس لهم يومًا. قال نعم ونعمت عين، فواعدهم يومًا فجاءوا واجتمعوا، وتكلم الحسن وما رأيته قبل ذلك اليوم ولا بعده أبلغ منه ذلك اليوم، فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطئ فيها شيئًا إلا فى مسألة. فقال له رجل: يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟ قال سبحان اللّه. سبحان اللّه، وهل من خالق غير اللّه؟ ثم قال: إن اللّه تعالى خلق الشيطان وخلق الشر وخلق الخير. فقال رجل منهم: قاتلهم اللّه يكذبون على الشيخ[٥].

وقال أيضًا: قرأت على الحسن فى بيت أبى خليفة القرآن أجمع من أوله إلى آخره، وكان يفسره على الإثبات[٦].

وقال خالد الحذاء: قلت للحسن أرأيت آدم أللجنة خلق أم للأرض؟ قال: للأرض. قال قلت: أرأيت لو اعتصم؟ قال: لم يكن بد من أن يأتى على الخطيئة[٧].

وقال إياس بن معاوية: ما كلمت أحدًا من أهل الأهواء بعقلى كله، إلا القدر. فإنى قلت لهم: ما الظلم فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسان ما ليس له، فقلت لهم: فإن اللّه على كل

---

(١) صحيح إلى سالم: أخرجه عبد اللّه (١٠١٥).

(٢) صحيح إلى الحسن: أخرجه عبد اللّه بن أحمد في «الزهد» (١٦٦٨ بتحقيقي) بإسناد حسن، وأخرجه في «السنة» (١٠١٦) بإسناد ضعيف يصلح للشواهد.

(٣) صحيح إلى مجاهد: أخرجه عبد اللّه (١٠٢١).

(٤) صحيح إلى أبي صالح: وهو السمان أخرجه عبد اللّه (١٠٢٢).

(٥) حسن إلى الحسن البصري: أخرجه عبد اللّه (١٠٢٤).

(٦) حسن إلى الحسن البصري: أخرجه عبد اللّه (١٠٢٦).

(٧) صحيح إلى الحسن البصري: أخرجه عبد اللّه (١٠٢٧).

شيء قدير (١).

ولعبد الرزاق عن معمر قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة «أما بعد فإن استعمالك سعد بن مسعود على عمان كان من الخطايا التي قدر الله عليك وقدر أن تبتلى بها» (٢).

ولعبد الله بن أحمد عنه رضي الله عنه. قال: لو أراد الله أن لا يعصى لم يخلق إبليس. ثم قرأ ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ (٣) وله عنه رضي الله عنه أنه قال لغيلان: ألست تقر بالعلم؟ قال: بلى: قال فما تريد مع أن الله يقول ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾ (٤) وله عن ابن جعفر الخطمي قال: شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا غيلان ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يكذب علي يا أمير المؤمنين ويقال علي ما لم أقل. قال: ما تقول في العلم؟ قال: قد نفذ العلم. قال فأنت مخصوم. اذهب الآن فقل ما شئت. ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت. وإنك أن تقرّ به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر، قال ثم قال له: تقرأ يس؟ فقال: نعم. فقال له اقرأ ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ فقرأ ﴿يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ [يس: الآية ٧] قال: قف، كيف ترى؟ قال كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين. قال: زد قال ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ قال له عمر: قل: ﴿سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ﴾ قال، قال له عمر قل: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٨﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: ٩-١٠]. قال: كيف ترى؟ قال كأني لم أقرأ هذه الآيات، وإني أعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبدًا قال: اذهب فلما ولى قال: اللّهم إن كان كاذبًا فيما قال فأذقه حر السلاح. قال فلم يتكلم زمن عمر، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه، قال فتكلم غيلان، فلما ولي هشام أرسل إليه فقال: أليس قد عاهدت الله

---

(١) صحيح إلى إياس بن معاوية: أخرجه عبد الله (١٠٢٨).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الرزاق (١١/ ١٢٢) وعبد الله في «السنة» (١٠١٧) وإسناده ضعيف للانقطاع. معمر لم يدرك عمر بن عبد العزيز.

(٣) صحيح إلى عمر بن عبد العزيز: أخرجه عبد الله (١٠١٨).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله (١٠٢٩) وفي إسناده خصيف بن عبد الرحمن وهو ضعيف.

تعالى لعمر أن لا تتكلم فى شيء من هذا الأمر أبدًا؟ قال: أقلنى، فلا والله لا أعود. قال: لا أقالنى الله إن أقلتك، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال نعم، قال: اقرأها. فقرأ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ قال: قف علام تستعينه؟ أعلى أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر فى يدك أو بيدك؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه، واضربوا عنقه واصلبوه [١]، قال ابن عون: أنا رأيت غيلان مصلوبًا على باب دمشق [٢].

وعنه قال فى أصحاب القدر: فإن تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين [٣].

وقال مالك عن عمه سهل قال: كنت مع عمر بن عبد العزيز فقال لى: ما ترى فى هؤلاء القدرية؟ قال قلت: أرى أن تستتيبهم فإن قبلوا وإلا عرضتهم على السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك رأيي. قلت: أسألك فما رأيك أنت؟ قال: وهو رأيي [٤].

القائل لمالك فما رأيك؟ هو إسحاق بن عيسى. وكان نافع مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة: أصلحك الله اضرب أعناقهم. يعنى القدرية [٥].

وقال ابن سيرين. إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون فى آيات الله فلا أدرى من هم [٦].

وقال مجاهد: لا يكون مجوسية حتى يكون قدرية، ثم تزندقوا ثم تمجسوا [٧].

وقال منصور بن عبد الرحمن سألت الحسن عن قوله تعالى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ فقال: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، ومن رحم غير مختلف فيه، فلقنته ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: الآية ١١٩] قال نعم، خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره. وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه [٨].

---

(١) حسن: أخرجه الآجري في «الشريعة» (٥٥٥ و ٥٥٦) من طريقين كليهما حسن، وأخرجه عبد الله (١٠٣٠) بإسناد فيه مؤمل بن سعيد وهو سيئ الحفظ.
(٢) صحيح إلى ابن عون: أخرجه عبد الله (١٠٣١).
(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» (١٠٣٣) عن عمر بن عبد العزيز به.
(٤) صحيح: أخرجه عبد الله (١٠٣٤) والآجري في «الشريعة» (٥٥٢) وإسناد عبد الله حسن.
(٥) حسن إلى نافع مولى ابن عمر: أخرجه عبد الله (١٠٣٦).
(٦) حسن إلى ابن سيرين: أخرجه عبد الله (١٠٣٨).
(٧) حسن إلى مجاهد: أخرجه عبد الله (١٠٤٢).
(٨) حسن إلى الحسن البصري: أخرجه عبد الله (١٠٣٢).

وقال أيضًا قلت للحسن: قوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾ [الحديد: الآية ٢٢] قال: قسمة الله، ومن يشك فى هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففى كتاب الله تعالى قبل أن تبرأ النسمة(١)، وقال محمد بن كعب القرظى: نزلت هذه الآية ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٤٨) إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾ فى أهل القدر(٢)، وفى رواية عنه قال: نزلت تعييرًا لأهل القدر(٣) وعنه أن الفضل الرقاشى قعد إليه فذاكره شيئًا من القدر، فقال له محمد بن كعب القرظى تشهده فلما بلغ «من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له» رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه وقال: قم، فلما قام فذهب قال: لا يرجع هذا عن رأيه أبدًا(٤)، وقال مطر رَحِمَهُ اللَّهُ: لقينى عمرو بن عبيد فقال: والله إنى وإياك لعلى أمر واحد. قال وكذب والله. إنما عنى على الأرض. وقال والله ما أصدقه فى شيء(٥).

وعن ثابت البنانى قال: رأيت عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف، فقلت: ما تصنع؟ فقال: اثبت مكانه أخير منه(٦).

وعن حماد بن زيد قال: كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم، فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ووقف وقفته فما ردوا عليه السلام، ثم جاز فما ذكروه(٧)، وعن الحسن بن شقيق قال قلت: لعبد الله يعنى ابن المبارك سمعت من عمرو بن عبيد؟ قال هكذا بيده، أى كثيرًا. قلت: فلم لا تسميه وأنت تسمى غيره من القدرية؟ قال: لأن هذا كان رأسًا(٨) وعن معاذ بن مكرم قال: رآنى ابن عون مع عمرو بن عبيد فى السوق فأعرض عنى، قال فاعتذرت إليه، قال: أما إنى قد رأيتك فما زادنى(٩)، وعن أبى بحر البكراوى قال: قال

---

(١) حسن إلى الحسن البصري: أخرجه عبد الله (١٠٤٣).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله (١٠٠٠) وهو ضعيف للإرسال وضعف خصيف بن عبد الرحمن.

(٣) حسن إلى محمد بن كعب: أخرجه عبد الله (١٠٢٣) وهو محمول على التفسير، وأما الأثر السابق فسبب نزول.

(٤) حسن إلى محمد بن كعب: أخرجه عبد الله (١٠٤٤).

(٥) صحيح إلى مطر: وهو الوراق كثير الخطأ، والخبر أخرجه عبد الله في «السنة» (١٠٤٥).

(٦) في إسناده ضعف: أخرجه عبد الله (١٠٤٦) وفي إسناده الحسن بن عبد الرحمن بن العريان وهو مجهول الحال.

(٧) حسن إلى حماد بن زيد: أخرجه عبد الله (١٠٤٧).

(٨) صحيح إلى ابن المبارك: أخرجه عبد الله (١٠٤٨).

(٩) حسن إلى معاذ بن مكرم: أخرجه عبد الله (٩٤٠١) لكن معاذ نفسه مجهول فلا يصح الخبر عن ابن عون.

رجل لعمرو - يعني ابن عبيد - وقرأ عنده هذه الآية ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ فقال له : أخبرني عن ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾﴾ [المسد: الآية ١] كانت في اللوح المحفوظ؟ قال ليست هكذا كانت . قالوا : وكيف كانت؟ قال : كانت تبت يدا من عمل بمثل ما عمل أبو لهب ، فقال له الرجل : وهكذا ينبغي لنا أن نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة؟ فغضب عمرو ، فتركه حتى سكن ثم قال له : يا أبا عثمان أخبرني عن ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: الآية ١] كانت في اللوح المحفوظ؟ فقال : ليس هكذا كانت . قال فكيف كانت؟ قال تبت يدا من عمل بمثل عمل أبي لهب ، قال فرددت عليه ، قال عمرو : إن علم الله ليس بسلطان ، إن علم الله لا يضر ولا ينفع [(١)] .

قلت إن كان قال هذا ومات عليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، وإن كان ذلك مكذوبًا عليه فلعنة الله على الكاذبين ، وعن سلام بن أبي مطيع قال : كنت أمشي مع أيوب في جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن عبيد في الاعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه ، قال فقال لي أيوب من غير أن أساله : لا ترجع قلوبهم إلى ما كانت عليه [(٢)] ، وعن أبي رجاء قال : رأيت رجلين يتكلمان في المربد في القدر ، فقال فضل الرقاشي لصاحبه : لا تقر له بالعلم ، إن أقررت له بالعلم فأمكنت من نفسك ، يسحبك عرض المربد [(٣)] ، وعن حوثرة بن أشرس قال سمعت سلامًا أبا المنذر غير مرة وهو يقول : سلوهم عن العلم ، هل علم أو لم يعلم؟ فإن قالوا قد علم فليس في أيديهم شيء ، وإن قالوا لم يعلم فقد حلت دماؤهم [(٤)] ، قال حوثرة : وحدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي قال قيل لعمر بن عبد العزيز : إن غيلان يقول القدر كذا وكذا ، قال فمر به فقال : أخبرني عن العلم؟ قال : سبحان الله فقد علم الله كل نفس ما هي عاملة وإلى ما هي صائرة . فقال عمر بن عبد العزيز : والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربت عنقك ، اذهب الآن فجاهد جهدك [(٥)] .

---

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه عبد الله (١٠٥٨) وفي إسناده أبو بحر البكراوي عبد الرحمن بن عثمان وهو ضعيف .

(٢) صحيح إلى أيوب : أخرجه عبد الله (١٠٦٢) ، ووقع بالأصل هنا : كنت أمشي مع أبي في جنازة ، وهو خطأ ، صوابه : مع أيوب .

(٣) ضعيف الإسناد : أخرجه عبد الله (٩٠٧) وفي إسناده روح بن المسيب وهو ضعيف .

(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه عبد الله (٩٠٨) وأبهم الواسطة بينه وبين حوثرة .

(٥) ضعيف الإسناد : أخرجه عبد الله (٩٠٩) وعلته ما سبق .

وعن معاذ بن معاذ قال: صليت خلف رجل من بنى سعد، ثم بلغنى أنه قدرى، فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة[١].

وقال إبراهيم بن طهمان: الجهمية كفار، والقدرية كفار[٢].

وقال عمرو بن دينار قال لنا طاوس: اخزوا معبدًا الجهنى فإنه قدرى[٣].

وقال الحسن بن محمد بن على: لا تجالسوا أهل القدر[٤].

وقال عكرمة بن عمار: سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبد اللَّه يلعنان القدرية الذين يكذبون بقدر اللَّه حتى يؤمنوا بخيره وشره[٥].

وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار: سمعت أبى وعمى يقولان سمعنا الحسن - وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهنى - يقول: لا تجالسوا معبدًا فإنه ضال مضل[٦].

قال مرحوم قال أبى: ولا أعلم أحدًا يومئذ يتكلم فى القدر غير معبد ورجل من الأساورة يقال له سسويه[٧]، وقال عكرمة: سألت يحيى بن أبى كثير عن القدرية فقال: هم الذين يقولون إن اللَّه لم يقدر الشر[٨].

وقال مسلم بن يسار: إن معبدًا يقول بقول النصارى[٩].

وقال عمارة بن زاذان: بلغنى أن القدرية يحشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: واللَّه ما كنا مشركين، فيقال لهم: إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون، قال وبلغنى أنه يقال لهم يوم القيامة أنتم خصماء اللَّه ﷻ[١٠].

---

(١) صحيح إلى معاذ: أخرجه عبد اللَّه (٩١٠).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد اللَّه (٩١١) وفي إسناده: حماد بن قيراط وهو ضعيف.

(٣) صحيح إلى طاوس: أخرجه عبد اللَّه (٩١٨).

(٤) صحيح إلى الحسن: وهو ابن الحنفية أخرجه عبد اللَّه (٩١٩).

(٥) حسن إلى القاسم وسالم: أخرجه عبد اللَّه (٩٢٠).

(٦) صحيح إلى الحسن: أخرجه عبد اللَّه (٩٢١).

(٧) حسن إلى أبي مرحوم: أخرجه عبد اللَّه (٩٢٢).

(٨) في إسناده ضعف: أخرجه عبد اللَّه (٩٢٣) وعكرمة هو ابن عمار صدوق يغلط، وفي روايته عن يحيى بن أبي كثير اضطراب.

(٩) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد اللَّه (٩٢٥) وفي إسناده مبهمون لا يعرف من هم.

(١٠) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد اللَّه (٩٢٦) وفي إسناده مؤمل بن إسماعيل وهو ضعيف، وعمارة بن زاذان كثير الخطأ، وأيضًا فهذا خبر لا يصلح فيه البلاغ.

وقال عبد اللَّه بن أحمد سمعت أبى يقول: لا يصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية[١] .

وسألت أبى مرة أخرى عن الصلاة خلف القدرى، فقال: إن كان يخاصم فيه أو يدعو إليه فلا يصلى خلفه[٢] ، سمعت أبى وسأله على بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافرًا؟ قال: إذا جحد العلم، إذا قال: إن اللَّه لم يكن عالمًا حتى خلق علمًا فجحد علم اللَّه فهو كافر[٣] . اهـ من كتاب السنة.

وكلام الصحابة والتابعين وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره، ومحله وكتب النقل الجامعة، وفيما ذكرنا كفاية. ولله الحمد والمنة.

اللَّهم ربنا ومليكنا وإلهنا قد علمت من سعد بطاعتك والجنة، ومن شقى بمعصيتك والنار، وكتبت ذلك وسطرته وقدرته وقضيته وشملت الجميع قدرتك ونفذت فيه مشيئتك ولك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولا يدرى عبدك فى أى القسمين ولا فى أى القبضتين هو، وأنت تعلم. اللَّهم إياك نعبد إيمانًا بكتبك وتصديقًا لرسلك وانقيادًا لشرعك وقيامًا بأمرك ودينك، وإياك نستعين إيمانًا بربوبيتك واستسلامًا لقضائك وقدرك وافتقارًا إليك وتوحيدًا لك فى إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك وخلقك وتكوينك. ولا مشيئة إلا أن تشاء، ولا قدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه، ولا معصوم إلا من عصمت ولا حول ولا قوة إلا بك، اللَّهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فيسرته لليسرى، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، غير المغضوب عليهم ممن علم الحق وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمنًا قليلًا، ولا الضالين الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا. اللَّهم يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيننا وبين معصيتك والكفر، يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك به، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: الآية ٨].

---

(١) صحيح إلى الإمام أحمد: أخرجه عبد اللَّه في «السنة» (٩٠٤).
(٢) صحيح إلى الإمام أحمد: أخرجه عبد اللَّه (٩٠٥).
(٣) صحيح إلى الإمام أحمد: أخرجه عبد اللَّه (٩٠٦).

الكلام على خصال ست في نفيها إيمان بالقدر

لا نوءَ لا عدوَى ولا طَيرَ ولا عما قضَى اللَّه تعالى حولَا
لا غول لا هامةَ لا ولا صَفر كما بذا خبَّر سيدُ البشر

هذان البيتان من تتمة بحث القدر فإن نفى هذه الخصال وما فى معناها إيمان بالقدر وتوكل على خالق الخير والشر، الذى بيده النفع والضر، واعتقاد صحة شيء منها شرك مناف للتوحيد أو لكماله، مناقض للتوكل على اللَّه ﷻ عياذًا باللَّه منه.

الكلام على النوء

فأما النوء فهو من الاعتقاد فى النجوم الذى سبق بسط القول فى بيان بطلانه فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرًا فى هبوب الرياح وسكونها، وفى مجيء المطر وتأخره، وفى رخص الأسعار وغلائها وغير ذلك. فإذا وقع شيء من الحوادث نسبوه إلى النجوم فقالوا: هذا بنوء عطارد أو المشترى أو المريخ أو كذا وكذا، ورد اللَّه تعالى ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله على رسول اللَّه ﷺ، قال اللَّه تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾، وقال تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾، وقال تعالى ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ [الواقعة: الآية ٧٥] إلى قوله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: الآية ٨٢].

وقال الإمام مالك بن أنس فى موطئه رحمه اللَّه تعالى: باب الاستمطار بالنجوم، عن صالح بن كيسان عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال «صلى لنا رسول اللَّه ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**أَتَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قَالَ: «**أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَذَلِكَ**

مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا؛ فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»[(١)].

ورواه الشيخان من طريقه بلفظه، وعليه ترجم البخاري رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: الآية ٨٢][(٢)].

وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا حرملة بن يحيى وعمرو بن سواد العامري ومحمد بن سلمة المرادي. قال المرادي: حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس، وقال الآخران أخبرنا ابن وهب، قال أخبرني يونس عن ابن شهاب قال حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَمْ تَرَوْا إِلَى مَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ يَقُولُونَ: الْكَوَاكِبُ وَبِالْكَوَاكِبِ»[(٣)] وحدثني محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث «ح». وحدثني عمرو بن سواد أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبي هريرة حدثه عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ بَرَكَةٍ إِلَّا أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنَ النَّاسِ بِهَا كَافِرِينَ، يُنْزِلُ اللَّهُ الْغَيْثَ فَيَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ كَذَا وَكَذَا»[(٤)].

وفي حديث المرادي: «بِكَوْكَبِ كَذَا وَكَذَا» وحدثني عباس بن عبد العظيم العنبري حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة - وهو ابن عمار - حدثنا أبو زميل قال: حدثنا ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: «أَصْبَحَ مِنَ النَّاسِ شَاكِرٌ وَمِنْهُمْ كَافِرٌ، قَالُوا: هَذِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَقَدْ صَدَقَ نَوْءُ كَذَا وَكَذَا»، قال: فنزلت هذه الآية ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥﴾ [الواقعة: الآية ٧٥] - حتى بلغ - ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ۝٨٢﴾ [الواقعة: الآية ٨٢][(٥)].

وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح: أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٩٢) ومن طريقه البخاري (١٠٣٨) ومسلم (٧١) وغيرهما.
(٢) «فتح الباري» (٢/ ٦٣٥) كتاب الاستسقاء، باب (٢٨).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٧٢).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٧٢).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٧٣).

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: الآية ٨٢] قال: شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا[1]، هذا حديث حسن غريب، ورواه الإمام أحمد وابن أبي حاتم، وقال ابن جرير: حدثني يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن إسحاق عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُصَبِّحُ الْقَوْمَ بِالنِّعْمَةِ أَوْ يُمَسِّيهِمْ بِهَا فَيُصْبِحُ بِهَا قَوْمٌ كَافِرِينَ يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا**» قال محمد هو ابن إبراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة[2].

وقال رحمه الله تعالى: حدثني يونس أخبرنا سفيان عن إسماعيل بن أمية - فيما أحسبه أو غيره - أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا ومطروا يقول: مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال ﷺ: «كذبت بل هو رزق الله ﷻ»[3]، وقال رحمه الله تعالى: حدثني أبو صالح الصرازي حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودي حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «**ما مطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين ثم قال** ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة: الآية ٨٢] **يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذا**»[4] وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى أنه بلغه أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يقول إذا أصبح وقد مطر الناس: مطرنا بنوء الفتح، ثم يتلو هذه الآية ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: الآية ٢][5] وروى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن

---

(١) صحيح الإسناد، وفي رفعه مقال: أخرجه الترمذي (٣٢٩٥) وأحمد (١/ ٨٩ و١٠٨ و ١٣١) من طريق إسرائيل به، وقال الترمذي: حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه إلا من حديث إسرائيل، ورواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي نحوه ولم يرفعه. اهـ. قلت: رواه عن إسرائيل: الحسين بن محمد، ومؤمل، وأبو سعيد، ويحيى بن أبي بكير، وإسرائيل متابع على الرفع، تابعه أبان بن تغلب كما ذكر الدارقطني في «العلل» (٤/ ١٦٣ ح ٤٨٧) وخالفهما سفيان الثوري، كما أخرجه أحمد (١/ ١٠٨) فرواه عن عبد الأعلى به موقوفًا ولم يرفعه، وقال الدارقطني في «العلل»: ويشبه أن يكون الاختلاف من جهة عبد الأعلى.

(٢) صحيح بشواهده: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٢٧/ ٢٠٨) والحميدي في «مسنده» (٩٧٩) من طريق سفيان به: قلت: وهذا إسناد حسن لا علة له إلا عنعنة ابن إسحاق فإنه صدوق مدلس، لكن يتقوى الحديث بما سبق.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٢٠٨) وإسناده مرسل.

(٤) إسناده ضعيف جدًّا: أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٢٠٩) وفي إسناده جعفر بن الزبير وهو متروك.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٩٢) بلاغًا عن أبي هريرة.

عباس ﷺ قال : ما مطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافرًا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا ، وقرأ ابن عباس ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[الواقعة : الآية ٨٢][1] وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس .

ما ورد فى العدوى

وأما العدوى فكانوا يعتقدون سريان المرض من جسد إلى جسد بطبيعته ، فنفى اللَّه تعالى ذلك ورسوله ﷺ ، قال اللَّه تعالى : ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[التوبة : الآية ٥١] ، وقال تعالى : ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ﴾[التغابن : الآية ١١] ، وقال تعالى : ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾[آل عمران : الآية ١٦٨] . وقال تعالى : ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾[النساء : الآية ٧٨] الآيات ، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ﴾[الجمعة : الآية ٨] .

وروى البخارى عن الزهرى قال : أخبرنى سنان بن أبى سنان الدؤلى أن أبا هريرة ﷺ قال : إن رسول اللَّه ﷺ قال : «لَا عَدْوَى» فقام أعرابى فقال : أرأيت الإبل تكون فى الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب؟ قال النبى ﷺ : «فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ؟»[2] ورواه مسلم من طريق آخر بنحوه . وقال البخارى رحمه اللَّه تعالى : حدثنى محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال : سمعت قتادة عن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ قال : «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ» قالوا وما الفأل؟ قال : «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»[3] ورواه مسلم ، ولهما من طرق عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال : «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ»[4] ، هذا لفظ البخارى ، والأحاديث فى نفي العدوى كثيرة فى «الصحيحين» و«السنن» وغيرهما ، ولا يعارض ذلك حديث «لَا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»[5] وحديث «فِرَّ

---

(١) **صحيح إلى ابن عباس** : أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٢٠٨) عن ابن بشار عن محمد بن جعفر عن شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٧١٧ و ٥٧٧٠) ومسلم (٢٢٢٠) من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا به ، بلفظ «لا عدوى ولا صفر ولا هامة» واللفظ الذي أورده المصنف أخرجه البخاري (٥٧٧٥) .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٧٧٦) ، ومسلم (٢٢٢٤) .

(٤) **صحيح** : وسبق قبل تعليق .

(٥) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٧٧١ و ٥٧٧٤) ومسلم (٢٢٢١) .

مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»[١] وكلاهما فى الصحيح متصلًا بحديث «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ»[٢]، فإن البخارى رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لَا عَدْوَى». قال أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ قال: «لَا تُورِدُوا الْمُمْرِضَ عَلَى الْمُصِحِّ»[٣] وقال رحمه الله تعالى قال عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ الْمَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الْأَسَدِ»[٤].

الجمع بين نفي العدوى وبين النهي عن إيراد الممرض على المصح

والجمع بين نفى العدوى وبين النهى عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجذوم وما فى معناها من ثلاثة أوجه كلها نفى العدوى فيها على إطلاقه.

الوجه الأول: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التى نفاها رسول الله ﷺ فيقع فى الحرج. فأمر ﷺ بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسمًا للمادة وسدًّا للذريعة لا إثباتًا للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء، والدليل على ذلك قوله ﷺ للأعرابى الذى استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل فى الإبل الصحاح فتجرب، فقال له ﷺ: «فَمَنْ أَعْدَى الْأَوَّلَ؟»[٥] يعنى أن الله تعالى ابتدأ المرض فى الباقى كما ابتدأه فى الأول لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد إلى آخر.

الوجه الثانى: أن نهيه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التى أجرى الله تعالى العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها لا استقلالًا بطبعها، ولكن الله ﷻ هو الذى خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر فى مسببه بقضاء الله تعالى وقدره، وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئًا، ومن قوي إيمانه وكمل توكله وثقته بالله، وشاهد مصير

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٠٧) وأحمد (٢/ ٤٤٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم وسبق.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٧٣، ٥٧٧٤).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٠٧).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري ومسلم، وسبق.

الأمور كلها إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب كما أن مصدرها من عنده ﷻ فنفسه أبية وهمته علية وقلبه ممتلئ بنور التوحيد فهو واثق بخالق السبب ليس لقلبه إلى الأسباب أدنى التفات سواء عليه فعلها أو لم يفعلها، والدليل على ذلك ما روى أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا يونس بن محمد حدثنا مفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة وقال: «**كل ثقة بالله وتوكل عليه**»(١) ففى أمره ﷺ بمجانبة المجذوم إثبات للأسباب التى خلقها الله ﷻ وفى أكله ﷺ معه تعليم لنا بأن الله هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبد إلا ما كتب الله له.

الوجه الثالث: أن النفوس تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه جدًا لا سيما مع ملامسته وشم رائحته فيحصل بذلك تأثير بإذن الله فى سقمها قضاء من الله وقدرًا لا بانتقال الداء بطبيعته كما يعتقده أهل الجاهلية، والدليل على هذا ما رواه أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا مخلد بن خالد وعباس العنبرى قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن عبد الله بن بحير قال: أخبرنى من سمع فروة بن مسيك قال: قلت يا رسول الله، أرض عندنا يقال لها أرض أبين هى أرض ريفنا وميرتنا وإنها وبئة - أو قال وباؤها شديد - فقال النبى ﷺ: «**دعها عنك فإن من القرف التلف**»(٢) والقرف بالتحريك هو مقاربة الوباء ومداناة المرض، والتلف بوزنه هو الهلاك يعنى أنه سبب فيه قد يؤثر بإذن الله تعالى لاسيما مع كراهة النفس له واشمئزازها منه ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: الآية ٦٤].

فإذا تبين لك هذا الجمع بين نفى العدوى وبين الأمر بمجانبة الداء، تبين لك الجمع بينها وبين النهى عن إيراد الممرض على المصح، فإنه إذا كان ﷺ قد أمر المصح بمجانبة الداء فلأن ينهى الممرض عن إيراده على المصح من باب أولى، فإن العلل التى قدمنا أنها من سبب النهى عن القدوم على الوباء والأمر بمجانبته موجودة فى إيراد الممرض على

---

(١) ضعيف: أخرجه أبو داود (٣٩٢٥) والترمذي (١٨١٧) وابن ماجة (٣٥٤٢) وابن حبان في «صحيحه» (٦١٢٠) وعبد بن حميد (١٠٩٢) وأبو يعلى (١٨٢٢) وابن أبي شيبة (٢٤٥٣٦) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٤٠٩) جميعًا عن يونس به، وقال الترمذي: حديث غريب. قلت: وإسناده ضعيف لضعف المفضل بن فضالة البصري أخي مبارك، وقال ابن عدي: ولم أر في حديثه أنكر من هذا الحديث.

(٢) ضعيف: أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٤٨) ومن طريقه أبو داود (٣٩٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٥١) والبيهقي (٩/ ٣٤٧) وإسناده ضعيف لإبهام الراوي عن فروة.

المصح بزيادة كونها ليست باختيار المصح كقدومه هو بل مع كراهته لها وانقباضه من ذلك الممرض وربما أدى ذلك إلى بغضه إياه وغير ذلك ، والمقصود أن نفى العدوى مطلق على عمومه وفيه إفراد الله ﷻ بالتصرف فى خلقه ، وأنه مالك الخير والشر وبيده النفع والضر ، لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع ، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ، ولا مغالب له فى شيء من خلقه وأمره ، وفى ذلك تقوية لقلوب المؤمنين ، وإمداد لهم بقوة التوكل وصحة اليقين ، وحجة لهم على المشركين وسائر المعاندين ، وليس فى الأمر بمجانبة البلاء ولا فى النهى عن إيراده على المعافى منه منافاة ولا مناقضة . بل ذلك مع الثقة بالله والتوكل عليه من فعل الأسباب النافعة وتوقى الأسباب المؤذية ودفع القدر بالقدر والالتجاء من الله إليه ، وليس فى فعل الأسباب ما ينافى التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب ، وليس التوكل بترك الأسباب ، بل التوكل من الأسباب ، وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها ، كما أن من اضطربت نفسه ووجل قلبه فرقًا وخوفًا وارتيابًا وعدم يقين بالقدر لا يكون متوكلًا على الله بمداناته المرضى والمبتلين وتركه فعل الأسباب ، فكما لا يكون المرتاب متوكلًا بمجرد تركه الأسباب ، كذلك لا يكون الموحد تاركًا التوكل أو ناقصه بمجرد فعل الأسباب النافعة وتوقى المضرة وحرصه على ما ينفعه ، فإنما الشأن فيما وقر فى القلوب وسكنت إليه النفوس ، والتوفيق بيد الله ، والمعصوم من عصمه الله تعالى ، ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التى بها الطاعون وعن الخروج منها فرارًا منه فإن فى القدوم عليه تعرضًا للبلاء ، وإلقاء بالأيدى إلى التهلكة وتسببًا للأمور التى أجرى الله تعالى العادة بمضرتها . وفى الفرار منه تسخط لقضاء الله ﷻ وارتياب فى قدره وسوء ظن بالله ﷻ ، فأين المهرب من الله وإلى أين المفر ؟ ! لا ملجأ من الله إلا إليه ، كما روى مالك فى «موطئه» عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب : ادع إلى المهاجرين الأولين ، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا ، فقال بعضهم : قد خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه . وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال عمر : ارتفعوا عنى . ثم قال : ادع لى الأنصار ، فدعوهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم فقال : ارتفعوا عنى . ثم قال : ادع لى من كان هاهنا من

مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوهم فلم يختلف عليه منهم رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر فى الناس إنى مصبح على ظهر ، فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة : أفرارًا من قدر اللَّه ؟ ! فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر اللَّه إلى قدر اللَّه أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر اللَّه ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر اللَّه؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائبًا فى بعض حاجته فقال : إن عندى من هذا علمًا ، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : **«إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»** قال فحمد اللَّه عمر ثم انصرف [(١)].

وأخرجه الشيخان من طريقه بلفظه ، وقوله ﷺ: **«فلا تخرجوا فرارًا منه»** تقييد للنهى بخروج لقصد الفرار ، فلا يدخل فى ذلك من خرج لحاجته اللازمة ، كما قيد ﷺ الشهادة به للماكث ببلده بما إذا كان صابرًا محتسبًا صحيح اليقين ثابت العزيمة قوي التوكل مستسلمًا لقضاء اللَّه ﷻ، كما قال البخارى رحمه اللَّه تعالى : باب أجر الصابر فى الطاعون [(٢)]:
حدثنا إسحاق أخبرنا حيان حدثنا داود بن أبى الفرات حدثنا عبد اللَّه بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة زوج النبى ﷺ و ﵂ أنها أخبرتنا أنها سألت رسول اللَّه ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبى اللَّه ﷺ: أَنَّهُ **«كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ، فَجَعَلَهُ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ صَابِرًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُصِيبَهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ ؛ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ»** [(٣)]، فخرج بهذه الأوصاف من مكث فى أرضه مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس له هذه الفضيلة ، ومع هذا فلا يحل له الفرار منه لعموم النهى وله أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه ، وإن خرج فرارًا منه فهى معصية أضافها إلى ارتيابه وضعف يقينه والعياذ باللَّه ، وعلى هذا يحمل حديث أنس عن البخارى أيضًا قال :
قال رسول اللَّه ﷺ: **«الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»** [(٤)]فإن مفهوم الحديث الأول أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدًا وذلك لضعف يقينه ، وقد يقال هو شهيد فى

---

(١) **صحيح** : أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٤) ومن طريقه البخاري (٥٧٢٩) ، ومسلم (٢٢١٩) ، بهذا الطول به ، وعندهم مختصرًا .

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٢١٨) كتاب الطب ، باب (٣١) .

(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٧٣٤) .

(٤) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٨٣٠ و ٥٧٣٢) ومسلم (١٩٦١) من حديث أنس مرفوعًا به .

الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات، كما أن شهداء المعركة الذين يقتلون فى معركة الكفار ليسوا سواء، بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما فى قلوبهم، وذلك معلوم من الدين بالضرورة والله تبارك وتعالى أعلم.

الكلام على الطيرة والتطير والغول

وأما الطيرة: فهى ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤمًا بسماع بعض الكليمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق ونحوها، وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، قالوا: إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدًا عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤمًا به وكراهة له. وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال فى ذلك اليوم خيرًا قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له فى نفسه فى حال خروجه كما إذا عثر أو شيك يرى أنه لا يرى خيرًا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادى والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحًا ولا يعمل فيها عملًا مهمًّا ابتداء، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذا التشاؤم ببعض الجهات فى بعض الساعات فلا يستقبلها فى سفر ولا أمر حتى تنقضى تلك الساعة أو الساعات. وهى من أكاذيب المنجمين الملاعين، يزعمون أن هناك فلكًا دوارا يكون كل يوم أو ليلة فى جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة فى الوقت الذى يكون فيها هذا الفلك لا ينال خيرًا ولا يأمن شرًّا، وهم فى ذلك كاذبون مفترون قبحهم الله ولعنهم، قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل. ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنها معلمة بشر، وكذا صوت الثعلب عندهم، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرت تركوها، وهذا من الاستقسام بالأزلام الذى أمر الله تعالى باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان، وهذا وما شاكله كثير منه كان فى الجاهلية قبل النبوة وقد أبطله الإسلام فأعاده الشيطان فى هذا الزمان أكثر مما كان عليه فى الجاهلية بأضعاف مضاعفة، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم، أرداهم الله وألحقهم به آمين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ

﴿عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١﴾ وقال تعالى : ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ٤٥ قَالَ يَٰقَوۡمِ لِمَ تَسۡتَعۡجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِۖ لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٦ قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ ٤٧﴾ وقال تعالى فى قصة الثلاثة رسل عيسى : ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ قال مجاهد فى قوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ﴾ [الأعراف: الآية ١٣١] قالوا : العافية والرخاء نحن أحق بها ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ [النساء: الآية ٧٨] قال : بلاء وعقوبة ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٣١] قال : يتشاءموا به[(١)].

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: الآية ١٣١] قال : الأمر من قبل الله[(٢)].

وقال ﷺ فى قوله : ﴿طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ [النمل: الآية ٤٧] قال : الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم ، وتقدم ذكر الطيرة ونفيها فى الأحاديث السابقة . وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا يونس عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَالشُّؤْمُ فِي ثَلَاثٍ : فِي الْمَرْأَةِ، وَالدَّارِ، وَالدَّابَّةِ**»[(٣)]، والشؤم ضد اليمن ، وهو عدم البركة ، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التى لا تلد أو اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك . وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران وما فى معنى ذلك ، وكذا الدابة التى لا تلد ولا نسل لها أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع وما فى معنى ذلك ، فهذا كله شيء ضرورى مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإن ذلك أمر آخر عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها فيعتقدون أنه إن كان غنيًّا افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه ، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لا بسبب محسوس بل عندهم أن لها نجمًا لا يوافق نجمه بل ينطحه ويكسره ، وذلك من وحى الشيطان يوحيه إلى أوليائه من

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه ابن جرير (٩/ ٢٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد به ، وهذا منقطع .

(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه ابن جرير (٩/ ٣٠) من طريق ابن جريج عن ابن عباس ، وهذا منقطع . وبنحوه من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وهذا أيضًا منقطع .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٥٧٥٣) ، ومسلم (٢٢٢٥) .

المشركين ، قال الله تعالى ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[الأنعام: الآية ١٢١] وقال تعالى : ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[الأعراف: الآية ٢٧] حتى إن رجلًا فى زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه . فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث فقال له : إنى أريد أن أنكح امرأة ، ما ترى فيها هل هى سعد لى أو نحس على ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له : دعها فإنك إن أخذتها لا تبلى معها ثوبًا ، يعنى يموت سريعًا لا تطول معها صحبته ، وكانت تلك المرأة التى سأله عنها وسماها له هى زوجته وقد طالت صحبته معها وله منها نحو خمسة من الأولاد ، فدعاهم كلهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له : هؤلاء أولادى منها . ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم . والمقصود أن الشؤم المثبت فى هذا الحديث أمر محسوس ضرورى مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التى يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم .

وقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**لَا طِيَرَةَ وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ**» . قالوا ، وما الفأل؟ قال : «**الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ**»[1] .

قال حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال : «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ الصَّالِحُ : الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ**»[2] ، قلت ومن ذلك قوله ﷺ يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو قال : «**سَهَّلَ اللَّهُ أَمْرَكُمْ**»[3] الحديث وما شاكله .

ومن شرط الفأل أن لا يعتمد عليه وأن لا يكون مقصودًا ، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال ، ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة مأخذ الفأل من المصحف فإنه من اتخاذ آيات الله هزوًا ولعبًا ولهوًا ، ساء ما يعملون ، وما أدرى كيف حال من فتح على قوله تعالى : ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[المائدة: الآية ٧٨] وقوله : ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾[النساء: الآية ٩٣] وأمثال هذه الآيات . ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية وأنه تفاءل يومًا ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل : ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝١٥﴾ [إبراهيم: الآية ١٥] الآيات فيقال : إنه أحرق

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٧٥٤)، ومسلم (٢٢٢٣).
(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٧٥٦)، ومسلم (٢٢٢٤).
(٣) **صحيح** : أخرجه البخاري (٢٧٣١) بنحوه.

المصحف غضبًا من ذلك وقال أبياتًا لا نسود بها الأوراق. والمقصود: أن هذه بدعة قبيحة، والفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام، وقد روى الإمام أحمد فى تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس ﷺ «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»[١]، وروى فى كفارتها حديث عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص ﷺ وقفه «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللّٰهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[٢].

وقال أبو داود رحمه اللّٰه تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد اللّٰه بن مسعود عن رسول اللّٰه ﷺ قال «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ» ثلاثًا، «وما منَّا إلا، ولكن اللّٰه يذهبه بالتوكل»[٣] وقوله «وما منا إلا» إلخ هو من كلام ابن مسعود كما فصله الترمذى رحمه الله فى روايته عن المرفوع حيث قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول فى هذا الحديث «وما منا إلا، ولكن اللّٰه يذهبه بالتوكل» كل هذا عندى قول عبد اللّٰه بن مسعود[٤]، وقال رحمه اللّٰه تعالى: حدثنا أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبى شيبة قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن عروة بن عامر قال: أحمد القرشى قال ذكرت الطيرة عند رسول اللّٰه ﷺ فقال: **«أحسنها الفأل ولا ترد مسلمًا. فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللّٰهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك»**[٥].

وأما الغول: فهى واحد الغيلان وهى من شر شياطين الجن وسحرتهم والنفى لما كان

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (١/ ٢١٣) من طريق مسلمة الجهني عن الفضل بن العباس مرفوعًا به، وإسناده ضعيف مسلمة مجهول الحال ولا رواية له عن الصحابة.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٠) من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف، وأخرجه ابن أبي شيبة (٢٦٤١١ و ٢٩٥٤٣) عن وكيع عن أسامة بن زيد عن نافع بن جبير عن عبد اللّٰه بن عمرو موقوفًا، وهذا حسن إلى عبد اللّٰه بن عمرو.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٣٩١٠) والترمذي (١٦١٤) وابن ماجة (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩ و ٤٤٠) وابن حبان (٦١٢٢)، وأبو يعلى (٥٢١٩) من طرق عن سفيان الثوري به.

(٤) «سنن الترمذي» (٤/ ١٦٠ عقب حديث ١٦١٤).

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٣٩١٩) وابن أبي شيبة (٢٩٥٤١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩) وفي «الشعب» (١١٧١) من طريق حبيب به، وسفيان متابع من الأعمش، لكن عروة بن عامر مختلف في صحبته، وذكره ابن حبان في «ثقات التابعين» وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٠/ ٤٠٦) عن معمر عن الأعمش مرسلًا.

يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع، وكانوا يخافونهم خوفًا شديدًا ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: الآية ٦] زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشرًّا وطغيانًا، وزادتهم الجن إخافة وخبلًا وكفرانًا، وكان أحدهم إذا نزل واديا قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائه فيأتي الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه في نفسه، فيقول: يا صاحب الوادي، جارك أو نحو ذلك. فيسمع مناديا ينادي ذلك المعتدي أن اتركه أو دعه أو ما أشبه ذلك. فأبطل الله تعالى ورسوله ﷺ ذلك ونفى أن يضروا أحدًا إلا بإذن الله ﷻ، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة بجبار السموات والأرض، رب الكون وخالقه ومالكه وإلهه وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التي لا يجاوزهن جبار ولا متكبر، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾﴾ [الفلق: الآية ١] إلى آخر السورة، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾ [الناس: الآية ١] إلى آخر السورة. وغيرها من الآيات، وقال رسول الله ﷺ في هاتين السورتين «**مَا سَأَلَ سَائِلٌ بِمِثْلِهِمَا، وَلَا اسْتَعَاذَ مُسْتَعِيذٌ بِمِثْلِهِمَا**»(١)، وقال ﷺ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرَّهُ فِيهِ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ**»(٢) وهو في «الصحيح». وفي بعض الأحاديث: «**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**»(٣) وفي الحديث

---

(١) حسن: أخرجه النسائي في «الكبرى» (٧٨٣٨ و ٨٠٦٣) والدارمي (٣٤٤٠) وابن أبي شيبة (٢٩٦٠٤) والطبراني (١٧/ ٣٤٥ ح ٩٤٩) والبيهقي في «الشعب» (٢٥٦٤) من طريق محمد بن عجلان عن المقبري عن عقبة بن عامر به مرفوعًا، وإسناده حسن، وأخرجه بنحوه أبو داود (١٤٦٣) وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن سعيد المقبري عن أبيه عن عقبة بن عامر.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٠٨)، والترمذي (٣٤٣٧)، وابن ماجة (٣٥٤٧) وغيرهم من حديث خولة بنت حكيم مرفوعًا به.

(٣) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٥ و ٣٨١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧٩١) وفي «عمل اليوم والليلة» (٩٥٥) وأبو يعلى (٢٢١٩) وابن أبي شيبة (٢٩٧٤١) من طريق هشام بن حسان عن الحسن البصري عن جابر، وإسناده ضعيف للانقطاع، وأخرجه البزار من طريق الحسن عن سعد بن أبي وقاص، وهذا أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٤) وهو منقطع أيضًا وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٢٥٢) من طريق ابن جريج قال: حدثت عن سعد، وإسناده ضعيف لإبهام الواسطة، وأخرجه عبد الرزاق (٩٢٤٧) من طريق هشام بن حسان عن الحسن البصري مرسلًا، ومدار الطرق السابقة على الحسن وكلها ضعيفة، وله طريق ثان أورده الهيثمي في «المجمع» =

الصحيح: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ النِّدَاءَ أَدْبَرَ وَلَهُ ضُرَاطٌ». وفى لفظ: «حُصَاصٌ»[١] وأحاديث الاستعاذة والأذكار فى طرد الشيطان وغيره كثيرة مشهورة مسبورة فى مواضعها من كتب السنة، وأما قول من قال: إن المراد فى الحديث نفى وجود الغيلان مطلقا فليس بشيء لأن ذلك مكابرة للأمور المشاهدة المعلومة بالضرورة فى زمن النبى ﷺ وقبله وبعده من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكيلهم. والله أعلم.

وأما الهامة والصفر: فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية قال: قلت لمحمد - يعنى ابن راشد - قوله «هام» قال كانت الجاهلية تقول: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة. قلت فقوله «صفر» قال: سمعت أهل الجاهلية يستشئمون بصفر، فقال النبى ﷺ: «لا صفر» قال محمد: وقد سمعنا من يقول هو وجع يأخذ فى البطن، فكانوا يقولون هو يعدى فقال «لا صفر»[٢]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا يحيى بن خلف حدثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج عن عطاء قال: يقول الناس الصفر وجع يأخذ في البطن. قلت فما الهامة؟ قال يقول الناس: الهامة التى تصرخ هامة الناس، وليست بهامة الإنسان، إنما هى دابة[٣]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: قرئ على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم أشهب قال: سئل مالك عن قوله «لا صفر» قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر، يحلونه عامًا ويحرمونه عامًا، فقال النبى ﷺ: «لا صفر»[٤]. قلت: وكل هذه المعانى لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث. ولله الحمد والمنة.

= (١٠/ ١٣٤) قال: وفيه: عدي بن الفضل وهو متروك، وله ثالث أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٥) وفيه عمر بن صبح وهو متروك.

(١) صحيح: باللفظين أخرجه البخاري (٦٠٨) ومسلم (٣٨٩) بلفظ: «وله ضراط» وأخرجه مسلم (٣٨٩) بلفظ: «وله حصاص» والحصاص هو شدة العدو.

(٢) صحيح إلى محمد بن راشد: أخرجه أبو داود (٣٩١٥) وإسناده حسن، ومحمد بن المصفى صدوق، والخبر تفسير، لا رواية، والله أعلم.

(٣) حسن إلى عطاء: أخرجه أبو داود (٣٩١٨) وإسناده حسن، ويحيى بن خلف صدوق.

(٤) صحيح إلى مالك: أخرجه أبوداود (٣٩١٤) وهو صحيح إلى مالك. وأما الحديث المرفوع فصحيح، وسبق تخريجه.

مرتبة الإحسان

وَثَالِثًا مَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ وَتِلْكَ أَعْلاَهَا لَدَى الرَّحْمَنِ
وَهْوَ رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى يَكُونَ الغيبُ كَالْعيانِ

هذه المرتبة هي الثالثة من مراتب الدين المفصلة فى حديث جبريل المتقدم وهى أعلى مراتب الدين وأعظمها خطرًا وأهلها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات المقربون فى علو الدرجات، وقد قدمنا أن الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان، والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، وأما عند الإطلاق فكل منها يشمل دين اللّه كله، وقد جاء الإحسان فى القرآن فى مواضع كثيرة، تارة مقترنًا بالإيمان وتارة بالتقوى، وتارة بهما معًا، وتارة بالجهاد، وتارة بالإسلام، وتارة بالعمل الصالح مطلقًا، قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [المائدة: الآية ٩٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: الآية ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف: الآية ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: الآية ٦٩]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: الآية ١١٢]. وقال تعالى: ﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾ [لقمان: الآية ٢٢]، وتارة بالإنفاق فى سبيل اللّه وهو من الجهاد كقوله تعالى ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: الآية ١٩٥]، وقد فسره النبى ﷺ تفسيرًا لا يستطيعه من المخلوقين أحد غيره ﷺ لما أعطاه اللّه تعالى من جوامع الكلم فقال ﷺ: «**الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**»[١] أخبر ﷺ أن مرتبة الإحسان على درجتين، وأن للمحسنين فى الإحسان مقامين متفاوتين.

المقام الأول - وهو أعلاهما -: أن تعبد اللّه كأنك تراه. وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته للّه ﷻ بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة.

البصيرة فى العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، فمن عبد الله ﷻ على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، وفى حديث حارثة المرسل أن النبى ﷺ قال له «يا حارثة كيف أصبحت؟» قال: أصبحت مؤمنًا حقًّا. قال: **«انظر ما تقول؟ فإن لكل قول حقيقة»**. قال يا رسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر عرش ربي بارزًا وكأني أنظر إلي أهل الجنة في الجنة يتزاورون فيها وكأني أنظر إلي أهل النار فى النار كيف يتعاوون فيها. قال: **«أبصرت فالزم»**[1] عبدٌ نوَّر الله تعالى بصيرته.

المقام الثانى: مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه واطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا فى عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى، لأن استحضاره ذلك فى عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل، وهذا المقام هو الوسيلة الموصلة إلى المقام الأول. ولهذا أتى به النبى ﷺ تعليلًا للأول فقال: **«فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**[2] وفى بعض ألفاظ الحديث: **«فَإِنَّكَ إِلَّا تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»**[3] فإذا تحقق فى عبادته بأن الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ولا يخفى عليه شيء من أمره فحينئذ يسهل عليه الانتقال إلى المقام الثانى وهو دوام التحقيق بالبصيرة إلى قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنه يراه.

وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا المعنى فى غير ما موضع من القرآن، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

(١) ضعيف: أخرجه عبد بن حميد (٤٤٥) والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٦٦ ح ٣٣٦٧) من حديث الحارث بن مالك الأنصاري مرفوعًا به، وفي إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف، وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٤٢٥) عن ابن نمير عن مالك بن مغول عن زبيد مرسلًا، وأخرجه (٣٠٤٢٣) من طريق محمد بن صالح الأنصاري مرسلًا، وفي إسناده نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر وهو ضعيف وله طرق أخرى لا تصح.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وله طرق أخرى.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٠) وغيره، وسبق.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: الآية ١٨٦]، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وغير ذلك من الآيات.

فأولياء الله المتقون المحسنون، هم الذين آمنوا بالله ﷻ وبإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأفردوه بالعبادة محبة وتذللًا وانقيادًا وخوفًا ورجاء ورغبة ورهبة وخشية وخشوعًا ومهابة وتعظيمًا وتوكلًا عليه وافتقارًا إليه واستغناء به عما سواه، وتقواه بامتثال أوامره ومحبة مرضاته وترك مناهيه وموجبات سخطه سرًّا وعلنًا وظاهرًا وباطنًا قولًا وعملًا واعتقادًا، واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله ﷻ بهم علمًا وقدرة ولطفًا وخبرة بأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا، فكان عملهم خالصًا لله موافقًا لشرعه مناطًا بما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وراقبوه مراقبة من ينظر إلى ربه لكمال علمهم بأن الله ينظر إليهم ويرى حالهم ويسمع مقالهم، فطرحوا النفوس بين يديه وأقبلوا بكليتهم عليه والتجئوا منه إليه وعاذوا به منه وأحبوه من كل قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره، فبه يبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون وبرؤيتهم يذكر الله تعالى وبذكره يذكرون.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح عن أبي هريرة ﷺ يقول: قال النبي ﷺ: «**يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»[1] وقال رحمه الله تعالى: حدثني محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبد الله بن أبي نمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ**

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»(١).

ذكروا اللَّه تعالى فذكرهم وشكروه فشكرهم، وتولوه، ووالوا فيه فتولاهم، وعادوا أعداءه لأجله فآذن بالحرب من عاداهم، وأحسنوا عبادة ربهم فأحسن جزاءهم، وأجزله، عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم بفضله وزادهم ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦] ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: الآية ٦٠] ولما ذكر أهل الجنة وما وعدهم به من النعم وصفهم أن ذلك جزاء إحسانهم فقال ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾، ثم فسر إحسانهم ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ وقدمنا فى الفصل الأول أن الحسنى التى وعد اللَّه ﷻ المحسنين هى الجنة، والزيادة هى النظر إلى وجه اللَّه ﷻ كما رواه مسلم عن صهيب عن النبى ﷺ(٢).

فلما كانوا يعبدون اللَّه ﷻ فى الدنيا على وجهه الحضور والمراقبة كأنهم يرونه بقلوبهم وينظرون إليه فى حال عبادتهم إياه كان جزاؤهم على ذلك النظر إلى وجه تبارك وتعالى فى الآخرة عيانًا بأبصارهم، وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فقال تعالى فيهم ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: الآية ١٥] لما كان حالهم فى الدنيا التكذيب وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته فى الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته فى الآخرة، وذلك قول اللَّه ﷻ ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: الآية ٣١]. ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠١].

هذا آخر ما يسر اللَّه تعالى من الكلام على مفردات حديث جبريل، وقد قال ابن رجب رحمه اللَّه تعالى فى شرح الأربعين بعد كلامه على مراتب الدين فى هذا الحديث، قال: فمن تأمل ما أشرنا إليه مما دل عليه هذا الحديث العظيم علم أن جميع العلوم والمعارف يرجع إلى هذا الحديث ويدخل تحته، وأن جميع العلماء من فرق هذه الأمة لا تخرج علومهم التى يتكلمون فيها عن هذا الحديث، وما دل عليه مجملًا ومفصلًا، فإن الفقهاء إنما يتكلمون فى العبادات التى هى من جملة خصال الإسلام، ويضيفون إلى ذلك الكلام فى

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٥٠٢) وسبق.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٠).

أحكام الأموال والأبضاع والدماء، وكل ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيه عليه، ويبقى كثير من علم الإسلام - من الآداب والأخلاق وغير ذلك - لا يتكلم عليه إلا القليل منهم ولا يتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصل الإسلام كله. والذين يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والذين يتكلمون على علم المعارف ومقامات العباد يتكلمون على مقام الإحسان وعلى الأعمال الباطنة التى تدخل فى الإيمان أيضًا كالخشية والمحبة والتوكل والرضا والصبر ونحو ذلك فانحصرت العلوم الشرعية التى يتكلم عليها فرق المسلمين فى هذا الحديث ورجعت كلها إليه، ففى هذا الحديث وحده كفاية ولله الحمد والمنة[1]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

فصل في ست مسائل تتعلق بمباحث الدين

فصل فى مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين:

الأولى: كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية،

والثانية: تفاضل أهله فيه.

والثالثة: فاسق أهل الملة الإسلامية لا يكفر بذنب دون الشرك ولوازمه إلا إذا استحله.

والرابعة: أنه لا يخلد فى النار.

والخامسة: أنه فى العقاب وعدمه تحت المشيئة.

والسادسة: أن التوبة فى حق كل فرد مقبولة ما لم يغرغر سواء من كفر أو دونه من أى ذنب كان.

١- الإيمان يزيد وينقص

إيمانُنا يزيدُ بالطاعاتِ وَنقْصُهُ يكونُ بالزّلاتِ

هذه هى المسألة الأولى من مسائل الفصل، وهى أن الإيمان يزيد وينقص وعلى ذلك ترجم البخارى رحمه الله تعالى فى كتابه فقال فى جامعه: «كتاب الإيمان»، باب قول النبى

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٩٠، ٩١) شرح الحديث الثاني.

ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ»(١) وهو قول وفعل ويزيد وينقص قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: الآية ٤]، ﴿ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: الآية ١٣]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: الآية ٧٦]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: الآية ١٧]، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: الآية ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٢٢]. وقال الترمذى رحمه الله تعالى: باب فى استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وألطفهم بأهله**»(٢) وحديث «**يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ**» إلخ وهو فى الصحيحين. والشاهد منه قوله ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَغْلَبَ لِذَوِي الْأَلْبَابِ وَذَوِي الرَّأْيِ مِنْكُنَّ**»(٣) وذكر حديث أبى هريرة وهو فى «الصحيحين» أيضًا قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا فَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَأَرْفَعُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»(٤).

هذا لفظ الترمذى وقال: حسن صحيح ولفظه «وبضع وستون» ولمسلم رواية «بضع وسبعون» لكن قال: «شعبة» بدل «بابًا»(٥).

وقال النسائى(٦): باب زيادة الإيمان – وذكر فيه حديث الشفاعة ودلالته منطوقًا على تفاضل أهل الإيمان فيه. وأما الزيادة والنقص فدلالته عليها مفهومًا لا منطوقًا ومثله حديث أبى سعيد الخدري: «**رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ**» الحديث. وفيه: «**وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**»، قالوا: فما أولت

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٢٦١٢) والنسائي في «الكبرى» (٩١٥٤) وأحمد (٦/ ٩٩) والحاكم (١٧٣) وابن أبي شيبة (٢٥٣١٩) والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٢٣٢) من طريق أبي قلابة عن عائشة، وإسناده ضعيف للانقطاع بين عائشة وأبي قلابة.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٤) من حديث أبي سعيد، وأخرجه مسلم (٧٩) من حديث ابن عمر.

(٤) **صحيح**: وتخريجه ما سبق.

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٥)، والترمذي (٢٦١٤)، من حديث أبي هريرة، وعند مسلم: «بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة» وعند الترمذي: «بضع وسبعون بابًا» وأخرجه البخاري (٩) ومسلم (٣٥) بلفظ «الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان» وعند مسلم: «وسبعون» ولم يخرج البخاري اللفظ الذي أورده المصنف رحمه الله.

(٦) «سنن النسائي» وهي «المجتبى» (٨/ ١١٢).

ذلك يا رسول اللّه؟ قال: «الدِّينَ»(١) ثم ذكر حديث عمر فى نزول قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: الآية ٣] ودلالتها على ذلك منطوقًا، وعلى ذلك ترجم البخارى رحمه اللّه تعالى وقال: حدثنا الحسن بن الصباح سمع جعفر بن عون حدثنا أبو العميس قال: أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب ﷺ أن رجلًا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية فى كتابكم تقرءونها لو علينا معشر اليهود نزلت لأخذنا ذلك اليوم عيدًا قال: أى آية؟ قال ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: الآية ٣] قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى ﷺ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة(٢).

وعلى ذلك ترجم أبو داود(٣) وغيره من أئمة السنة، وساقوا فى ذلك أحاديث تتضمنه منطوقًا ومفهومًا. قال مسلم بن الحجاج رحمه اللّه تعالى: حدثنا يحيى بن التيمى وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر بن سليمان عن سعيد بن إياس الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة الأسيدى قال وكان من كتاب رسول اللّه ﷺ قال: لقينى أبو بكر ﷺ فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة. قال سبحان اللّه. ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول اللّه ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رَأْيُ عين، فإذا خرجنا من عند رسول اللّه ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد الصغار فنسينا كثيرًا. قال أبو بكر ﷺ فواللّه إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتي دخلنا علي رسول اللّه ﷺ قلت: نافق حنظلة يا رسول اللّه، فقال رسول اللّه ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قلت: يا رسول اللّه نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتي كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيرًا فقال رسول اللّه ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمِ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً» ثلاث مرات(٤).

حدثنى إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد سمعت أبى يحدث حدثنا سعيد الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة قال: كنا عند رسول اللّه ﷺ: فوعظنا فذكر

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٣) ومسلم (٢٣٩٠) والنسائي (٨/ ١١٣) وغيرهم.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥)، ومسلم (٣٠١٧)، والنسائي (٨/ ١١٤) وغيرهم.
(٣) «سنن أبي داود» (٤/ ٢١٩) باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٥٠)، والترمذي (٢٥١٤)، وأحمد (٤/ ٣٤٦).

النار . قال ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة . قال فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له قال وأنا قد فعلت مثل ما تذكر . فلقينا رسول الله ﷺ ، فقلت يا رسول الله نافق حنظلة . فقال : «مه !» فحدثته بالحديث فقال أبو بكر : وأنا قد فعلت مثل ما فعل فقال : «يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ، وَلَوْ كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كَمَا تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُسَلِّمَ عَلَيْكُمْ فِي الطُّرُقِ»[1] ، ومن طريق ثالث فذكرنا الجنة والنار الحديث[2] .

وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم ، وأن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص ، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصي من باب أولى كما سيأتي إن شاء الله تبارك وتعالى بيانه قريبًا .

٢- تفاضل أهل الإيمان

وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ ... هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلَاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ

هذه هي المسألة الثانية ، وهي تفاضل أهل الإيمان فيه ، كما ذكر الله تبارك وتعالى أقسامهم التي قسمهم عليها بمقتضى حكمته فقال تعالى : ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: الآية ٣٢] الآيات ، فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين ، وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه . وإلى سابق بالخيرات ، وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا ما لا بأس به خوفًا مما به بأس ، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرهم الذي يبصرون به إلى آخر معنى الحديث السابق فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطقون وبه يعقلون ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأما الظالم لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالح قولان : أحدهما : أن المراد به الكافر . فيكون كقول الله ﷻ في تقسيمهم في سورة الواقعة عند البعث ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ ، [الواقعة: ٧- ١١] إلى آخر الآيات ،

---

(١) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٥٠) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٧٥٠) ، وانظر ما سبق .

وقسمهم عند الاحتضار كذلك فقال ﷻ ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾[الواقعة: ٨٨- ٩٤] فإن تفاضل أهل الإيمان فى تقسيم هذه السورة إنما هو على درجتين: سابقين ومقربين، وأبرار هم أصحاب اليمين. وأما أصحاب الشمال الذين هم المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلام باتفاق، وإنما الخلاف فى الظالم نفسه فى آية فاطر.

والقول الثانى: أن المراد به عصاة الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسهم، ولكن ظلم دون ظلم، لا يخرج من الدين ولا يخلد فى النار، فعلى هذا يكون قسم ثالث فى تفاضل أهل الإيمان، ورجح هذا القول ابن القيم رحمه الله تعالى[1]، فإذا كان هذا التفاوت بين أتباع الرسل فكيف تفاوت ما بينهم وبين رسلهم، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الرسل متفاضلون فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَـٰتٍ﴾[البقرة: الآية ٢٥٣] وقد تقدم تقرير ذلك في موضعه وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم فى الإيمان فى دار التكليف كذلك جعل الجنة التى هى دار الثواب متفاوتة الدرجات مع كون كل منهم فيها، فقال فى سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾[الرحمن: ٤٦- ٥٩] إلى آخر السورة.

وكذا فى سورة الواقعة أخبر بصفة الجنة التى يدخلها السابقون أعظم وأعلى من صفات الجنة التى يدخلها أصحاب اليمين، وكذلك فى سورة المطففين. قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾[المطففين: ٢٢- ٢٨]. وغير ذلك من الآيات.

وقال النبى ﷺ: «**جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا وَمَا**

---

(١) في كتابه «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص ٢٩٠ - ٣١٣).

فِيهِمَا ، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ» (١).

وأهل الجنة متفاوتون فى الدرجات حتى إنهم يتراءون أهل عليين ، يرون غرفهم من فوقهم كما يرى الكوكب فى الأفق الشرقى أو الغربى ، ومتفاوتون فى الأزواج ومتفاتون فى الفواكه من المطعوم والمشروب ، ومتفاوتون فى الفرش والملبوسات ، ومتفاوتون فى الملك ، ومتفاوتون فى الحسن والجمال والنور ، ومتفاوتون فى قربهم من اللَّه ﷻ، ومتفاوتون فى تكثير زيارتهم إياه ، ومفاوتون فى مقاعدهم يوم المزيد ، ومتفاوتون تفاوتًا لا يعلمه إلا اللَّه ﷻ، وقد قدمنا أحاديث الشفاعة وفيها أن عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم ، متفاوتون تفاوتًا بعيدًا : متفاوتون فى مقدار ما تأخذ منهم ، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم من تأخذه كله إلا مواضع السجود وكذلك يتفاوتون فى مقدار لبثهم فيها وسرعة خروجهم منها ، لأنهم متفاوتون فى الإيمان والتوحيد الذى بسببه يخرجون منها ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلدين أبدًا . فيقال للشفعاء أخرجوا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان ، ثم من كان في قلبه نصف دينار من إيمان ، ثم من كان في قلبه وزن برة من إيمان ، ثم من كان فى قلبه ذرة من إيمان ، ثم من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال وزن ذرة من إيمان ، فأين هذا ممن الإيمان فى قلبه مثل الجبل العظيم ، وأين من نوره على الصراط كالشمس ، ممن نوره على إبهام قدمه ينور تارة ويطفأ أخرى ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥- ٣٦].

وفى «الصحيحين» من حديث أبى سعيد الخدرى ﷺقال : سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول : «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ ، وَمِنْهَا مَا دُونَ ذَلِكَ ، وَعُرِضَ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**» ، قالوا فما أولته يا رسول اللَّه؟ قال : «**الدِّينَ**» (٢).

وقال ابن أبى مليكة : أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺكلهم يخاف النفاق على نفسه . ما منهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل (٣).

---

(١) صحيح :أخرجه البخاري (٤٨٧٨ ، ٧٤٤٤) ومسلم (١٨٠) وغيرهما من حديث أبي موسى الأشعري مرفوعًا به .

(٢) صحيح :أخرجه البخاري (٢٣)، ومسلم (٢٣٩٠) وغيرهما .

ذكره البخاري تعليقًا مجزومًا به . وقال النبي ﷺ «ملئ عمار إيمانًا إلى مشاشه»[١] وقال ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢] وقال عمر بن الخطاب ﷺ: «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض لرجح»[٣].

وقرأ الفضيل بن عياض رحمه الله[٤] أول الأنفال حتى بلغ ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: الآية ٤] قال حين فرغ: إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن إذا كان مؤمنًا حقًّا فهو من أهل الجنة، فمن لم يشهد أن المؤمن حقًّا من أهل الجنة فهو شاك في كتاب اللَّه مكذب، أو جاهل لا يعلم. فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقًّا مستكمل الإيمان، ولا يستكمل الإيمان إلا بالعمل، ولا يستكمل عبد الإيمان ولا يكون مؤمنًا حقًّا حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه، يا سفيه ما أجهلك، لا ترضى أن تقول أنا مؤمن حتى تقول أنا مؤمن حقًّا مستكمل الإيمان، واللَّه لا تكون مؤمنًا حقًّا مستكمل الإيمان حتى تؤدي ما افترض اللَّه عليك وتجتنب ما حرم اللَّه عليك وترضى بما قسم اللَّه لك ثم تخاف مع هذا أن لا يقبل اللَّه منك. ووصف فضيل الإيمان بأنه قول وعمل وقرأ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: الآية ٥]، فقد سمى اللَّه تعالى دين القيمة بالقول والعمل، فالقول الإقرار بالتوحيد والشهادة للنبي ﷺ والعمل أداء الفرائض واجتناب المحارم، وقرأ ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه البخاري تعليقًا في «صحيحه» (١/ ١٣٣ قبل حديث ٤٨) بصيغة الجزم.

(٢) صحيح الإسناد: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٨/ ١١١) وفي «السنن الكبرى» (٣٧٢٨ و ١١٧٣٨)، وفي «فضائل الصحابة» (١٦٨) والحاكم (٥٦٨٠) من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن أبي عمار عن عمرو بن شرحبيل عن رجل من الصحابة مرفوعًا به، وإسناده صحيح، إلا أن عبد الرحمن مخالف، خالفه وكيع فرواه عن سفيان بهذا الإسناد عن عمرو بن شرحبيل مرسلًا أخرجه ابن أبي شيبة (٣٠٣٤٩، ٣٢٢٤٤) لكن للحديث شاهد أخرجه ابن ماجة (١٤٧) وابن حبان (٧٠٧٦) وابن أبي شيبة (٣٠٣٥٠ و ٣٢٢٤٣ و ٣٢٢٥٥) من طريق هانئ بن هانئ عن علي بن أبي طالب مرفوعًا به، وله شاهد أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٢٥١) من حديث القاسم بن مخيمرة مرسلًا.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤٩) وأبو داود (١١٤٠) والنسائي (٨/ ١١١) وابن ماجة (١٢٧٥) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

(٤) صحيح إلى عمر: أخرجه عبد اللَّه في «السنة» (٨٨٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦) من طريق ابن شوذب عن محمد بن جحادة عن سلمة بن كهيل عن الهزيل بن شرحبيل عن عمر بن الخطاب.

رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ وقال ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: الآية ١٣] فالدين التصديق بالعمل كما وصفه اللَّه تعالى، وكما أمر أنبياءه ورسله بإقامته. والتفرق فيه ترك العمل والتفريق بين القول والعمل، قال اللَّه تبارك وتعالى ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: الآية ١١] فالتوبة من الشرك جعلها اللَّه تعالى قولًا وعملًا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وقال أصحاب الرأي: ليس الصلاة ولا الزكاة ولا شيء من الفرائض من الإيمان، افتراء على اللَّه وخلافًا لكتابه وسنة نبيه، ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر أهل الردة، وقال فضيل: يقول أهل البدع: الإيمان الإقرار بلا عمل، والإيمان واحد، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان، وقال: فمن قال ذلك فقد خالف الأثر، ورد على رسول اللَّه ﷺ قوله، لأن رسول اللَّه ﷺ قال: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»[(١)] وتفسير من يقول الإيمان لا يتفاضل يقول إن فرائض اللَّه ليست من الإيمان فميز أهل البدع العمل من الإيمان وقالوا إن فرائض اللَّه ليست من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية، أخاف أن يكون جاحدًا للفرائض رادًّا على اللَّه أمره، ويقول أهل السنة: إن اللَّه تعالى قرن العمل بالإيمان وإن فرائض اللَّه من الإيمان قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: الآية ٨٢]، فهذا موصول العمل بالإيمان ويقول أهل الإرجاء لا ولكنه مقطوع غير موصول وقال أهل السنة: قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: الآية ١٢٤]، فهذا موصول، وأهل الإرجاء يقولون بل هو مقطوع، وقال أهل السنة: قال اللَّه تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: الآية ١٩]، فهذا موصول، وكل شيء في القرآن من أشبه هذا فأهل السنة يقولون: هو موصول مجتمع. وأهل الإرجاء يقولون: بل هو مقطوع متفرق. ولو كان الأمر كما يقولون كان من عصى وارتكب المعاصي والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل، فما أسوأ هذا من قول وأقبحه، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، وقال فضيل: أصل الإيمان عندنا وفرعه - بعد الشهادة للَّه بالتوحيد، والشهادة للنبي ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض - صدق الحديث، وحفظ الأمانة وترك الخيانة،

---

(١) أخرج كلام الفضيل بطوله عبد اللَّه بن أحمد في «السنة» بتحقيقي وجادة عن الإمام أحمد، لكن لم يذكر الإمام أحمد إسناده إلى الفضيل.

والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، والنصيحة لجميع المسلمين، والرحمة للناس عامة. قيل له - يعنى فضيلًا - هذا من رأيك تقوله أو سمعته. قال: بل سمعناه وتعلمناه، ولو لم آخذه من أهل الفقه والفضل لم أتكلم به. وقال فضيل: يقول أهل الإرجاء: الإيمان قول بلا عمل، ويقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل. فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالتوثقة. ومن قال الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر، لأنه لا يدرى أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه، وقال يعنى فضيلا: قد بينت لك إلا أن تكون أعمى. وقال فضيل: لو قال لى رجل: مؤمن أنت؟ ما كلمته ما عشت. وقال: إذا قلت آمنت بالله فهو يجزيك من أن تقول أنا مؤمن. وإذا قلت أنا مؤمن لا يجزيك من أن تقول آمنت بالله لأن آمنت بالله أمر، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٣٦] الآية، وقولك أنا مؤمن تكلف لا يضرك أن لا تقوله ولا بأس إن قلته على وجه الإقرار وأكرهه على وجه التزكية، وقال فضيل سمعت الثورى يقول: من صلى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار فى المواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنسك، ولهم ذنوب وخطايا الله حسبهم، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، لا ندرى ما لهم عند الله ﷻ، وقال فضيل سمعت المغيرة الضبى يقول: من شك فى دينه فهو كافر وأنا مؤمن إن شاء الله، قال فضيل: الاستثناء ليس بشك. وقال فضيل: المرجئة كلما سمعوا حديثًا فيه تخويف. قالوا: هذا تهديد. وإن المؤمن يخاف تهديد الله وتحذيره وتخويفه ووعيده ويرجو وعده، وإن المنافق لا يخاف تهديد الله ولا تحذيره ولا تخويفه ولا وعيده ولا يرجو وعده. وقال فضيل: الأعمال تحبط الأعمال والأعمال تحول دون الأعمال [(١)].

قال عبد الله قال أبى: أخبرت عن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦٩] قال: الفقه والعلم [(٢)]. اهـ من كتاب السنة، وفيه عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال القلوب أربعة: قلب أجرد كأنما فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن، وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق،

(١) صحيح: أخرجه مسلم وغيره، وسبق تخريجه.

(٢) هذا آخر كلام الفضيل، وهو في «السنة» لعبد الله برقم (٨٨٣).

(٣) صحيح إلى مجاهد: من غير طريق عبد الله بن أحمد، وهذا أخرجه عبد الله في «السنة» (٨٨٤) وإسناده ضعيف لضعف ليث وهو ابن أبي سليم، وجهالة شيخ عبد الله، لكن أخرجه زهير بن حرب في «كتاب العلم» (٦٢ بتحقيقي) عن جرير عن الأعمش عن مجاهد به. وهذا صحيح إلى مجاهد.

وقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلبه»[1]. اهـ. وهذا الموقوف قد روى مرفوعًا إلى النبى ﷺ بإسناد جيد حسن، فقال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى: حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر. وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق. ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه»**[2].

والآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين فى هذا الباب أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر. والمقصود بيان أن الناس متفاوتون فى الدين بتفاوت الإيمان فى قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك. فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل. وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد. وبين ذلك مراتب ودرجات لا يحيط بها إلا اللَّه ﷻ الذى خلقهم ورزقهم. وكما يتفاوتون فى مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون فى أعمال الإيمان الظاهرة، بل واللَّه يتفاضلون فى عمل واحد يعمله كلهم فى آن واحد وفى مكان واحد، فإن الجماعة فى الصلاة صافون كلهم فى رأى العين، مستوون فى القيام والركوع والسجود، والخفض والرفع، والتكبير والتحميد، والتسبيح والتهليل، والتلاوة وسائر الأذكار والحركات والسكنات، فى مسجد واحد ووقت واحد وخلف إمام واحد، وبينهم من التفاوت والتفاضل ما لا يحصى فهذا قرة عينه فى الصلاة يود إطالتها ما دام عمره، وآخر يرى نفسه فى أضيق سجن يود انقضاءها فى أسرع من طرفة عين، أو يود الخروج منها، بل

(١) ضعيف: أخرجه عبد اللَّه في «السنة» (٨٨٥) عن أبيه قال: أخبرت عن فضيل عن سليمان يعني الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن حذيفة بن اليمان موقوفًا، وإسناده ضعيف. الإمام أحمد لم يذكر من حدثة عن فضيل، وأبو البختري عن حذيفة منقطع، وانظر ما يأتي.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/١٧) وابن المبارك في «الزهد» (١٤٣٩) وابن أبي شيبة (٣٠٤٠٤ و٣٧٣٩٥) وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢٢٦) و (٤/٣٨٥) وغيرهم من طريق عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي سعيد مرفوعًا، وهذا ضعيف للانقطاع بين أبي سعيد وأبي البختري.

يتندم على الدخول فيها، وهذا يعبد اللَّه على وجه الحضور والمراقبة كأنه يشاهده، وآخر قلبه فى الفلوات قد تشعبت به الضيعات وتفرقت به الطرقات حتى إن يدرى ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى. وهذا ترفع صلاته تتوهج بالنور حتى تخترق السموات إلى عرش الرحمن ﷻ. وهذا تخرج مظلمة لظلمة قلبه فتغلق أبواب السماء دونها فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وهذا يكتب له أضعافها وأضعاف مضاعفة، وهذا يخرج منها وما كتب له إلا نصفها إلا ربعها إلا ثمنها إلا عشرها، وهذا يحضرها صورة ولم يكتب له منها شيء. وهذا منافق يأتيها رئاء الناس ولا يؤمن باللَّه واليوم الآخر. هذا والناظر إليهم يراهم مستوين فى فعلها، ولو كشف له الحجاب لرأى من الفرقان ما لا يقدر قدره إلا اللَّه الرقيب على كل نفس بما كسبت الذى أحاط بكل شيء علمًا لا تخفى عليه خافية، وكذلك الجهاد ترى الأمة من الناس يخرجون فيه مع إمام واحد ويقاتلون عدوًّا واحدًا على دين واحد متساوين ظاهرًا فى القوى والعدد، فهذا يقاتل حمية وعصبية. وهذا يقاتل رياء وسمعة لِتُعْلَم شجاعتُه ويُرَى مَكَانهُ. وهذا يقاتل للمغنم ليس له هم غيره، وهذا يقاتل لتكون كلمة اللَّه هى العليا. وذا هو المجاهد فى سبيل اللَّه لا لغيره. وهذا هو الذى يكتب له بكل حركة أو سكون أو نصب أو مخمصة عمل صالح. وهكذا الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف النهى عن المنكر وجميع أعمال الإيمان، الناس فيها على هذا التفاوت والتفاضل حسب ما وقر فى قلوبهم من العلم واليقين. وعلى ذلك يموتون، وعليه يبعثون، وعلى قدره يقفون فى عرق الموقف، وعلى ذلك الوزن والصحف وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط. وبحسب ذلك يمرون عليه. ومن يبطأ به عمله لم يسرع به نسبه [1].

وبذلك يتسابقون فى دخول الجنة. وعلى حسبه رفع درجاتهم. وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم تبارك وتعالى فى يوم المزيد وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ونعيمهم، واللَّه يختص برحمته من يشاء. واللَّه ذو الفضل العظيم.

---

(١) صحيح :أخرجه مسلم (٢٦٩٩) وأبو داود (٣٦٤٣) والترمذي (٢٩٤٥) وابن ماجة (٢٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٢ و ٤٠٦) وابن حبان (٨٤ و ٧٦٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

٣- فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان

وَالْفَاسِقُ الْمِلِّي ذُو الْعِصْيَانِ لَمْ يَنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الإِيمَانِ
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي إِيمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ

هذه هى المسألة الثالثة . وهى أن فاسق القبلة لا ينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه . ولا يوصف بالإيمان التام ، ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان . أو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبيرته ، . فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم . والمراد بالفسق هنا هو الأصغر . وهو عمل الذنوب الكبائر التى سماها اللّه ورسوله فسقًا وكفرًا وظلمًا مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها ، فإن اللّه تعالى سمى الكاذب فاسقًا فقال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: الآية ٦]ومع هذا لم يخرج ذلك الرجل الذى نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم ينف عنه الإيمان مطلقًا ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين عليه . وكذلك قال النبى ﷺ: « **سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** » [١].

وقال ﷺ: « **لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ** » [٢] الحديث وغيره .

وقد استبَّ كثير من الصحابة على عهده وفي حضوره فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه فى الدين .

وقال اللّه سبحانه : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: الآية ٩]. فسمى اللّه تعالى كلًا من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة وأمر بالإصلاح بينهما ولو بقتال الباغية . ثم قال : ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: الآية ٩]ثم لم ينف عنهم الأخوة أخوة الإيمان لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقية المؤمنين بل أثبتت أخوة الإيمان لهم مطلقًا فقال ﷻ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات: الآية ١٠]. وكذلك فى آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوة الإيمان فقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ [البقرة: الآية ١٧٨] وكذلك الذين قال لهم النبى ﷺ : « **لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤) من حديث ابن مسعود مرفوعًا به .
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٠٧٧)، ومسلم (٦٥) من حديث ابن عمر مرفوعًا به .

بَعْضٍ»[(١)] سماهم أيضًا مسلمين بعد أن رجعوا كذلك فقال في صفة الخوارج: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»[(٢)]، ومعلوم أن أصحاب على بن أبى طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما قد اقتتلا قتالًا عظيمًا، فسمى الجميع مسلمين، وقال ﷺ في سبطه الحسن بن على رضي الله عنه: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[(٣)] فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين بعد موت أبيه رضي الله عنه في عام الجماعة، ولله الحمد والمنة.

ولا منافاة بين تسمية العمل فسقًا أو عامله فاسقًا، وبين تسميته مسلمًا وجريان أحكام المسلمين عليه، لأنه ليس كل فسق يكون كفرًا، ولا كل ما سمى كفرًا وظلمًا يكون مخرجًا من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، وذلك لأن كلا من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين: أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية، وأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله ولا يخرج صاحبه منه، فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق، قال الله تعالى في بيان الكفر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾ [ص: الآية ٧٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء: ١٦٧-١٦٩] وقال النبي ﷺ في بيان الكفر الأصغر: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتَالُهُ كُفْرٌ»[(٤)] وقال الله تعالى في الظلم الأكبر: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣] وقال في الظلم الأصغر: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: الآية ١] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [النساء: الآية ١٠] وقال في الفسوق الأكبر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: الآية ٥٠]

---

(١) صحيح: وتخريجه ما سبق.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٦٤) وأبو داود (٤٦٦٧) وأحمد (٣/ ٣٢ و ٩٧) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٤٦) وأبو داود (٤٦٦٢) وأحمد (٥/ ٣٧ و ٥١) من حديث أبي بكرة مرفوعًا به.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٧٦)، ومسلم (٦٤) وسبق.

وقال تعالى : ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة: الآية ٢٥٤] وقال تعالى فى النفاق الأكبر : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾[البقرة: الآية ٨] . وقال : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء: الآية ١٤٥] وقال النبي ﷺ فى النفاق الأصغر : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا ، إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[1] فهذه الخصال كلها نفاق عملى لا يخرج من الدين إلا إذا صحبه النفاق الاعتقادى المتقدم ، وما تمسك به الخوارج والمعتزلة وأضرابهم من التشبث بنصوص الكفر والفسوق الأصغر واستدلالهم به على الأكبر فذلك مما جنته أفهامهم الفاسدة وأذهانهم البعيدة وقلوبهم الغلف ، فضربوا نصوص الوحى بعضها ببعض ، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، فقالت الخوارج : المصر على كبيرة من زنى أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية لا يصلى عليه ولا يدفن فى مقابر المسلمين ، ولو أقر لله تعالى بالتوحيد وللرسول ﷺ بالبلاغ ، وصلى وصام وزكى وحج وجاهد وهو مخلد فى النار أبدًا مع إبليس وجنوده ومع فرعون وهامان وقارون . وقالت المعتزلة : العصاة ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكن نسميهم فاسقين . فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين ، ولكنهم لم يحكموا له بمنزلة فى الآخرة بين المنزلتين . بل قضوا بتخليده فى النار أبدًا كالذين قبلهم . فوافقوا الخوارج مآلًا وخالفوهم مقالًا ، وكان الكل مخطئين ضُلَّالًا . وقابل ذلك المرجئة فقالوا . لا تضر المعاصى مع الإيمان لا بنقص ولا منافاة ، ولا يدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية . ولا تفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمان أبى بكر وعمر ، حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة ، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين ، إذ الكل مستوفي النطق بالشهادتين كما قدمنا اعتقادهم فى بحث الإيمان . نسأل الله تعالى العافية .

٤- العاصى لا يخلد فى النار وأمره إلى الله

وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مُخَلَّدٌ بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي
تَحْتَ مَشِيئَةِ الإِلَهِ النَّافِذَهْ إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَا آخَذَهْ
بِقَدْرِ ذَنْبِهِ إِلَى الْجِنَانِ يَخْرُجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ

«ولا نقول إنه» أى : الفاسق بالمعاصي التى لا توجب كفرًا «فى النار مخلد» هذه هى

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعًا به .

المسألة الرابعة من مسائل الفصل «بل» نقول «أمره» مردود حكمه «للبارى» فى الجزاء والعفو «تحت مشيئة الإله النافذة» فى خلقه «إن شاء» الله ﷻ «عفا عنه» وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله «وإن شاء آخذه» أى: جازاه وعاقبه «بقدر ذنبه» الذى مات مصرًا عليه، كما فى «الصحيحين» من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه: «بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فبايعناه على ذلك[1].

«وإلى الجنان يخرج» من النار «إن» كان «مات على الإيمان» كما تقدم فى أحاديث الشفاعة وإنه لا يخلد فى النار أحد مات على التوحيد بل يخرج منها برحمة أرحم الراحمين ثم بشفاعة الشافعين.

والعَرْضُ تَيسيرُ الحسابِ فى النَبَا وَمَنْ يُنَاقَشُ الحِسَابَ عُذِّبَا

فى هذا البيت إشارة إلى تفسير رسول الله ﷺ لقول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⁽⁸⁾﴾ [الانشقاق: ٨] الآيات كما فى «صحيح البخارى» وغيره من طرق عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ إِلَّا هَلَكَ»، قالت: قلت يا رسول الله جعلنى الله فداءك أليس يقول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ⁽⁷⁾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ⁽⁸⁾﴾ قال: «ذَلِكِ الْعَرْضُ، يُعْرَضُونَ، وَمَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ هَلَكَ» وفى رواية: «عُذِّبَ»[2] وقد قدمنا من نصوص الحشر وأحوال الموقف والميزان ونشر الصحف والعرض والحساب والصراط والشفاعات وغيرها ما يعلم به تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم فى الآخرة بحسب تفاوتهم فى الدار الدنيا فى طاعة ربهم وضدها من سابق ومقتصد وظالم لنفسه.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الذى أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٨) ومسلم (١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٠٣ و ٦٥٣٧) ومسلم (٢٨٧٦).

والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات : الأولى : قوم رجحت حسناتهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولا تمسهم النار أبدًا . الطبقة الثانية : قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم وتكافأت فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار ، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ما شاء الله أن يوقفوا ، ثم يؤذن لهم في دخول الجنة ، كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٤-٤٩] . الطبقة الثالثة : قوم لقوا الله تعالى مصرين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد ، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم ، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم فمنهم من تأخذه إلى كعبيه ، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه إلى حقويه ، ومنهم فوق ذلك ، حتى إن منهم من لم يحرم منه على النار إلا أثر السجود ، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه ، فيحدُّ لهم حدًّا فيخرجونهم ثم يحد لهم حدًّا فيخرجونهم ، ثم هكذا فيخرجون من كان في قلبه وزن دينار من خير ، ثم من كان في قلبه نصف دينار من خير ، ثم برة . ثم خردلة . ثم ذرة . ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء : ربنا لم تذر فيها خيرا ، ويخرج الله تعالى من النار أقوامًا لا يعلم عدتهم إلا هو بدون شفاعة الشافعين ، ولم يخلد في النار أحد من الموحدين ولو عمل أي عمل ، ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانًا وأخف ذنبًا كان أخف عذابًا في النار وأقل مكثًا فيها وأسرع خروجًا منها ، وكل من كان أضعف إيمانًا وأعظم ذنبًا كان بضد ذلك والعياذ بالله ، والأحاديث في هذا الباب لا تحصى كثرة ، وقد قدمنا منها ما فيه كفاية . وإلى هذا المعنى أشار النبي ﷺ بقوله : «**مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّه ، نَفَعَتْهُ يَوْمًا مِنَ الدَّهْر ، أَصَابَهُ قَبْلَ ذَلِكَ مَا**

أَصَابَهُ»[١] وهذا مقام ضلت فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى فى كتاب التوحيد بعد سرده أحاديث الشفاعة بأسانيدها قال[٢]: قد روينا أخبارًا عن النبى ﷺ يحسب كثيرٌ من أهل الجهل والعناد أنها خلاف هذه الأخبار التى ذكرناها مع كثرتها وعدالة ناقليها فى الشفاعة وفى إخراج بعض أهل التوحيد من النار بعد ما دخلوها بذنوبهم وخطاياهم، وليست بخلاف تلك الأخبار عندنا بحمد الله ونعمته. وأهل الجهل الذين ذكرتهم فى هذا الفصل صنفان: صنف منهم من الخوارج والمعتزلة أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار وأنكرت هذه الأخبار التى ذكرناها فى الشفاعة. الصنف الثانى الغالية من المرجئة التى تزعم أن النار حرمت على من قال لا إله إلا الله تتأول هذه الأخبار التى رويت عن النبى ﷺ فى هذ اللفظة على خلاف تأويلها.

فأول ما نبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها وألفاظ متونها ثم نبين معانيها بعون الله ومشيئته ونشرح ونوضح أنها ليست بمخالفة للأخبار التى ذكرناها فى الشفاعة وفى إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من النار. ثم ساق منها حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، وَ لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ**»[٣] وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَا يَقُولُهَا عَبْدٌ حَقًّا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حُرِّمَ عَلَى النَّارِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»[٤].

وحديث عثمان بن مالك: قال رسول الله ﷺ: «**لَنْ يُوَافِيَ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ** - وفى رواية: **فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ**

---

(١) صحيح الإسناد: وسبق تخريجه والكلام عليه عند الكلام عن شروط كلمة التوحيد.

(٢) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة، قبل حديث (٧٢٥) وهو تحت الطبع بتحقيقي.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٩١)، وابن خزيمة في التوحيد (٧٢٥) وغيرهما.

(٤) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٣١) عن علي بن عيسى البغدادي عن عبد الوهاب بن عطاء عن سعيد عن قتادة عن مسلم بن يسار عن حمران عن عثمان عن عمر مرفوعًا به، وشيخ ابن خزيمة ضعيف، ومن طريق ابن خزيمة أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٢٠٤)، لكن شيخ ابن خزيمة متابع عند الحاكم في «المستدرك» (٢٤٢ و١٢٩٨) من يحيى بن أبي طالب والحارث بن أبي أسامة، وبه يصح الحديث، والله أعلم.

أَنْ تَأْكُلَ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»[١].

وحديث عثمان عن النبى ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٢].

وحديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٣].

وحديث عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ لَقِيَ اللَّهَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ» وفى رواية: «حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»[٤].

وحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعثه فقال: «اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ أَنَّ مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُوقِنًا - أَوْ مُخْلِصًا - دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٥].

وحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال «قال رجل: يا رسول الله ما تركت من حاجة ولا داجة إلا أتيت عليها، قال: «أَوَ تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟» قال: نعم، قال: «فَإِنَّ هَذَا يَأْتِي عَلَى ذَلِكَ كُلِّهِ»[٦].

وحديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله أمره أن يؤذن فى الناس أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصًا فله الجنة. قال عمر: يا رسول الله إذا يتكلوا. قال: «فَدَعْهُمْ»[٧].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٢٣)، ومسلم (٣٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٣٢) وغيرهم.

قلت (يحيى): وإنما أقوم بتخريج الحديث من كتاب «التوحيد» لابن خزيمة مع كون الحديث في غيره من المصادر القريبة لأن المصنف هنا ينقل عن كتاب «التوحيد».

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٤٥).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٤٧)، واللفظ له.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٦٢ و٧٦٣)، واللفظان لابن خزيمة، ولفظ مسلم: «حرمه الله على النار».

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٩٣) بنحوه من حديث جابر، وهذا اللفظ أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٦٥) وفي إسناده مقال.

(٦) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٦٧) بإسناد صحيح.

(٧) ضعيف الإسناد، وأصل الحديث صحيح: أما هذا فأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٦٨) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن ابن عمر عن عمر، وإسناده ضعيف لضعف ابن عقيل، لكن صحَّ معناه من حديث أبي هريرة ومن حديث معاذ.

وحديث عبد اللّه بن سلام قال : سمعت رسول اللّهﷺ يقول : «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»(١) .

وحديث أبى ذر رضي الله عنه قال : قال رسول اللّهﷺ : «قَالَ لِي جِبْرِيلُ : مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ -أَوْ لَمْ يَدْخُلِ النَّارَ- قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»(٢) .

وحديث أبى الدرداء عن النبىﷺ أنه قرأ : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن : الآية ٤٦] قلت : وإن زنى وإن سرق يا رسول اللّه، قال : فقرأها رسول اللّهﷺ : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلت : فإن زنى وإن سرق يا رسول اللّه قال : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلت : يا رسول اللّه وإن زنى وسرق يا رسول اللّه؟ قال : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلت : يا رسول اللّه وإن زنى وسرق؟ قال : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ وَإِنْ زَنَى وَسَرَقَ، وَرَغِمَ أَنْفُ أَبِي الدَّرْدَاءِ» فلا أزال أقرؤها كذلك حتى ألقاه(٣) .

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه : «قال رسول اللّهﷺ كلمة وأنا أقول أخرى، قال : «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَجْعَلُ لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» . قال : وأقول : من مات وهو لا يجعل للّه ندًا دخل الجنة»(٤) .

قال أبو بكر(٥) : قد كنت أمليت أكثر هذا الباب من كتاب الإيمان وبينت فى ذلك الموضع معنى هذه الأخبار وأن معناها ليس كما يتوهمه المرجئة . وبيقين يعلم كل عالم من

---

(١) صحيح : أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٧٥) بإسناد صحيح، وما بين المعقوفين زيادة من كتاب «التوحيد».

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (١٢٣٧)، ومسلم (٩٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٧٦)، واللفظ لابن خزيمة.

(٣) صحيح : أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٧) والنسائي في «الكبرى» (١١٥٦٠) عن إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن أبي حرملة عن عطاء بن يسار عن أبي الدرداء مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٧٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٥٦١) عن مؤمل بن هشام عن إسماعيل بن هشام، عن الجريري عن موسى عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبي الدرداء. وهذا إسناد ضعيف قال ابن حجر في التقريب : موسى غير منسوب، شيخ لسعيد الجريري مجهول.

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٩٧)، ومسلم (٩٢)، وابن خزيمة في التوحيد (٧٨١).

(٥) هو ابن خزيمة في كتابه التوحيد، بعد حديث رقم (٧٨١).

أهل الإسلام أن النبي ﷺ لم يرد بهذه الأخبار أن من قال لا إله إلا اللّه أو زاد معها شهادة أن محمدًا رسول اللّه ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب اللّه ﷻ ولا بجنة ولا نار ولا بعث ولا حساب أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار وإن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم وخلاف كتاب اللّه ﷻ وخلاف سنن النبي ﷺ لجاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبي ﷺ إذا تؤوّلت على ظاهرها أستحق من يعلم أن اللّه ربه وأن محمدًا نبيه وإن لم ينطق بذلك لسانه ولا يزال يسمع أهل الجهل والعناد يحتجون بأخبار مختصرة غير متقصاة وبأخبار مجملة غير مفصلة لا يفهمون أصول العلم فيستدلون بالمقتضى من الأخبار على مختصرها وبالمفسر منها على مجملها . قد ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ بلفظة لو حملت على ظاهرها كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها في شهادة أن لا إله إلا اللّه على ظاهرها لكان العالم بقلبه أن لا إله إلا اللّه مستحقًّا للجنة وإن لم يقرَّ بذلك بلسانه ولا أقرَّ بشيء مما أمر اللّه تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء مما أمر اللّه بالإيمان به . ولا عمل بجوارحه شيئًا أمر اللّه به، ولا انزجر عن شيء حرمه اللّه من سفك دماء المسلمين وسبي ذراريهم وأخذ أموالهم واستحلال حرمهم، فاسمع الخبر الذي ذكرت أنه غير جائز أن يحمل على ظاهره كما حملت المرجئة الأخبار التي ذكرناها على ظاهرها[1]، ثم ذكر حديث عثمان عن النبي ﷺ قال: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[2] وحديث عمران بن حصين سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**من علم أن اللّه ربه وأني نبيه صادقًا من قلبه - وأومأ بيده إلى فلذة صدره - حرم اللّه لحمه على النار**»[3]. وحديث معاذ رضي الله عنه سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**مَنْ مَاتَ وَهُوَ يُوقِنُ بِقَلْبِهِ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ، وَأَنَّ السَّاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**»، قال ابن سيرين: إما: **دَخَلَ الْجَنَّةَ**، وإما قال: **دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[4] كيف جاز للجهمي الاحتجاج بهذه

---

(١) هذا آخر كلام ابن خزيمة.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٦)، وابن خزيمة (٧٨٢).

(٣) ضعيف: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٩٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٢٤ ح٢٥٣)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٤٠٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٣٠٧)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩)، وقال: رواه الطبراني في «الكبير» وفي إسناده عمر بن محمد بن عمر بن صفوان وهو واهي الحديث.

(٤) صحيح: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٧٩٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٨٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٦٩ ح٣٥٩) من طريق هشام بن حسان عن ابن سيرين عن ابن الديلمي - وهو=

الأخبار؟[١] أن المرء يستحق الجنة بتصديق القلب أن لا إله إلا الله وبأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من فى القبور، ويترك الاستدلال بما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى من معنى هذه الأخبار، لم يؤمن أن يحتج جاهل لم يعرف دين الله ولا أحكام الإسلام بخبر عثمان عن النبى ﷺ: «**من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة**»[٢] فيدعى أن جميع الإيمان هو العلم بأن الصلاة عليه حق واجب وإن لم يقر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به ولا صدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به ولا أطاع فى شيء أمر الله به ولا انزجر عن شيء حرمه الله، إذ النبى ﷺ قد أخبر أن من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة كما أخبر أن من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة[٣] ثم ذكر حديث عثمان بسنده[٤]، وقال أبو بكر: فإن جاز الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر فى الإيمان واستحقاق المرء به الجنة وترك الاستدلال بالأخبار المفسرة المتقصاة لم يؤمن أن يحتج جاهل معاند فيقول: بل الإيمان إقام صلاة الفجر وصلاة العصر وأن مصليها يستوجب الجنة ويعاذ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقر به، ولا يعمل بشيء من الطاعات التى فرض الله على عباده، ولا انزجر عن شيء من المعاصى التى حرمها الله، ويحتج بخبر عمار بن روبية فذكره بإسناده إلى عمار بن روبية رضي الله عنه[٥] قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ**» فقال رجل من أهل البصرة: وأنا سمعته عن رسول الله ﷺ[٦] قال أبو بكر: قد أمليت طرق هذا الخبر فى كتاب المختصر من كتاب الصلاة مع أخبار النبى ﷺ: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ**»[٧] وكل عالم يعلم دين

= عبد الله - عن معاذ بن جبل به. وأصل الحديث في «الصحيحين» وغيرهما من حديث معاذ بلفظ مقارب.

(١) هذا كلام ابن خزيمة رحمه الله في «التوحيد»، عقب حديث (٧٩٥).

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٦٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٩٦)، وعبد بن حميد (٤٩)، والحاكم (٢٤٣) من طريق عمران بن حدير عن عبد الملك بن عبيد عن عمران بن أبان عن عثمان بن عفان مرفوعًا، وإسناده ضعيف، عبد الملك بن عبيد السدوسي مجهول الحال.

(٣) آخر كلام ابن خزيمة في «التوحيد».

(٤) ضعيف الإسناد: وسبق قبل تعليق.

(٥) آخر كلام ابن خزيمة.

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٦٣٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٩٩).

(٧) صحيح: أخرجه مسلم (٦٥٧)، والترمذي (٢٢٢)، وأحمد (٤/ ٣١٣)، وغيرهم من حديث جندب مرفوعًا.

الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتين لا توجبان الجنة مع ارتكاب جميع المعاصي، إنها إنما رويت في فضائل هذه الأعمال، وإنما رويت أخبار النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ» فضيلة لهذا القول، لا أن هذا القول كل الإيمان[1]، قلت: للا إله إلا الله لوازم ومقتضيات وشروط مقيد دخول الجنة بالتزام قائلها لجميعها واستكماله إياها كما قدمنا بسطه ولله الحمد. قال رحمه الله تعالى[2]: ولئن جاز لجاهل أن يقول إن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النبي ﷺ أخبر أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار لم يؤمن أن يدعى جاهل معاند أيضًا أن جميع الإيمان القتال في سبيل الله فواق ناقة فيحتج بقول النبي ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[3] كاحتجاج المرجئة بقول النبي ﷺ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ»[4]، ويقول معاند آخر جاهل إن الإيمان بكماله المشي في سبيل الله حتى تغبّر قدما الماشي ويحتج بقول النبي ﷺ: «مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»[5] وبقوله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ مُسْلِمٍ أَبَدًا»[6] ويدعى جاهل آخر أن الإيمان كله عتق رقبة مؤمنة ويحتج بأن

---

(١) كتاب «التوحيد» لابن خزيمة، عقب حديث (٧٩٩)، والقائل: قلت. هو المصنف رحمه الله.

(٢) يعني ابن خزيمة في كتاب «التوحيد».

(٣) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه الترمذي (١٦٥٠)، وأحمد (٢/ ٤٤٦ و٥٢٤)، والحاكم (٢٣٨٢) من طريق هشام بن سعد عن سعيد بن أبي هلال عن ابن أبي ذباب عن أبي هريرة مرفوعًا، وحسنه الترمذي وصححه الحاكم، وفي إسناده هشام بن سعد متكلم فيه، وحديثه قابل للتحسين، وأخرجه الترمذي (١٦٥٧)، والنسائي في «المجتبى» (٦/ ٢٥)، وفي الكبرى (٤٣٤٩)، وابن ماجه (٢٧٩٢)، وأحمد (٥/ ٤٤٤)، والحاكم (٢٤١٠) من طريق ابن جريج عن سليمان بن موسى عن مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل مرفوعًا به، وهذا إسناد لا بأس به، وسليمان فيه كلام يسير، لكنه متابع عند أحمد (٥/ ٢٣٥)، والدارمي (٢٣٩٤) من خالد بن معدان. وتابعهما كثير بن مرة، عند أحمد (٥/ ٢٤٣)، وابن حبان (٤٦١٨)، وأبو داود (٢٥٤١).

(٤) صحيح: وسبق تخريجه.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٩٠٧)، والترمذي (١٦٣٢)، والنسائي (٦/ ١٤)، وغيرهم من حديث أبي عبس مرفوعًا به.

(٦) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٣٣ و٢٣١١)، والنسائي (٦/ ١٢)، وأحمد (٢/ ٥٠٥) من طريق المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده صحيح، ورواه عن المسعودي يزيد بن هارون، وابن المبارك. والمسعود يتابع من ابن عيينة عن ابن ماجه (٢٧٧٤)، ومن مسعر بن كدام عند النسائي (٦/ ١٢)، والحميدي (١٠٩١)، وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة.

النبى ﷺ قال: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُؤْمِنَةً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ»(١).

ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان البكاء من خشية الله تعالى ويحتج بقول النبى ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى»(٢)، ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان صوم يوم فى سبيل الله ويحتج بأن النبى ﷺ قال: «مَنْ صَامَ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بَاعَدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا»(٣).

ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان قتل كافر ويحتج بقول النبى ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا»(٤) ثم ذكره بسنده عن أبى هريرة ﷺ، ثم قال رحمه الله تعالى(٥): وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب، وفى قدر ما ذكرناه غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبى ﷺ إنما أخبر بفضائل هذه الأعمال التى ذكرناها وما هو مثلها لا أن النبى ﷺ أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أن جميع الإيمان. وكذلك إنما أراد النبى ﷺ بقوله: «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» أو «حَرُمَ عَلَى النَّارِ» فضيلة لهذا القول لا أنه جميع الإيمان كما ادَّعى من لا يفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها. ومعنى قوله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ كَافِرٌ وَقَاتِلُهُ فِي النَّارِ أَبَدًا» هذا لفظ مختصره الخبر المقتضى لهذه اللفظة المختصرة ما حدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا شعيب بن الليث قال حدثنا الليث عن محمد بن العجلان عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي النَّارِ اجْتِمَاعًا يَضُرُّ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ، مُؤْمِنٌ قَتَلَ كَافِرًا ثُمَّ سَدَّدَ»(٦) يعنى أحدهما مسلم قتل كافرًا ثم سدد المسلم وقارب،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧١٥)، ومسلم (١٥٠٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (١٦٣٣)، والنسائي (٦/ ١٢)، وأحمد (٢/ ٥٠٥)، وغيرهم من طريق المسعودي عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن عيسى بن طلحة عن أبي هريرة مرفوعًا به.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، ومسلم (١١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا به.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٩١)، وأبو داود (٢٤٩٥)، وأحمد (٢/ ٣٩٧ و٤١٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٥) يعني ابن خزيمة في كتاب «التوحيد»، عقب حديث (٨٠٨).

(٦) صحيح: أخرجه مسلم (١٨٩١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٠٩)، واللفظ له، والنسائي (٦/ ١٢)، وأحمد (٢/ ٣٤٠ و٣٩٩)، والحاكم (٢٣٩٤)، وغيرهم من طريق سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا به، ولفظ مسلم: «لا يجتمعان في النار اجتماعًا يضر أحدهما الآخر، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: مؤمن قتل كافرًا ثم سدد».

قال أبو بكر[١]: لذاك نقول في فضائل الأعمال التي ذكرناها: من عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال ثم سدد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة ولم يدخل النار موضع الكفر منها وإن ارتكب بعض المعاصي، لذاك لا يجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول في موضع واحد من النار، لا أنه لا يدخل النار ولا موضعًا منها وإن ارتكب جميع الكبائر خلا الشرك بالله ﷻ إذا لم يشأ تعالى أن يغفر له ما دون الشرك، فقد أخبر الله ﷻ أن للنار سبعة أبواب فقال لإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: الآية ٤٢]– إلى قوله – ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: الآية ٤٤] فأعلمنا ربنا ﷻ أنه قسم تابعي إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار، فجعل لكل باب منهم جزءًا معلومًا، واستثنى عباده المخلصين من هذا القسم، فكل مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس، والله ﷻ قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك وإن لم يتب منها لذاك أعلمنا في محكم تنزيله قوله ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨] وأعلمنا خالقنا ﷻ أن آدم الذي خلقه الله بيده وأسكنه جنته وأمر ملائكته بالسجود له عصاه فغوى، وأنه ﷻ برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى، ولم يحرمه الله بارتكاب هذا الحوب بعد ارتكابه إياه، فمن لم يغفر الله له حوبته التي ارتكبها وأوقع عليه اسم غاو فهو داخل في الأجزاء جزءًا وقسما لأبواب النار السبعة، وفي ذكره آدم ﷺ وقوله ﷻ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: الآية ١٢١] ما يبين ويوضح أن اسم الغاوي قد يقع على مرتكب خطيئة قد زجر الله عن إتيانها وإن لم تكن تلك الخطيئة كفرًا ولا شركًا ولا ما يقاربهما يشبههما، ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله ﷻ قلبه ولسانه المطيع لخالقه في أكثر ما فرض الله عليه وندبه إليه من أعمال البر غير المفروض عليه والمنتهي عن أكثر المعاصي وإن ارتكب بعض المعاصي والحوبات في قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة له أو صاحبة أو ولدًا – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – ولم يؤمن بشيء مما أمر الله تعالى بالإيمان به ولا أطاع الله في شيء أمر به من الفرائض والنوافل ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها محال أن يجتمع هذان في درجة واحدة من النار، والعقل مركب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوبًا لم يتجاوز الله عن ذنوبه كان أشد عذابًا في النار، كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثر طاعة لله ﷻ وتقربًا إليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة في الجنان وأعظم ثوابًا وأجزل نعمة، فكيف يجوز أن يتوهم عاقل مسلم أن أهل التوحيد

(١) هو ابن خزيمة في «التوحيد»، عقب حديث (٨٠٩).

يجتمعون فى النار فى الدرجة مع من كان يفترى على اللَّه ﷻ فيدعو له شريكًا وشركًا فيدعو له صاحبة وولدًا ويكفر به ويشرك ويكفر بكل ما أمر اللَّه بالإيمان به ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض ويرتكب جميع المعاصى فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان، فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بدًّا من تكذيب الأخبار الثابتة من التى ذكرتها عن النبى ﷺ فى إخراج أهل التوحيد من النار، إذ محال أن يقال اخرجوا من النار من ليس فيها، وأكثر استحالة من هذا أن يقال يخرج من النار من ليس فيها، وفى إبطال أخبار النبى ﷺ اضمحلال الدين وإبطال الإسلام، واللَّه ﷻ لم يجمع بين جميع الكفار فى موضع واحد من النار ولا سوى بين عذاب جميعهم، قال اللَّه ﷻ ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: الآية ١٤٥] وقال ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: الآية ٤٦][١].

ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلهم وكفر به الخوارج وردوه بباطل آخر، شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ فى بيان ما تشبث به الخوارج واحتجوا به على باطلهم، وما كفر به المرجئة وردوه بباطل آخر، فقال رحمه اللَّه تعالى: باب ذكر أخبار رويت عن النبى ﷺ ثابتة من جهة النقل جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج احتجوا بها وادعوا أن مرتكب الكبيرة إذا مات قبل التوبة منها مخلد فى النار محرم عليه الجنان والفرقة الأخرى المرجئة كفرت بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلًا منها بمعانيها. وأنا ذاكرها بأسانيدها وألفاظ متونها ومبين معانيها بتوفيق اللَّه.

ثم ذكر بأسانيده حديث أسامة بن زيد وسعد بن أبى وقاص وأبى بكرة وسعد بن أبى مالك رضي الله عنه، قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ فَالْجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ**»[٢].

وحديث عبد اللَّه بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «**مَنِ انْتَسَبَ لِغَيْرِ أَبِيهِ فَلَنْ يُرَحْ بِرِيحِ**

---

(١) آخر كلام ابن خزيمة، والمصنف رحمه اللَّه يتصرف في بعض الألفاظ، فمن ذلك قوله: وأكثر استمالة، وهي في كتاب «التوحيد»: وأمحل من هذا. وقول المصنف: اضمحلال الدين، بينما في «التوحيد» دروس الدين. والمعنى واحد. ولعل ذلك في نسخة المصنف رحمه اللَّه من كتاب «التوحيد».

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٦٦ و٦٧٦٧)، ومسلم (٦٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨١٠-٨١٩) من حديث سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة رضي اللَّه عنهما، وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨١٦) من حديث أسامة بن زيد، ووقع بالأصل هنا: وسعد بن أبي مالك، وهو خطأ، صوابه: سعد بن مالك، وهو نفسه سعد بن أبي وقاص.

الْجَنَّةِ، وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا»[١].

وحديث حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَّاتٌ»[٢] وفي رواية: «نَمَّامٌ»[٣] وحديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ فَقَدْ أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ النَّارَ وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ». «فقال رجل: وإن كان شيئًا يسيرًا؟ قال: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»[٤].

وحديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ «لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمر»[٥].

وحديث جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ»[٦] وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث ورجلة النساء»[٧].

وحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن خمر، والمنان بما أعطى»[٨].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ١٧١ و١٩٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٢٠) من طريق محمد بن جعفر ووهيب بن جرير عن شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا به.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٥٦)، ومسلم (١٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٢٢).

(٣) صحيح: وهي رواية لمسلم (١٠٥) ولابن خزيمة في «التوحيد» (٨٢٣).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٣٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٢٥).

(٥) ضعيف: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٤٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٤ و٢٠١ و٢٠٣)، والنسائي (٨/ ٣١٨)، والدارمي (٢٠٩٣ و٢٠٩٤)، وابن حبان (٣٣٨٣ و٣٣٨٤)، وغيرهم من طريق سالم بن أبي الجعد عن نبيط بن شريط عن جابان عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا به، وإسناده ضعيف لضعف نبيط وجابان، وبعضهم يسقط من إسناده نبيط، ويزيد في متنه: ولد الزنية.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٤١).

(٧) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٤٢) من طريق عبد الله بن يسار الأعرج عن سالم بن عبد الله عن أبيه عن عمر بن الخطاب مرفوعًا به، وأخرجه النسائي (٥/ ٨٠)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، وابن حبان (٧٣٤٠)، وأبو يعلى (٥٥٥٦)، والحاكم (٢٤٤) جميعًا من طريق عبد الله بن يسار الأعرج به، لكن جعلوه من مسند ابن عمر لا من مسند أبيه، وإسناده ضعيف، عبد الله بن يسار الأعرج مجهول الحال.

(٨) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٤٣)، والنسائي (٥/ ٨٠)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، وأبو يعلى (٥٥٥٦) من طريق عبد الله بن يسار الأعرج بمثل الإسناد السابق عن ابن عمر مرفوعًا به، وإسناده ضعيف لجهالة حال عبد الله بن يسار.

وحديث أبى بكرة عن النبى ﷺ قال: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدَةً بِغَيْرِ حَقِّهَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ أَنْ يَشُمَّ رِيحَهَا»[١].

ثم قال رحمه اللَّه تعالى[٢]: معنى هذه الأخبار إنما هو على أحد معنيين:

أحدهما: لا يدخل الجنة أى بعض الجنان، إذ النبى ﷺ قد أعلم أنها جنان من جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبار التى ذكرناها من فعل كذا لبعض المعاصى حرم اللَّه عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناه لا يدخل بعض الجنان التى هى أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيمًا وسرورًا وبهجة وأوسع لأنه أراد لا يدخل شيئًا من تلك الجنان التى هى فى الجنة، وعبد اللَّه بن عمرو قد بين خبره الذى روى عن النبى ﷺ: «لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر»[٣] أنه إنما أراد حظيرة القدس من الجنة على ما تأولت على أحد المعنيين[٤].

ثم ساق بإسناده عن عبد اللَّه بن عمرو أنه قال: «لا يدخل حظيرة القدس سكير ولا عاق ولا منان»[٥].

قال[٦]:

والمعنى الثاني: ما قد أعلمت أصحابى ما لا أحصى من مرة أن كل وعيد فى الكتاب

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٤٩) والنسائي (٨/ ٢٥)، وأحمد (٥/ ٣٦ و٣٨ و٥٢) من طرق عن يونس بن عبيد عن الحكم بن عبد اللَّه بن الأعرج عن الأشعث بن ثرملة عن أبي بكرة مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وله طرق أخرى عن الحسن عن أبي بكرة، وله شاهد من حديث أبي هريرة، وآخر من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص أخرجه البخاري (٣١٦٦ و٦٩١٤) وغيره.

(٢) ابن خزيمة في التوحيد عقب حديث (٨٥٧).

(٣) حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ضعيف، وقد سبق قريبًا.

(٤) آخر كلام ابن خزيمة.

(٥) **حسن موقوفًا**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٥٨ و٨٥٩) من طريقين عن شعبة عن يعلى بن عطاء عن نافع بن عاصم بن مسعود عن عبد اللَّه بن عمرو موقوفًا، وهذا إسناد حسن إلى عبد اللَّه، ونافع وثقه العجلي وابن حبان ولم يجرح. وروى عنه رجلان، ووقع بالتوحيد: بن عروة بن مسعود، وهو خطأ، صوابه: نافع بن عاصم بن مسعود، وقال عنه الحافظ في «التقريب»: صدوق، وباقي رجال الإسناد ثقات، وقد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٥٨٤) و(٢٦٥٩٠) عن غندر عن شعبة بهذا الإسناد عن عبد اللَّه بن عمرو موقوفًا لفظين: الأول: لا يدخل حظير القدس متكبر. والثاني: لا يدخل حظيرة القدس منان.

(٦) هو ابن خزيمة في كتاب التوحيد. عقب حديث (٨٥٩).

والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، أى إلا أن يشاء الله تعالى أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذ الله ﷻ قد خبر فى محكم كتابه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشرك من الذنوب فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: الآية ٤٨]، قد أمليت هذه المسألة فى كتاب «معانى القرآن» الكتاب الأول، واستدللت أيضًا بخبر عن النبى ﷺ بهذا المعنى وساق بإسناده إلى قيس بن محمد بن الأشعث أن الأشعث وهب له غلامًا، فغضب عليه وقال: والله ما وهبت لك شيئًا، فلما أصبح رده عليه وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَهُوَ مُجْتَمِعٌ عَلَيْهِ غَضْبَانُ إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ»[1]، قلت: وتقدم حديث عبادة بن الصامت فى قصة البيعة، وهو دليل على هذا المعنى، قال أبو بكر[2]: فاسمعوا الخبر المصرح بصحة ما ذكرت أنها جنان فى جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها على الانفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار التى ذكرنا عن النبى ﷺ من فعل كذا وكذا لبعض المعاصى لم يدخل الجنة إنما أراد بعض التى هى أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيمًا وأوسع، إذ محال أن يقول النبى ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لا يدخل شيئًا من الجنان، ويخبر أنه يدخل الجنة فتكون إحدى الكلمتين دافعة الأخرى وأحد الخبرين دافعًا الآخر، لأن هذا الجنس مما لا يدخله التناسخ، ولكنه من ألفاظ العام الذى يراد به الخاص، ثم ساق بإسناده إلى أنس بن مالك ﷺ: أن الربيع أتت النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله أنبئنى عن حارثة أصيب يوم بدر فإن كان فى الجنة صبرت واحتسبت، وإن كان غير ذلك اجتهدت فى البكاء، فقال: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى»[3] قال أبو بكر[4]: قد أمليت أكثر طرق هذا الخبر فى كتاب الجهاد، وقد أمليت فى كتاب ذكر نعيم الجنة ذكر درجات الجنة وبعد ما بين الدرجتين. منها أن إخبار النبى ﷺ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ.

---

(١) صحيح بشواهده: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٦٠) بهذا اللفظ، وفي إسناده ضعف، لكن له شاهد من حديث ابن مسعود مرفوعًا أخرجه البخاري (٢٦٦٦ و ٢٦٧٠)، ومسلم (١٣٨) ومن حديث أبي هريرة عند البخاري (٧٤٤٦) وغيره.

(٢) هو ابن خزيمة في «كتاب التوحيد» عقب حديث (٨٦٠).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٨٠٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٦١) وغيرهما.

(٤) ابن خزيمة في «التوحيد» عقب حديث (٨٦٥).

وقول بعض أصحابه: تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»(١).

وأمليت أخبار النبي ﷺ بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام. فمعنى هذه الأخبار التى فيها ذكر بعض الذنوب التى يرتكبها بعض المؤمنين أن مرتكبها لا يدخل الجنة. معناها لا يدخل العالى من الجنان التى هى دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب والحوبات والخطايا. ثم قال: وقد يجوز أن يقول ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنة التى يدخلها فيه من لم يرتكب هذه الحوبة. لأنه يحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب. إن كان ذلك الذنب مما يستوجب به المرتكب النار إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب فمعنى هذه الأخبار على هذه المعانى لأنها إذا لم تحمل على هذه المعانى كانت على وجه التهاتر والتكاذب وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ على ما قال على بن أبى طالب رضي الله عنه إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ فظنوا به الذى هو أهناه وأهداه وأتقاه(٢)، ثم ساقه بإسناده عن على رضي الله عنه فذكره. انتهى كلامه رحمه الله تعالى باختصار بعض مكرره فلا تستطله فإنه كلام متين من إمام متضلع من معانى الكتاب والسنة ذى خبرة وعلم لمواردها ومصادرها. وقوله رحمه الله تعالى. وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ لم يعن رحمه الله التأويل الذى اصطلحه المتكلمون لصرف النصوص عن معانيها إلى الاحتمالات البعيدة التى هضموا بها معانى النصوص بما اقتضته عقولهم السخيفة وليس ذلك من طريقته ولا من شأنه رحمه الله وإنما عنى ما أشار إليه فى غير موضع من كتبه من حمل المجمل على المفسر، والمختصر على المقتصى، والمطلق على المقيد، والعموم على الخصوص، وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوص ومدلولاتها لئلا تكون متناقضة يرد بعضها معنى بعض، لأن ذلك مما ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله ﷺ. وهذه طريقة جميع أئمة المسلمين من علماء التفسير والحديث والفقه فى أصول الدين وفروعه رحمهم الله تعالى ورضى

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٥٦)، ومسلم (٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) **صحيح الإسناد إلى علي**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٨٦٦) من طريق محمد بن جعفر ويحيى بن سعيد عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي موقوفًا، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ١٢٢ و١٣٠ و١٣١) من طرق فيها اختلاف كثير يقارب الاضطراب، والله أعلم.

عنهم .

مسألة : فإن قيل ، وما الجمع بين ما تقدم من حديث عبادة بن الصامت فيمن ارتكب حدًّا لم يقم عليه قال فهو إلى اللَّه إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه [1]، وبين ما صرحت به النصوص التى فى الميزان والحساب والجنة من أن من رجحت خطاياه وسيئاته بحسناته تمسه النار ولا بد . قلنا لا إشكال فى ذلك ولا منافاة ولله الحمد . وقد حصل الجمع الفاصل للنزاع بحديث عائشة ﵂ الذى ذكرنا فى شرح البيت الأدنى بأن من يشأ ﷻ أن يعفو عنه يحاسبه الحساب اليسير الذى فسره النبى ﷺ العرض وقال فى معنى العرض فى الأحاديث السابقة فى صفته : «يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ ﷻ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ : عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا . فَيَقُولُ : نَعَمْ وَيَقُولُ : عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا . فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَرِّرُهُ ثُمَّ يَقُولُ : إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ» [2].

وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن ناقش الحساب وقد قال رسول اللَّه «مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ» [3]، نسأل اللَّه ﷻ أن ييسر حسابنا ويتجاوز عنا ويغفر لنا بمنه وكرمه آمين .

٥- عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها

وَلَا نُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَا ... إِلَّا مَعَ اسْتِحْلَالِهِ لِمَا جَنَى

«**ولا نكفر بالمعاصى**» التى قدمنا ذكرها وأنها لا توجب كفرًا . والمراد بها الكبائر التى ليست بشرك ، ولا تستلزمه ولا تنافى اعتقاد القلب ولا عمله «**مؤمنًا**» مقرًّا بتحريمها معتقدًا له ، مؤمنًا بالحدود المترتبة عليها ، ولكن نقول يفسق بفعلها ويقام عليه الحد بارتكابها وينقص إيمانه بقدر ما تجارأ عليه منها ، والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول اللَّه ﷻ ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝﴾ وما فى معناها من آيات الحدود والكبائر ، وقول النبى ﷺ «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ،

---

(١) حديث عبادة بن الصامت صحيح أخرجه البخاري (١٨)، ومسلم (١٧٠٩)، وفيه : «ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللَّه عليه فهو إلى اللَّه ، إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه» .

(٢) صحيح أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨) من حديث ابن عمر مرفوعًا به .

(٣) صحيح أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة مرفوعًا به .

وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»[1] الحديث فى «الصحيحين» وغيرهما عن أبى هريرة ﷺ. والدليل على أن النفى فى هذا الحديث وغيره ليس لمطلق الإيمان بل لكماله هو ما قدمنا من النصوص التى صرحت بتسميته مؤمنًا وأثبتت له أخوة الإيمان، وأبقت له أحكام المؤمنين.

«إلا مع استحلاله لما جنى» هذه هى المسألة الخامسة وهو أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ما حرَّم اللَّه ورسوله لو لم يعمل به لأنه حينئذ يكون مكذبًا بالكتاب ومكذبًا بالرسول ﷺ وذلك كفر بالكتاب والسنة والإجماع. فمن جحد أمرًا مجمعًا عليه معلومًا من الدين بالضرورة فلا شك فى كفره.

٦ - التوبة فى حق كل فرد إذا استكملت شروطها مقبولة ما لم يغرغر

وتُقْبَلُ التَّوبةُ قَبلَ الغَرْغَرَةْ كَمَا أتى في الشِّرْعةِ المطَّهرَةِ

هذه هى المسألة السادسة: وهى أن التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب كفرًا كان أو دونه. وقد دعا اللَّه تبارك وتعالى إليها جميع عباده فدعا إليها من قال المسيح هو اللَّه، ومن قال هو ثالث ثلاثة، ومن قال يد اللَّه مغلولة، ومن قال إن اللَّه فقير ونحن أغنياء، ومن دعا للَّه الصاحبة والولد فقال لهم جميعًا: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: الآية ٧٤]، ودعا إليها من هو أعظم محادة للَّه من هؤلاء وهو من قال أنا ربكم الأعلى ما علمت لكم من إله غيرى فقال اللَّه تبارك وتعالى لرسوله موسى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ وقال له في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ وفى الآية الأخرى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾، ودعا إلى التوبة من عمل أكبر الكبائر وهى الشرك وقتل النفس بدون حق والزنى، فقال اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَٰعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُولَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ ودعا إليها من كتم ما

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٨١٠)، ومسلم (٥٧) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

أنزل اللَّه من البينات والهدى فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ ودعا إليها المشركين قاطبة فقال بعد الأمر بقتلهم حيث وجدوا: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: الآية ٥] ودعا إليها المنافقين قاطبة فقال اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ﴾ ودعا إليها جميع المسرفين بأى ذنب كان فقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ الآيات وغيرها ما لا يحصى، بل لم يرسل اللَّه تعالى الرسل وينزل الكتب إلا دعوة منه لعباده إلى التوبة ليتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم.

وفى «الصحيح» من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ، كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ» (١).

وفيه عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه ﷻ قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» (٢).

وفيه عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٣٠٩) مختصرًا، وأخرجه مسلم (٢٧٤٧) من حديث أنس مرفوعًا، واللفظ لمسلم، وأخرجه مسلم وغيره من حديث البراء بن عازب وعبد اللَّه بن مسعود، والنعمان بن بشير.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨)، واللفظ لمسلم.

النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[١] وفيه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ»[٢] قال قتادة: فقال الحسن: ذكر لنا أنه «لما أتاه الموت ناء بصدره»[٣] وفي رواية: «فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ فَنَأَى بِصَدْرِهِ، ثُمَّ مَاتَ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهْلِهَا»[٤].

وفيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أناسًا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدًا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا هل لما عملنا كفارة؟ فنزل ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: الآية ٦٨] ونزل ﴿۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: الآية ٥٣][٥].

وقال محمد بن إسحاق: قال نافع عن عبد الله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما في حديثه قال «وكنا نقول: ما الله يقابل ممن افتتن صرفًا ولا عدلًا ولا توبة، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. قال فلما تقدم رسول الله ﷺ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٥٩) وغيره.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦)، واللفظ لمسلم.
(٣) وهو في رواية مسلم (٢٧٦٦)، لكن الحسن لم يذكر من حدثه بذلك.
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٦٦).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨١٠)، ومسلم (١٢٢).

المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ قال عمر رضي الله عنه : «فكتبتها بيدى فى صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام بن العاص رضي الله عنه» . قال فقال هشام : «لما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى ، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها ، حتى قلت : اللّهم أفهمنيها . قال : فألقى اللّه عز وجل فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا ، فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول اللّه ﷺ بالمدينة»[1] .

شروط التوبة النصوح

والأحاديث فى شأن التوبة والحث عليها وفى تكفيرها للذنوب كثيرة جدًا لها مصنفات مستقلة ، وحيث ذكرت من الآيات والأحاديث فإنما المراد بها التوبة النصوح ، وهى التى اجتمع فيها ثلاثة شروط : الأول : الإقلاع عن الذنب ، الثانى : الندم على فعله ، الثالث : العزم على أن لا يعود فيه . فإن كان فى ذلك الذنب حق لآدمى لزم استحلاله منه إن أمكن ، للحديث الذى قدمنا : «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ لِأَخِيهِ مَظْلَمَةٌ فَلْيَتَحَلَّلْ مِنْهُ الْيَوْمَ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ ثَمَّ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ»[2] الحديث فى الصحيح ، وهذه الشروط فى كيفية التوبة ، وأما الشرط فى زمانها فهو ما أشرنا إليه فى المتن بقولنا «قبل الغرغرة» وهى : حشرجة الروح فى الصدر ، والمراد بذلك : الاحتضار عندما يرى الملائكة ويبدأ بها السياق ، قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا

---

(١) حسن : أخرجه البزار في «مسنده» (١٥٥) ، وابن هشام في «السيرة» (٢/ ٣٢٣ طبعة دار الجيل) ، وابن جرير (٢٤/ ١٥) ، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٣) من طريق ابن إسحاق به ، وابن إسحاق صدوق ، وصرح بالتحديث عند جميعهم إلا ابن جرير ، وأخرجه الحاكم (٥٠٥٤) ، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٧٧ ح ٤٦٢) من طريق ابن إسحاق به مختصرًا ، وعندهما تصريح ابن إسحاق بالإخبار .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٢٤٤٩) ، وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا به .

﴿أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾. وعن أبي العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: «**كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة**»[١]، رواه ابن جرير، وقال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شيء عصى الله به فهو جهالة عمدًا كان أو غيره[٢].

وقال مجاهد: كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها[٣].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: من جهالته عمل السوء[٤]، وعنه رضي الله عنه قال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: الآية ١٧] قال: بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت[٥].

وقال الضحاك: ما كان دون الموت فهو قريب[٦]، وقال قتادة والسدى: «**ما دام فى صحته**» وهو مروى عن ابن عباس[٧].

وقال الحسن البصرى: «**ثم يتوبون من قريب ما لم يغرغر**»[٨].

وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب[٩].

وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ**

---

(١) حسن إلى أبي العالية: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٤/ ٢٩٨) عن بشر بن معاذ عن يزيد بن زريع، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة عن أبي العالية به.

(٢) في إسناده ضعف: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٨) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن قتادة، وفي رواية معمر عن قتادة ضعف.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٨) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وهذا منقطع.

(٤) في إسناده ضعف: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٢٩٩) وفي إسناده القاسم شيخ ابن جرير مجهول.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٠٠) من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وهذا منقطع.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٠١)، وفي إسناده رجل مبهم.

(٧) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٠٠) من طريق أسباط عن السدي، وإسناده ضعيف لضعف السدي، وبنحوه عن ابن عباس، لكن القاسم شيخ ابن جرير مجهول.

(٨) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٥٢)، وفي إسناده: مسكين بن عبد الله أبو فاطمة، وهو ضعيف، وترجمته باللسان (٦/ ٣٥).

(٩) في إسناده ضعف: أخرجه ابن جرير (٢٤/ ٣٠١)، وفي إسناده القاسم شيخ ابن جرير مجهول لا يعرف من هو. وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٠٤٩)، وفي إسناده: حفص بن عمر العدني وهو ضعيف.

مَا لَمْ يُغَرْغِرْ»[1] وله عن عبد الرحمن بن البيلمانى قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فقال أحدهم: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن اللَّه تعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم» فقال الآخر أنت سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ؟ قال نعم**. قال: وأنا سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن اللَّه يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم» فقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ؟ قال نعم**، قال: وأنا سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن اللَّه يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة»** وقال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن اللَّه يقبل توبة العبد ما لم يغرغر بنفسه»**[2]، وروى ابن مردويه عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إن اللَّه يقبل توبة عبده ما لم يغرغر»**[3].

وهذا توقيت زمان التوبة فى حق كل فرد من العباد، وأما فى حق عمر الدنيا، فقد تقدمت فى الآيات والأحاديث أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها، لأنها أول آيات القيامة العظام وحين الإياس من الدنيا، كما أن ملك الموت آية الانتقال من الدنيا وحين الإياس من الحياة، وكذلك الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب. قال اللَّه تبارك وتعالى ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٢/ ١٥٣)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأبو يعلى (٥٦٠٩ و٥٧١٧)، وعبد بن حميد (٨٤٧)، وعلي بن الجعد (٣٤٠٤)، وابن حبان (٦٢٨)، والحاكم (٧٦٥٩)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٤) من طرق جميعًا عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه عن مكحول عن جبير بن نفير عن ابن عمر مرفوعًا به، وصححه الحاكم، وحسنه الترمذي، وإسناده حسن، وعبد الرحمن صدوق، وفيه بعض كلام، لكن رواه عن وجماعة من الثقات.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٥)، و(٥/ ٣٦٢)، والحاكم (٧٦٦١) من طريق زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن البيلماني به، وإسناده ضعيف لضعف ابن البيلماني.

(٣) إسناده ضعيف جدًا أورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ١٩٨) من حديث أبي هريرة مرفوعًا به، وقال: رواه البزار وفيه: يزيد بن عبد الملك النوفلي، وهو متروك.

فصل: في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب يكفر من صدقه واتبعه

نَبِينَا مُحَمَّدٌ مِنْ هَاشِمِ   إِلَى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي

«نبينا محمد» ﷺ «من» ولد «هاشم» وهو ﷺ أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه: شيبة الحمد بن هاشم واسمه: عمرو بن عبد مناف واسمه: مغيرة بن قصى واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن الضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى. وأم عبد الله: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى. وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار. وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال. وأم عبد مناف: حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزامى. وأم قصى: فاطمة بنت سعيد بن سيل أحد الجدرة من جعثمة الأسد من اليمن. وأم كلاب: هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة. وأم مرة حبشية بنت شيبان بن محارب فهر بن مالك بن النضر. وأم كعب: ماوية بنت كعب بن القين بن الجسر من قضاعة، وأم لؤى: سلمى بنت عمرو الخزاعى، وأم غالب: ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة، وأم فهر: بن مالك جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمى، وأم مالك: عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان، وأم النضربرة: بنت مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر وأم كنانة: عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، وأم خزيمة امرأة من قضاعة، وأم مدركة بن إلياس: خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة. وأم إلياس بن مضر: جرهمية، وأم مضر: سودة بنت عك بن عدنان، وأم ربيعة أخى مضر: شقيقة بنت عك بن عدنان، وهاتان القبيلتان المضروب بهما المثل - ربيعة ومضر - ابنا نزار بن معد بن عدنان، ولمضر أخ شقيق وهو إياد بن نزار، ولربيعة أخ شقيق أيضًا وهو أنمار بن نزار.

وهذا هو النسب المتفق على سرده: لا خلاف فيه لأحد، كذا لا خلاف فى أن نسب عدنان إلى الذبيح إسماعيل الحليم بن إبراهيم الخليل - عليهما الصلاة والسلام - وكذا لا

خلاف فى أن إبراهيم ينتمى إلى سام بن نوح وهو أبو العرب قاطبة، وكذا لا خلاف فى أن نوحًا ينتمي إلى شيث بن آدم وهو وصى أبيه عليهم السلام. وإنما الخلاف فى كمية الآباء بين عدنان وإسماعيل بن إبراهيم، وبين إبراهيم وسام بن نوح، وبين نوح وشيث بن آدم، وقد كان كثير من أئمة الدين - كمالك بن أنس الإمام وغيره - يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان، ويقولون: هو رجم بالغيب، وما يدرى من يفعل ذلك، والله تعالى يقول: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ٣٨] وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: كان قوم من السلف - منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأودى ومحمد بن كعب القرظى - إذا تلوا: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: الآية ٩] قالوا: كذب النسابون، وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا بلغ عدنان يقول: كذب النسابون[1].

قال السهيلى: وقد رأى جماعة جواز ذلك، منهم ابن إسحاق والبخارى والزبير بن بكار والطبرى وغيرهم من العلماء، قال أبو عمر بن عبد البر: والذى عليه أئمة هذا الشأن فى نسب عدنان قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام.

والمقصود: أن نبينا محمدًا ﷺ أخرجه الله تعالى من أوسط العرب نسبًا وأكرمهم حسبًا، وأعلاهم كعبًا، وأعظمهم جرثومة، وأشرفهم أصلًا وأطيبهم فرعًا، وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن مهران الرازى ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعًا عن الوليد، قال ابن مهران: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى عن أبى عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**»[2] وروى الترمذى عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يا رسول الله إن قريشًا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا

---

(١) **صحيح إلى ابن مسعود:** وعمرو بن ميمون ضعيف عن ابن عباس، أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٥٦) عن ابن عباس، وفي إسناده محمد بن السائب الكلبي وهو متهم، وأخرجه ابن سعد (١/ ٥٦)، وابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ١٨٧) من طرق صحيحة عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود، وأخرجه ابن جرير (١٣/ ١٨٧) من طريق صحيحة عن سفيان عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون.

(٢) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٢٧٦)، والترمذي (٣٦٠٥)، وأحمد (٤/ ١٠٧) من طريق الأوزاعي به.

مثلك مثل نخلة فى كبوة من الأرض، فقال النبى ﷺ: «**إن اللَّه تعالى خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم خير القبائل فجعلنى فى خير قبيلة، ثم خير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا**»[١] وفى رواية فقام النبى ﷺ على المنبر فقال: «**من أنا؟**» فقالوا: أنت رسول اللَّه عليك السلام. قال: «**أنا محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب، إن اللَّه تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتًا فجعلني في خيرهم بيتًا وخيرهم نفسًا**»[٢] هذا حديث حسن. وحمى اللَّه تبارك وتعالى أصول نبينا من سفاح الجاهلية فلم يشب نسبه شيء من ذلك لا من جهة آبائه ولا من جهة أمهاته ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام كما رواه جماعة عن جعفر الصادق عن آبائه مرفوعًا: «**إنى ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح**»[٣].

مولده ﷺ

وكان مولده ﷺ عام الفيل كما روى الترمذى وغيره عن عبد المطلب بن عبد اللَّه بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: «ولدت أنا ورسول اللَّه ﷺ عام الفيل». قال: وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم أخا بنى يعمر بن ليث: أنت أكبر أم رسول اللَّه ﷺ؟ فقال: رسول اللَّه أكبر منى، وأنا أقدم منه فى الميلاد، قال: ورأيت حذق الفيل أخضر محيلًا[٤]،

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٦٠٧) من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد اللَّه بن الحارث بن نوفل عن العباس به، وقال الترمذي: حديث حسن. قلت: يزيد بن أبي زياد ضعيف، وانظر ما يأتي.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (١/ ٢١٠) والترمذي (٣٥٣٢ و٣٦٠٨)، واللالكائي (١٤٠١) من طريق سفيان الثوري عن يزيد بن أبي زياد عن عبد اللَّه بن الحارث عن العباس، وقال الترمذي: حديث حسن. قلت: آفته يزيد، وهو ضعيف.

(٣) أسانيده ضعيفة: وللحديث طرق كثيرة ضعيفة جدًا، إلا أن الشيخ الألباني رحمه اللَّه قال في «صحيح السيرة» (ص ١٠): الحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى مرتبة الحسن. اهـ، وانظر تفصيل الطرق بالإرواء (ح ١٩١٤).

(٤) صحيح بشواهده: أخرجه بهذا الطول الترمذي (٣٦١٩)، وابن جرير في «تاريخه» (١/ ٤٥٣) من طريق ابن إسحاق عن المطلب بن عبد اللَّه بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده به، وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢١٥)، وفي «العلل ومعرفة الرجال» (١٨٠٧ و١٨٠٨)، وابن هشام في «السيرة» (١/ ١٠٥)، والحاكم (٤١٨٣ و٥٩١٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٣٤٣ ح ٨٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١٠) جميعًا من طريق ابن إسحاق به مقتصرًا على أوله وليس عندهم ذكر قباث=

قال الترمذى : حديث حسن .

مَـوْلِـدُهُ بِـمَـكَّـةَ الْـمُـطَـهَّـرَهْ   هِـجْـرَتُـهُ لِـطَـيـبَـةَ الْـمُـنَـوَّرَهْ
بَـعْـدَ ارْبَـعِـيـنَ بَـدَأَ الْـوَحْـيِ بِـهِ   ثُـمَّ دَعـا إِلَـى سَـبِـيـلِ رَبِّـهِ
عَشْرَ سِنِينَ أَيهَا النَّاسُ اعْبُدُوا   رَبًّـا تَـعَـالَـى شَـأْنُـهُ وَوَحِّـدُوا
وَكَـانَ قَـبْـلَ ذَاكَ فِـي غَـارِ حِـرَا   يَـخْـلُـو بِـذِكْـرِ رَبِّـهِ عَـنِ الْـوَرَى

«**مولده**» ﷺ «**بمكة المطهرة**» من كل رجس حسًا ومعنى «**هجرته**» ﷺ «**لطيبة**» المدينة «**المنورة**» وكان ذلك موجودًا فى الصحف التى بشرت به ﷺ من التوراة والإنجيل وغيرهما ، والآيات فى ذلك والدلائل على ذلك لا تحصى ، ثم كان الأمر كما بشرت ، فولد بمكة وأوحى إليه فيها وبعث بالدعوة إلى اللَّه فيها ، ثم كانت هجرته إلى المدينة كما سيأتى إن شاء اللَّه ﷻ .

بدء الوحى

«**بعد أربعين** » سنة من عمره ﷺ «**بدأ الوحى**» من اللَّه ﷻ إليه «**به**» ﷺ كما فى «الصحيحين» عن أنس بن مالك ﷺ قال «كان رسول اللَّه ﷺ ربعة من القوم، ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم ، ليس بجعد قطط ولا سبط رجل ، بعثه اللَّه على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين»[1] الحديث ، وكيفية بدء الوحى ما ذكره البخارى رحمه اللَّه تعالى قال : حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين ﷺ أنها قالت : «أول ما بُدِئ به رسول اللَّه ﷺ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ، وهو التعبد الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك . ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى

= وعثمان ، وابن إسحاق صرح بالتحديث ، إلا أن شيخه المطلب بن عبد اللَّه مجهول الحال ، وأما كلام قباث ، فأخرجه الحاكم (٦٦٢٤) ، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٣٧ ح٧٥) من طريق الزبير بن موسى وهو مجهول الحال أيضًا .

لكن أخرج الحاكم (٤١٨٠ و٤١٨١) من طريق يونس بن أبي إسحاق عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي ﷺ ولد عام الفيل ، وهذا صحيح إلى ابن عباس على بعض كلام في يونس ، ويصح الخبر بمجموع طرقه وشواهده ، واللَّه أعلم .

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٤٧) ، ومسلم (٢٣٤٧) .

جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ قَالَ: فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ. فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ:» فقال: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ فرجع بها رسول اللهﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَزَمَّلُوهُ» فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة وكان امرءًا قد تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمى. فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللهﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى، يا ليتنى فيها جذع. ليتنى أكون حيا إذ يخرجك قومك. فقال رسول اللهﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودى. وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا. ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى»[1].

قال ابن شهاب وأخبرنى أبو مسلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى. فقال فى حديثه: «بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ بَصَرِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَرُعِبْتُ مِنْهُ فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فأنزل الله تعالى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ – إلى قوله – ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر: الآية ٥] فَحَمِيَ الْوَحْيُ وَتَتَابَعَ»[2].

تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال بن رداد عن الزهرى. وقال يونس ومعمر «بوادره» حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبى عائشة قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فى قوله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، وليس في لفظ مسلم: (ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١)، والقائل: تابعه عبد الله... إلخ هو البخاري.

﴿لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ [القيامة: الآية ١٦] قال «كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه. فقال ابن عباس: «فأنا أحركهما لك كما كان رسول الله ﷺ يحركهما». وقال سعيد: وأنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما. فحرك شفتيه. فأنزل الله تعالى ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ١٧﴾ قال جمعه لك بصدرك وتقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ [القيامة: الآية ١٨] قال فاستمع له وأنصت ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة: الآية ١٩] ثم إن علينا أن تقرأه وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه»[1] وقال رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها «إن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ، فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِي الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**» قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[2].

دعوته إلى سبيل الله

«**ثم دعا إلى سبيل ربه**» وهو على دين الإسلام الذي أرسل الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه، وهو دينه في السماء والأرض ولن يقبل الله تعالى من أحد دينًا سواه، «**عشر سنين**» دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان فقط قبل أن يفرض عليه الصلوات الخمس ولا غيرها قائلًا: «**أيها الناس اعبدوا ربًا تعالى شأنه**» لا تعبدوا إلا الله «**ووحدوا**» تفسير لذلك. وهذه دعوة من قبله من نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ كلهم يقول ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: الآية ٥٩] وكانت الدعوة في أول البعثة سرًا ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق وغيره[3] قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما زال النبي ﷺ مستخفيًا حتى نزلت ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: الآية ٩٤][4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥)، ومسلم (٤٤٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢)، ومسلم (٢٣٣٣).

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٦٤) طبعة دار ابن رجب.

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٦٨) من طريق موسى بن عبيدة الربذي عن أخيه عبد الله بن عبيدة مرسلًا، وإسناده ضعيف للإرسال وضعف موسى بن عبيدة.

وقال البخارى رحمه اللّه تعالى فى تفسير سورة الشعراء : قوله ﷻ : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش قال حدثنى عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤] صعد النبى ﷺ على الصفا فجعل ينادى : «يَا بَنِي فِهْرٍ ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» ، لبطون قريش ، حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولًا لينظر ما هو . فجاء أبو لهب وقريش فقال : «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ ؟» قالوا : نعم ، ما جربنا عليك إلا صدقًا . قال : «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» فقال أبو لهب : تبًا لك سائر اليوم ، ألهذا جمعتنا فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾﴾[1] .

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال : أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة عن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول اللّه ﷺ حين أنزل اللّه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤] قال : «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لَا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا»[2] .

ورواهما مسلم أيضًا وقال رحمه اللّه : حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا : حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤] دعا رسول اللّه ﷺ قريشًا فاجتمعوا ، فعم وخص ، فقال : «يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ ، يَا فَاطِمَةُ أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»[3] .

وله عن عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤] قام

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٧٠) ، ومسلم (٢٠٨) .
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٧٧١) ، ومسلم (٢٠٦) .
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٠٤) .

رسول الله ﷺ على الصفا فقال: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»[1]، وله عن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمر قالا: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤] انطلق رسول الله ﷺ إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرًا ثم نادى: «يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافَاهْ، إِنِّي نَذِيرٌ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يَهْتِفُ: يَا صَبَاحَاهْ»[2]، وكان قبل ذلك في غار حراء... تقدم معناه في حديث الحارث بن هشام.

حديث الإسراء والمعراج

وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الأَعْوَامِ	مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الأَنَامِ
أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيهِ فِي الظُّلَمْ	وَفَرَضَ الْخَمْسَ عَلَيهِ وَحَتَمْ

وكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث شاء الله ﷻ، قال الله تبارك وتعالى في ذكر الإسراء: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: الآية ١]. وقال تبارك وتعالى في ذكر المعراج: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾.

وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب حديث الإسراء وقول الله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ [الإسراء: الآية ١][3] حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[4].

باب المعراج - حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٥).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٧).
(٣) صحيح: البخاري مع الفتح (٧/ ٢٢٥) كتاب مناقب الأنصار، باب (٤١).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

مالك عن مالك بن صعصعة رضي الله عنهما أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال: «بَيْنَا أَنَا فِي الْحَطِيمِ -وَرُبَّمَا قَالَ قَتَادَةُ فِي الْحِجْرِ- مُضْطَجِعٌ، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: الْأَوْسَطِ بَيْنَ الثَّلَاثَةِ قَالَ: فَأَتَانِي فَقَدَّ -وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ، قَالَ قَتَادَةُ: فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصَّتِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ- قَالَ: فَاسْتُخْرِجَ قَلْبِي فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَغُسِلَ قَلْبِي ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ قَالَ فَقَالَ الْجَارُودُ هُوَ الْبُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ قَالَ نَعَمْ يَقَعُ خَطْوُهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ قَالَ فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ عليه السلام حَتَّى أَتَى بِيَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ عليه السلام فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ؟ قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ. فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، فَقَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، قَالَ: فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَا: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا يُوسُفُ عليه السلام قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلَامَ وَقَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ قَالَ: فَإِذَا إِدْرِيسُ عليه السلام قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ عليه السلام قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. قَالَ: ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ

الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ قَالَ: فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ بَعْدِي ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي. قَالَ: ثُمَّ صَعِدَ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، قَالَ: فَفُتِحَ فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ فَقَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، قَالَ: ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلَالِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، فَقَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، قَالَ: وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ، نَهَرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهَرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَنَهَرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ، قَالَ: ثُمَّ رُفِعَ إِلَيَّ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ. قَالَ: ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ قَالَ: فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ قَالَ: هَذِهِ الْفِطْرَةُ أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، قَالَ: ثُمَّ فُرِضَتِ الصَّلَاةُ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: بِمَاذَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ لِخَمْسِينَ صَلَاةً، وَإِنِّي قَدْ خَبَرْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا أُخْرَى، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا أُخْرَى فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ قَالَ: قَدْ سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ وَلَكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي»[1] رواه مسلم مختصرًا.

قلت: وقوله فى هذه الرواية عن إدريس مرحبًا بالأخ الصالح هذا قد يشكل، لأن إدريس من آبائه والمعنى والله أعلم على ما فى الحديث: «نَحْنُ مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَبْنَاءُ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٧)، واللفظ له، وأخرجه مسلم (١٦٤) مختصرًا من حديث أنس عن مالك بن صعصعة.

عَلَّاتٍ . . .»[1] .

إلخ . وقال البخارى رحمه اللّه تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد اللّه حدثنى سليمان عن شريك بن عبداللّه أنه قال : سمعت ابن مالك - يعنى أنسًا ﷺ - يقول ليلة أسرى برسول اللّهﷺ من مسجد الكعبة «إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم : أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، فقال آخرهم خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته حتى أفرغ صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ، ثم أطبقه ، ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشو إيمانًا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده - يعنى عروق حلقه . ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابًا من أبوابها فناداه أهل السماء : من هذا؟ فقال جبريل ، قال ومن معك؟ قال محمد قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم ، قالوا فمرحبًا به وأهلًا ، فيستبشر أهل السماء لا يعلم أهل السماء بما يريد اللّه به فى الأرض حتى يعلمهم ، فوجد فى السماء الدنيا آدم فقال له جبريل : هذا أبوك فسلم عليه ، فسلم وردَّ عليه آدم وقال مرحبًا وأهلًا يا بنى نعم الابن أنت ، فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان ، فقال : «مَا هَذَانِ النَّهَرَانِ يَا جِبْرِيلُ» قال : هذا النيل والفرات ، ثم مضى به فى السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده فإذا هو مسك ، فقال : «مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟» قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك ، ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى : من هذا؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك؟ قال : محمدﷺ ، قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم ، قالوا مرحبًا به وأهلًا ، ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك ، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك ، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه وإبراهيم فى السادسة وموسى فى السابعة بتفضيل كلام اللّه ، فقال موسى : رب لم أظن أن يرفع على أحد ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللّه تعالى حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى اللّه فيما

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٤٤٢)، ومسلم (٢٣٦٥) بنحوه من حديث أبي هريرة .

أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال: «عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»، قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبي ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: «يَا رَبِّ خَفِّفْ عَنَّا فَإِنَّ أُمَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ هَذَا»، فوضع عنه عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال: يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبي ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال: «يَا رَبِّ إِنَّ أُمَّتِي ضُعَفَاءُ أَجْسَادُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَأَبْدَانُهُمْ فَخَفِّفْ عَنَّا». فقال الجبار: يا محمد، قال: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ»، قال: إنه لا يبدل القول لدي، كما فرضت عليك في أم الكتاب، قال: فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا، قال رسول الله ﷺ: «يَا مُوسَى قَدْ وَاللَّهِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي مِمَّا اخْتَلَفْتُ إِلَيْهِ»، قال فاهبط باسم الله»، فقال: «واستيقظ وهو في المسجد الحرام»[1].

ورواه مسلم بعد حديث ثابت البناني أصله قال نحو حديث ثابت البناني وقدم فيه شيئًا وأخر وزاد ونقص: وهذا السياق روايته لحديث ثابت وقال رحمه الله تعالى: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٥١٧) بهذا الإسناد به، وفي شريك بن عبد الله النخعي كلام، وقد انتقد على البخاري رحمه الله إخراج حديث شريك هذا. مع ما فيه من تفردات، ومسلم رحمه الله لم يسق متن شريك، وإنما أخرجه (١٦٢) وقال: وساق الحديث بقصته نحو حديث ثابت البناني، وقدم فيه شيئًا وأخر، وزاد ونقص، وانظر كلام النووي في شرح مسلم، وكلام ابن حجر في «فتح الباري».

جِبْرِيلُ ﷺ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مريم: الآية ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى ﷺ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ

حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، قَالَ : فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»(١).

وقال البخارى رحمه اللّه تعالى : باب كيف فرضت الصلاة فى الإسراء؟ حدثنا يحيى بن بكير قال : حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول اللّه ﷺ قال : «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ﷺ فَفَرَجَ صَدْرِي ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاءِ : افْتَحْ . قَالَ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا جِبْرِيلُ . قَالَ : هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ . قَالَ : نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ . فَقَالَ : أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ : نَعَمْ . فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا ، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَسَارِهِ بَكَى ، فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا آدَمُ ، وَهَذِهِ الْأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، وَالْأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى ، حَتَّى عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ لِخَازِنِهَا : افْتَحْ . فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُ ، فَفَتَحَ» ، قال أنس فذكر أنه وجد فى السموات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات اللّه وسلامه عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة» ، قال أنس : فلما مر جبريل بالنبى ﷺ بإدريس قال مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح ، فقلت : «فَقُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا إِدْرِيسُ . ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَخِ الصَّالِحِ . قُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا مُوسَى ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا عِيسَى ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَالَ : مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالِابْنِ الصَّالِحِ ، قُلْتُ : مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ» قال ابن شهاب : فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال النبى ﷺ : «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ» قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبى ﷺ : «فَفَرَضَ اللَّهُ عز وجل عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صَلَاةً ، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى فَقَالَ : مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ :

(١) صحيح : أخرجه مسلم (١٦٢).

فَرَضَ خَمْسِينَ صَلَاةً. قَالَ: فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى قُلْتُ: وَضَعَ شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَقُلْتُ: اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لَا أَدْرِي مَا هِيَ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»[١].

وافقه عليه مسلم رحمه اللّه تعالى. وله عن مرة عن عبد اللّه قال لما أسرى برسول اللّه ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة إليها ينتهى ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: الآية ١٦] قال فراش من ذهب، قال فأعطى رسول اللّه ﷺ ثلاثًا: أعطي الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك باللّه من أمته شيئًا المقحمات[٢].

وله عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، قَالَ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ»[٣] الحديث. وهذا الذى ذكرنا من حديث أنس وجابر ومالك بن صعصعة وأبى ذر وابن مسعود وأبي هريرة وابن عباس وأبى حبة هى من أصح ما ورد وأقواه وأجوده وأسنده وأشهره وأظهره لاتفاق الشيخين على إخراجهما، وعن هؤلاء روايات أخر لم نذكرها استغناء عنها بما فى «الصحيحين»، وفى الباب أحاديث أخر عن جماعة من الصحابة منهم من لم نذكر: عمر بن الخطاب وعلي وأبو سعيد وشداد بن أوس وأبي بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبو ليلى وعبد اللّه بن عمرو وحذيفة وبريدة وأبو أيوب وأبو أمامة وسمرة بن جندب وأبو الحمأ وصهيب الرومى وأم هانئ وعائشة وأسماء ابنتا أبى بكر رضي اللّه عنهم أجمعين. ثم الذى دلت عليه الآيات والأحاديث أن الإسراء والمعراج كان يقظة لا منامًا، ولا ينافى

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣) من حديث أنس عن أبي ذر مرفوعًا به.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٣) من حديث ابن مسعود.
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٢) من حديث أبي هريرة.

ذلك ما ذكر فى بعض الروايات فى قوله ﷺ : «بينا أنا نائم» فإن ذلك عند أول ما أتياه ولا يدل على أنه استمر نائمًا ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيًا ، ولكن فى سياق الأحاديث من ركوبه ونزوله وربطه وصلاته وصعوده وهبوطه وغير ذلك ما يدل على أنه أسرى بروحه وجسده يقظة لا منامًا ، وكذا لا ينافى ذلك رواية شريك «فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام» فإن رواية شريك فيها أوهام كثيرة تخالف رواية الجمهور عن أنس فى أكثر من عشرة مواضع سردها فى الفتح ، وسياقه يدل على أنه بالمعنى ، وصرح فى مواضع كثيرة أنه لم يثبتها ، وتصريح الآية ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١] شامل للروح والجسد ، وكذلك قوله تعالى فى سورة النجم ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤﴾ جعل رؤية النبى ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلًا لرؤيته إياه فى الأبطح ، وهى رؤية عين حقيقة لا مناما ، ولو كان الإسراء والمعراج بروحه فى المنام لم تكن معجزة ولا كان لتكذيب قريش بها وقولهم كنا نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس شهرًا ذهابًا وشهرًا إيابًا ، ومحمد يزعم أنه أسرى به إليه وأصبح فينا ، إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به ﷺ ، لو كان ذلك رؤيا منامًا لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى ، لأن الإنسان قد يرى فى منامه ما هو أبعد من بيت المقدس ولا يكذبه أحد استبعادًا لرؤياه ، وإنما قص عليهم رسول اللَّه ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا منامًا فكذبوه واستهزءوا به استبعادًا لذلك واستعظامًا له ، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة اللَّه ﷻ وأن اللَّه يفعل ما يريد ، ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال : إن كان قال ذلك لقد صدق ، قالوا وتصدقه بذلك؟ قال : نعم ، إنى لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك فى خبر السماء يأتيه ، يأتيه بكرة وعشيا ، أو كما قال[1] .

هل رأى النبى ﷺ ربه ليلة المعراج

واختلف السلف الصالح هل رأى نبينا محمد ﷺ ربه ليلة المعراج؟ فروى ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس ﵄ قال : أتعجبون أن تكون الخلة لإبراهيم ، والكلام لموسى ، والرؤية لمحمد ﷺ ؟[2] وعن عكرمة قال : سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال : نعم . قال فقلت لابن عباس : أليس يقول اللَّه تعالى ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤٤٥٨) بإسناد فيه ضعف .

(٢) حسن إلى ابن عباس : أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٣٦) وعبد اللَّه في «السنة» (٦٢٧) وهما بتحقيقي .

ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]؟ قال لا أم لك، ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء[١]، وروي عنه من طرق لا تحصى كثرة قال: رأى محمد ﷺ ربه. وعنه رآه بقلبه[٢].

وفي رواية: رآه بفؤاده مرتين[٣]، رواه مسلم وغيره، وله عن أبي ذر قال: سألت رسول اللَّه ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟» وفي رواية قال: «رَأَيْتُ نُورًا»[٤]، قال ابن خزيمة في قوله «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ؟»: هذا يحتمل معنين على سعة لسان العرب: أحدهما الإثبات ومعناه أني أراه، أو كيف أراه فهو نور، أو فإن ما أرى نور، ويؤيد هذا رواية «رَأَيْتُ نُورًا» المعنى الثاني النفي قال: والعرب قد تقول «أنى» على معنى النفي كقوله ﷻ ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾ [البقرة: الآية ٢٤٧] الآية، يريدون كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه[٥]، ثم روى عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم يره بعينه[٦]، وله عن عباد بن منصور قال: سألت الحسن فقلت ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ [النجم: الآية ٨] من ذا يا أبا سعيد؟ قال ربي[٧].

وله عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف باللَّه لقد رأى محمد ﷺ ربه[٨].

وله عن كعب قال: إن اللَّه قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلوات اللَّه عليهما فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين[٩].

وروى ابن أبي حاتم عن عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم (٤٣٧)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٣٧) من طريق سلم بن جعفر عن الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، والحكم ضعيف لسوء حفظه.

(٢) **صحيح إلى ابن عباس**: أخرجه مسلم (١٧٦) وغيره.

(٣) **صحيح إلى ابن عباس**، أخرجه مسلم (١٧٦).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٨)، والترمذي (٣٢٩٣)، وأحمد (٥/ ١٧٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٤٧٥).

(٥) ابن خزيمة في «التوحيد» عقب حديث (٤٨٠)، والمصنف تصرف في اللفظ، ونقله بمعناه.

(٦) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٨٢) عن زياد بن أيوب دلويه عن هشيم عن منصور عن الحكم عن يزيد بن شريك عن أبي ذر، وإسناده صحيح، وهشيم صرح بالتحديث.

(٧) **في إسناده ضعف**، أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٨٨)، وإسناده ضعيف لحال عباد بن منصور.

(٨) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٤٤٥)، وفي إسناده إسماعيل بن خزيمة ولم أقف له على ترجمة.

(٩) **صحيح إلى كعب**: أخرجه عبد اللَّه بن أحمد في «السنة» (٥٩٥) وابن جرير (٢٧/ ٥١)، والحاكم (٢/ ٦٢٩) وغيرهم.

رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النجم: الآية ١١] فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت: نعم. قال: قد رآه، ثم قد رآه(١) وروى ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبى ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل رأيت ربك؟ قال: «لم أره بعينى، ورأيته بفؤادى مرتين» ثم تلا ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: الآية ٨](٢) وقال البغوى: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهم أنس والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربه(٣).

قال ابن كثير: وقول البغوى فيه نظر(٤).

وروى البخارى ومسلم عن مسروق قال: قلت لعائشة رضي الله عنها: يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفَّ شعرى مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد كذب - ثم قرأت ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: الآية ٥١] ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب - ثم قرأت ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: الآية ٣٤] - ومن حدثك أنه كتم فقد كذب - ثم قرأت ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] الآية - ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين»(٥) هذا لفظ البخارى، ولفظ مسلم: عن مسروق قال: كنت متكئًا عند عائشة رضي الله عنها فقالت: «يا أبا عائش ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدًا ﷺ رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئًا فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظرينى ولا تعجلينى، ألم يقل الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: الآية ٢٣]، ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [النجم: الآية ١٣] فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ»، فقالت: أو

---

(١) في إسناده ضعف: أخرجه عبد الله في «السنة» (٢٥٠) من طريق عباد بن منصور عن عكرمة به، وعباد ضعيف، وهو في عكرمة أشد ضعفًا.

(٢) ضعيف، أخرجه ابن جرير (٢٧/ ٤٦)، وفي إسناده محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف لسوء حفظه، وشيخه مهران العطار سيئ الحفظ.

(٣) «تفسير البغوي» (٧/ ٤٠٢).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥١).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٥٥).

لم تسمع أن اللَّه يقول ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] أو لم تسمع أن اللَّه يقول ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (٥١)﴾ [الشورى: الآية ٥١] قالت: ومن زعم أن رسول اللَّه ﷺ كتم شيئًا من كتاب اللَّه فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على اللَّه الفرية واللَّه يقول ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: الآية ٦٥][1] وزاد فى رواية - قالت: ولو كان محمد ﷺ كاتمًا شيئًا مما أنزل إليه لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: الآية ٣٧][2]، وعن أبى هريرة وابن مسعود فى آية النجم مثل قول عائشة[3]، قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله فى قول عائشة رضي الله عنها: «فقد أعظم على اللَّه الفرية» قال: هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها فى وقت غضب كانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها، كان أجمل بها، ليس يحسن فى اللفظ أن يقول قائل أو قائلة قد أعظم ابن عباس الفرية، وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم، ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التى يكون غيرها أحسن وأجمل منها، أكثر ما فى هذا أن عائشة رضي الله عنها وأبا ذر وابن عباس رضي الله عنه وأنس بن مالك رضي الله عنه قد اختلفوا: هل رأى النبى ﷺ ربه؟ فقالت عائشة رضي الله عنها: لم ير النبى ﷺ ربه، وقال أبو ذر وابن عباس رضي الله عنهما قد رأى النبى ﷺ ربه، وقد أعلمت فى مواضع من كتبنا أن النفى لا يوجب علمًا والإثبات هو الذى يوجب العلم، لم تحك عائشة عن النبى ﷺ أنه خبرها أنه لم ير ربه عز وجل، وإنما تلت قوله عز وجل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: الآية ٥١] ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب علم أنه ليس فى واحدة من الآيتين ما يستحق من قال إن محمدًا رأى ربه الرمى بالفرية على اللَّه. كيف بأن يقول قد أعظم الفرية على اللَّه[4].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٧).

(٣) صحيح: حديث أبي هريرة أخرجه مسلم (١٧٥)، وحديث ابن مسعود أخرجه مسلم (١٧٤)، وفيه أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام.

(٤) ابن خزيمة في التوحيد، عقب حديث (٥٠٦).

ثم قال رحمه الله تعالى[(١)]: فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبى ﷺ قد رأى ربه ، وبيقين يعلم كل عالم أن هذا ليس من الجنس الذى يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون ، ولا يدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبى مصطفى ولا أظن أحدًا من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال رأى النبى ﷺ ربه برأى ولا ظن ولا أبو ذر ولا أنس بن مالك ، نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضي الله عنها وابن عباس فى هذه المسألة : ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس ، نقول عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة ، كذلك ابن عباس رضي الله عنهما ابن عم النبى ﷺ قد دعا النبى ﷺ له أن يرزق الحكمة والعلم[(٢)].

وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمى ترجمان القرآن ، وقد كان الفاروق رضي الله عنه يسأله عن معانى القرآن فيقبل منه ، وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سنًا منه وأقدم صحبة للنبى ﷺ ، وإذا اختلفا فمحال أن يقال قد أعظم ابن عباس الفرية على الله لأنه قد أثبت شيئًا نفته عائشة رضي الله عنها ، والعلماء لا يطلقون هذه اللفظة ، وإن غلط بعض العلماء فى معنى الآية من كتاب الله ﷻ أو خالف سنة أو سننًا من سنن النبى ﷺ لم تبلغ المرء تلك السنن ، فكيف يجوز أن يقال أعظم الفرية على الله من أثبت شيئًا لم ينفه كتاب ولا سنة ، فتفهموا هذا لا تغالطوا . ثم قال رحمه الله تعالى : وقد كنت قديمًا أقول أن عائشة حكت عن النبى ﷺ ما كانت تعتقد فى هذه المسألة أن النبى ﷺ لم ير ربه جل وعلا وأن النبى ﷺ أعلمها ذلك وذكر ابن عباس رضي الله عنهما وأنس بن مالك وأبو ذر رضي الله عنهما عن النبى ﷺ أنه رأى ربه لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النبى ﷺ أنه رأى ربه ، إذ جائز أن تكون عائشة رضي الله عنها سمعت النبى ﷺ يقول لم أر ربى قبل أن يرى ربه ﷻ ، ثم يسمع غيرها أن النبى ﷺ يخبر أنه قد رأى ربه بعد رؤيته ربه ، فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبى ﷺ رأى ربه . انتهى كلامه رحمه الله[(٣)] .

---

(١) ابن خزيمة في «التوحيد» .

(٢) في «صحيح البخاري» (٧٥) أن النبي ﷺ دعا لابن عباس فقال : «اللَّهم علمه الكتاب» وبرقم (١٤٣) : «اللَّهم فقهه في الدين» ، ورقم (٣٧٥٦) : «اللَّهم علمه الحكمة» .

(٣) «كتاب التوحيد» لابن خزيمة ، عقب حديث (٥٠٧) .

حديث الهجرة

وَبَـعْـدَ أَعْـوَامٍ ثَـلَاثَـةٍ مَـضَـتْ مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِي وَانْقَضَتْ
أُوذِنَ بِـالْـهِـجْـرَةِ نَـحْـوَ يـثْـرِبَـا مَعْ كُـلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا

«وبعد أعوام ثلاثة» وقيل خمسة، وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر، وهذا الذى فى المتن هو اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه اللَّه تعالى فى الثلاثة الأصول، وله فيه سلف، وليست مسألة التاريخ اعتقادية فى هذا الباب، والإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلا تأثير لاختلاف أهل السير فى تاريخه وتعيين سنته ووقته، غير أن الراجح فيه كونه بين عاشر البعثة وبين هجرته ﷺ إلى المدينة، وعلى قول إن خديجة ﵂ أدركت فريضة الصلوات فالمعراج فى سنة عشر أو قبلها واللَّه أعلم، لأنها توفيت هى وأبو طالب فى ذلك العام[1].

«أوذن بالهجرة» أمره اللَّه ﷻ بها «نحو يثرب» وهى المدينة المنورة «مع كل مسلم» فى ذاك الزمن «له قد صحبا» على الإسلام، وكانت هجرة النبى ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. قال البخارى رحمه اللَّه تعالى: حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس ﵄ قال: بعث رسول اللَّه ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين[2].

وقال البغوى رحمه اللَّه تعالى فى تفسير قول اللَّه ﷻ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال: الآية ٣٠]، وهذه الآية معطوفة على قوله ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا﴾ [الأعراف: الآية ٨٦] واذكر ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: الآية ٣٠] ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: الآية ٣٢] وأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كان بمكة، ولكن اللَّه ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: الآية ٤٠] وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أن قريشًا فرقوا لما أسلمت الأنصار وأن يتفاقم أمر رسول اللَّه ﷺ، فاجتمع نفر من كبارهم فى دار

---

(١) فى «صحيح البخاري» (٣٨٩٦) من مرسل عروة قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين».

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٠٢)، وأحمد (١/ ٣٧١) وغيرهما.

الندوة ليتشاوروا فى أمر رسول اللّه ﷺ، وكان رءوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان والمطعم بن عدى وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه بن الحجاج وأمية بن خلف، فاعترضهم إبليس لعنه اللّه فى صورة شيخ، فلما رأوه قالوا من أنت؟ قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأيا ونصحًا، قالوا ادخل، فدخل. فقال أبو البخترى: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمدًا وتحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه، وتسدوا باب البيت، غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء. قال فصرخ عدو اللّه الشيخ النجدى وقال: بئس الرأى رأيتم، واللّه لئن حبستموه فى بيت فخرج أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم. قالوا صدق الشيخ النجدى. فقال هشام بن عمرو من بنى عامر بن لؤى أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع وإلى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه. فقال إبليس لعنه اللّه: ما هذا لكم برأى تعتمدونه، تعمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه، واللّه لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلن قلوب قوم ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم. قالوا صدق الشيخ النجدى. فقال أبو جهل: واللّه لأشيرن عليكم برأى ما أرى غيره، إنى أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شابًا نسيبًا وسيطًا فتيا ثم يعطى كل فتى منهم سيفًا صارمًا ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه فى القبائل كلها، ولا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدى قريش ديته. فقال إبليس لعنه اللّه. صدق هذا الفتى وهو أجودكم رأيا، القول ما قال لا أرى رأيا غيره. فتفرقوا على قول أبى جهل وهم مجمعون له، فأتى جبريل النبى ﷺ وأخبره بذلك، وأمره أن لا يبيت فى مضجعه الذى يبيت فيه، فأذن اللّه عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسول اللّه ﷺ على بن أبى طالب أن ينام فى مضجعه وقال له «اتشح ببردتى هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه»، ثم خرج النبى ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ اللّه أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يقرأ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يس: الآية ٨]- إلى قوله - ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: الآية ٩] ومضى إلى الغار من ثور هو وأبو بكر، وخلف عليا بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركون يحرسون عليا فى فراش رسول اللّه ﷺ

يحسبون أنه النبى ﷺ فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا عليا رضي الله عنه فقالوا أين صاحبك؟ قال لا أدرى، فاقتصوا أثره وأرسلوا فى طلبه، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسيج العنكبوت فقالوا لو دخله لم يكن نسيج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثًا ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: الآية ٣٠][1]، وبسط حديث الهجرة ما ساقه البخارى رحمه اللَّه تعالى قال: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير رضي الله عنه أن عائشة رضي الله عنها زوج النبى ﷺ قالت «لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول اللَّه ﷺ طرفى النهار وبكرة وعشية، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومى فأريد أن أسيح فى الأرض وأعبد ربى. قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية فى أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، تخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره، فليصل فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بمكة يعبد ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره، ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجدا بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلًا بكاء لا يملك عينيه إذا قرأ، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان. قالت عائشة فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال: قد علمت الذى عاقدت لك

---

(١) آخر كلام البغوي رحمه اللَّه في «تفسيره» (٣/ ٣٤٩)، وفيما ذكر رحمه اللَّه أمور ذكرها أهل السير وليس لها إسناد صحيح.

عليه . فإما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلى ذمتى فإنى لا أحب أن تسمع العرب أنى أخفرت رجلًا عقدت له . فقال أبو بكر فأنا أرد إليك جوارك وأرضى بجوار الله ﷻ - والنبى ﷺ يومئذ بمكة - فقال النبى ﷺ للمسلمين «إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين» وهما الحرتان ، فهاجر من هاجر قبل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قبل المدينة ، فقال له رسول الله ﷺ «على رسلك ، فإنى أرجو أن يؤذن لى » فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبى أنت؟ قال نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه ، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط أربعة أشهر ، قال ابن شهاب : قال عروة : قالت عائشة رضي الله عنها : فبينما نحن فى يوم جلوس فى بيت أبى بكر فى نحر الظهيرة قال قائل لأبى بكر : هذا رسول الله متقنعًا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فدى له أبى وأمى ، والله ما جاء به فى هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل ، فقال النبى ﷺ لأبى بكر : «**أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ**» ، فقال أبوبكر : إنما هم أهلك بأبى أنت يا رسول الله ، قال : «**فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ**» فقال أبوبكر : الصحبة بأبى أنت وأمى يا رسول الله . قال رسول الله ﷺ : «**نَعَمْ**» ، قال أبوبكر : فخذ بأبى يا رسول الله إحدى راحلتى هاتين : قال رسول الله ﷺ : «**بِالثَّمَنِ**» . قالت عائشة : فجهزناها أحث الجهاز ، وصنعنا لهما سفرة فى جراب ، فقطعت أسماء بنت أبى بكر قطعة من نطاقها فربطته على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاق . قالت : ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغار فى جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبدالله بن أبى بكر وهو غلام شاب ثقف لقن ، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع أمرًا يكادان به إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبى بكر منحة من غنم فيريحها عليهم حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان فى رسل ، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس ، يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث . واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلًا من بنى الديل وهو من بنى عبد بن عدى هاديا خرّيتًا ، والخريت الماهر بالهداية ، قد غمس حلفًا فى آل العاص بن وائل السهمى وهو على دين كفار قريش ، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق السواحل[1] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٩٠٥) عن عائشة بهذا الطول .

قال ابن شهاب : واخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى - وهو ابن أخي سراقة بن جعشم يقول : جاءنا رسل كفار قريش يجعلون فى رسول اللَّه ﷺ وأبى بكر دية كل واحد منهما من قتله أو أسره ، فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى بنى مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال : يا سراقة إنى قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل أراها محمدًا وأصحابه . فقال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له : إنهم ليسوا هم . ولكنك رأيت فلانًا وفلانًا انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم . ثم لبثت فى المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتى أن تخرج بفرسى وهى من وراء أكمة فتحبسها على ، وأخذت رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجة الأرض وخفضت عالية حتى أتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخررت عنها ، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها : أضرهم؟ أم لا؟ فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى وعصيت الأزلام تقرب بى ، حتى إذا سمعت قراءة رسول اللَّه ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنان ساطع فى السماء مثل الدخان ، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى أكره ، فناديتهم بالأمان فوقفوا ، فركبت فرسى حتى جئتهم ، ووقع فى نفسى حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول اللَّه ﷺ فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم إخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآنى ولم يسألانى إلا أن قال : اخف عنا ، فسألته أن يكتب لى كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من أديم ، ثم مضى رسول اللَّه ﷺ . قال ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير أن رسول اللَّه ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارًا قافلين من الشام ، فكسا الزبير رسول اللَّه ﷺ وأبا بكر ثيابًا بيضا . وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول اللَّه ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة ، فانقلبوا يومًا بعد ما أطالوا انتظاره فلما أووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على أطم من آطامهم لأمر ينظر إليه ، فبصر برسول اللَّه ﷺ وأصحابه مبيضين يزول بهم السراب ، فلم يملك اليهودى أن قال بأعلى صوته : يا معشر العرب ، هذا جدكم الذى تنتظرون ، فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول اللَّه ﷺ بظهر الحرة ، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسول اللَّه ﷺ صامتًا ، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول اللَّه ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول اللَّه ﷺ ،

فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول اللّه ﷺ عند ذلك، فلبث رسول اللّهﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى، وصلى فيه رسول اللّهﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد النبىﷺ بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربدًا للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول اللّه ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء المنزل. ثم دعا رسول اللّهﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدًا، فقالا: لا بل نهبه لك يا رسول اللّه، فأبى رسول اللّهﷺ أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجدًا وطفق رسول اللّهﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه، ويقول وهو ينقل اللبن:

«هَذَا الحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْبَر هَـذَا أَبَـرُّ رَبُّـنَـا وَأَطْـهَـر»

ويقول:

«اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَه فَارْحَمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَه»

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث أن رسول اللّهﷺ تمثل ببيت شعر تام إلا هذا البيت[1].

وهذا الكلام كما ترى ليس من باب الشعر، ولا هو فى شيء من بحوره وأوزانه، وإنما هو كلام منتثر اتفقت تقفيته لا عن قصد كما يقع كثيرًا.

وقال رحمه اللّه تعالى: حدثنى محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا أبى حدثنا عبدالعزيز بن صهيب حدثنا أنس بن مالك ﷺ قال: أقبل نبى اللّهﷺ إلى المدينة وهو مردف أبا بكر، وأبو بكر شيخ يعرف ونبى اللّهﷺ شاب لا يعرف، قال فيلقى الرجل أبا بكر فيقول: يا أبا بكر من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل. قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال يا رسول اللّه هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبى اللّهﷺ فقال: «اللَّهُمَّ اصْرَعْهُ» فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال: يا نبى اللّه مرنى بما شئت. قال: «فَقِفْ مَكَانَكَ لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا». قال: فكان أول النهار جاهدًا على نبى اللّه ﷺ وكان آخر النهار مسلحة له، فنزل رسول اللّهﷺ جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٠٦) بهذا الطول.

فجاءوا إلى نبى اللَّه ﷺ وأبى بكر فسلموا عليهما وقالوا : اركبا آمنين مطاعين ، فركب نبى اللَّه ﷺ وأبو بكر وحفوا بهما بالسلاح ، فقيل فى المدينة جاء نبى اللَّه ، جاء نبى اللَّه ﷺ فأشرفوا ينظرون ويقولون : جاء نبى اللَّه جاء نبى اللَّه ﷺ فأقبل يسير حتى نزل دار أبى أيوب فإنه ليحرث أهله إذا سمع به عبد اللَّه بن سلام وهو فى نخل لأهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه فتسمع من نبى اللَّه ﷺ ثم رجع إلى أهله ، فقال نبى اللَّه ﷺ : «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟» فقال أبو أيوب : أنا يا نبى اللَّه صلى اللَّه عليك وسلم ، هذه دارى وهذا بابى ، قال : «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا» . قال قوما على بركة اللَّه تعالى . فلما جاء نبى اللَّه ﷺ جاء عبد اللَّه بن سلام فقال : أشهد أنك رسول اللَّه وأنك جئت بحق ، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم ، وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فى ما ليس فى . فأرسل نبى اللَّه ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول اللَّه ﷺ : «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُم اتَّقُوا اللَّهَ ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا ، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلِمُوا» . قالوا : ما نعلمه . قالوا للنبى ﷺ قالها ثلاث مرات . قال : «فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ؟» قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا . قال : «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قالوا : حاشا للَّه ، ما كان ليسلم . قال : «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قالوا : حاشا للَّه ما كان ليسلم . قال : «أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟» قالوا : حاشا للَّه ، ما كان ليسلم . قال : «يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ» . فخرج فقال يا معشر اليهود اتقوا اللَّه ، فواللَّه الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول اللَّه وأنه جاء بحق . فقالوا كذبت ، فأخرجهم رسول اللَّه ﷺ[1] .

وقال رحمه اللَّه تعالى : حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق قال سمعت البراء يحدث قال : ابتاع أبو بكر من عازب رجلًا فحملته معه ، قال فسأله عازب عن مسير رسول اللَّه ﷺ ، قال أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلًا فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة ، ثم رفعت لنا صخرة أتيناها ولها شيء من ظل ، قال ففرشت لرسول اللَّه ﷺ فروة معى ثم اضطجع عليها النبى ﷺ فانطلقت أنفض ما حوله فإذا أنا براع قد أقبل فى غنمه يريد من الصخرة مثل الذى أردنا ، فسألته لمن أنت يا غلام؟ فقال أنا لفلان ، فقلت هل فى غنمك من لبن؟ قال نعم . قلت له هل أنت حالب؟ قال نعم . قال فأخذ شاة من غنمه فقلت له انفض الضرع قال فحلب كثبة من لبن

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٩١١) بطوله .

ومعي إداوة من ماء عليها خرقة قد رأوتها لرسول الله ﷺ ، فصببت على اللبن حتى برد أسفله ثم أتيت به النبي ﷺ فقلت اشرب يا رسول الله، فشرب رسول الله ﷺ حتى رضيت. ثم ارتحلنا والطلب في أثرنا[1] .

قال البراء فدخلت مع أبي بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد أصابتها حُمى . فرأيت أباها أقبل وقال: كيف أنت يا بنية؟[2] وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أول ما قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكان يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ ثم قدم النبي ﷺ ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ ، فما قدم حتى قرأت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١﴾[الأعلى: الآية ١] في سورة من المفصل[3] .

الإذن بالقتال

وَبَعْدَهَا كُلِّفَ بِالْقِتَالِ لِشِيعَةِ الْكُفْرَانِ وَالضَّلَالِ
حَتَّى أَتَوْا لِلدِّينِ مُنْقَادِينَا وَدَخَلُوا فِي السِّلْمِ مُذْعِنِينَا

«وبعدها» أي: بعد الهجرة «كلف» أي: أمر «بالقتال» في سبيل الله عز وجل «لشيعة» أعوان «الكفر» بالله وما أرسل الله به رسله ونزل به كتبه «والضلال» عن صراطه المستقيم. وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أنزل عليه ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢﴾ الآيات، وهي أول ما نزل بعد فترة الوحي[4] ، وبينها وبين نزول الآيات من صدر سورة الفلق ثلاث سنين فيما ذكر ابن إسحاق رحمه الله[5] ، وذلك مدة الفترة، وسمى الله تعالى تلاوة القرآن على المشركين جهادًا لهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ۝٥٠ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ . وأما الجهاد المحسوس بالسيف

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩١٧).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩١٨).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٢٥).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر.
(٥) لم أقف على كلام ابن إسحاق، لكن قد ذكر بعضهم أن الفترة كانت أيامًا، وذكر بعضهم أنها كانت سنتين أو سنتين ونصف، والله أعلم، وانظر «البداية والنهاية» وغيرها.

فلم يكن بمكة مأمورًا إلا بالعفو والإعراض عن الجاهلين والصبر على أذاهم واحتمال ما يلقى منهم كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٩٩] الآيات وقوله: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: الآية ٩٤] الآيات وغيرها.

ولهذا قال أئمة التفسير إن آيات الإعراض عن المشركين نسختها آيات السيف، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وصارت لهم دار منعة وإخوان صدق وأنصار حق، أذن الله تعالى لهم في الجهاد فقال ﷻ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ الآيات، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: الآية ٤] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف: الآية ٤] إلى أن قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ﴾ الآية.

وقال النبى ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»(١) الحديث، وقال ﷺ: «**بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ حَتَّى يُعْبَدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، بِأَنْ يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»(٢)، أو كما قال، وقال ﷺ: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ**»(٣) الحديث، والآيات والأحاديث فى الجهاد أكثر من أن تحصى، وقد أفردت لها مصنفات مستقلات، والجهاد ذروة سنام الإسلام، ولا يقوم إلا به، كما أن بيان شرائعه لا تقوم إلا بالكتاب، ولهذا قرن اللَّه تعالى بينهما فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: الآية ٢٥] فالكتاب لبيان الحق والهداية إليه، والحديد لحمل الناس على الحق وأطرهم عليه.

والمقصود: أن النبى ﷺ حين أذن اللَّه له بالقتال وأمره به، شمر عن ساعد الاجتهاد فى شأنه وكان بينه وبين المشركين ما كان من الوقائع المشهورة والغزوات المذكورة كبدر وأحد والخندق وخيبر والفتح وغيرها فوق عشرين غزوة وفوق أربعين سرية، ونصره اللَّه بالرعب فى قلوب أعدائه مسافة شهر(٤)، حتى فتح اللَّه به وبكتابه وأنصاره البلاد والقلوب وعمَّرها، ففتح البلاد بالسيف والقلوب بالإيمان وعمر البلاد بالعدل والقلوب بالعلم، فللَّه الحمد والمنة. وقال على بن أبى طالب ﷺ: بعث النبى ﷺ بأربعة أسياف: سيف

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) وغيرهما من حديث ابن عمر، وورد من حديث أبي هريرة عندهما، ومن حديث جابر ومن حديث أنس.

(٢) حسن الإسناد: أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) عن محمد بن يزيد الواسطي عن ابن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر مرفوعًا، وإسناده حسن، ابن ثوبان هو عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وهو صدوق يخطئ، وباقي رجال الإسناد ثقات. وورد الحديث من طريق الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وهذا أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (١/ ٣١٩ ح٩٥٦)، لكن هذا أعله أبو دحيم بالإرسال كما نقل عنه ابن أبي حاتم، وقال أبو دحيم: هذا الحديث ليس بشيء، الحديث حديث الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن طاوس عن النبي ﷺ.
قلت (يحيى): وهذا المرسل أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٠١٠)، وهو معلول بالإرسال، وضعف سعيد بن جبلة، وانظر ترجمته باللسان (٣/ ٣٠)، وإسناد الإمام أحمد في «المسند» خال من هذه العلل، واللَّه أعلم.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٣١)، والترمذي (١٤٠٨ و١٦١٧)، وأبو داود (٢٦١٣)، وابن ماجه (٢٨٥٥٨) من حديث ابن بريدة عن أبيه مرفوعًا به.

(٤) في الحديث: «نصرت بالرعب مسيرة شهر» أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر مرفوعًا.

المشركين ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾[البقرة: الآية ١٩١] ، وسيف المنافقين ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾[التوبة: الآية ٧٣] ، وسيف لأهل الكتاب ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[التوبة: الآية ٢٩] ، وسيف للبغاة ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾[الحجرات: الآية ٩](١) وقد بذل المهاجرون والأنصار مع رسول الله ﷺ أموالهم وأنفسهم فى سبيل الله كما وصفهم الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: الآية ١٥] ، وبذل المشركون جهدهم ومجهودهم فى عداوته وقتاله وألبوا وتحزبوا كما قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾[الأنفال: الآية ٣٦] الآيات . وقال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فقد فعل تبارك وتعالى .

«حتى أتوا الدين» دين الإسلام ، «منقادينا» الألف للاطلاق طوعًا وكرهًا ، «ودخلوا فى السلم» أى : الإسلام «مذعنينا» مستسلمين ، وكان معظم ظهوره بعد الفتح لأن الناس كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشًا لأنهم فى الجاهلية هم سادة العرب وقادتها ، وكذلك هم فى الإسلام ، فلما أسلموا بادر كل قوم بإسلامهم ، وتواترت الوفود إلى رسول الله ﷺ من كل فج عميق ، وانتشر الإسلام وجرت أحكامه ، وانتشرت أعلامه فى كل جزيرة العرب والنبى ﷺ حى ، وأنزل الله ﷻ عليه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ ولهذا علم هو وأصحابه أن ذلك أجله ، أعلمه الله به ، كما قال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : «كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال : لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر : إنه من حيث علمتم . فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت

---

(١) ضعيف : أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٣٧) من طريق ابن عيينة عن علي موقوفًا ، وعزاه لابن أبي حاتم ، وإسناده ضعيف للإعضال ، سفيان بن عيينة بينه وبين علي رجلان على الأقل .

أنه دعاني يومئذ إلا ليريهم. قال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾[النصر: الآية ١] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا. فقال لي: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ [النصر: الآية ١] وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾[النصر: الآية ٣] فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول»[1].

وفرض الله عليه بعد الهجرة جميع الفرائض التي لم تفرض من قبل، فالجهاد في السنة الأولى[2]، وأتمت صلاة السفر في الأولى، وشرع الأذان والصيام وزكاة الفطر وزكاة النصب وتحويل القبلة إلى الكعبة كلها في الثانية، وشرع في التيمم سنة ست وصلاة الخوف سنة سبع. والحج في السادسة وقبل التاسعة وقيل العاشرة وفيها حج ﷺ وأنزل الله ﷻ عليه وهو واقف بعرفة يوم الجمعة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة: الآية ٣] » كما قدمنا الحديث في الصحيحين[3].

وفاته صلوات الله وسلامه عليه

وَبَعْدَ أَنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَهْ ... وَاسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَهْ
وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الإِسْلَامَا ... وَقَامَ دِينُ الْحَقِّ وَاسْتَقَامَا
قَبَضَهُ اللَّهُ الْعَلِي الأَعْلَى ... سُبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى

«وبعد أن قد بلغ» الرسول محمد ﷺ «الرسالة» من القرآن وبيانه أمرًا ونهيا وخبرًا ووعدًا وقصصًا «واستنقذ الخلق» حتى أنقذهم الله به «من الجهالة» من الشرك وما دونه «وأكمل الله له الإسلاما» بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها، «وقام» ظهر «دين الحق» الذي بعثه الله ليظهره على الدين كله، «واستقاما» اعتدل فلم يبق عليه غبار ولا عنه معدل، وذهبت عنه غياهب الشرك وظلم الغي وطغاية الشبهات، وجاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝٨١﴾[الإسراء: الآية ٨١]، ﴿قُلْ جَآءَ

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٩٤).

(٢) المشهور أن الجهاد فرض في السنة الثانية من الهجرة. لكن الذي يترجح أنه كان في السنة الأولى. فقد ذكر علماء السير أن أول لواء عقده النبي ﷺ كان لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ﷺ، وانظر «زاد المعاد» (٣/ ١٦٣)، والله أعلم.

(٣) الحديث في «الصحيحين» وغيرهما، وسبق تخريجه.

ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾ [سبأ: الآية ٤٩] ، وتبين الرشد من الغى والشرك من التوحيد والصدق من النفاق واليقين من الشك وسبيل النجاة من سبل الشك وطريق الجنة من طريق جهنم ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الأنفال: الآية ٣٧] ولم يبق من خير آجل ولا عاجل إلا دل الأمة عليه ، ولا شر عاجل ولا آجل إلا وحذرهم منه ونهاهم عنه حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك ، وترك فيهم ما لم يضلوا إن تمسكوا به كتاب اللّه ، وبعد هذا «قبضه اللّه العلى» بجميع معانى العلو ذاتًا وقهرًا وقدرًا «الأعلى» بكل تلك المعانى ، فلا شيء أعلى منه ﷻ «سبحانه» وكان قبضه إياه «إلى الرفيق الأعلى» وهى أعلى عليين ، وهى الوسيلة التى هى أعلى درجة فى الجنة ولا تنبغى إلا له ﷺ ، وقد أمرنا أن نسأل اللّه له ذلك ، اللّهم آت نبينا محمدًا الوسيلة والفضيلة آمين[1] ، وكانت وفاته ﷺ فى ربيع الأول نهار الإثنين بعد حجة الوداع بفوق ثمانين ليلة ، قال تبارك وتعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ ، قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٣٤] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ﴾ [آل عمران: الآية ١٨٥] . وقال : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ .

وقال البخارى رحمه اللّه تعالى : حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد بن جبير قال ابن عباس : يوم الخميس وما الخميس ، واشتد برسول اللّه ﷺ وجعه فقال : «ائْتُونِي أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَدًا» فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع ، فقالوا : ما شأنه ، استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال : «دَعُونِي فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونِي إِلَيْهِ» . وأوصاهم بثلاث قال : «أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ» وسكت عن الثالثة ، أو قال : فنسيتها[2] .

وله عن عائشة رضي الله عنها : دخل عبدالرحمن بن أبى بكر على النبى ﷺ وأنا مسندته إلى

---

(١) حديث سؤال الوسيلة للنبي ﷺ صحيح ، أخرجه البخاري (٦١٤) وغيره ، وهي المقام المحمود ، وسبق في الشفاعة .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٣١) ، ومسلم (١٦٣٧) .

صدرى ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به ، فأبده رسول اللّه ﷺ بصره ، فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبى ﷺ فاستن به ، فما رأيت رسول اللّه ﷺ استن استنانًا قط أحسن ، فما عدا أن فرغ رسول اللّه ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال : «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» ثلاثًا ثم قضى ، وكانت تقول : مات ورأسه بين حاقنتى وذاقنتى[1]، وفى رواية قالت : وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول : «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ» ، ثم نصب يده فجعل يقول : «فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» حتى قبض ومالت يده[2]، وفى أخرى قالت : فجمع اللّه بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة[3]، وفى الصحيحين وهذا لفظ مسلم عن عبيد اللّه بن عبد اللّه قال : دخلت على عائشة ﵂ فقلت لها : ألا تحدثينى عن مرض رسول اللّه ﷺ . قالت : بلى ، ثقل النبى ﷺ فقال : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول اللّه . قال : «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» ففعلنا فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق . فقال : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قلنا : لا ، وهم ينتظروك يا رسول اللّه . فقال : «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» ففعلنا فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق . فقال : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قلنا : لا ، وهم ينتظروك يا رسول اللّه . فقال : «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْمِخْضَبِ» ففعلنا فاغتسل ، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه ، ثم أفاق . فقال : «أَصَلَّى النَّاسُ؟» قلنا : لا ، وهم ينظروك يا رسول اللّه . قال والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول اللّه ﷺ لصلاة العشاء الآخرة ، قالت : فأرسل رسول اللّه ﷺ إلى أبى بكر أن يصلى بالناس ، فأتاه الرسول فقال : إن رسول اللّه ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس . قال أبو بكر - وكان رجلًا رقيقًا - يا عمر صل بالناس . قال ، فقال عمر : أنت أحق بذلك . قالت فصلى أبو بكر بالناس تلك الأيام . ثم إن رسول اللّه ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبى ﷺ أن لا يتأخر ، وقال لهما : «أَجْلِسَانِي إِلَى جَنْبِهِ» ، فأجلساه إلى جنب أبى بكر ، وكان أبو بكر يصلى وهو قائم بصلاة النبى ﷺ ، والناس يصلون بصلاة أبى بكر ، والنبى ﷺ قاعد . الحديث[4].

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٣٨) .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٤٩) .

(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤٥١) .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٦٨٧)، ومسلم (٤١٨) .

وفيه عن أنس ﷺ أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع رسول اللّه ﷺ الذى توفى فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف فى الصلاة كشف رسول اللّه ﷺ ستر الحجرة، فنظرنا إليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول اللّه ﷺ ضاحكًا فبهتنا ونحن فى الصلاة من فرح بخروج رسول اللّه ﷺ، وانكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول اللّه ﷺ خارج للصلاة أشار إليهم رسول اللّه ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم. قال: ثم دخل رسول اللّه ﷺ فأرخى الستر، قال: فتوفى رسول اللّه ﷺ من يومه ذلك[1].

وفى رواية قال: لم يخرج إلينا نبى اللّه ﷺ ثلاثًا فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم. فقال نبى اللّه ﷺ بالحجاب فدفعه، فلما وضح لنا وجه نبى اللّه ﷺ ما نظرنا منظرًا قط كان أعجب إلينا من وجه النبى ﷺ حين وضح لنا[2].

وقال البخارى رحمه اللّه تعالى: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرنى أبو سلمة. أن عائشة ﷺ أخبرته أن أبا بكر ﷺ أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول اللّه ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبى أنت وأمى، واللّه لا يجمع اللّه عليك موتتين: أما الموتة التى كتبت عليك فقد متها[3].

قال الزهرى: وحدثنى أبو سلمة عن عبد اللّه بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد اللّه فإن اللّه حى لا يموت. قال اللّه تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] إلى قوله ﴿ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٤] وقال: واللّه لكأن الناس لم يعلموا أن اللّه تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها: فأخبرنى سعيد بن المسيب أن عمر ﷺ قال: واللّه ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى لا تقلنى رجلاى، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٨٠)، ومسلم (٤١٩).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٨١)، ومسلم (٤١٩).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٥٢ و٤٤٥٣).

قالها أن النبى ﷺ قد مات[1].

تبليغه صلوات الله عليه رسالة الله

نَشْهَدُ بِالْحَقِّ بِلَا ارْتِيَابِ ... بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
وَأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرْسِلَا ... بِهِ وَكُلُّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلَا

«نشهد بالحق» بيقين وصدق «بلا ارتياب» بدون شك «بأنه المرسل بالكتاب» بالقرآن إلى كافة الناس من الجن والإنس بشيرًا ونذيرًا. قال الله تبارك وتعالى ممتنًا على عباده المؤمنين ببعثه رسول الله ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦٤] وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾، وقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: الآية ١٢٨] يمتن تبارك وتعالى بأجل نعمه على عباده وأعظمها وأعلاها وأتمها وأكملها إرساله فيهم محمدًا ﷺ من عند الله تبارك وتعالي العلى العظيم الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بكلامه الذى هو صفته، وهو كتابه العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ليهديهم به من الضلالة، ويبصرهم به من العمى، وينقذهم به من دركات الردى، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يا لها نعمة ما أعظمها وأجلها، ومنة ما أكملها وأجزلها ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: الآية ١٦٤] أكمل تلك النعمة وأتمها وزادها إجلالا يكون ذلك الرسول من أنفسهم يعرفون شخصه ونسبه ورحمه، ما من أهل بيت من العرب إلا وله ﷺ فيهم نسب ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: الآية ٢٣] ثم جعل الرسالة بلسانهم الذى به يتحاورون، ومن جنس كلامهم الذى فيه يتفاخرون، معجزًا بالفصاحة التى فى ميدانها يتسابقون بأوضح المبانى وأفصحها وأكمل المعانى

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٥٤).

وأصحها ، مع اتساق سياقه وسلاسة ألفاظه ، وانتساق تراكيبه وملاحة مفرداته ، ثم مع هذا التالى له من أنفسهم رسول من عند ربهم ثم هو ﷺ مؤد لتلك الأمانة مبلغ كلام ربه كما قاله رب العزة لم يقله النبى ﷺ بالمعنى فقط بل كما قال ﷻ: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤] الضمير لله ﷻ، ليسمعوا الذيذ خطابه . ويتأملوا لطيف عنايته ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: الآية ٢٩] ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٩]: يطهرهم ظاهرًا وباطنًا حسًا ومعنى لمن التزمه واتبعه ، أما قلوبهم فيزكيها بالإيمان من دنس ورجس الشرك ورجزه كما قال تعالى : ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحَجّ: الآية ٣٠]، و ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٥]، وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة من مساوئها ، وكذا يطهرهم من جميع الذنوب بالتوبة النصوح، وكذا يطهر ظواهرهم بما أمرهم به وأرشدهم إليه من الطهارات الحسية من الأحداث والأنجاس على اختلاف أضربها ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٩]: القرآن المجيد ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٩]: السنة النبوية التى هى تبيان القرآن وتفسيره وتوضيحه، وتدل كما قال الله تعالى له ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النّحل: الآية ٤٤] وقال النبى ﷺ: «أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وِمِثْلَهَ» [1] يعنى السنة ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤] إرساله إليهم وبعثه فيهم ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٦٤]: من الشرك وعبادة الأصنام وغير ذلك من السبل المضلة عن الصراط المستقيم الموجبة لدخول جهنم ، والخلود فى عذابها الأليم المقيم ، أجارنا الله منها . وذلك تأويل دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ يقول فيما أخبر الله عنه ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٩] فاستجاب الله له تلك الدعوة المباركة كما قضى الله ﷻ ذلك فى الأزل وسبق علمه وسطره فى كتابه وأخذ على رسله الميثاق فى الإيمان به والقيام بنصره كما قال تبارك وتعالي : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ ، وقال النبى ﷺ فيما روى الترمذى : «كنت نبيًّا وآدم منجدل فى طينته» [2] وفى رواية

---

(١) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وأبو داود (٤٦٠٤) عن حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي عن المقدام بن معديكرب مرفوعًا به .

(٢) ضعيف : ولم يخرجه الترمذي، وإنما أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٧)، وعبد الله في «السنة»=

أخرى : «وآدم بين الروح والجسد»[(١)] يعنى : وجبت له فى الكتاب ، ولأن السائل قال له : متى وجبت لك النبوة؟ هذا معنى الحديث . وقال ﷺ : «أنا دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى»[(٢)] وكما قال : فأما دعوة إبراهيم فما فى الآية السابقة ، وأما بشرى عيسى فقول الله ﷻ : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: الآية ٦] الآية . وأما رؤيا أمه فإنها رأت كأنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام . الحديث[(٣)].

وقد شهد الله تبارك وتعالى له بالرسالة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: الآية ١] وقال تعالى : ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء: الآية ١٦٦] وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾﴾ [البقرة: الآية ١١٩] الآيات . وقال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ الآيات . وقال تعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا * مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ وغير ذلك من الآيات . وقال تبارك وتعالى فى عموم رسالته إلى الأحمر والأسود والجن والإنس : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: الآية ٢٨] وقال تعالى : ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ

= (٩٣٨) ، وابن حبان في «صحيحه» (٦٤٠٤) وغيرهم ، وفي إسناده سعيد بن سويد الكلبي وهو ضعيف ، وعبد الأعلى بن هلال وهو مجهول .

(١) مـ طرب :أخرجه أحمد (٥/ ٥٩) وغيره ، وله طرق مضطربة فصلت في بيان اضطرابها في تعليقي على كتاب «السنة» لعبد الله بن الإمام أحمد (ح٩٣٧) .

(٢) ضعيف :وتخريجه فيما سبق قبل تعليق من حديث العرباض بن سارية مرفوعًا ، وإسناده ضعيف لضعف سعيد بن سويد وجهالة عبد الأعلى بن هلال ، وانظر «السنة» لعبد الله (ح٩٣٨) .

(٣) أورده ابن هشام في «السيرة» (١/ ١٠٣) عن ابن إسحاق قال : ويزعمون فيما يتحدث الناس - والله أعلم - أن آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ كانت تحدث . . : وذكرته ، قلت : وله أسانيد كلها ضعيفة .

ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ ومعنى كونه أميا: لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك أمته أمية لا يقرءون ولا يكتبون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [القصص: الآية ٨٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: الآية ٤٨] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [هود: الآية ٤٩] وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى أيضًا في ذكر عموم رسالته إلى أهل الشرائع من قبله: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ الآيات، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة: الآية ١٠١] وقال ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٨٩] وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُه آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَر وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُهُ وَحْيًا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1] وفيه عنه ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[2] وفي حديث الخصائص: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[3] وهو في الصحيحين، وقال

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٨١)، ومسلم (١٥٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر.

رسول الله ﷺ : «لو كان موسى حيًا واتبعتموه وتركتموني لـ ـلتم»(١) وقال ﷺ : «لو كان موسى حيًا ما وسعه إلا اتباعي»(٢) وأخبر ﷺ أن عيسى ينزل حكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ يقيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ(٣) فلا ناسخ ولا مغير لشريعته، ولا يسع أحدًا الخروج عنها. ولله الحمد والمنة.

اختصاصه ﷺ بعموم الرسالة

والمقصود: أن الله تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالة إلى الثقلين، ولم يقبل من أحد صرفًا ولا عدلًا إلا باتباعه، ولا يصل أحد دار السلام التي دعا الله إليها عباده إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأمته خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل، لا نسخ له بعده ولا تغيير، ولا تحويل ولا تبديل وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التي أعظمها هذا القرآن الذي تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه اتساعًا وأطولها فيه باعًا. وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعًا، مع عظم محادتهم له ومشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده. وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها، وأمتنها وأجزلها ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: الآية ١٣]. ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين، لا في زمن واحد ولا في أزمان، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ

(١) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٤٧٠)، و(٤/ ٢٦٥) وعبد الرزاق (١٠١٦٤) عن الثوري عن جابر عن الشعبي عن عبد الله بن ثابت عن عمر، وإسناده ضعيف، جابر هو ابن يزيد الجعفي ضعيف، وأخرجه الدارمي (٤٣٥) من طريق مجالد بن سعيد وهو ضعيف، وانظر ما يأتي.

(٢) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٣٣٨)، وأبو يعلى (٢١٣٥)، وابن أبي شيبة (٢٦٤٢١) والبيهقي في «الشعب» (١/ ٢٠٠) من طريق مجالد بن سعيد عن الشعبي عن جابر، وإسناده ضعيف لضعف مجالد، وانظر الحديث في «العلل» للدارقطني (٢/ ٩٨ ح ١٤٠).

(٣) في الحديث: «والذي نفسي بيده، ليوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويـ ـع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) وغيرهما من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٨]، وذلك من الآيات، ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته ومكابرته ومباهاته مع علمه أنه لا يقدر على شيء البتة فلما فعل جعل اللَّه تعالى كلامه أسمج ما يسمع وأرك ما ينطق به، وصار أضحوكة للصبيان فى كل زمان ومكان، حتى إنه لا يشبه كلام العقلاء ولا المجانين ولا النساء ولا المخنثين، وصار كذبه معلومًا عند كل أحد، ووسمه اللَّه ﷻ على لسان نبيه محمد ﷺ باسم الكذاب فلا يسمى إلا به، ولا يعرف إلا به، حتى صار أشهر من عليه العلم، بل لا علم له غيره أبدًا، ويروى عن أصحاب الفيلسوف الكندى قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أيامًا كثيرة ثم خرج فقال: واللَّه ما أقدر ولا يطيق هذا أحد، وإنى فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلًا عامًا، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته فى سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتى بهذا، قلت، وهذا الذى قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه، وإلا فبلاغة القرآن فوق ما يصف الواصفون، وكيف يقدر البشر أن يصفوا صفات من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ومن ذلك: انشقاق القمر قال اللَّه تعالى ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: الآية ١] الآيات. وفى الصحيحين عن أنس ﷺ قال «سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر»[١] وعن ابن مسعود ﷺ قال «انشق القمر على عهد رسول اللَّه ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقه دونه. فقال رسول اللَّه ﷺ: «اشْهَدُوا»»[٢] زاد فى رواية «ونحن مع النبى ﷺ»[٣].

ومنها: حنين الجذع إليه ﷺ كما في الصحيح عن جابر بن عبداللَّه ﷺ: «أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول اللَّه ألا نجعل لك منبرًا؟ قال: «إِنْ شِئْتُمْ»، فجعلوا له منبرًا فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل النبى ﷺ فضمها إليه تئن أنين الصبى يسكن، قال: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا»[٤] وفى رواية «قال فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتًا كصوت العشار، حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠٠).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٨٦٥)، ومسلم (٢٨٠٠).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٨٤).

عليها فسكنت(١) .

فيا حامدًا معنى بصورة عاقل أما لك من قلب شهد ولا سمع
يحن إليه الجذع شوقًا وما لنا ألسنا بذاك الشوق أولى من الجذع

ومنها : تسبيح الطعام وتكثير القليل بإذن الله ﷻ ، ونبع الماء من أصابعه الشريفة ﷺ ، كما فى الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : «كنا نعد الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفًا ، كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقل الماء فقال : «اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ» ، فجاءوا بإناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء ثم قال : «حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ ﷻ » . فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل»(٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : «أتي النبى ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم ، قال وكانوا ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة»(٣) ، وعن سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : «عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ . فجهش الناس نحوه فقال : «مَا لَكُمْ؟» قالوا ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يديه فى الركوة فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا ، قلت كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة»(٤) وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : «كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة ، فجلس النبى ﷺ على شفير البئر فدعا بماء فمضمض ومج فى البئر فمكثنا غير بعيد ، ثم استسقينا حتى روينا ورويت وأصدرت ركائبنا»(٥) وعن أنس بن مالك قال : قال أبو طلحة لأم سليم : «لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفًا أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء؟ قالت : نعم فأخرجت أقراصًا من شعير ثم أخرجت خمارًا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ببعضه ، ثم أرسلت إلى رسول الله ﷺ ، قال فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ فى المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لي رسول الله ﷺ :

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٨٥) .
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٧٩) ، والترمذي (٣٦٣٣) ، وأحمد (١/ ٤٦٠) .
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٧٢) ، ومسلم (٢٢٧٩) .
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٧٦) ، ومسلم (١٨٥٦) .
(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٧٧) .

«أَرْسَلَكَ أَبُو طَلْحَةَ؟» فقلت: نعم، قال: «بِطَعَامٍ؟» قلت: نعم. فقال رسول الله ﷺ لمن معه: «قُومُوا» فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا بطلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نطعمهم، فقالت الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا ثم قال: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ» فأكل القوم كلهم حتى شبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلًا»[1]، وعن جابر رضي الله عنه أن أباه توفى وعليه دين، فأتيت النبى ﷺ فقلت: «إن أبى ترك دينًا وليس عندى إلا ما يخرج نخله ولا يبلغ ما يخرج سنين ما عليه فانطلق معى لكيلا يفحش على الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذى لهم وبقى مثل ما أعطاهم»[2] وفى حديث أبى قتادة الطويل فى تلك الغزوة ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شيء من ماء فتوضأ منها وضوءًا دون وضوء، قال وبقى منها شيء من ماء. ثم قال لأبى قتادة: «احْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ» الحديث، إلى أن قال: فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمى كل شيء وهم يقولون: يا رسول الله هلكنا عطشنا فقال: «لَا هُلْكَ عَلَيْكُمْ - ثم قال - أَطْلِقُوا لِي غُمَرِي» قال ودعا بالميضأة فجعل رسول الله ﷺ يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء فى الميضأة تكابوا عليها، فقال رسول الله ﷺ: «أَحْسِنُوا الْمَلَأَ كُلُّكُمْ سَيَرْوَى» قال ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم حتى ما بقى غيرى وغير رسول الله ﷺ قال ثم صب رسول الله ﷺ فقال لي: «اشْرَبْ» فقلت لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله، قال: «إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ شُرْبًا» قال فشربت وشرب رسول الله ﷺ قال فأتى الناس الماء جامين رواء[3].

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: «والله الذى لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدت يومًا على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر ولم يفعل، ثم مر بى عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر ولم يفعل،

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٥٨٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٦٨١).

ثم مر بى أبو القاسم، فتبسم حين رآنى وعرف ما فى نفسى وما وجهى ثم قال: «يَا أَبَا هِرٍّ» قلت يا رسول الله، قال: «الْحَقْ» ومضى فتبعته فدخل فاستأذن لى فدخل فوجد لبنًا فى قدح فقال: «مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟» قالوا أهداه لك فلان أو فلانة، قال: «أَبَا هِرٍّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «الْحَقْ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي»، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئًا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءنى ذلك فقلت وما هذا اللبن فى أهل الصفة، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرنى فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغنى من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: «أَبَا هِرٍّ» قلت: لبيك يا رسول الله، قال: «خُذْ فَأَعْطِهِمْ» قال فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح، فأعطي الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد على القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال: «يا أَبَا هِرٍّ» قلت: لبيك يا رسول الله قال: «بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ» قلت: صدقت، يا رسول الله، قال: «اقْعُدْ فَاشْرَبْ» فقعدت فشربت، فقال: «اشْرَبْ» فشربت، فما زال يقول: اشرب حتى قلت «لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكًا» قال: «فأرني» فأعطيته القدح، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة[1].

وقال أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: حدثنا سليمان بن داود المهر حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ، فأخذ رسول الله ﷺ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ: «ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ» وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها، فقال لها: «أَسَمَمْتِ هَذِهِ الشَّاةَ» قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: «أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ الَّتِي فِي يَدِي» وهى الذراع. قالت: نعم. قال: «فَمَا أَرَدْتِ بِذَلِكَ؟» قالت: قلت: إن كنت نبيًّا فلن تضرك، وإن لم تكن نبيًّا استرحنا منك. الحديث[2]

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٤٥٢)، وأحمد (٢/ ٥١٥).

(٢) ضعيف الإسناد، ولبعضه شواهد في الصحيح: أما هذا فأخرجه أبو داود (٤٥١٠)، والدارمي (٦٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٤٦) من طريق الزهري عن جابر به، وهذا منقطع، وأصل الحديث أخرجه البخاري (٣١٦٩) من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٣١٩٠) من حديث أنس، وليس عندهم (نطق ذراع الشاة).

وهو في صحيح البخاري عن أبي هريرة في مواضع مختصرًا ومطولًا . لكن الشاهد منه في هذه الرواية أصرح وهو قوله : «أَخْبَرَتْنِي هَذِهِ» للذراع . وقد رواه جماعة من الصحابة في عامة الأمهات وغيرها . ودلائل نبوته ﷺ أكثر من أن تحصى في الأسفار فضلًا عن هذا المختصر ، وقد جمعت فيها التصانيف المستقلات من المختصرات والمطولات وباللّه التوفيق . وكذا قد صنفت التصانيف الجمة في صفاته الخلقية والخلقية وسيرته وشمائله ومعاملاته مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتها . وكذا خصائصه التي انفرد بها في الدنيا والآخرة عن غيره من الرسل السماويين والأرضيين وقد تقدم التنبيه على مهمات من ذلك .

«و» نشهد «أنه بلغ» إلى الناس كافة «ما» أي : الذي «قد أرسلا» بالبناء للمفعول والألف للإطلاق «به» من ربه «وكل ما إليه أنزلا» من الكتاب والحكمة . وفي هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر :

الأولى : أنه أي : الرسول ﷺ مبلغ عن اللّه ﷻ ، لم يقل شيئًا من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من اللّه إلى الناس ، وتلاوة آياته على الناس ، وتعليمهم الحكمة والتبيان ، وذلك معنى كونه ﷺ رسول اللّه فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه ، وأخباره وقصصه تبليغ لما قصه اللّه وأخبر به ، ولذا كانت طاعته طاعة للّه ﷻ ، ومعصيته معصية للّه ﷻ ، وتكذيبه تكذيبًا لإخبار اللّه ﷻ في أنه رسوله . قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ وقال تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾﴾ [المائدة : الآية ٩٢] وقال تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ [النور : الآية ٥٤] وقال تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى : الآية ٤٨] وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد : الآية ٧] ، وقال تعالى : ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [فاطر : الآية ٢٣] وقال : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾﴾ [ص : الآية ٦٥] وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت : الآية ٦] وقال : ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق : الآية ٤٥] وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنِّي لَن

﴿يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)﴾ وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ (٥٥)﴾[الذاريات: الآية ٥٥] وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ (١٠)﴾ وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢)﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[الحشر: الآية ٧] وغير ذلك من الآيات ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥)﴾ وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى: عن أبي إمامة رضي الله عنه أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لَيَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيسَ بِنَبِي مِثْلَ الحَيين - أو مِثْلَ أَحَدِ الحَيين - رَبِيعَةَ وَمُضَرَ**»، فقال رجل: يا رسول اللَّه وما ربيعة من مضر؟ قال: «**إِنَّمَا أَقُولُ مَا أَقُولُ**»[1]، وله عن عبد اللَّه بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول اللَّه ﷺ أريد حفظه، فنهتني قريش فقالوا: إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول اللَّه ﷺ ورسول اللَّه ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسول اللَّه ﷺ فقال: «**اكْتُبْ فَوالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه مَا خَرَجَ مِنِّي إِلَا الحَقَّ**»[2] وله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لَا أَقُولُ إِلَا حَقًّا**». قال: بعض أصحابه فإنك تداعبنا، قال: «**إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَا حَقًّا**»[3] وللبزار عنه رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**مَا**

(١) صحيح بمجموع طرقه: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وفي إسناده عبد الرحمن بن ميسرة قال عنه الحافظ في «التقريب»: مقبول. يعني إذا توبع وإلا فلين، لكن للحديث شاهد صحيح، أخرجه الترمذي (٢٤٤٦)، وأحمد (٣/ ٤٦٩) من طريق إسماعيل بن إبراهيم عن خالد الحذاء عن عبد اللَّه بن شقيق عن رجل من أصحاب النبي ﷺ مرفوعًا بلفظ: «. . . أكثر من بني تميم» وإسناده صحيح، وله شواهد أخرى ضعيفة ومرسلة انظرها في «الزهد» لأحمد (٦٧١) بتحقيقي.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، والدارمي (٤٨٤)، وأحمد (٢/ ١٦٢ و١٩٢)، وابن أبي شيبة (٢٦٤٢٨)، والحاكم (٣٥٩) من طريق عبيد اللَّه بن الأخنس عن الوليد بن عبد اللَّه عن يوسف بن ماهك عن عبد اللَّه بن عمرو بن العاص.

قلت: وإسناده حسن، وعبيد اللَّه بن الأخنس صدوق، وأما الوليد فظنه الحاكم الوليد بن الوليد الشامي. قلت: في رواية أبي داود أنه الوليد بن عبد اللَّه بن أبي مغيث. قلت: وهو ثقة.

(٣) حسن: أخرجه الترمذي في «السنن» (١٩٩٠)، وفي «الشمائل (٢٣٦ بتحقيقي) من طريق ابن المبارك عن أسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا به، وقال الترمذي: حسن صحيح. قلت: أسامة بن زيد يحتمل أن يكون الليثي وهو صدوق، أو العدوي وهو ضعيف، لكن للحديث شاهد أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٦٧) من طريق محمد بن عجلان عن أبيه أو سعيد عن أبي هريرة، ومحمد بن عجلان صدوق اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة، لكنه صالح للشواهد، =

أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ»(١) وغير ذلك من الأحاديث، ويكفي في ذلك قول الله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ۝٨٠ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝٤٦﴾ الآيات.

المسألة الثانية: أنه ﷺ بلغ جميع ما أرسل به لم يكتم منه حرفًا واحدًا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: الآية ٦٧]. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ وَعَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ وَعَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ أَوْ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ فَيَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَغِثْنِي فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ»(٢) وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل قوله ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال: بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس «اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»

= وللحديث شواهد لا تصح، منها ما أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ وآدابه (١٨٥ بتحقيقي) من حديث عائشة وفي إسناده من لم أقف له على ترجمة.

(١) حسن: أخرجه البزار، ومن طريقه أورده ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٤٨) عن أحمد بن منصور الرمادي عن عبد الله بن صالح عن الليث بن سعد عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة مرفوعًا به، وهذا إسناد حسن، على كلام في عبد الله بن صالح كاتب الليث، وهو ممن يصلح حديثه في الشواهد، وهذا أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧٩) وقال: رواه البزار وفيه أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة وفيه كلام لا يضر، وبقية رجاله رجال الصحيح، وعبد الله بن صالح مختلف فيه. اهـ. قلت: والرمادي ثقة، وعبد الله بن صالح متابع، فقد أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢١٠٦) عن عمر بن محمد الهمداني عن عبد الملك بن شعيب بن الليث بن سعد عن أبيه عن جده عن ابن عجلان بمثله، وهذا إسناد حسن، وعمر بن محمد من شيوخ ابن حبان الذين أكثر عنهم الرواية، وعبد الملك وأبوه ثقتان.

وله أيضًا شاهد من حديث ابن عباس أورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧٨) وقال: رواه البزار وإسناده حسن، إلا أن إسماعيل بن عبد الله الأصبهاني شيخ البزار لم أرَ من ترجمه. اهـ. قلت: والحديث حسن من غير هذا الشاهد، والله أعلم.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠٧٣)، ومسلم (١٨٣١).

ثلاث مرات[١].

الحديث، وفيهما من حديث ابن عباس في ذلك الجمع الأعظم حين خطب: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ؟»[٢] ومن حديث أبي بكرة في تلك الخطبة أيضًا «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قالوا: نعم. قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»[٣].

وفي صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب بن عبد الله السوائي قال: قلت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: «لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهمًا يعطيه الله رجلًا في القرآن، وما في هذه الصحيفة» قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقل وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر»[٤].

وفيه من رواية الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن علي رضي الله عنه قال: ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ: «المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيرٍ إِلَى كَذَا مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»[٥] الحديث. وفي رواية قال: خطبنا علي رضي الله عنه على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال: «وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابَ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. فَنَشَرَهَا فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الْإِبِلِ، وَإِذَا فِيهَا: الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ عَيْرَ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. وَإِذَا فِيهَا ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. وَإِذَا فِيهَا مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»[٦].

ولابن أبي حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل فقال له: إن أناسًا يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسول الله ﷺ للناس. فقال ابن عباس: «ألم تعلم أن الله تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٢١٨) وغيره من حديث جابر في صفة حجة النبي ﷺ.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (١٧٣٩) من حديث ابن عباس، وهو عند مسلم بقصة مختلفة.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (١١١ و٣٠٤٧).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٣٧٠).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (١٨٧٠ و٣١٧٢)، ومسلم (١٣٧٠).

بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٦٧] والله ما ورثنا رسول الله ﷺ سوداء في بيضاء»[1] وإسناده جيد.

وتقدم قول عائشة ﵂ قالت: «من حدثك أن محمدًا ﷺ كتم شيئًا مما أنزل عليه فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾[المائدة: الآية ٦٧][2] الآية».

المسألة الثالثة: أن هذا الذي بلغه الرسول ﷺ عن ربه تعالى هو جميع دين الإسلام مكملًا محكمًا لم يبق فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج إلى تكميل، ولم يبق فيه إشكال فيحتاج إلى حل، ولا إجمال فيفتقر إلى تفصيل، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾[الأنعام: الآية ٣٨] فكما أن الإمام المبين قد أحصى كل ما هو كائن، كما علمه الله ﷻ، فكذلك هذا القرآن واف شاف كاف محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها وأقوالها وأعمالها وسرها وعلانيتها، فمن لم يكفه فلا كفى، ومن لم يشفه فلا شفى. ﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: الآية ٥١]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾[الأعراف: الآية ١٨٥] وكما وفى بتقرير الدين وتكميله وشرحه وتفصيله كذلك هو واف بالذب عنه وبرد كل شبهة ترد عليه، وبقمع كل ملحد ومعاند ومشاق ومحاد، وبدمغ كل باطل وإزهاقه ﴿وَلَا يَأۡتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَأَحۡسَنَ تَفۡسِيرًا ۝٣٣﴾[الفرقان: الآية ٣٣]. ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾[الأنبياء: الآية ١٨]، ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾[الحجر: الآية ٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ۝٤٣ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ۝٤٤﴾.

وكذلك السنة من جوامع كلم الرسول ﷺ التي اختصه الله بها، هي روح المعاني والوحي الثاني، والحكمة والبيان وتبيان القرآن. والنور والبرهان. فلم يتوف ﷺ حتى بين

---

(١) حسن: أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٧٨) عن ابن أبي حاتم عن أحمد بن منصور الرمادي عن سعيد بن سليمان عن عباد عن هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس، وهذا إسناد حسن، وسعيد بن سليمان هو الضبي، وعباد هو ابن العوام، وهارون لا بأس به، وباقي رجال الإسناد ثقات.

(٢) صحيح: وسبق تخريجه.

الشريعة أكمل بيان، ولم يكن ليتوفاه الله تعالى قبل بيان ما بالناس إليه حاجة في دينهم ودنياهم وآخرتهم، والله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النحل: الآية ٦٤] ويقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: الآية ٤٤] ثم يخبر أنه ما أنزل عليك الكتاب إلا لذلك، فكيف يتوفاه قبل إنفاذ ذلك وإنجازه، مع قوله تعالى له ﷺ ولأمته كلهم: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ فكيف يعدنا تعالى بإتمام النعمة وإكمال الدين ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك وهو ﷻ ﴿لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: الآية ٩] والذي بعثه بالحق بشيرًا ونذيرًا ما توفاه الله ﷻ حتى بلغ ما أرسله الله به أكمل بلاغ وبينه أتم بيان وفصله أوضح تفصيل وأكمل به الدين وأتم علينا النعمة ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل في يوم الجمعة الذي اختص به هو وأمته وهداهم له في أشرف موقف وأفضل عشية يوم الحج الأكبر وهو واقف بعرفة في ذلك الجمع الأعظم الذي لم يتفق وقوع مثله ولم يتفق أكثر الناس برسول الله ﷺ بعده ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣]، فأخبر فيها بإكمال دينه الذي وعدنا إظهاره في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: الآية ٣٣] وبإتمامه النعمة كما وعد في قوله تعالى: ﴿وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى﴾ [المائدة: الآية ٣] تقدم الحديث الصحيح في قول اليهودي لعمر في شأنها وما رد عليه به[١].

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣] وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائع الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وقد أتمه فلا ينقصه أبدًا، وقد رضيه فلا يسخطه أبدًا[٢].

قلت: وفي ضمن هذا الخطاب معنى فارضوا به أنتم لأنفسكم، ولهذا قال النبي ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا وَبِالإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا»[٣] وأمر بهذا الذكر في

---

(١) صحيح: وسبق تخريجه.

(٢) ضعيف الإسناد، للانقطاع بين ابن عباس وعلي بن أبي طلحة، والأثر أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ٧٩).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٣٤)، والترمذي (٢٦٢٣)، وأحمد (١/ ٢٠٨) من حديث العباس بن عبد المطلب مرفوعًا به.

كل مساء وصباح[1]، وقال أسباط عن السدي: نزلت هذه الآية يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولا حرام، ورجع رسول اللّٰه ﷺ فمات[2]، قالت أسماء بنت عميس، حججت مع رسول اللّٰه ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل، فمال رسول اللّٰه ﷺ على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما يميلها من القرآن فبركت، فأتيته فسجيت عليه بردًا كان علي[3]، وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول اللّٰه ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يومًا[4]، رواهما ابن جرير، وله عن هارون بن عنترة عن أبيه قال لما نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣] وذلك يوم الحج بكى عمر ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «ما يبكيك؟» قال ﷺ: كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فإنه لم يكمل شيء إلا نقص، فقال: «صدقت»[5].

وقال ابن عباس ﷺ في قول اللّٰه تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [الفرقان: الآية ٣٣] قال: ولا يأتونك بمثل أي: بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: الآية ٣٣] الآية أي: لإنزال جبريل من اللّٰه تعالى بجوابهم، وما هذا إلا اعتناء وكبر شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من اللّٰه ﷻ بالقرآن صباحًا ومساء وليلا ونهارًا. سفرًا وحضرًا، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتب قبله المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين. فالقرآن أشرف كتاب أنزله اللّٰه، ومحمد ﷺ أعظم

(١) ورد الترغيب في التلفظ بهذا الذكر صباحًا ومساءً من حديث ثوبان مرفوعًا، أخرجه الترمذي(٣٣٨٩) وقال: حسن غريب من هذا الوجه. قلت: في إسناده سعيد بن المرزبان وهو ضعيف، وورد من حديث أبي سلام مولى رسول اللّٰه ﷺ أخرجه ابن ماجه (٣٨٧٠) وأحمد (٤/ ٣٣٧) و(٥/ ٣٦٧) وفي إسناده سابق بن ناجية وهو مجهول. وقد صحَّ أن من قال هذا الذكر وجبت له الجنة، أخرجه مسلم (١٨٨٤)، وأبو داود(١٥٢٩)، وابن حبان(٨٦٣)، وعبد بن حميد(٩٩٩) وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وليس فيه جعل هذا الذكر من أذكار الصباح والمساء.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن جرير (٦/ ٧٩)، وابن نصر في «الصلاة» (٣٥٥) من طريق أسباط عن السدي، وأسباط هو ابن نصر ضعيف.

(٣) ضعيف الإسناد: وهو عند ابن جرير بالإسناد السابق موصولًا به.

(٤) أخرجه ابن جرير (٦/ ٨٠) بإسناد ضعيف عن ابن جريج.

(٥) ضعيف الإسناد، للإرسال عنترة ثقة لكنه تابعي ولم يدرك القصة، والخبر أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٤٠٨) وابن جرير (٦/ ٨٠) عن ابن فضيل عن هارون بن عنترة عن أبيه.

نبي أرسله اللّه تعالى. وقد جمع اللّه للقرآن الصفتين معًا: ففى الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منجمًا بحسب الوقائع والحوادث[1] ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا * وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ١٠٦] وكما وفَّى بالردِّ على كل مشاق للّه ورسوله من الوثنين والمنافقين والكتابيين وغيرهم، ونزل منجمًا على حسب ذلك، فكذلك هو واف يرد شبهة كل ملحد إلى يوم القيامة، اقرأ على من ادَّعى النبوة: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠]، وعلى الدجال فواتح سورة الكهف وعلى المعطل والمشبه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: الآية ١١]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: الآية ١١٠]، وعلى النافي للقدر: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٩]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر: الآية ٤٩]، وعلى الجبرية الغلاة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦]، ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: الآية ١٦٥]، ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٤٩]، وعلى نفاة الرؤية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وعلى الرافضة: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: الآية ٤٠] وعلى الناصبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: الآية ١٠٠] الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣]، وعلى الفريقين: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: الآية ١٠] وعلى كل ذى بدعة مطلقًا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٣] إلى آخرها مع قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران: الآية ٨٣]، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: الآية ٨٥].

المسألة الرابعة: إن هذا الدين التام المكمل الذي بلغه الرسول ﷺ إلى الناس كافة لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصول الملة ولا نقصًا منها ولا تغييرًا ولا تبديلا ولا يقبل من أحد دينًا سواه، ولا تقبل لأحد عبادة لم يتعبدها محمد رسول اللّه ﷺ ولا أصحابه، ولا يعبد اللّه تعالى إلا بما شرع، وهذه المسألة يأتى إن شاء اللّه الكلام عليها في الفصل الأخير، واللّه المستعان.

---

(١) من أول كلام ابن عباس إلى هنا منقول من تفسير ابن كثير (٣/ ٣١٩).

محمد ﷺ خاتم الرسل، فلا نبي بعده

المسألة الخامسة : أن محمدًا ﷺ خاتم الرسل فلا نبي بعده ، وكتابه خاتم الكتب فلا كتاب بعده ، فهو محكم أبدًا . وهذه المسألة هي المشار إليها بهذا البيت والذي بعده :

وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى نُبوةً فكَاذِبٌ فِيما ادَّعَى
فهوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ وَأَفضَلُ الخَلْقِ عَلَى الإطْلَاقِ

قال الله تبارك وتعالى : ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٤٠] وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: الآية ١٤٣] وقال تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] وقال تعالى : ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: الآية ١٦٣] إلى غير ذلك من الآيات .

وقال البخاري رحمه الله تعالى : حدثنا إبراهيم بن المنذر قال : حدثني معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لِي خَمْسَةُ أَسْمَاءٍ أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي وَأَنَا الْعَاقِبُ**»[1] ورواه مسلم وزاد «وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي»[2] وله عن أبي موسى رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يسمي لنا نفسه أسماء فقال : «**أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَالْمُقَفِّي وَالْحَاشِرُ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ**»[3] .

وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب خاتم النبيين ﷺ ، حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم حدثنا سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : «**مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ وَيَقُولُونَ لَوْلَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ**»[4] رواه مسلم وزاد : قال رسول الله ﷺ : «**فأنا موضع اللبنة ، جئت فختمت الأنبياء**»[5] ، وقال البخاري رحمه الله تعالى حدثنا قتيبة عن سعيد حدثنا

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤) .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٥٤) .
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٥٥) .
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٢٨٧) .
(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٨٧) .

إسماعيل بن جعفر عن عبد اللَّه بن دينار عن أبي صالح عن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال : **«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة؟»** قال ﷺ : **«فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين»**(١) رواه مسلم من طرق ، وله عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول اللَّه ﷺ : **«مثلي ومثل النبيين»**(٢) فذكر نحوه . وقال الإمام أحمد رحمه اللَّه تعالى : حدثنا أبو عامر الأزدي حدثنا زهير بن محمد عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ قال : **«مَثَلِي فِي النَّبِيِّينَ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَحْسَنَهَا وَأَكْمَلَهَا وَتَرَكَ فِيهَا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ لَمْ يَضَعْهَا فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِالْبُنْيَانِ وَيَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَقُولُونَ لَوْ تَمَّ مَوْضِعُ هَذِهِ اللَّبِنَةِ فَأَنَا فِي النَّبِيِّينَ مَوْضِعُ تِلْكَ اللَّبِنَةِ»**(٣) .

ورواه الترمذي عن أبي عامر العقدي به وقال : حسن صحيح . وقال البخاري رحمه اللَّه تعالى : حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول اللَّه ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا ، فقال : أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال : **«أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَا أَنَّهُ لَيسَ نَبِي بَعْدِي»**(٤) .

ورواه مسلم من طريق مصعب هذه ومن طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : قال رسول اللَّه ﷺ لعلي : **«أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَا أَنَّهُ لَا نَبِي بَعْدِي»** قال سعيد : فأحببت أن أشافه بها سعدًا فلقيت سعدًا فحدثته بما حدثني به عامر فقال : أنا سمعته ، فقلت أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال : نعم وإلا سكتا(٥) .

وتقدم في حديث ذكر الدجال قوله ﷺ : **«أنه يبدئ فيقول إنه نبي ، وأنا خاتم النبيين . ولا نبي بعدي»**(٦) الحديث . وفي حديث ثوبان الطويل عند أبي داود وغيره **«وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي**

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) .

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٢٨٦) .

(٣) صحيح بشواهده : أخرجه أحمد (٥/ ١٣٦ و١٣٧)، والترمذي (٣٦١٣) وقال : هذا حديث حسن .
قلت : عبد اللَّه بن محمد بن عقيل فيه كلام ، ويتقوى حديثه بما سبق .

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤) .

(٥) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٠٤) .

(٦) ضعيف الإسناد : أخرجه أبو داود (٤٣٢٢) وعبد اللَّه في «السنة» (١٠٩٣٠) وابن أبي عاصم في السنة (٤٢٩) والروياني في «مسنده» (١٢٣٩) والحاكم (٨٦٢٠) جميعًا من طريق يحيى بن أبي عمرو=

أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»(١) وللبخاري ومسلم وهذا لفظه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «نَحْنُ الْآخِرُونَ وَنَحْنُ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْدَ أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أُوتِيَتِ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ ثُمَّ هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْنَا هَدَانَا اللَّهُ لَهُ فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ الْيَهُودُ غَدًا وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»(٢).

وفي رواية «وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ»(٣).

وفي صحيح البخاري في موضع من صحيحه من طرق عن ابن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّمَا أَجَلُكُمْ فِي أَجَلِ مَنْ خَلَا مِنَ الْأُمَمِ مَا بَيْنَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ وَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالًا فَقَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ ثُمَّ قَالَ مَنْ يَعْمَلُ لِي مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ أَلَا فَأَنْتُمُ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغْرِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ أَلَا لَكُمُ الْأَجْرُ مَرَّتَيْنِ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى فَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلًا وَأَقَلُّ عَطَاءً قَالَ اللَّهُ هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئًا قَالُوا لَا قَالَ فَإِنَّهُ فَضْلِي أُعْطِيهِ مَنْ شِئْتُ»(٤).

ولهما عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة ﷺ خمس سنين سمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَتَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ وَأَعْطُوهُمْ

= السيباني عن عمرو بن عبد الله الحضرمي عن أبي أمامة مرفوعًا به. وإسناده ضعيف، عمرو الحضرمي مجهول ولم يرو عنه غير يحيى السيباني. وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧) من طريق إسماعيل بن رافع عن يحيى السيباني عن أبي أمامة، ولم يذكر الحضرمي، وإسماعيل ضعيف.

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢٢١٩)، وأحمد (٥/ ٢٧٨)، والحاكم (٨٣٩٠) من حديث ثوبان بإسناد صحيح، وأصل الحديث أخرجه مسلم (٢٨٨٩) من غير موضع الشاهد، وأخرج البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (ص ٢٢٣٩ ح١٥٧) أوله من حديث أبي هريرة مرفوعًا، وليس عندهما: وأنا خاتم النبيين. . . إلخ.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٨٥٦) من حديث أبي هريرة وحذيفة.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٥٩).

حَقِّهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»[(١)] وروى الإمام أحمد والترمذي وصححه عن أنس بن مالك ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انْقَطَعَتْ فَلَا رَسُولَ بَعْدِي وَلَا نَبِيَّ لَكِنِ الْمُبَشِّرَاتُ رُؤْيَا الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ». قال: فشق ذلك على الناس، فقال: «وَلَكِنِ الْمُبَشِّرَاتِ» قالوا: يا رسول الله وما المبشرات؟ قال: «رُؤْيَا الرَّجُلِ الْمُسْلِمِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ أَجْزَاءِ النُّبُوَّةِ»[(٢)] وللبخاري من حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺيقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوةِ إِلَا الْمُبَشِّراتُ». قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرُّؤْيا الصَّالِحَةُ»[(٣)].

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلي بن حجر قالوا: حدثنا إسماعيل - وهو ابن جعفر - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ»[(٤)].

وروى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»[(٥)].

وله عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا كالمودع فقال: «أنا محمد النبي الأمي - ثلاثًا - ولا نبي بعدي، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه»[(٦)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٢) **حسن وله شواهد**: وهذا أخرجه الترمذي (٢٢٧٢)، وأحمد (٣/ ٢٦٧)، والحاكم (٨١٧٨) من طريق عبد الواحد بن زياد عن المختار بن فلفل عن أنس، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصححه الحاكم، وأخرجه أبو يعلى (٣٩٤٧)، وابن أبي شيبة (٣٠٤٥٧) عن عبد الله بن إدريس عن المختار بن فلفل عن أنس، وإسناده حسن، والمختار صدوق.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٩٠).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٢٣)، والترمذي (١٥٥٣)، وأحمد (٢/ ٤١١)، وأبو يعلى (٦٤٩١).

(٥) **ضعيف**: وسبق تخريجه والكلام عليه.

(٦) **ضعيف الإسناد، ولمعناه شواهد**: أما هذا فأخرجه أحمد (٢/ ١٧٢ و٢١٢) من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف، وقد اختلف في الراوي عن عبد الله بن عمرو، وأما آخر الحديث فأخرجه ابن أبي شيبة (٢٩٩٨)، وأبو يعلى (٧٢٣٨) عن هشيم بن بشير عن عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري مرفوعًا، لكن عبد الرحمن هو الواسطي أبو شيبة وهو ضعيف، ولمعنى الحديث شواهد صحيحة.

وقد وردت عدة أحاديث في صفة خاتم النبوة بين كتفيه آية باهرة ودلالة ظاهرة على أنه لا نبي بعده لا بأس أن نذكر ما تيسر منها . فروى البخاري ومسلم عن السائب بن يزيد رضي الله عنه قال : «ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إن ابن أختي وقع . فمسح رأسي ودعا لي بالبركة . وتوضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة»[١] .

ولمسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : «كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته ، وكان إذا ادهن لم يتبين ، وإذا شعث رأسه تبين ، وكان كثير شعر اللحية ، فقال رجل : وجهه مثل السيف . قال : بل كان مثل الشمس والقمر . وكان مستديرًا ، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبه جسده»[٢] ، وفي رواية قال : «رأيت خاتمًا في ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام»[٣] .

وله عن عبد الله بن سرجس رضي الله عنه قال : «رأيت النبي ﷺ وأكلت معه خبزًا ولحمًا – أو قال : ثريدًا – قال : فقلت له : استغفر لك النبي ﷺ ؟ قال : نعم ولك» ثم تلا هذه الآية ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: الآية ١٩] . قال : «ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عن ناغض كتفه اليسرى جمع عليه خيلان كأمثال الثآليل»[٤] وروى أبو داود الطيالسي عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : «أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله أرني الخاتم ، فقال : «أَدْخِلْ يدَكَ» فأدخلت يدي في جربانه فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم ، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة ، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لي وإن يدي لفي جربانه» ورواه النسائي[٥] .

وروى الإمام أحمد عن أبي رمثة التيمي قال : «خرجت مع أبي حتى أتيت رسول الله ﷺ فرأيت برأسه ردع حناء ، ورأيت على كتفه مثل التفاحة ، فقال أبي : إني طبيب أفلا أطبها لك؟ قال : «طَبِيبُها الَّذِي خَلَقَهَا» ، قال : وقال لأبي : «هَذَا ابْنُكَ»؟ قال : نعم . قال : «أَمَا أَنَّهُ

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٥٤١) ، ومسلم (٢٣٤٥) .
(٢) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٤٤) ، وابن حبان (٦٢٩٧) ، وأحمد (٥/ ١٠٤) .
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٤٤) .
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٣٤٦) ، وأحمد (٥/ ٨٢) ، وأبو يعلى (١٥٦٣) .
(٥) صحيح : أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (١٠٧١) عن قرة بن خالد عن معاوية بن قرة عن أبيه به ، وهذا إسناد صحيح ، وأخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٠٧) من طريق وهب بن جرير عن قرة بن خالد بمثله إلا أنه قال : مثل السلعة .

لَا يجْنِي عَلَيكَ وَلَا تَجْنِي عَلَيهِ» [١].

وروى البيهقي عن سلمان الفارسي قال: «أتيت رسول اللَّه ﷺ فألقى ردائه وقال: **«يا سلمان انظر إلى ما أمرت به»**؟ قال: فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة» [٢] وروى يعقوب بن سفيان بإسناده عن التنوخي الذي بعثه هرقل إلى رسول اللَّه ﷺ وهو بتبوك الحديث. وفيه «فحل حبوته عن ظهره ثم قال: **«ههنا امض لما أمرت به»**، قال: فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضروف الكتف مثل الحجمة الضخمة» [٣].

وروى الإمام أحمد عن غياث البكري قال: كنا نجالس أبا سعيد الخدرى بالمدينة فسألته عن خاتم رسول اللَّه ﷺ الذي كان بين كتفيه فقال بإصبعه السبابة: هكذا لحم ناشز بين كتفيه ﷺ [٤].

وقال البخاري رحمه اللَّه تعالى: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد اللَّه بن أبي حسين حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول اللَّه ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمد من بعده - يعني الأمر - تبعته. وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول اللَّه ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفي يد رسول اللَّه ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه وقال: **«لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا وَلَنْ أَتَعَدَّى أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللَّهُ وَإِنِّي لَأُرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي»**. ثم انصرف عنه [٥].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٦ و٢٢٧)، وابن حبان (٥٩٩٥)، وابن أبي شيبة (٢٣٤٢٣)، وأخرجه أبو داود (٤٢٠٦ - ٤٢٠٨) مقطعًا، جميعًا من طرق عن إياد بن لقيط عن أبي رمثة به، وإسناده صحيح.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٦٠٥) وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٨١) من طريق أبي إسحاق عن أبي قرة سنان عن سلمان، وأبو قرة لم أقف له على ترجمة، وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١٣٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٦/ ٢٤٥ ح٦١١٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٢٠١) من طريق سماك بن حرب عن العجلي عن سلمان، والعجلي مجهول.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤١) من طريق عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن التنوخي، وإسناده ضعيف، سعيد مجهول.

(٤) ضعيف: أخرجه أحمد (٣/ ٦٩) من طريق عبد اللَّه بن ميسرة الخراساني عن غياث البكري عن أبي سعيد، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٨٠) وقال: وفيه عبد اللَّه بن ميسرة، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور وبقية رجاله ثقات. قلت: وغياث لم يترجم له الحافظ في تعجيل المنفعة وهو من شرطه.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٢٠ و٤٣٧٣)، ومسلم (٢٢٧٣).

قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: «وَإِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيكَ مَا أُرِيتُ» فأخبرني أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ مِنْ بَعْدِي فَكَانَ أَحَدُهُمَا الْعَنْسِيَّ صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ»[1].

حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِخَزَائِنِ الْأَرْضِ فَوُضِعَ فِي كَفِّي سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ فَكَبُرَا عَلَيَّ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ أَنِ انْفُخْهُمَا فَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا فَأَوَّلْتُهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا صَاحِبَ صَنْعَاءَ وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ»[2].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا وفيما أشرنا إليه كفاية.

«فهو» محمد ﷺ «ختام الرسل» فلا نبي بعده، والرسالة من باب أولى إذ لا يرسل إلا بعد أن يتنبأ. فالنبوة وحي مطلق مجردًا، فإن أمر بتبليغه فرسالة، فكل رسول نبي ولا عكس «باتفاق» من كل كتاب منزل، وكل نبي مرسل، وكل مؤمن بالله واليوم الآخر «وأفضل الخلق» كلهم «على الإطلاق» بلا استثناء، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٣] قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم: هو محمد ﷺ، وتقدم قوله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وَلَا فَخْرَ»[3].

وقد أخذ الله ﷻ على جميع الرسل الميثاق في الإيمان به ونصرته، وبشر به كل نبي قومه، وبعث إلى الجن والإنس والأسود والأحمر كافة. وأوتي في الدنيا من المعجزات ما لم يؤته نبي قبله من انشقاق القمر، وحنين الجذع إليه، ونبع الماء من أصابعه، وتسليم الأشجار والأحجار عليه، وغير ذلك.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٢١ و٤٣٧٤)، ومسلم (٢٢٧٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٧٥)، ومسلم (٢٢٧٤).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٢٧٨)، وغيره من حديث أبي هريرة، وسبق. وليس في لفظه: «ولا فخر» لكن هذا اللفظ صحيح من حديث واثلة بن الأسقع عند ابن حبان (٦٢٤٢) وغيره.

أعظم معجزاته ﷺ هذا القرآن

وأعظم معجزاته هذا القرآن معجزة خالدة أبد الآبدين ودهر الداهرين، لا تفنى عجائبه ولا يدرك غاية إعجازه، ولا يندرس بمرور الأعصار، ولا يمل مع التكرار، بل يجلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولا يعلى، وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكارها. وهو كل يوم براهينه في مزيد ومعجزاته في تجديد ﴿لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: الآية ٤٢].

وقد ظهرت فضيلته ﷺ في ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إمامًا، وعلوه فوق الجميع مقامًا، حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله ﷻ، واختص ﷺ بأشياء أخرى في سماحة شريعته. ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعًا، وكذلك يبدو فضله في الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع، وأول مشفع، وأول من يستفتح باب الجنة، وأول من يدخلها من الأمم أمته، وله الحوض المورود وهو الكوثر، وهو أكثر الأنبياء واردًا، وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه، وله المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون. ويرغب إليه كل الخلائق حتى إبراهيم خليل الرحمن، وهو وأمته أول من يجوز الصراط وهم ثلث أهل الجنة، لما جاء أنهم ثمانون صفًا وغيرهم من الأمم أربعون صفًا، وهذه عدة صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفًا، ويشفع الواحد من أمته في مثل ربيعة ومضر، وله ﷺ الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ليس فوقها إلا عرش الرحمن ﷻ، وليست هي لأحد غيره ﷺ، وغير ذلك من مقاماته العلية التي لا ينالها غيره ولا يدركها سواه، وهذا مقام يطول ذكره ولا يقدر قدره. ولا يحيط بغايته إلا الذي اصطفاه له، وأكرمه به. جعلنا الله ﷻ ممن اقتدى به واهتدى بهديه وكان هواه تبعًا لما جاء به آمين.

مسألة

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطى بها شيئًا كرهه. فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم خده وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب اليهودي إليه ﷺ فقال: أبا القاسم إن لي ذمة وعهدًا فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت

وجهه؟ فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه، ثم قال: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ أَمْ بُعِثَ قَبْلِي وَلَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[1]، ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»[2] ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: - يعني الله تبارك وتعالى - «لا ينبغي لعبد لي»[3] الحديث. قال النووي رحمه الله تعالى في الحديث الأول قوله ﷺ: «لا تفضلوا بين أنبياء الله» جوابه من خمسة أوجه: أحدها: أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به، والثاني: قاله أدبًا وتواضعًا. والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول. والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة، كما هو المشهور في سبب الحديث. والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى[4].

رواه ابن كثير رحمه الله تعالى وجها أن التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقياد له والتسليم والإيمان به[5]. اهـ.

قلت: الوجه الأول من كلام النووي ضعيف. والثاني والخامس فيهما نظر، والرابع قريب. ويقوى عندي الوجه الثالث مع ما ذكره ابن كثير، فليس التفضيل بالرأى ومجرد العصبية، ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحط من قدره، كل هذا وما في معناه محرم قطعًا منهي عنه شرعًا، وهو الذي غضب منه رسول الله ﷺ ولو لم يقصده ذلك الأنصاري رضي الله عنه، فغضب النبي ﷺ ونهيه عن ذلك تعليم عام للأمة وزجر بليغ لجميعهم كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك. وأما التفضيل بما أكرمه الله عز وجل ورفع به درجته ونوه في الوحي بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسوله ﷺ مما

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤١٤ و٣٤١٥)، ومسلم (٢٣٧٣).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤١٣)، ومسلم (٢٣٧٧).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٧٦) من حديث أبي هريرة، وهو عند البخاري (٣٤١٦)، لكن عند البخاري هو حديث نبوي لا قدسي. إلا أنه وقع عند البخاري جعله قدسيا (٧٥٣٩) من حديث ابن عباس.
(٤) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ٣٨).
(٥) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٠٥).

ذكرنا ومما لم نذكر فهو الذي يجب اعتقاده والإيمان به والتصديق والانقياد له والتسليم، فلا يؤخذ علم ما يختص بالله ورسوله إلا عن الله وعن رسوله ﷺ، والله المستعان وبه التوفيق.

وقال النووي رحمه الله تعالى فيما قاله ﷺ في شأن يونس أنه ﷺ، قال: هذا زاجرًا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئًا من حط مرتبة يونس ﷺ من أجل ما في القرآن في قصته: قال العلماء وما جرى ليونس ﷺ لم يحطه من درجة النبوة مثقال ذرة وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذكر. وأما قوله ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيرٌ مِنْ يونُسَ» فالضمير قيل يعود إلى النبي ﷺ، وقيل يعود إلى القائل، أي: لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو غير ذلك من الفضائل فإنه لو بلغ من الفضائل ما بلغ لم يبلغ درجة النبوة. ويؤيد هذا التأويل الرواية التي فيها قوله ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيرٌ مِنْ يونُسَ بنِ مَتَّى»[1] والله أعلم.

فصل في من هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ وذكر الصحابة بمحاسنهم، والكف عن مساويهم وما شجر بينهم رضي الله عنهم

وأهم ما في هذا الفصل خمس مسائل: الأولى: مسألة الخلافة. والثانية: فضل الصحابة وتفاضلهم بينهم. والثالثة: تولي أصحاب النبي ﷺ وأهل بيته سلام الله ورحمته وبركته عليهم ومحبة الجميع والذب عنهم. والرابعة: ذكرهم بمحاسنهم والكف عن مساويهم. والخامسة: السكوت عما شجر بينهم وأن الجميع مجتهد: فمصيبهم له أجران، أجر على اجتهاده وأجر على إصابته، ومخطؤهم له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور.

خلافة الصديق رضي الله عنه

وَبَعْده الخَلِيفَةُ الشَّفِيقُ	نِعمَ نَقِيبُ الأُمةِ الصِّدِّيقُ
ذَاكَ رَفِيقُ المُصْطَفَى في الغَارِ	شَيخُ المُهَاجِرِينَ وَالأنْصَارِ
وَهوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى	جِهادَ مَنْ عَنِ الهُدَى تَوَلَّى

«وبعده» أي: بعد رسول الله ﷺ «الخليفة» له في أمته «الشفيق» بهم وعليهم «نعم» فعل مدح «نقيب» فاعل نعم، والنقيب: عريف القوم وأفضلهم «الصديق» هو المخصوص

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٥/ ١٣٢ و١٣٣) بتصرف في بعض الألفاظ.

بالمدح، وهو النقابة منه لجميع الأمة، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن مرة التيمي، أول الرجال إسلامًا، وأفضل الأمة على الإطلاق رضي الله عنه، فلنسق الكلام أولًا فى خلافته، ثم في مقاماته أيام خلافته رضي الله عنه.

فأما خلافته فقد تقدم الحديث في تقديم النبي ﷺ إياه إمامًا في الصلاة مقامه أيام مرضه ﷺ، وهو في الصحيحين من طرق عن عائشة بألفاظ، وعن جماعة غيرها من الصحابة رضي الله عنهم في الصحيحين وغيرهما، منهم أنس وابن عباس وسهل بن سعد وأبو موسى الأشعري وعمر بن الخطاب، وقد راجعته عائشة وحفصة رضي الله عنهما مرارًا وهو يكرر مرارًا عديدة يقول: «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ»(١) ولما أشير بغيره حرك يده وقال: «لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ ابنُ أَبِي قُحَافَةَ»(٢) وفي رواية «يَأْبَى اللَّهُ وَالمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»(٣) رضي الله عنه. وروى البخاري ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: «أتت امرأة النبي ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت قال ﷺ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ»(٤) وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ ضَعْفَهُ ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ»(٥) وفيهما عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضي الله عنهما كان يحدث «أن رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فينقطع، ثم وصل فقال أبو بكر: يا رسول الله بأبي أنت والله لتدعني فأعبرها، فقال النبي ﷺ: «اعْبُرْهَا»، قال: أما الظلة فالإسلام، وأما الذي ينطف السمن والعسل فالقرآن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٨)، ومسلم (٤٢٠) من حديث أبي موسى.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (٤٦٦١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١١٦٠) من حديث عبد الله بن زمعة.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود (٤٦٦٠)، وأحمد (٤/ ٣٢٢) من حديث عبد الله بن زمعة، وقد ورد هذا اللفظ عند مسلم (٢٣٨٧) من حديث عائشة، لكن في غير الصلاة، والله أعلم.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥٩)، ومسلم (٢٣٨٦).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٦٤)، ومسلم (٢٣٩٢).

حلاوته تنطف، فالمستكثر من القرآن والمستقل، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه تأخذ به فيعليك الله ﷻ، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل فيعلو به. فأخبرني رسول الله بأبي أنت أصبت أم أخطأت؟ قال النبي ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا». قال: فوالله يا رسول الله لتحدثني بالذي أخطأت قال: «لَا تُقْسِمْ»[1] وفيهما عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ ﷻ». قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ»[2] وروى عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ وَيَقُولُ قَائِلٌ أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ»[3].

وروى أبو داود عن عبد الله بن زمعة ﷺ قال: لما ثقل برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة فقال: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي لِلنَّاسِ»، فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر في الناس، وكان أبوبكر غائبًا، فقلت: يا عمر قم فصل بالناس، فتقدم فكبر، فلما سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر ﷺ رجلًا مجهرًا قال: «فَأَيْنَ أَبُو بَكْرٍ يَأْبَى اللَّهُ ذَلِكَ وَالْمُسْلِمُونَ». فبعث إلى أبي بكر ﷺ فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس»[4] وفي رواية قال: لما سمع النبي ﷺ صوت عمر ﷺ قال ابن زمعة: خرج النبي ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال ﷺ: «لَا لَا لَا لِيُصَلِّ لِلنَّاسِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ»[5].

وله عن الحسن عن أبي بكرة ﷺ «أن النبي ﷺ قال ذات يوم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ رُؤْيَا؟» قلت: أنا رأيت كأن ميزانًا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر، ووزن

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٠٤٦)، ومسلم (٢٢٦٩).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥٤)، ومسلم (٢٣٨٢).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٨٧)، وأحمد (٦/ ١٤٤).
(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٤٦٦٠)، وأحمد (٤/ ٣٢٢).
(٥) حسن: أخرجه أبو داود (٤٦٦١)، وابن أبي عاصم في السنة (١١٦٠).

عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان، فرأينا الكراهية في وجه رسول الله ﷺ»[١] ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة بمعناه ولم يذكر الكراهية قال: «فاستاء لها رسول الله ﷺ» يعني فساءه ذلك فقال: «**خِلَافَةُ نُبُوَّةٍ ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ**»[٢] وله عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَنِيطَ عُمَرُ بِأَبِي بَكْرٍ وَنِيطَ عُثْمَانُ بِعُمَرَ**» قال جابر: «فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه ﷺ»[٣].

وله عن سمرة بن جندب رضي الله عنه «أن رجلًا قال: يا رسول الله إني رأيت كأن دلوا دليت من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها شرب شربًا ضعيفًا، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء»[٤]، وروى الترمذي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بَقَائِي فِيكُمْ فَاقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي**» وأشار إلى أبي بكر وعمر. حديث حسن[٥].

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٦٣٤)، والترمذي (٢٢٨٧)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٣٦)، والحاكم (٤٤٣٧ و٨١٨٩)، من طريق أشعث بن عبد الملك الحراني عن الحسن عن أبي بكرة، وصححه الحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح. قلت: الحسن هو البصري مدلس، وقد عنعن. وانظر ما يأتي.

(٢) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٦٣٥)، وأحمد (٥/ ٤٤ و٥٠)، والطيالسي (٨٦٦)، وابن أبي شيبة (٣٠٤٨٢ و٣١٩٦١) من طريق علي بن زيد بن جدعان عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه، وإسناده ضعيف لضعف علي بن زيد بن جدعان، وله شاهد من حديث أم سلمة أخرجه الحاكم (٤٤٣٧)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٧٨)، وعزاه للبزار، وفي إسناده مؤمل بن إسماعيل وهو ضعيف، وسعيد بن جمهان وله غرائب. وأورد له الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٥٩) شاهدًا من حديث معاذ أخرجه الطبراني، وفي إسناده عمرو بن واقد وهو متروك، وشاهد من حديث عرفجة أخرجه الطبراني في «الأوسط» وفي إسناده عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك، وشاهد من حديث أسامة بن شريك أخرجه الطبراني، وفي إسناده عبد الأعلى بن أبي المساور وهو متروك.

(٣) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٦٣٦)، وفي إسناده: عمرو بن أبان بن عثمان وهو مجهول الحال.

(٤) ضعيف: أخرجه أبو داود (٤٦٣٧) من طريق أشعث بن عبد الرحمن عن أبيه عن سمرة بن جندب، وإسناده ضعيف، عبد الرحمن مجهول.

(٥) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٢)، وعبد الله في «السنة» (١٤٦٦)، والترمذي (٣٦٦٢) من طريق ابن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة مرفوعًا به.

وله عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره**»[١]. وروى مسلم عن عائشة رضي الله عنها وسئلت: من كان رسول الله ﷺ مستخلفًا لو استخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر، قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح[٢].

وصفة بيعته رضي الله عنه بخلافة النبوة: ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ أن رسول الله مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ. قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله فقال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتًا. والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا. ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك. فلما تكلم جلس عمر رضي الله عنه، فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا ﷺ قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الزمر: الآية ٣٠] وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] قال: فنشج الناس يبكون.

قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ثم تكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب: والله لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: لا ولكن نحن الأمراء وأنتم الوزراء وإن قريشًا هم أوسط العرب دارًا وأعربهم أحسابًا، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله[٣].

---

(١) **ضعيف، ولمعناه شواهد**: وهذا أخرجه الترمذي (٣٦٧٣)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ١٦٦) و(٥/ ٢٤٠) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٣٠٠) من طريق عيسى بن ميمون عن القاسم عن عائشة، وإسناده ضعيف لضعف عيسى.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣٨٥)، والترمذي (٣٦٥٧) وغيرهما عن عائشة.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٧ و٣٦٦٨).

زاد في رواية : فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع اللّه بها ، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم النفاق ، فردهم اللّه بذلك ، ثم بصر أبو بكر الناس إلى الهدى وعرفهم الحق الذي عليهم وخرجوا به يتلون : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: الآية ١٤٤] إلى ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: الآية ١٤٤] [1] .

وفيه أيضًا عن عمر رضي الله عنه من خطبته الطويلة قال : ثم إنه بلغني أن قائلًا منكم يقول : واللّه لو مات عمر بايعت فلانًا ، فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبي بكر فلتة وتمت ، ألا إنها قد كانت كذلك ، ولكن اللّه وقى شرها . وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبي بكر . من بايع رجلًا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذي بايعه تغره أن يقتلا ، وإنه قد كان من خيرنا حين توفي اللّه نبينا ﷺ . إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة ، وخالف عنا علي والزبير ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نريدهم ، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلًا صالحًا فذكر لنا ما تمالأ عليه القوم ، فقال : أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فقال : لا عليكم أن لا تقربوهم ، اقضوا أمركم ، فقلت : واللّه لنأتينهم ، فانطلقنا حتى أتينا سقيفة ابن ساعدة فإذا رجل مزمل بين ظهرانيهم ، فقلت : من هذا؟ فقالوا : هذا سعد بن عبادة . فقلت : ماله؟ قالوا : يوعك . فلما جلسنا قليلًا تشهد خطيبهم فأثنى على اللّه بما هو أهله ثم قال : أما بعد فنحن أنصار اللّه وكتيبة الإسلام ، وأنتم معشر المهاجرين رهط ، وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يخصونا من الأمر . فلما سكت أردت أن أتكلم ، وكنت زورت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر ، وكنت أداري منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر : على رسلك . فكرهت أن أغضبه ، فتكلم أبو بكر فكان هو أحلم مني وأوقر ، واللّه ما ترك كلمة أعجبتني في تزويري إلا قال في بديهته مثلها وأفضل منها ، حتى سكت فقال : ما ذكر فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش ، هم أوسط العرب نسبًا ودارًا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم . فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قال غيرها . كان واللّه أن أقدَّم تضرب عنقي ولا يقربني ذلك من إثم أحب إلي أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللّهم إلا أن تسول إلى نفسي عند الموت شيئًا لا أجده الآن . فقال قائل من

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٦٩ و٣٦٧٠).

الأنصار: أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب، منا أمير ومنكم أمير يا معشر قريش. فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقْت من الاختلاف. فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر، فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عباد فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة. فقلت: قتل اللَّه سعد بن عبادة قال عمر: وإنا واللَّه ما وجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر. خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلًا منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلًا على غير مشورة المسلمين فلا يتابع هو والذي بايعه تغره أن يقتلا[1].

وروى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن قال: توفي رسول اللَّه وأبو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة، قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فداك أبي وأمي، ما أطيبك حيًا وميتًا، مات محمد ورب الكعبة. فذكر الحديث. فانطلق أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يتعادان حتى أتوهم، فتكلّم أبو بكر فلم يترك شيئًا أنزل في الأنصار أو ذكره رسول اللَّه ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: لقد علمتم أن رسول اللَّه ﷺ قال: «لَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ وَادِيًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الأَنْصَارِ» ولقد علمت يا سعد أن رسول اللَّه ﷺ قال وأنت قاعد: «قُرَيْشٌ وُلَاةُ هَذَا الأَمْرِ فَبَرُّ النَّاسِ تَبَعٌ لِبَرِّهِمْ، وَفَاجِرُهُمْ تَبَعٌ لِفَاجِرِهِمْ» فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء[2]، وله بإسناد جيد عن رافع الطائي رفيق أبي بكر الصديق في غزوة ذات السلاسل قال: وسألته عما قيل في بيعتهم فقال وهو يحدث عما تقاولت به الأنصار، وما كلمهم به، وما كلم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه الأنصار وما ذكر به من إمامتي بأمر رسول اللَّه ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردة[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٣٠) من حديث ابن عباس عن عمر رضي اللَّه عنهما.

(٢) **مرسل، وله شواهد**: وهذا أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٥)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٩١) وقال: رواه أحمد وفي «الصحيح» طرف من أوله، ورجاله ثقات إلا أن حميد بن عبد الرحمن لم يدرك أبا بكر.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد (١/ ٨) من طريق الوليد بن مسلم عن يزيد بن سعيد بن ذي عصوان عن عبد الملك بن عمير عن رافع الطائي. قلت: والوليد صرح بالتحديث من شيخه، وهو يدلس تسوية، ولم يصرح فيما عدا ذلك، وأما يزيد بن سعيد فوثقه ابن شاهين وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: ربما أخطأ. وترجمته في «تعجيل المنفعة» (ص ٤٥٠)، أما عبد الملك فثقة لكنه ولد نحو سنة ٣٣ هـ أي في خلافة عثمان في أواخرها، وأما شيخه فهو رافع بن أبي رافع عمرو الطائي لم أقف على من وثقه لكنه=

وروى البخاري عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ وأبو بكر صامت لا يتكلم قال: كنت أرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يك محمد قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورًا تهتدون به، هدى الله محمدًا ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقدموا فبايعوه، وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر، قال الزهري عن أنس بن مالك: سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس[1].

وقال محمد بن إسحاق: حدثني الزهري حدثني أنس بن مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر رضي الله عنه على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت وما وجدتها في كتاب الله ولا كانت عهدًا عهدها إلى رسول الله ﷺ ولكني أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا - يقول يكون آخرنا - وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم لما كان هداه الله له، وإن الله تعالى قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه، فبايع الناس أبا بكر رضي الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أزيح علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله ﷻ. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله ﷻ إلا ضربهم بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة إلا عمهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[2].

= مخضرم، كان لصًا في الجاهلية، ذكر ذلك البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٠٢) وذكر أحمد في «العلل ومعرفة الرجال» (رقم ٤٤٦٨) وابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٣٤) سماعه من أبي بكر، وترجم له ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٤٠ ت ٢٥٤٠) وذكر أنه مات في خلافة عمر. قلت: فالحديث بهذا منقطع.

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢١٩).

(٢) **حسن**: أورده ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٤٥٠ طبعة ابن رجب) بهذا الإسناد به، وابن إسحاق صرح=

وروى البيهقي من طريق ابن خزيمة بإسناد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قبض رسول الله ﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر، قال: فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال: فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم. وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم فبايعه عمر وبايعه المهاجرون والأنصار. قال: فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير، قال: فدعا بالزبير فجاء فقال: قلت ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه، أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا، فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال: قلت ابن عم رسول الله ﷺ، وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لا تثريب يا خليفة رسول الله ﷺ فبايعه[1].

وروى مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تسأله ميراثها من رسول الله ﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر، فقال أبو بكر: إن رسول الله ﷺ قال: «**لَا نُوَرَثُ، مَا تَرَكْنَاهُ صَدَقَةٌ**» إنما يأكل آل محمد ﷺ في هذا المال، وإني والله لا أغير شيئًا من صدقة رسول الله ﷺ عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسول الله ﷺ ولأعملن فيها بما عمل رسول الله ﷺ. فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئًا، فوجدت فاطمة على أبي بكر في ذلك. قال: فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبي ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها علي بن أبي طالب ليلًا، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها علي. وكان لعلي رضي الله عنه من الناس وجهة حياة فاطمة رضي الله عنها، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر: ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد - كراهية أن يحضر عمر بن الخطاب رضي الله عنه - فقال عمر لأبي بكر:

= بالتحديث، والخبر أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٥٦)، وابن جرير في «تاريخه» (٢/ ٢٣٧) من طريق ابن إسحاق به.

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤٤٥٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٤٣) واللفظ لهما، وأخرجه مختصرًا ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٠٤٠)، وأخرج أصله أحمد في «المسند» (٥/ ١٨٥)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٢١٢) جميعًا من طريق عفان عن وهيب عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري به، وإسناده صحيح.

والله لا تدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر وما عساهم أن يفعلوا بي، إني والله لآتيهم. فدخل عليهم رضي الله عنه، فتشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم قال: إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرًا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نحن نرى لنا حقًّا لقرابتنا من رسول الله ﷺ. فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبي بكر رضي الله عنه، فلما تكلم أبو بكر رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي. وأما الذي شجر بيني وبينكم من هذه الأموال فإني لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمرًا رأيت رسول الله ﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال علي لأبي بكر رضي الله عنهما: موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر رضي الله عنه صلاة الظهر، رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن علي وتخلفه عن البيعة وعذره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعظم حق أبي بكر رضي الله عنه وأنه لم يحمله على الذي صنعه نفاسة على أبي بكر ولا إنكار للذي فضله به، ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيبًا فاستبد علينا به فوجدنا في أنفسنا. فسر بذلك المسلمون وقالوا: أصبت، فكان المسلمون إلى على قريبًا حين راجع الأمر بالمعروف[1]، وهذا لا ينافي ما ذكر في بيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلة السقيفة أو صبحتها، ولفظة «لم يكن بايع تلك الأشهر» إن كان من قول عائشة فلعلها لم تعلم بيعته الأولى التي أثبتها أبو سعيد وغيره، لأن الرجال في مثل هذه المسألة أقوم وأعلم بها إذ لا يحضرها النساء. وأيضًا فقد قدمنا مرارًا أن مجرد النفي لا يكون علمًا وعند المثبت زيادة علم انفرد بها عن النافي، إذ فائدة ما عند النافي أنه لا يعلم. ولعل عائشة تيقنت عدم حضوره بيعة السقيفة من العشي ولم يبلغها حضوره صبحتها في البيعة العامة، وإن كان هذا كلام بعض الرواة فهو بمجرد ما فهمه من البيعة الأخرى ظن أنه لم يبايع قبل ذلك فقال مصرحًا بظنه: «ولم يكن بايع تلك الأشهر، وإنما كانت هذه البيعة بعد موت فاطمة رضي الله عنها لإزالة ما كان حصل من الوحشة والمشاجرة بسبب دعواها، ويشهد لذلك أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يفارق الصديق رضي الله عنه في وقت من الأوقات ولا ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وكان خروجه معه إلى ذي القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر في حياة فاطمة رضي الله عنها في الشهر الثالث من وفاة رسول الله ﷺ كما روى الدارقطني من طريق مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر رضي الله عنهما: لما برز أبو بكر إلى ذى القصة واستوى على راحلته، أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه بزمامها وقال: إلى أين يا خليفة رسول الله ﷺ؟

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٢٤٠ و٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩) من طريق ابن شهاب به.

أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «**لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا**»[١]. فرجع. ورواه زكريا الساجي من حديث عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والزهري أيضًا عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبي شاهرا سيفه راكبًا على راحلته إلى وادي القصة، فجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ أقول لك ما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: «**لم سيفك ولا تفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام نظام أبدًا**»[٢].

فرجع وأمضى الجيش. وفي الصحيح خروجهما إلى خارج المدينة وأن أبا بكر رضي الله عنه وجد الحسن بن علي يلعب مع الصبيان فحمله وهو يقول:

بِأَبِي شَبِيهٌ بِالنَّبِي لَيسَ شَبِيهٌ بِعَلِي

وعلي رضي الله عنه يضحك[٣].

ومن تدبر النصوص في ذلك وإجماع المهاجرين والأنصار وأهل بيت النبي ﷺ وغيرهم ظهر له تأويل قول الصادق المصدوق ﷺ «**يأبَى اللهُ وَالمُؤْمِنُونَ إِلَا أَبَا بَكْرٍ**»[٤].

وأما فضله فقال تبارك وتعالى ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾[التوبة: الآية ٤٠] وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الزمر: الآية ٣٣] وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿٢١﴾﴾ حكى جماعة من المفسرين على أنها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأرضاه. وفي الصحيحين من حديث الهجرة الطويل «فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب، قد لحقنا يا رسول الله. فقال: «**لَا تَحزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا**»[٥].

---

(١) ضعيف: أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٠٣ طبعة ابن رجب) من طريق الدارقطني بإسناده عن عبد الوهاب بن موسى الزهري عن مالك به، وقال ابن كثير: هذا حديث غريب من طريق مالك. قلت: عبد الوهاب ضعيف، وترجمته باللسان (٤/ ١١٠).

(٢) ضعيف: أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٠٣) من طريق الساجي به، وإسناده ضعيف لضعف عبد الوهاب بن موسى الزهري.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٥٤٢ و٣٧٥٠) من حديث عقبة بن الحارث.

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢٣٨٧)، وأحمد (٦/ ١٤٤).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥٢)، ومسلم (٢٠٠٩).

وفيهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا. فقال: «مَا ظَنُّكَ يا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّه ثَالِثُهُمَا»(١) وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان رضي الله عنهم»(٢) وفي لفظ قال: «كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحدًا ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم»(٣) وفيهما واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقَرَةً قَدْ حَمَلَ عَلَيْهَا فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِ فَكَلَّمَتْهُ فَقَالَتْ إِنِّي لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا وَلَكِنِّي خُلِقْتُ لِلْحَرْثِ»، فقال الناس: سبحان اللَّه تعجبًا وفزعًا أبقرة تكلم؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «فَإِنِّي أُومِنُ بِذَلِكَ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول اللَّه ﷺ: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا عَلَيْهَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي». فقال الناس: سبحان اللَّه. فقال رسول اللَّه ﷺ: «فَإِنِّي أُؤْمِنُ بِذَلِكَ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»(٤) وفي رواية لهما «وَمَنْ ثَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» ولمسلم: «وَمَا هُمَا ثَمَّ»(٥).

وفي صحيح البخاري عن همام قال: سمعت عمارًا يقول: «رأيت رسول اللَّه ﷺ وما معه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر»(٦).

وفيه عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «كنت جالسًا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر أخذ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي ﷺ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ»، فسلم وقال: يا رسول اللَّه إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لي فأبى علي فأقبلت إليك. فقال: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يا أَبَا بَكْرٍ ثَلاثًا»، ثم إن عمر رضي الله عنه ندم فأتى منزل أبا بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبي

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٥٥)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٥٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٩٩٢) ولم يخرجه مسلم.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٩٧)، وأبو داود (٤٦٢٧)، وعبد اللَّه في «السنة» (١٤٥٤)، وفي «فضائل الصحابة» (٥٤).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨٨)، واللفظ لمسلم.

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣٨٨).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٠)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢٣٢).

ﷺ يتمعر حتى أشفق أبو بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يارسول الله والله أنا كنت أظلم. مرتين. فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي؟» مرتين. فما أوذي بعدها[1].

وفي رواية فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي إِنِّي قُلْتُ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقْتَ»[2] قال أبو عبد الله: هو البخاري - سبق بالخير[3] ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ يَعْنِي الْجَنَّةَ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ وَبَابِ الرَّيَّانِ»، فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ»[4].

وفيه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عَائِشَةُ»، فقلت من الرجال؟ فقال: «أَبُوهَا». قلت ثم من؟ قال: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»، فعد رجالًا»[5].

وفيه عن محمد ابن الحنفية قال: قلت لأبي: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر؟ قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين[6] وفيه عن عروة بن الزبير قال قلت: لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلًا أن

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦١ و٤٦٤٠)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٢٩٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٤٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٦)، ومسلم (١٠٢٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٧١)، وأبو داود (٤٦٢٩)، وعبد الله في «السنة» (١٤٦٣)، وابن أبي عاصم (١٢٠٦).

(٦) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٨٥٦)، وأحمد (٢/ ٢٠٤).

يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم.

وفيهما عن سعيد بن المسيب قال: أخبرني أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزمن رسول الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجد فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خرج ووجهه ههنا، فخرجت على أثره أسأل عنه، حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما في البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب، فقلت: لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال أبو بكر، فقلت: على رسلك، ثم ذهبت فقلت يا رسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فأقبلت حتى قلت لأبي بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه في القف ودلى رجليه في البئر، كما صنع النبي ﷺ وكشف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست، وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت إن يرد الله بفلان خيرًا - يريد أخاه - يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال عمر بن الخطاب، فقلت: على رسلك، ثم جئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**»، فجئت فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل وجلس مع رسول الله ﷺ في القف عن يساره ودلى رجليه في البئر، ثم رجعت فقلت: إن يرد الله بفلان خيرًا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال عثمان بن عفان، فقلت: على رسلك، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، فقلت له: ادخل وبشرك رسول الله ﷺ بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم[1].

وفيهما عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد أحدًا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال: «**اثْبُتْ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِي وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ**»[2].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (ص١٨٦٨ ح٢٤٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٥)، وأبو داود (٤٦٥١)، والترمذي (٣٦٩٧) وغيرهم، ولم يخرجه مسلم.

وللترمذي عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**»[١] وقال: حسن صحيح، وله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «**أمرنا رسول الله ﷺ** أن نتصدق، ووافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا. قال: فجئت بنصف مالي» فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيتَ لأهْلِكَ؟**» قلت: مثله. وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال: «**يا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيتَ لأهْلِكَ؟**» قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسبقه إلى شيء أبدًا»[٢] هذا حديث حسن صحيح ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ اليَوْمَ صَائِمًا؟**» قال أبو بكر: أنا قال: «**فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ اليَوْمَ جَنَازَةً؟**» قال أبو بكر: أنا. ، فقال: «**فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مِسْكِينًا؟**» قال أبو بكر: أنا. قال: «**فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ اليَوْمَ مَرِيضًا؟**» قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: «**مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ**»[٣] والأحاديث في الصديق كثيرة جدًا. قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكر كفاية في التنبيه على ما وراءه، وما أحسن ما قال حسان بن ثابت رضي الله عنه[٤]:

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٦٧٠) من طريق كثير بن إسماعيل عن جميع بن عمير عن ابن عمر مرفوعًا، وقال الترمذي حسن صحيح غريب. قلت: كثير هو النواء ضعيف، وشيخه يخطئ، وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٦٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٠٠ ح١٢١٢٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٥٦) من طريق سليمان بن قرم عن الأعمش عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس مرفوعًا، وإسناده ضعيف، سليمان ضعيف، وله شاهد مرسل أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١٧٧) من طريق الأعمش عن أبي صالح مرسلًا، وشاهد آخر أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٠/ ٦٥)، وفي «التاريخ» (٢/ ١٩٢) من طريق أسباط عن السدي مرسلًا، وأسباط هو ابن نصر ضعيف على الراجح. وهذا الحديث مما يحسن بمجموع طرقه، والله أعلم.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٤٠)، والدارمي (١٦٦٠)، وعبد بن حميد (١٤) جميعًا عن أبي نعيم الفضل بن دكين عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر، وقال الترمذي: حسن صحيح. قلت: هشام بن سعد فيه ضعف، لكنه من أثبت الناس في زيد بن أسلم.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٢٨).

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه عبد الله بن أحمد في «الزهد» (٥٨٠ بتحقيقي) من طريق مجالد بن سعيد وهو ضعيف، ومن طريق مجالد أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٨٨٥ و٣٦٥٨٤)، والحاكم (٤٤١٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ٨٩ ح١٢٥٦٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٥١) كلهم من طريق مجالد به، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٦٩) من طريق مالك بن مغول عن رجل عن ابن عباس، والرجل مبهم.

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجْوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ ... فاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا
خَيرُ البَرِّيةِ أَوْفَاها وَأَعْدَلَها ... بَعْدِ النَّبِي وَأَوْلاها بِمَا حَمَلَا
وَالتَّالِي الثَّانِي المَحْمُودُ مَشْهَدُهُ ... وَأَوَّلُ النَّاسِ مِنهمْ صَدَّقَ الرُّسُلَا
عَاشَ حَمِيدًا لأمْرِ اللَّه مُتَّبِعًا ... بِأَمْرِ صَاحِبِهِ المَاضِي وَمَا انْتَقَلَا

مواقف أبي بكر رضي الله عنه مع النبي ﷺ

وأما ما منحه اللَّه تعالى من المواقف العظيمة مع النبي ﷺ من حين بعثته إلى أن توفاه اللَّه عز وجل من نصرته، والذب عنه، والشفقة عليه، والدعوة إلى ما دعا إليه، وملازمته إياه، ومواساته بنفسه وماله، وتقدمه معه في كل خير، فأمر لا تدرك غايته، ثم لما توفي اللَّه عز وجل نبيه ﷺ كان من رحمة اللَّه تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع اللَّه به شمل العرب بعد شتاته، وقمع به كل عدو للدين ودمر عليه وألف له الأمة وردهم إليه، بعد أن ارتد أكثرهم عن دينه، وانقلب الغالب منهم على أعقابهم كافرين. حتى قيل: لم يبق يصلى إلا في ثلاثة مساجد الحرمين الشريفين ومسجد العلاء بن الحضرمي بالبحرين، فردهم اللَّه تعالى إلى الحق طوعًا وكرهًا، وأطفأ به كل فتنة في أقل من ستة أشهر وللَّه الحمد والمنة. قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] الآيات، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة[1].

وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة. وهَمَّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم، فكره ذلك أصحاب النبي وقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللَّه ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ عز وجل**» فقال أبو بكر رضي الله عنه: فواللَّه لأقتلن من فَرَّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، واللَّه لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم على منعها[2].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٨٣) عن علي بن أبي طالب من طريق سيف بن عمر وهو ضعيف، وأخرجه (٦/ ٢٨٢ و٢٨٣) من طرق عن الحسن، لكنها تصح إليه بمجموعها.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٢٨٤ و٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠) وغيرهما من حديث أبي هريرة.

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة، فتقلد أبو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدًا من الخروج في أثره(١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كرهنا ذلك في الابتداء، ثم حمدناه في الانتهاء(٢)، قال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ما ولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه(٣).

لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردة، وكان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق منهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي ويلقب بالأسود، وكان كاهنًا مشعبذًا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض لحرب الأسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال رضي الله عنه: فأتى الخبر النبي ﷺ من السماء في الليلة التي قتل فيها، فقال ﷺ: «**قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك**» قيل: ومن هو؟ قال: «**فيروز، فاز فيروز**» فبشر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود. وقبض النبي ﷺ من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعدما خرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه(٤).

والفرقة الثانية: بنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب، وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر وزعم أنه اشترك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسول الله ﷺ «من مسيلمة رسول الله، إلى محمد رسول الله: أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك» وبعث إليه رجلين من أصحابه، فقال لهما رسول الله ﷺ: «**لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا**» ثم أجاب «**مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ** ﷺ، **إِلَى مُسَيلَمَةَ الكَذَّابِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يورِثُهَا مَنْ يشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**»(٥) ومرض رسول الله ﷺ وتوفي،

---

(١) لم أقف على إسناده أو مصدره.

(٢) أورده الطبري أحمد بن عبد الله في كتابه «الرياض النضرة» (٢/ ٤٥) عن ابن مسعود.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٧٦) بإسناد حسن إلى أبي بكر بن عياش.

(٤) **ضعيف**: أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ٩٨) من طريق سيف بن عمر وهو ضعيف، ومن طريق سيف أخرجه ابن جرير في «تاريخه» (٢/ ٢٥٠).

(٥) أورد ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٤٠٨ طبعة ابن رجب) خبر رسل مسيلمة ونص رسالة النبي ﷺ من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أشجع عن سلمة بن نعيم بن مسعود عن أبيه به، والشيخ مبهم، وقد أخرجه أبو داود (٢٧٦١)، وأحمد (٣/ ٤٨٧)، والحاكم (٢٦٣٢ و٤٣٧٧)، والبيهقي (٩/ ٢١١) من=

فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلى مسيلمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه اللَّه على يدى وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديدة، وكان وحشي يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام(1).

والفرقة الثالثة: بنو أسد ورأسهم طليحة بن خويلد، وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة في حياة النبي ﷺ وأول من قوتل بعد وفاة رسول اللَّه ﷺ من أهل الردة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة ففر على وجهه هاربًا نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر ﷺ خلق كثير حتى كفى اللَّه المسلمين أمرهم، ونصر دينه على يدي أبي بكر ﷺ، قالت عائشة ﷺ: توفي رسول اللَّه ﷺ وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بأبي ما لو نزل بجبار لهاضه. انتهى من تفسير البغوي رحمه الله(2).

وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] قال الحسن: هو واللَّه أبو بكر وأصحابه(3).

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في سننه وابن عساكر عن قتادة: قال اللَّه تعالى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض اللَّه نبيه ﷺ ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل جؤاثى من عبد القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نزكي، واللَّه لا تغصب أموالنا، فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: إنهم لو فقهوا أدوا الزكاة فقال: واللَّه لا أفرق بين شيء جمعه اللَّه ﷻ. ولو

= طريق ابن إسحاق عن سعد بن طارق الأشجعي عن سلمة بن نعيم عن أبيه مقتصرًا على قوله ﷺ: «لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما» وليس عندهم نص رسالة النبي ﷺ إلى مسيلمة، وإسناده حسن، وابن إسحاق صرح بالتحديث، وله شاهد أخرجه أحمد (١/ ٣٩٦)، والطيالسي (٢٥١)، وهو عند الحاكم والبيهقي من طريق عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل بن مسعود مرفوعًا به، وإسناده حسن.

(1) قصة قتل وحشي لمسيلمة أخرجها البخاري في «صحيحه» (٤٠٧٢).

(2) «تفسير البغوي» (٣/ ٧١).

(3) **صحيح إلى الحسن البصري**: أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ٢٨٢ و٢٨٣) من طرق عن الحسن تصح بمجموعها.

منعوني عقالا مما فرض اللَّه ورسوله لقاتلتهم عليه . فبعث اللَّه عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة . قال قتادة : فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] إلى آخر الآية[١].

ولا ينافي هذا ما ورد من أنها نزلت في أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح بن عبيد قال : لما أنزل اللَّه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: الآية ٥٤]. الآية ، قال عمر ﷺ : أنا وقومي يا رسول اللَّه؟ قال : «لا بل هذا وقومه» يعني : أبا موسى الأشعري[٢].

وأخرج ابن سعيد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في الدلائل عن عياض الأشعري قال : لما نزلت : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] قال رسول اللَّه ﷺ : «هم قوم هذا» وأشار إلى أبى موسى الأشعرى ﷺ[٣]، وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث شعبة والبيهقي وابن عساكر عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : تليت على النبي ﷺ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] الآية فقال النبي ﷺ : «قومك يا أبا موسى الأشعرى . أهل اليمن»[٤].

وأخرج ابن أبي حاتم في الكنى والطبراني في الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد اللَّه قال : سئل رسول اللَّه ﷺ عن قوله : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] الآية فقال : «هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب»[٥].

---

(١) حسن إلى قتادة : أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٨٣) عن بشر عن يزيد عن سعيد عن قتادة ، وهذا إسناد حسن ، وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٧٧) من طريق عبد الوهاب عن يزيد عن سعيد عن قتادة ، وليس عندهما قول قتادة : «فكنا نتحدث . . . » إلخ .

(٢) ضعيف الإسناد : شريح بن عبيد ثقة يرسل ولم يدرك عمر ، والحديث أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ٢٨٤) .

(٣) ضعيف الإسناد : للإرسال ، عياض الأشعري تابعي وحديثه هذا مرسل ، أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٨٤) ، وابن أبي شيبة (٣٢٢٦١) ، والحاكم (٣٢٢٠) ، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٧١ ح١٠١٦) ، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ٣٩) جميعًا من طريق سماك بن حرب عن عياض مرسلًا ، وجزم بالإرسال ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٤٠٧) .

(٤) ضعيف الإسناد : أخرجه ابن جرير (٦/ ٢٨٤) من طريق عياض الأشعري عن أبي موسى ، وهذا معلول بما سبق ، وانظر علل ابن أبي حاتم (٢/ ١٥٧ ح١٦٥٨) ، وعلل الدارقطني (٧/ ٢٤٩ ح١٣٢٨) .

(٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٣٩٢) عن أحمد بن محمد بن المغيرة عن معاوية بن حفص=

وأخرج البخاري في تاريخه وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس في الآية قال: هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون(١).

وأخرج ابن أبي شيبة عنه قال: هم أهل القادسية(٢).

قلت: وكان غالب أهل القادسية من أهل اليمن. بل كانت بجيلة ربع الناس فضلا عن غيرهم، وكان بأس الناس الذي هم فيه. كما رواه ابن إسحاق عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم قال: وكان يمر عمرو بن معد يكرب الزبيدي فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أسودًا، فإنما الفارسي تيس. وقد قتل ﷺ أسوارًا فارس الفرس وأبلى بلاء حسنًا، . وكانت له اليد البيضاء يومئذ(٣).

وأخرج البخاري رحمه اللَّه تعالى في تاريخه عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمر فرحب بي ثم تلا ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: الآية ٥٤] الآية ثم ضرب على منكبي وقال: أحلف باللَّه إنه لمنكم أهل اليمن - ثلاثًا(٤) وكل هذا لا ينافي ما قدمناه من نزولها في أبي بكر أولًا. فإن أهل اليمن لم يرتد جميع قبائلهم يومئذ. وإنما ارتد كثير منهم مع الأسود العنسي، وثبت كثير منهم على الإيمان مع معاذ بن جبل وأبي موسى وفيروز الديلمي وغيرهم من عمال النبي ﷺ. ونشب بين مؤمنهم وكافرهم

= عن إسماعيل بن زكريا عن محمد بن قيس عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعًا به، وإسناده حسن، وإسماعيل صدوق ربما أخطأ، إلا أن المتن غريب، والحديث أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦) وقال: وإسناده حسن. قلت: وأورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٩٥ ح١٧٧٩) من طريق آخر عن ابن المنكدر عن جابر، وقال أبو حاتم: هذا حديث باطل.

(١) لم أقف على إسناده.

(٢) **صحيح إلى أبي بكر بن عياش**: ووقع بالأصل هنا «ابن عباس» وهو خطأ، والأثر أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٧٦٠) عن أبي بكر بن عياش قوله، ومن طريق ابن أبي شيبة أورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٧١).

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن جرير في «تاريخه» (٢/ ٣٤٠) عن ابن حميد عن سلمة عن ابن إسحاق به، وإسناده ضعيف لضعف محمد بن حميد وتدليس ابن إسحاق ومن طريق ابن إسحاق أورده ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١٨٧).

(٤) **ضعيف**: أخرجه البخاري في «تاريخه» (٧/ ١٦٠) من طريق يوسف بن عبد الصمد عن أبيه عن إسماعيل بن رمانة عن القاسم بن ينخسره، وإسناده ضعيف، يوسف مجهول، وانظر اللسان (٦/ ٢٤٠) ووقع بالأصل هنا: القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمير. وهو خطأ، صوابه: القاسم بن ينخسره قال: أتيت ابن عمر.

قتال عظيم حتى قتل اللَّه الأسود على يد فيروز ، وأيد اللَّه الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ، ولكن لم يرجع أمرهم على ما كانوا عليه قبل العنسي إلا في خلافة أبي بكر ﷺ، فإنه لم يزل يتابع الكتائب مددًا لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلام، وكانوا من أعظم أنصاره حتى صاروا رؤساء ردتهم كعمرو بن معد يكرب وقيس بن مكشوح وغيرهما من أعظم الناس وأشدهم بلاء في أيام الردة والفتوح . فحينئذ عاد المعنى إلى أبي بكر وأصحابه وهم من أصحابه ، وكل هذا في شأن السبب لنزول الآية .
وإلا فهي عامة لكل مؤمن يحب اللَّه ويحبه ويوالي فيه ويعادي فيه ولا يخاف في اللَّه لومة لائم . وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم فيه وأسبقهم إليه ، وأول من تناولته الآية ﷺ وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين . وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال : لما توفي رسول اللَّه ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب . قال عمر بن الخطاب لأبي بكر ﷺ: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ ﷻ»** فقال أبو بكر : واللَّه لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، واللَّه لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول اللَّه ﷺ لقاتلتهم على منعه . فقال عمر بن الخطاب : فواللَّه ما هو إلا أن رأيت اللَّه ﷻ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق [١].

وتفاصيل مواقفه العظام ﷺ مشهورة مبسوطة في كتب السيرة وغيرها ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر ، وكانت وفاته ﷺ في يوم الاثنين عشية ، وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشرة يومًا ، وكان عمر بن الخطاب ﷺ يصلي بالمسلمين ، وفي أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب ، وكان الذي كتب العهد عثمان بن عفان ، وقرئ على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا . وكان عمر الصديق ﷺ يوم توفي ثلاثًا وستين سنة السن الذي توفي فيه رسول اللَّه ﷺ ، وقد جمع اللَّه بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة ، فرضي اللَّه عنه وأرضاه ، ومن جميع أبواب الجنة دعاه ، وقد فعل وللَّه الحمد والمنة .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما وسبق .

خلافة الفاروق رضي الله عنه

ثانِيهِ في الفَضْلِ بِلَا ارْتِيابِ	الصَّادِعُ النَّاطِقُ بِالصَّوَابِ
أَعْنِي بِهِ الشَّهمَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرْ	مَنْ ظَاهرَ الدِّينَ القَوِيمَ وَنَصَرْ
الصَّارِمُ المُنْكِي عَلَى الكُفَّارِ	وَمُوسِعُ الفُتُوحِ في الأمْصَارِ

«ثانيه» أي ثاني أبي بكر «في الفضل» على الناس بعده فلا أفضل منه، وكذا هو ثانيه في الخلافة بإجماع «بلا ارتياب» أي بلا شك «الصادع» بالحق المجاهر به الذي لا يخاف في الله لومة لائم، ومنه قول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: الآية ٩٤] فكان عمر رضي الله عنه كذلك، وبه سماه النبي ﷺ فاروقًا «الناطق بالصواب» والذي وافق الوحي في أشياء قبل نزوله كما سيأتي «أعني» به أي بهذا النعت «الشهم» الذكي المتوقد السيد المطاع الحكم القوي في أمر الله الشديد في دين الله «أبا حفص عمر» ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب العدوي ثاني الخلفاء وإمام الحنفاء بعد أبي بكر رضي الله عنه وأول من تسمى أمير المؤمنين «الصارم» السيف المسلول «المنكي» من النكاية «على الكفار» لشدته عليهم وإثخانه إياهم حتى إن كان شيطانه ليخافه أن يأمره بمعصية كما قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه «وموسع» من الاتساع «الفتوح» فتوح الإسلام «في الأمصار» فكمل فتوح بلاد الروم بعد اليرموك ثم بلاد فارس حتى مزق الله به ملكهم كل ممزق، ثم أوغل في بلاد الترك، كما هو مبسوط في كتب السير وغيرها. تقدمت إشارات النصوص النبوية إلى خلافته قريبًا مع ذكر أبي بكر رضي الله عنه وكثير من فضائله أيضًا التي شارك فيها أبا بكر، وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**رَأَيْتُنِي دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِالرُّمَيْصَاءِ امْرَأَةِ أَبِي طَلْحَةَ وَسَمِعْتُ خَشَفَةً فَقُلْتُ مَنْ هَذَا فَقَالَ هَذَا بِلَالٌ وَرَأَيْتُ قَصْرًا بِفِنَائِهِ جَارِيَةٌ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا فَقَالَ لِعُمَرَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَهُ فَأَنْظُرَ إِلَيْهِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ**»، فقال عمر: بأبي وأمي يا رسول الله أعليك أغار؟»[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ فَإِذَا امْرَأَةٌ تَتَوَضَّأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرٍ فَقُلْتُ لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ فَقَالُوا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَهُ فَوَلَّيْتُ مُدْبِرًا**»، فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسول الله؟»[2] وعن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٩)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٨٠)، ومسلم (٢٣٩٥).

عن رسول الله ﷺ قال: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيتُ بِهِ فِيهِ لَبَنٌ فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لأَرَى الرِّيَّ يَجْرِي فِي أَظْفَارِي ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ». قالوا: فما أولت ذلك يا رسول الله؟ قال: «الْعِلْمَ»[1] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَّ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ». قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «الدِّين»[2].

وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: «استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته ﷺ، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن رسول الله ﷺ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ»، فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسول الله. فقال: عمر يا عدوات أنفسهن، أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقلن: نعم، أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إِيهًا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ رِجَالٌ يُكَلَّمُونَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ. فَإِنْ يَكُنْ مِنْ أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَعُمَرُ»[4]، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال: «إِنَّمَا خيرَني اللهُ - أَوْ أَخْبَرَنِي اللهُ - فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة: الآية ٨٠] فقال: «سَأَزِيدُه عَلَى سَبْعِينَ». قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾[التوبة: الآية ٨٤][5] متفق على جميعها. وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٩١)، ومسلم (٢٣٩٠).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٨٣)، ومسلم (٢٣٩٦).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة، وأخرجه مسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٧٢)، ومسلم (٢٤٠٠).

الخطاب رضي الله عنه قال: «لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت: يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال: يوم كذا كذا كذا، قال: اعدد عليه قوله: فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «**أَخِّر عَنِّي يا عُمَرُ**»، فلما أكثرت عليه قال: «**إنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا**». قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: الآية ٨٤] إلى قوله ﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: الآية ٨٤]. قال: فعجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم»[(١)].

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة أسارى بدر بطوله، قال ابن عباس «فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «**مَا تَرَوْنَ في هَؤُلَاءِ الأسَارَى؟**» فقال أبوبكر: هم يا نبي الله بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا تَرى يا ابْنَ الخَطَّابِ؟**» قلت: لا والله يا رسول الله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان - نسيبًا لعمر - فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها، فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائهما. فقال رسول الله ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلى في أَصْحَابِكَ مِنْ أَخْذِ الفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلى عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ**» - شجرة قريبة من نبي الله ﷺ - وأنزل الله ﷻ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال: الآية ٦٧] - إلى قوله ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: الآية ٦٩] فأحل الله الغنيمة لهم[(٢)].

وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه: وافقت الله في ثلاث - أو وافقني الله في ثلاث - قلت: يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى؟ فأنزل الله تعالى ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: الآية ١٢٥]، وقلت: يا رسول الله يدخل عليك

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٦٦)، والترمذي (٣٠٩٧)، وأحمد (١/ ١٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٦٣) واللفظ له، وهو عند غيره مختصر.

البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟، فأنزل اللَّه آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهم، قلت: إن انتهيتن أو ليبدلن اللَّه رسول اللَّه ﷺ خيرًا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه قالت: يا عمر ما في رسول اللَّه ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل اللَّه تعالى ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم: الآية ٥][1] وعنه رضي الله عنه أن رجلًا سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قال: لا شيء، إلا أني أحب اللَّه ورسوله ﷺ. فقال: «وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قال أنس: فما فرحنا بشيء كما فرحنا بقول النبي ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: ما رأيت أحدًا قط بعد رسول اللَّه ﷺ من حين قبض كان أجدَّ وأجود حتى انتهى من عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3].

وعن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر رضي الله عنه جعل يألم، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول اللَّه ﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض. ثم صحبت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبة رسول اللَّه ﷺ ورضاه فإنما ذاك من اللَّه تعالى منٌّ به تعالى علي، وأما ما ذكرت من صحبة أبي بكر ورضاه فإنما ذلك مَنٌّ اللَّه جل ذكره مَنَّ به علي، وأما ما ترى من جزعي فهو من أجلك وأجل صاحبك، واللَّه لو أن لي طلع الأرض ذهبًا لافتديت به من عذاب اللَّه عز وجل قبل أن أراه[4].

وفيهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعني إلا رجل آخذ منكبي فإذا علي رضي الله عنه فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحدًا أحب إلي أن ألقى اللَّه بمثل عمله منك. وايم اللَّه إن كنت لأظن

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٢)، واللفظ له من حديث أنس عن عمر، وأخرج أصله مسلم (٢٣٩٩) من حديث ابن عمر عن عمر.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩) من حديث أنس.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٨٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٩٢).

أن يجعلك الله تعالى مع صاحبيك، وحسبك أني كنت أسمع النبي ﷺ يقول كثيرًا: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر[١].

زاد مسلم في آخره أيضًا: فإن كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما[٢].

والأحاديث في فضله كثيرة جدًا قد أفردت بالتصنيف وفيما ذكرنا كفاية.

قصة استشهاد الفاروق رضي الله عنه

وكان قصة استشهاده ما ذكره البخاري رحمه الله تعالى قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة، وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حمَّلتما الأرض ما لا تطيق؟ قالا: حملناها أمرًا هي له مطيقة، ما فيها كبير فضل، قال: انظرا أن تكونا حملتما الأرض ما لا تطيق. قالا: لا، فقال عمر: لئن سلمني الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدًا. قال: فما أتت عليه رابعة حتى أصيب رضي الله عنه. قال: إني لقائم ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب، وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم ير فيهن خللا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر حتى سمعته يقول: قتلني أو أكلني الكلب حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد يمينًا وشمالًا إلا طعنه حتى طعن ثلاثة عشر رجلًا مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسًا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلي عمر فقد رأى الذي أرى وأما نواحي المسجد فلا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر رضي الله عنه وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني فجال ساعة ثم جاء فقال: غلام المغيرة، فقال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرت به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام، فقد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة، وكان العباس أكثرهم رقيقًا. فقال: إن شئت فعلت، أي: إن شئت قتلنا. قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم،

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٨٥)، ومسلم (٢٣٨٩).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٧)، ومسلم (٢٣٨٩).

وصلوا قبلتكم، وحجوا حجتكم، فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم مصيبة قبل يومئذ، فقائل يقول: لا بأس، وقائل يقول: أخاف عليه. فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله ﷺ وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف، لا علي ولا لي، فلما أدبر إذا إزاره تمس الأرض، قال: ردوا علي الغلام، قال: ابن أخي ارفع ثوبك، إنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، يا عبد الله بن عمر انظر ما علي من الدين. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه، قال: إن وفي له مال آل عمر فأده من أموالهم، وإلا فسل بني عدى بن كعب، فإن لم تقف أموالهم فسل في قريش ولا تعد إلى غيرهم، فأد عنى هذا المال. وانطلق إلى عائشة فقل: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام. ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرًا. وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن ودخل عليها فوجدها قاعدة تبكي. فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام، ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه. فقالت: كنت أريد لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال: ارفعوني، فأسنده رجل إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين. أذنت. قال: الحمد لله. ما كان من شيء أهم إلي من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني. ثم سلم فقل يستأذن عمر بن الخطاب فإن أذنت لي فأدخلونى. وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا. فولجت عليه فبكت عنده ساعة. واستأذنت الرجال فولجت داخلًا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين. استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو الرهط - الذين توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض. فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له - فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك. وإلا فليستعن به أيكم ما أمر، فإني لم أعزله عن عجز ولا خيانة. وقال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرًا فإنهم ردة الإسلام وجباة المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيرًا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالهم وترد على

فقرائهم. وأوصيه بذمة اللَّه وذمة رسول اللَّه ﷺ أن يوفي بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولا يكلفوا إلا طاقتهم. فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشي. فسلم عبد اللَّه بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب. قالت: أدخلوه، فأدخل، فوضع هنالك مع صاحبيه فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط. فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي، فقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعله إليه، واللَّه عليه والإسلام لينظرن أفضلهم في نفسه. فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلي واللَّه على أن لا آلو عن أفضلكم؟ قالا: نعم فأخذ بيد أحدهما فقال: لك من قرابة رسول اللَّه ﷺ والقدم في الإسلام ما قد علمت، فاللَّه عليك لئن أمرتك لتعدلن ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر، فقال له مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان، فبايعه وبايع له علي رضي الله عنه، وولج أهل الدار فبايعوه، رضي اللَّه عنهم أجمعين[1].

وكانت مدة خلافة الفاروق رضي الله عنه عشر سنين وستة أشهر. وكانت وفاته على المشهور لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر، وهى السن التي توفي لها رسول اللَّه ﷺ ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وبويع لعثمان في ثلاث من المحرم دخول سنة أربع وعشرين، وأول من بايعه عبد الرحمن بن عوف، ثم علي بن أبي طالب، ثم بقية أصحاب الشورى، ثم بقية أهل الدار، ثم بقية المهاجرين والأنصار رضي اللَّه عنهم أجمعين.

خلافة عثمان رضي الله عنه

ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ ذُو النُّورَينِ ... ذُو الحِلْمِ وَالحَيا بِغَيرِ مَينِ
بَحْرُ العُلُومِ جَامِعُ القُرْآنِ ... مِنهُ اسْتَحَتْ مَلائِكُ الرَّحْمَنِ
بَايعَ عَنْهُ سَيدُ الاكْوَانِ ... بِكَفِّهِ فِي بَيعَةِ الرِّضْوَانِ

«ثالثهم» في الخلافة والفضل كما في حديث ابن عمر السابق **«عثمان»** بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من السابقين الأولين إلى الإسلام بدعوة

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٠٠).

الصديق إياه، وزوجه رسول الله ﷺ رقية ابنته رضي الله عنها، وهاجر الهجرتين وهي معه، وتخلف عن بدر لمرضها، وضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره، وبعد وفاتها زوجه النبي ﷺ أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها، وبذلك تسمى **«ذو النورين»** لأنه تزوج ابنتي نبي واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رضي الله عنه. **«ذا الحلم»** التام الذي لم يدركه غيره **«والحياء»** الإيماني الذي يقول فيه النبي ﷺ: **«الحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»**[1] وقال: **«أَشَدُّكُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ»**[2] **«بحر العلوم»** الفهم التام في كتاب الله تعالى حتى إن كان ليقدم به في ركعة واحدة[3] فلا يركع إلا في خاتمتها إلا ما كان من سجود القرآن، **«جامع القرآن»** لما خشي الاختلاف في القرآن والخصام فيه في أثناء خلافته رضي الله عنه، فجمع الناس على قراءة واحدة، وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التي درسها جبريل على رسول الله ﷺ سني حياته.

وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان في بعض الغزوات[4]، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبي الدرداء، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبي موسى، وجعل من لا يعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطأه الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى خلاف شديد وانتشار الكلام السيىء بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف في كتابها كاختلاف اليهود والنصارى في كتبهم، وذكر له ما شاهد من اختلاف الناس في القراءة فعند ذلك جمع الصحابة وشاورهم

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٩١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٢٤٢)، وابن ماجه (١٥٤) وأحمد (٣/ ١٨٤ و٢٨١)، وأبو داود الطيالسي (٢٠٩٦)، وابن حبان (٧١٣١ و٧١٣٧ و٥٢٥٢)، والحاكم (٥٧٨٤) من طرق عن خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس مرفوعًا به، وإسناده صحيح، وقد رواه عن خالد الحذاء سفيان ووهيب وعبد الوهاب الثقفي، وصححه الحاكم، وقال الترمذي: حسن صحيح. اهـ. لكن رواه ابن علية عن خالد عن أبي قلابة مرسلًا. أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٠٢٨)، وخالد متابع على الوصل من عاصم بن سليمان عند البيهقي (٦/ ٢١٠) إلا أن عبد الرزاق أخرجه (١١/ ٢٢٥) عن معمر عن عاصم بن سليمان عن أبي قلابة مرسلًا، لكن عاصم بصري، وفي رواية معمر عن البصريين ضعف، والموصول أصح، والله أعلم.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٢٧٥) من طريق ابن لهيعة وهو ضعيف، وأخرجه (١٢٧٧) بإسناد منقطع، وأشار الترمذي إلى هذا الخبر في سننه عقب حديث (٢٩٤٦).

(٤) خبر حذيفة وإشارته على عثمان بجمع القرآن أخرجه البخاري (٤٩٨٦) وغيره.

في ذلك، ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد، وأن يجمع الناس في سائر الأقاليم على القراءة دون ما سواه لما رأى من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التى كان أمر زيد بن ثابت بجمعها، فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفي صارت إلى حفصة أم المؤمنين، فاستدعى بها عثمان وأمر زيد بن ثابت الأنصاري أن يكتب وأن يملي عليه سعيد بن العاص الأموي بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدي وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفًا، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفًا، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفًا، وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفًا، ويقال لهذه المصاحف «الأئمة» ثم عمد إلى بقية المصاحف التي بأيدي الناس مما يخالف ما كتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف، وروى أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبي داود السجستاني عن سويد بن غفلة قال: قال لي علي رضي الله عنه حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته[1].

وروى البيهقي عنه رضي الله عنه: أيها الناس إياكم والغلو في عثمان تقولون حرق المصاحف. والله ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ولو وليت مثل ما ولى لفعلت مثل الذي فعل[2].

«**منه استحت ملائك الرحمن**» كما في الصحيح عن عطاء وسليمان بن يسار وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ مضطجعًا في بيتي كاشفًا عن فخذيه أو ساقيه. فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو بكر بن أبي داود في كتاب «المصاحف» له (ص١٩) من طريق علقمة بن مرثد عن رجل عن سويد بن غفلة عن علي، وإسناده ضعيف لإبهام الرجل.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أورده الدارقطني في العلل (٣/ ٢٢٩ ح٣٧٨)، وقال: يرويه علقمة بن مرثد، واختلف عنه، فقال شعبة: عن علقمة بن مرثد عمن سمع سويد بن غفلة عن علي، وقال محمد بن أبان: عن علقمة عن العيزار بن جرول عن سويد بن غفلة، وهو المحفوظ. اهـ قلت: أخرجه من طريق العيزار البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٢)، والعيزار وثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل» (٧/ ٣٧) قلت: لكن الخبر ضعيف بالإسنادين، فإن ترجح طريق شعبة فالإسناد ضعيف لإبهام الواسطة بين سويد وعلقمة، وإن ترجح طريق محمد بن أبان، فمحمد هو الجعفي، وهو ضعيف ترجمته ب«الجرح والتعديل» (٧/ ٢٠٠).

استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه. قال محمد - يعني ابن أبي حرملة الراوي عنهم: ولا أقول ذلك في يوم واحد فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال: «**أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ**»[1].

وعن سعيد بن العاص أن عائشة رضي الله عنها وعثمان رضي الله عنه حدثاه «أنا أبا بكر رضي الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان: ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: «**اجْمَعِي عَلَيْكِ ثِيَابَكِ**» فقضيت إليه حاجتي ثم انصرفت. فقالت عائشة: يا رسول الله مالي لم أرك فزعت لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ رَجُلٌ حَيِي وَإِنِّي خَشِيتُ إِنْ أَذِنْتُ لَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ أَنْ لَا يَبْلُغَ إِلَيَّ حَاجَتِهِ**»[2].

«**بايع عنه**» حين ذهب لمكة في حاجة الرسول ﷺ والمسلمين «**سيد الأكوان**» محمد رسول الله ﷺ «**بكفه**» ضرب بها على الأخرى وقال: «**هَذِهِ لِعُثْمانَ**» «**في بيعة الرضوان**» لما غاب عنها فيما ذكرنا، وكان انحباسه بمكة هو سبب البيعة كما قال محمد بن إسحاق بن يسار في السيرة، ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشًا على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب من يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها وغلظي عليها، ولكني أدلك على رجل أعزبها مني عثمان بن عفان رضي الله عنه، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته. فخرج عثمان رضي الله عنه إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فانطلق عثمان رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به، فقال لعثمان رضي الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ما كنت أفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضي الله عنه قد قتل، قال ابن إسحاق: فحدثني عبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال حين بلغه

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٠١).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٠٢)، وأحمد (١/ ٧١ و١٥٥)، وغيرهما.

أن عثمان رضي الله عنه قد قتل «لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ الْقَوْمَ» ودعا رسول اللَّه ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول اللَّه ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد اللَّه رضي الله عنه يقول: إن رسول اللَّه ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر. فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة فكان جابر رضي الله عنه يقول: واللَّه لكأني انظر إليه لاصقًا بإبط ناقته قد مال إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسول اللَّه ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان باطل(١).

وفي الصحيحين عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قومًا جلوسًا فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد اللَّه بن عمر. قال: يا ابن عمر، إني سائلك عن شيء فحدثني عنه، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها؟ قال: نعم، قال: اللَّه أكبر. قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد أشهد أن اللَّه عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول اللَّه ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول اللَّه ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول اللَّه ﷺ عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول اللَّه ﷺ بيده اليمنى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» فضرب بها على يده فقال: «هَذَا لِعُثْمَانَ». فقال له ابن عمر رضي الله عنه: اذهب بها الآن معك(٢).

وروى البيهقي عن أنس رضي الله عنه قال: لما أمر رسول اللَّه ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضي الله عنه رسول رسول اللَّه ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول اللَّه ﷺ بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول اللَّه ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيرًا من أيديهم لأنفسهم(٣)، ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح. وفي الصحيحين عن عروة أن عبد اللَّه بن عدي بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن

---

(١) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٠٩ - ٢١٠) ولبعض ما فيه شواهد، فمن ذلك قول جابر أخرجه مسلم (١٨٥٦) وغيره، وفيه خبر الجد بن قيس، وانظر ما يأتي.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٩٨)، والترمذي (٣٧٠٦)، وأحمد (٢/ ١٠١)، ولم يخرجه مسلم.

(٣) **ضعيف الإسناد، ويصح لشواهده**: أخرجه الترمذي (٣٧٠٢) من طريق الحسن بن بشر عن الحكم بن عبد الملك عن قتادة عن أنس به، وقال الترمذي: حسن صحيح غريب. قلت: الحكم بن عبد الملك ضعيف، والحديث صحيح من حديث ابن عمر كما سبق.

عبد يغوث قالا : ما منعك أن تكلم عثمان لأخيك الوليد فقد أكثر الناس فيه ، فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة ، قلت : إن لي إليك حاجة وهي نصيحة لك . قال : يا أيها المرء أعوذ بالله منك ، فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان ، فأتيته فقال : ما نصيحتك؟ فقلت : إن الله سبحانه بعث محمدًا ﷺ بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله تعالى ولرسول الله ﷺ ، فهاجرت الهجرتين ، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيت هديه . وقد أكثر الناس في شأن الوليد . قال : أدركت رسول الله ﷺ؟ قلت : لا ، ولكن خلص إلى من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها . قال : أما بعد فإن الله بعث محمدًا ﷺ بالحق فكنت ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ وآمنت بما بعث به وهاجرت الهجرتين - كما قلت - وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته ، فوالله ما عصيته ، ولا غششته ، حتى توفاه الله ﷻ، ثم أبو بكر مثله ثم عمر مثله ، ثم استخلفت ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم؟ قلت : بلى . قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسآخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا عليًا فأمره أن يجلده ، فجلده ثمانين [1].

وفي المسند والسنن عن عمرو بن جاوان قال : قال الأحنف : انطلقنا حجاجًا فمررنا بالمدينة ، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آت فقال : الناس في المسجد . فانطلقت أنا وصاحبي ، فإذا الناس مجتمعون على نفر في المسجد ، قال فتخللتهم حتى قمت عليهم ، فإذا علي بن أبي طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، قال : فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشي . فقال : ههنا علي؟ قالوا : نعم ، قال : ههنا الزبير؟ قالوا : نعم ، قال : ههنا طلحة؟ قالوا : نعم ، قال : ههنا سعد بن أبي وقاص؟ قالوا : نعم ، قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : «**مَنْ يَبْتَاع مِرْبَدَ بَنِي فُلَانٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**» فابتعته ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إني قد ابتعته ، فقال : «**اجْعَلْهُ في مَسْجِدِنَا وَأَجْرُهُ لَكَ**»؟ قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : «**مَنْ يَبْتَاعُ بِئْرَ رُومةَ**» فابتعتها بكذا وكذا . فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : إني قد ابتعتها - يعني بئر رومة - قال : «**اجْعَلْهَا سِقَايةً لِلْمُسْلِمِينَ ، وَلَكَ أَجْرُهَا**» قالوا : نعم . قال : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو ، تعلمون أن رسول الله ﷺ نظر في وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال : «**مَنْ يجَهِّزْ هَؤُلَاءِ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**» فجهزتهم حتى ما يفقدون خطامًا ولا عقالًا؟ قالوا :

---

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٣٦٩٦) ، ولم يخرجه مسلم .

اللَّهم نعم. فقال: اللَّهم اشهد، اللَّهم اشهد، اللَّهم اشهد. ثم انصرف رضي الله عنه[١].

وروى أحمد والترمذي والنسائي عن ثمامة بن جزء القشيري قال: شهدت الدار يوم أصيب عثمان، فاطلع عليه اطلاعة، فقال: ادعوا لي صاحبيكم الذين ألباكم علي، فدعيا له، فقال: أنشدكما اللَّه، تعلمان أن رسول اللَّه ﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال: «**مَنْ يشْتَرِي هَذِهِ البُقْعَةَ مِنْ خَالِصِ مَالِهِ فَيَكُونُ كَالمُسْلِمِينَ وَلَهُ خَيرٌ مِنْهَا في الجَنَّةِ**» فاشتريتها من خالص مالي فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أصلي فيها ركعتين. ثم قال: أنشدكم اللَّه تعلمون أن رسول اللَّه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول اللَّه ﷺ: «**مَنْ يشْتَرِيهَا مِنْ خَالِصِ مَالِهِ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا كَدِلَاءِ المُسْلِمِينَ وَلَهُ خَيرٌ مِنْهَا في الجَنَّةِ**» فاشتريتها من خالص مالي، وأنتم تمنعوني أن أشرب منها. ثم قال: هل تعلمون أني صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللَّهم نعم[٢].

وقال الترمذي: حسن.

وله عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول اللَّه على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل اللَّه، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول اللَّه علي مائتي بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل اللَّه، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل اللَّه، فأنا رأيت رسول اللَّه ﷺ ينزل من على المنبر وهو يقول: «**ما على عثمان ما عمل بعد هذا ما على عثمان ما عمل بعد هذا**»[٣].

---

(١) ضعيف الإسناد، ولبعضه شواهد: أخرجه أحمد (١/ ٧٠)، والنسائي (٦/ ٤٦)، وابن حبان (٦٩٢٠)، والبيهقي (٦/ ١٦٧) من طريق حصين عن عمرو بن جاوان عن الأحنف بن قيس، وإسناده ضعيف، وعمرو بن جاوان مجهول، وللحديث شاهد صحيح أخرجه البخاري (٢٧٧٨).

(٢) ضعيف الإسناد، ولبعضه شواهد: أخرجه أحمد (١/ ٧٤)، والدارقطني (٤/ ١٩٧) من طريق هلال بن حق عن الجريري عن ثمامة بن حزن، وأخرجه الترمذي (٣٧٠٣)، والنسائي (٦/ ٢٣٥) من طريق يحيى بن أبي الحجاج عن الجريري عن ثمامة، وقال الترمذي: حديث حسن. قلت: الجريري مختلط، ويحيى لين وهلال مجهول الحال، لكن لمعنى الحديث شواهد، وانظر ما سبق.

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٧٠٠)، وأحمد (٤/ ٧٥)، وعبد بن حميد (٣١١)، وأبو داود الطيالسي (١١٨٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٨٠) من طريق السكن بن المغيرة عن الوليد بن هشام عن فرقد عن عبد الرحمن بن خباب، وقال الترمذي: حديث غريب. قلت: فرقد أبو طلحة مجهول.

وله عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى رسول الله ﷺ بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره، فقال عبد الرحمن: فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول «ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»[١] - مرتين - حسنه الترمذي.

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في قصة توعدهم إياه بالقتل، قال: ولم يقتلونني؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول «لَا يحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، أَوْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ». فوالله ما زنيت في جاهلية ولا إسلام قط، ولا تمنيت بدلا بديني منذ هداني الله له، ولا قتلت نفسًا. فيم يقتلونني[٢].

وروى الإمام أحمد وغيره عن النعمان بن بشير عن عائشة رضي الله عنها قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول الله ﷺ فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمه أن ضرب على منكبه وقال: «يا عُثْمَانُ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَسَى أَنْ يُلْبِسَكَ قَمِيصًا، فَإِنْ أَرَادَكَ الْمُنَافِقُونَ عَلَى خَلْعِهِ فَلَا تَخْلَعَهُ حَتَّى تَلْقَانِي»[٣] - ثلاثًا. وروى أحمد والترمذي وقال: حسن غريب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٨٤٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٧٩)، والحاكم (٤٥٥٣) من طريق عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن به، وصححه الحاكم، وقال الترمذي: حسن غريب. قلت: كثير مجهول الحال. وللحديث شاهد من حديث ابن عمر أخرجه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٨٥٤)، وإسناده لا بأس به، والمتن يصح بمجموع طرقه وشواهده.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٥٠٢)، والنسائي (٧/ ٩١)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، والترمذي (٢١٥٨)، وأحمد في «المسند» (١/ ٦١)، وفي «فضائل الصحابة» (٧٥٤) من طريق حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد عن أبي أمامة بن سهل عن عثمان.

(٣) صحيح: أخرجه الترمذي (٣٧٠٥) من طريق الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان بن بشير عن عائشة، ومعاوية متابع على هذا الوجه، تابعه الوليد بن سليمان عند أحمد (٦/ ٨٦)، وليث متابع على هذه الرواية من زيد بن الحباب عند ابن أبي شيبة (٣٢٠٤٥) إلا أن زيدًا له رواية أخرى فقد رواه عن معاوية بن صالح عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن قيس عن النعمان عن عائشة، وهذا اختلاف في شيخ ربيعة، وهذا أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٦٥٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩١٥) وزيد متابع على هذه الرواية، تابعه عبد الرحمن بن مهدي عند أحمد (٦/ ١٤٩).

وأيضًا فمعاوية بن صالح مخالف، خالفه الفرج بن فضالة، واختلف على الفرج في إسناده، فرواه أبو معاوية عن الفرج عن ربيعة بن يزيد عن النعمان عن عائشة أخرجه ابن ماجه (١١٢) وليس في روايته=

ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقال: **«يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلومًا»**[1] فنظرنا فإذا هو عثمان بن عفان.

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنكم تلقون بعدي فتنة واختلافًا - أو قال: اختلافًا وفتنة»** فقال قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ قال: **«عليكم بالأمين وأصحابه»**، وهو يشير إلى عثمان بذلك[2].

وله عن مرة البهزي قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال: **«كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر»** قالوا: نصنع ماذا يا رسول الله؟ قال: **«عليكم هذا وأصحابه، أو اتبعوا هذا وأصحابه»** قال: فأسرعت حتى عييت، فأدركت الرجل فقلت: هذا يا رسول الله؟ قال: **«هذا»** فإذا هو عثمان بن عفان، فقال: هذا وأصحابه يذكره[3].

= واسطة بين ربيعة والنعمان، وأبو معاوية مخالف، خالفه موسى بن داود الضبي عند أحمد (٦/ ٧٥)، والحاكم (٤٥٤٤) فرواه عن الفرج عن محمد بن الوليد الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة.
قلت: والحديث مخرج عند غير من ذكرت أيضًا كالطبراني وابن أبي عاصم وغيرهما، لكن مداره على ما ذكرت، فإن قلنا إن رواية الفرج ضعيفة بما فيها من مخالفات لضعف الفرج بن فضالة فيبقى الخلاف في رواية معاوية بن صالح. ومعاوية ثقة له أوهام، ومدار الخلاف عليه، وقد وافقه الوليد بن سليمان في أحد الوجهين ولم يختلف عليه فتترجح رواية الوليد بن سليمان عن ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن عامر عن النعمان عن عائشة، وهذا إسناد صحيح أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٨٦)، وفي «فضائل الصحابة» (٨١٦) عن أبي المغيرة عن الوليد به، ورواته جميعًا ثقات، وعبد الله بن عامر هو اليحصبي المقرئ. ووقع في سنن الترمذي: عبد الملك بن عامر، وهو تحريف، والحديث أورده المزي في ترجمة عبد الله بن عامر المقرئ من «تهذيب الكمال». من طريق الترمذي على الصواب.

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٧٠٨)، وأحمد (٢/ ١١٥) من طريق سنان بن هارون البرجمي عن كليب بن وائل عن ابن عمر مرفوعًا به، وقال الترمذي: حسن غريب. قلت: سنان بن هارون فيه كلام يترجح منه ضعفه، والله أعلم.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٤)، وفي «فضائل الصحابة» (٧٢٣)، والحاكم (٨٣٣٥) من طريق موسى بن عقبة عن جده أبي حبيبة عن أبي هريرة مرفوعًا به، وأبو حبيبة مجهول الحال لم يوثقه غير العجلي، وترجمته في الكنى من «التاريخ الكبير» للبخاري (ص٢٤)، و«الجرح والتعديل» (٩/ ٣٥٩)، و«ثقات» العجلي (٢/ ٣٩٤)، و«تعجيل المنفعة» (ص٤٧٤).

(٣) **في إسناده ضعف**: أخرجه أحمد (٥/ ٣٣ و٣٥) وابن أبي شيبة (٣٢٠٢٤ و٣٧٠٧٨)، وابن حبان (٦٩١٤) جميعًا عن أبي أسامة عن كهمس عن عبد الله بن شقيق عن هرمي بن الحارث وأسامة بن خريم عن مرة البهزي. قلت: وهرمي وأسامة لم يترجم لهما ابن حجر في «تعجيل المنفعة» وهما من شرطه، =

وروى الترمذي في جامعه عنه رضي الله عنه قال: لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ما تكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب فقال: «**هَذَا يوْمَئِذٍ عَلَى الهُدَى**» فقمت إليه فإذا هو عثمان بن عفان. فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «**نعم**»[1] ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة. وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: «**ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها وعظمها**، قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: «**هذا يومئذ على الحق**». قال: فانطلقت مسرعًا -أو محضرًا- وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يا رسول الله قال: «**هذا**»[2].

وروى أبو داود الطيالسي بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة يبايع الناس**» قال: فهجمنا على عثمان بن عفان معتجرًا يبايع الناس[3].

= وليسا من رجال «التهذيب»، وترجم لأسامة في «اللسان»، وأسامة وثقه العجلي، وعده ابن حبان في الصحابة فأخطأ، وترجمته في «تاريخ البخاري» (٢/ ٢١) و«الجرح والتعديل» (٢/ ٢٨٣)، و«ثقات» العجلي (١/ ٢١٦ ت٥٩)، و«ثقات» ابن حبان (٤/ ٤٤)، ولم يرو عنه غير عبد الله بن شقيق، وأما هرمي فلم أقف له على ترجمة، والرجلان مجهولا العين لم يرو عنهما إلا عبد الله بن شقيق وهو ثقة.
ولو قلتُ بحسن الإسناد لأمكن إذ يتقوى حديث أحدهما بحديث الآخر، وقد قال ابن شقيق في حديثه: فحدثاني ولا يشعر كل واحد منهما أن صاحبه حدثنيه عن مرة البهزي. اهـ. لكن المترجح لدي هو ضعف الإسناد والله أعلم.

(١) **صحيح الإسناد**: أخرجه الترمذي (٣٧٠٤)، والحاكم (٤٥٥٢) من طريق أيوب عن أبي قلابة عن أبي الأشعث الصنعاني عن مرة بن كعب مرفوعًا به، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم.
قلت: وإسناده صحيح، وقد رواه عن أيوب عبد الوهاب الثقفي ووهيب، لكنهما مخالفان من ابن علية وهو أوثق، أخرجه ابن أبي شيبة (٣٢٠٢٦) عن ابن علية عن أيوب عن أبي قلابة مرسلًا. ورواية ابن علية أصح وأثبت، لكن للحديث شواهد، منها ما أشار إليها الترمذي بقوله: وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة، ومنها ما يأتي.

(٢) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤٣)، وفي «فضائل الصحابة» (٧٢٢)، وابن ماجه (١١١)، وابن أبي شيبة (٣٢٠٢٥) من طرق عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن كعب بن عجرة مرفوعًا به، والحديث أخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٨٠ ح٢٦٥٢) بإسناده به، وقال: قال أبي: يقال هذا الحديث عن كعب بن مرة البهزي. اهـ. قلت (يحيى): كأنه مقلوب صوابه: مرة بن كعب البهزي، والله أعلم، وإسناده ضعيف للانقطاع بين ابن سيرين وكعب بن عجرة.

(٣) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود الطيالسي (١٢٥٠) عن حماد بن زيد وحماد بن سلمة عن الجريري=

وقد تقدم من الأحاديث التي تشير إلى خلافته وأشياء من فضائله مع ذكر صاحبيه رضي الله عنهما، وفي فضائله منفردًا ومع غيره من السابقين أحاديث كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

وكان الاعتداء على حياته رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يومًا، لأنه بويع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين. وأما عمره رضي الله عنه فإنه قد جاوز اثنتي وثمانين سنة. والله أعلم.

خلافة علي رضي الله عنه

وَالرَّابِعُ ابْنُ عَمِّ خَيْرِ الرُّسُلِ ... أَعْنِي الإِمَامَ الْحَقَّ ذا الْقَدْرِ الْعَلِي
مُبِيدُ كُلِّ خَارِجِي مَارِقِ ... وَكُلِّ خِبٍّ رَافِضِي فَاسِقِ
مَنْ كَانَ لِلرَّسُولِ فِي مَكَانِ ... هَارُونَ مِنْ مُوسَى بِلَا نُكْرَانِ
لَا فِي نُبُوَّةٍ فَقَدْ قَدَّمْتُ مَا ... يَكْفِي لِمَنْ مِنْ سُوءِ ظَنٍّ سَلِمَا

«والرابع» في الفضل والخلافة **«ابن عم»** محمد ﷺ **«خير الرسل»** أكرمهم على الله ﷻ **«أعني»** بذلك **«الإمام الحق»** بالإجماع بلا مدافعة ولا ممانعة **«ذا»** صاحب **«القدر العلي»** الرفيع، وهم أمير المؤمنين أبو السبطين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضي الله عنه وأرضاه. كان أبو طالب عم النبي ﷺ أخا شقيقًا لأبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو، كفل أبو طالب رسول الله ﷺ بعد موت جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، ولما بعث آواه الله تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دين قومه، ولله في ذلك حكمة، وقد حرص النبي ﷺ على هداية عمه كل الحرص، ولم يكن ذلك حتى خرجت روحه وهو يقول: على ملة عبد المطلب، وأنزل الله تعالى في ذلك تعزية لنبيه ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: الآية ٥٦] وقال النبي ﷺ: **«لأستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك»**[1]، فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة:

= عن عبد الله بن حوالة به، وإسناده منقطع، وأخرجه الحاكم (٤٥٣٩) من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عبد الله بن حوالة، وحماد بن سلمة سمع الجريري قبل الاختلاط وبعده.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٤) ومسلم (٢٤).

الآية ١١٣] الآيات. وفي صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال: «يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: «نَعَمْ، هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ، وَلَوْلَا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[1].

وفي لفظ: «وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ»[2]، وفيه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ»[3]، وفيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُنْتَعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ»[4].

وكفل النبي ﷺ عليًا رضي الله عنه وهو صغير، فلما بعث آمن به وهو ابن ثماني سنين، وهو أول من آمن من الصبيان، كما أن أبا بكر رضي الله عنه أول من آمن به من الرجال، وخديجة رضي الله عنها أول من آمن به من النساء، وورقة بن نوفل رضي الله عنه أول من آمن به من الشيوخ، وزيد بن حارثة رضي الله عنه أول من آمن به من الموالي. وبلال رضي الله عنه أول من آمن به من الأرقاء ﷺ ورضى الله عنهم أجمعين. وكان علي رضي الله عنه صاحب دعوة قريش حين نزلت على الرسول ﷺ ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤] فأمر عليا أن يدعوهم له فيجتمعون للنذارة. وهو الذي فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلة مكر المشركين كما قدمنا في حديث الهجرة. وهو الذي أدى الأمانات عنه بعدها. وهو الذي برز مع حمزة وعبيدة لخصمائهم يوم بدر وكان يقول: أنا أول من يجثو للخصومة بين يدى الرحمن يوم القيامة. وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك على ما يأتى وهو صاحب عمرو بن ود وخيله يوم الخندق. وفتح الله على يديه خيبر بعد قتله فارسهم مرحب. وكان مع حماة النبي ﷺ يوم أحد. وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغًا عن الرسول ﷺ في الموسم، وشريكه في هديه في حجة الوداع، وخليفته في أهله في غزوة تبوك، وصاحب تجهيزه حين توفي مع جماعة من أهل البيت رضي الله عنهم[5].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٣) ومسلم (٢٠٩).
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٠٩).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٨٨٥)، ومسلم (٢١٠).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٢).
(٥) انظر لمعرفة الصحيح من فضائل علي رضي الله عنه، كتاب شيخنا أبي عبد الله مصطفى بن العدوي «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

وقد ثبت له في الأحاديث الصحاح والحسان من الفضائل الجمة ما فيه كفاية وغنية عن تلفيق الرافضة وخرطهم وكذبهم عليه وعلى رسول اللّه ﷺ وقولهم عليه ما لم يقل قبحهم اللّه .

«**مبيد**» أي مدمر «**كل خارجي**» نسبة إلى الخروج من الطاعة ، ولكن صار هذا الاسم علمًا على الحرورية الذين كفروا أهل القبلة والمعاصي ، وحكموا بتخليدهم في النار بذلك ، واستحلوا دماءهم وأموالهم ، حتى الصحابة من السابقين الأولين من أهل بدر وغيرهم ، حتى علي بن أبي طالب وعمار بن ياسر وخباب وأقرانهم ﷺ ، ثم صار هذا الاسم عامًا لكل من اتبع مذهبهم الفاسد وسلك طريقتهم الخائبة ، وكل ذنب يكفرون به المؤمنين فهو تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة وهم لا يشعرون . فمنها أن تكفير المؤمن إن لم يكن كذلك كفر فاعله كما في الحديث : «**أَيمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيهِ**»[1] .

ومنها أن من أكبر الكبائر التي يكفرون بها المؤمنين قتل النفس التي حرم اللّه إلا بالحق وهم أسرع الناس في ذلك يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان . ومنها أن المؤمن وإن عمل المعاصي فهو لا يستحلها وإنما يقع فيها لغلبة نفسه إياه وتسويل شيطانه له وهو مقر بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدود الشرعية فيما ارتكبه ، وهم يقتلون النفس التي حرم اللّه قتلها إلا بالحق ، ويأخذون الأموال التي حرم اللّه أخذها إلا بالحق ، ويفعلون الأفاعيل القبيحة مستحلين لها ، والذي يعمل الكبيرة مستحلا لها أولى بالكفر ممن يعملها مقرًا بتحريمها بل لا مخالف في ذلك إذ هو تكذيب بالكتاب وبما أرسل اللّه تعالى به رسله عليهم السلام ، وإنما توقف الصحابة عن تكفير أهل النهروان لأنهم كانوا يتأولون فحكموا أنهم بغاة .

«**مارق**» اسم فاعل من المروق وهو الخروج من جانب غير مقصود الخروج منه ، وسمى الخوارج «مارقة» لقول النبي ﷺ فيهم : «**يمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيةِ**»[2] وقوله : «**تَمْرقُ مَارِقَةٌ**»[3] الحديث . ففي الصحيح عن جابر بن عبد اللّه ﷺ قال :

(١) **صحيح** : أخرجه البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر .

(٢) **صحيح** : أخرجه البخاري (٥٠٥٧) ومسلم (١٠٦٦) وغيرهما من حديث علي .

(٣) **صحيح** : أخرجه مسلم (١٠٦٤) وأبو داود (٤٦٦٧) وأحمد (٣/ ٣٢ و ٩٧) من حديث أبي سعيد الخدري .

«أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطي الناس، فقال: يا محمد اعدل: قال: «وَيلَكَ وَمَنْ يعْدِلْ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعدِلُ؟ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلْ». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(١).

وفيه عن أبي سعيد في قصة الذهبية «فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتئ الجبين محلوق الرأس فقال: اتق الله يا محمد قال: فقال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ يطِعِ اللَّه إِنْ عَصَيتُهُ؟ أَيَأْمَنِيى عَلَى أَهْلِ الارْضِ وَلَا تَأْمُنُونِي؟» قال: ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله - يرون أنه خالد بن الوليد - فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»(٢) وفي لفظ «ثمود». وفي لفظ «فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا رسول الله ائذن لي فيه اضرب عنقه» قال: رسول الله ﷺ: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»(٣).

قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معهم، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأتى به حتى نظرت إليه على نظرة رسول الله ﷺ الذي نعت»(٤).

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٦٣) واللفظ له، وأخرج أصله البخاري (٣١٣٨) مختصرًا من حديث جابر.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٣٤٤) ومسلم (١٠٦٤).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٥١) ومسلم (١٠٦٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٤).

وفيه عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر قومًا يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال: «هُمْ شَرُّ الخَلْقِ»، أو «مِنْ أَشَرِّ الخَلْقِ، يقْتُلُهُمْ أَدْنَى الطَّائِفَتَينِ إِلَى الحَقِّ» قال فضرب النبي ﷺ مثلا - أو قال قولا: - الرجل يرمي الرمية أو قال: الفوق فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضي فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة، قال: قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق[1].

وفيه عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق» - وفي رواية - «يكون فى أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلى قتلهم أولاهم بالحق». وفي لفظ قال: قال ﷺ: «تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ»[2].

وفي رواية «يَخْرُجُونَ عَلَى فُرْقَةٍ مُخْتَلِفَةٍ يَقْتُلُهُمْ أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْحَقِّ»[3].

وفيه عن سويد بن غفلة قال: قال على رضي الله عنه «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرَّ من السماء أحب إلى من أن أقول عليه ما لم يقل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[4] وفيه عن عبيدة عنه رضي الله عنه قال «ذكر الخوارج فقال: فيهم رجل مخدج اليد - مودن اليد أو مودون اليد - لو لا أن تطروا لحدثتكم بما وعد الله تعالى الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ. قال: قلت: أنت سمعت من محمد ﷺ؟ قال: إى ورب الكعبة، إى ورب الكعبة، إى ورب الكعبة»[5].

وفيه عن زيد بن وهب الجهني أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال على رضي الله عنه: أيها الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى

---

(١) صحيح: وتخريجه ما سبق.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٦٤).

(٣) صحيح: والروايات الأربع أخرجها مسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٥٧) ومسلم (١٠٦٦).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (١٠٦٦) وأبو داود (٤٧٦٣) وغيرهما من حديث عبيدة عن علي.

صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لا تكلوا عن العمل. وآية ذلك أن فيهم رجلًا له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدي، عليه شعرات بيض، فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم؟ والله إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا في سرح الناس، فسيروا على اسم الله، قال سلمة بن كهيل فنزلني زيد بن وهب منزلا حتى مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبي فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلوا السيوف وشجرهم الناس برماحهم، قال: وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان. فقال علي ﷺ: التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه، فقام علي ﷺ بنفسه حتى أتى ناسًا قد قتل بعضهم على بعض قال أخروهم، فوجدوه مما يلي الأرض فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال: فقام إليه عبيدة السلماني فقال: يا أمير المؤمنين، والله الذي لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ؟ فقال: إى والله الذي لا إله إلا هو. وحتى استحلفه ثلاثًا وهو يحلف له»[1].

وفيه عن عبيد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع علي بن أبي طالب ﷺ قالوا: لا حكم إلا الله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل: إن رسول الله ﷺ وصف لنا وإني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم ولا يجوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدي. فلما قتلهم علي بن أبي طالب ﷺ قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فقال: ارجعوا فوالله ما كذبت ولا كذبت - مرتين أو ثلاثًا - ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي ﷺ فيهم»[2] وفيه عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٦٦) وأبو داود (٤٧٦٨) وغيرهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٦٦).

وَالْخَلِيقَةِ»[١] ومثله عن رافع بن عمر الغفاري[٢] رضي الله عنه وفي سنن أبى داود عن أبى سعيد الخدرى وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ»، قالوا: يا رسول الله ﷺ ما سيماهم؟ قال: «التَّحْلِيقُ»[٣].

وله عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «سِيمَاهُمُ التَّحْلِيقُ وَالتَّسْبِيدُ فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُمْ فَأَنِيمُوهُمْ»[٤] قال أبو داود: التسبيد استئصال الشعر[٥]، والأحاديث في ذم الخوارج والأمر بقتالهم والثناء على مقاتليهم كثيرة جدًا وفيما ذكرنا كفاية.

«و» مبيد «كل خب رافضي فاسق» الخب الخداع الخائن. والرافضي نسبة إلى الرفض وهو الترك بازدراء واستهانة. سموا بذلك لرفضهم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. وزعموا أنهما ظلما عليا واغتصباه الخلافة ومنعا فاطمة رضي الله عنها فدك، وبذلك يحطون عليهما ثم على عائشة ثم على غيرها من الصحابة. وهم أقسام كثيرة لا كثرهم الله تعالى. أعظمهم غلوا وأسوأهم قولًا وأخبثهم اعتقادًا بل وأخبث من اليهود والنصارى هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي قبحه الله[٦]، كانوا يعتقدون في علي رضي الله عنه الإلهية كما يعتقد النصارى في عيسى عليه السلام، وهم الذين أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار، وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما في صحيح البخاري والمسند وأبي داود والترمذي والنسائي عن عكرمة رضي الله عنه قال: أتى علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٦٧).

(٢) **صحيح**: وتخريجه ما سبق.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) وأبو يعلى (٣١١٧) من حديث قتادة عن أنس وأبي سعيد، وأخرجه بنحوه البخاري (٧٥٦٢) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٧٦٦) وابن ماجه (١٧٥) وأحمد (٣/ ١٩٧) وعبد الله في «السنة» (١٦٥٥) من طريق معمر عن قتادة عن أنس مرفوعًا به، وفي رواية معمر عن قتادة ضعف، إلا أن حديث أنس صحيح مما سبق.

(٥) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٤٤ عقب حديث ٤٧٦٦) وفيه التصريح بأن هذا التفسير من كلام أبي داود، إلا أن هذا اللفظ بعينه عند عبد الله في «السنة» (١٦٥٥).

(٦) عبد الله بن سبأ من غلاة الزنادقة، كان يهوديا فأظهر الإسلام. ترجمته في «لسان الميزان» (٣/ ٣٤٤).

رسول الله ﷺ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ اللَّه» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[١].

حكى عن أبي المظفر الإسفراييني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي رضي الله عنه طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديًّا ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة. وتفصيل ذلك ما ذكره في الفتح[٢] من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي رضي الله عنه إن هنا قومًا على باب المسجد يزعمون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، قال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا. فلما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدخلهم فقالوا: كذلك، فلما كان الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنهم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك، فأمر علي رضي الله عنه أن يخدَّ لهم أخدود بين المسجد والقصر، وأمر بالحطب أن يطرح في الأخدود ويضرم بالنار ثم قال لهم: إني طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال:

إِنِّي إِذَا رَأَيْتُ أَمْرًا مُنْكَرًا ... أَوْقَدْتُ نَارِي وَدَعَوْتُ قُنْبُرًا

قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح[٣]، ومنهم طائفة يعتقدون أن لا إله إلا علي، وهم النصيرية الذين يقول شاعرهم الملعون قبحه الله:

أَشْهَدُ أَلَا إِلَهَ إِلَا ... حَيْدَرَةُ الأَنْزَعُ البَطِينُ
وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ إِلَا ... مُحَمَّدٌ الصَّادِقُ الأَمِينُ
وَلَا حِجَابَ عَلَيْهِ إِلَا ... سَلْمَانُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ

ومنهم من يدعي فيه الرسالة وأن جبريل خانها فنزل بها على محمد ﷺ.

ومنهم من يدعي فيه العصمة، ويرى خلافة أبي بكر وعمر وعثمان باطلة، ويشتمون طلحة والزبير وعائشة ويرمونها بما رماها به ابن سلول قبحهم الله.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٠١٧) وأبو داود (٤٣٥١) والترمذي (١٤٥٨) والنسائي (٧/ ١٠٤)، وأحمد (١/ ٢١٧ و ٢٨٢) والحميدي (٥٣٣) وغيرهم من حديث عكرمة عن ابن عباس.

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٣٠٦ شرح حديث ٦٩٢٢).

(٣) في «الفتح»: وهذا سند حسن. قلت: عزاه الحافظ إلى الجزء الثالث من حديث أبي طاهر المخلص من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه.

ومنهم من يدعي أنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى وهم أصحاب الرجعة .

ومنهم من يدعي أنه وصي رسول اللَّه ﷺ بأمته ، وأنه عهد إليه ما يعهده إلى غيره وبلغه ما كتمه الناس ، وغير ذلك من فرقهم الضالة وشيعهم الخاطئة .

وأما الزيدية الذين يدعون أنهم أصحاب زيد بن على وأتباعه فهؤلاء لا يشتمون الشيخين ولا عائشة ولا سائر العشرة ، ولكنهم يفضلون عليًّا رضي الله عنه ويقدمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكتون عن عثمان رضي الله عنه ويحطون على معاوية غفر اللَّه له . هذا الذي وقفنا عليه في بعض رسائلهم ، ثم رأيت في بعضها السكوت عن أبي بكر وعمر ، فلا يذكرونهما بخير ولا شر ، ولا بخلافة ولا غيرها ، ثم يحصرون الخلافة في علي رضي الله عنه وذريته ، ففرقة تدعي عصمتهم ، وأخرى لا تدعى ذلك . والمقصود أنهم فرق كثيرة متفاوتون في أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم وأخفهم بدعة الزيدية ، هذا في شأن أهل البيت طهرهم اللَّه تعالى ، وأما في مسألة الصفات والقرآن والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فقد دهي كل فرقة منهم ما دهى غيرهم من الناس ، ولكن المشهور من غالبهم الاعتزال واعتمادهم كتب العلاف والجبائي وأشباهه ، والزيدية عمدتهم في تفسير القرآن كشاف الزمخشرى وقد شحنه بقول القدرية المعتزلة[1] ، وهم أخف وأهون ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ باللَّه ، ومحل بسط مقالاتهم وفرق ضلالتهم كتب المقالات . هذا وقد قال رضي الله عنه في تفضيل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ما قدمناه في الصحيح ، وفي كتاب السنة عن علقمة في خطبة علي رضي الله عنه على منبر الكوفة : ألا أنه بلغني أن قومًا يفضلونني على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ، ولكن أكره العقوبة قبل التقدم . من قال شيئًا من ذلك فهو مفتر ، عليه ما على المفتري ، وخير الناس كان بعد رسول اللَّه ﷺ أبو بكر ثم عمر ، ثم أحدثنا بعدهم أحداثًا يقضي اللَّه فيه ما شاء[2] .

وهذا الكلام مشهور عنه من طرق لا تحصى ، لأنه رضي الله عنه وكرم اللَّه وجهه كان يجهر به

---

(١) نقل حاجي خليفة في «كشف الظنون» (١/ ٤٣١) عن البلقيني قوله : «استخرجت من الكشاف اعتزالًا بالمناقيش ، منها أنه قال في قوله سبحانه وتعالى : «فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز» : أي فوز أعظم من دخول الجنة . أشار به إلى عدم الرؤية .

(٢) ضعيف الإسناد : أخرجه عبد اللَّه في «السنة» (١٤٩٧) وفي «فضائل الصحابة» (٤٨٤) وفي إسناده أبو معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي وهو ضعيف .

ويظهره في المحافل وعلى المنابر، ويذم الرافضة كثيرًا، وقد جلد من قيل له إنه تكلم في عرض أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها جلده، مائة جلدة وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم رضي الله عنه.

«من كان» بمعنى صار «للرسول» ﷺ «في مكان» أي منزلة «هارون من موسى» عليهما السلام في الاستخلاف، فموسى استخلف هارون في مدة الميعاد، ومحمد ﷺ استخلف عليا في غزوة تبوك. ففي الصحيحين عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: لعلى رضي الله عنه «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟»[1] وفيهما من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا رضي الله عنه، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيسَ بِنَبِي بَعْدِي»[2] هذا الاستثناء يزيل الإشكال من الرواية الأولى ويخصص عموم المنزلة بخصوص الإخوة والاستخلاف في أهله فقط لا في النبوة كمشاركة هارون لموسى فيها إذ يقول الله تعالى لموسى ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ وقال لهما ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١٦] ولهذا قلنا في المتن «لا في نبوة» لمنزلة هارون من موسى فيها فلا تتوهم ذلك من اقتصاري على الرواية الأولى «فقد قدمت» في فصل النبوة «ما يكفي» في هذا الباب «لمن من سوء ظن» بأخيه المسلم «سلمًا» وهو قولي:

وَكُلُّ مَنْ مِنْ بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى ... نُبُوةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى

وما بعده. وفي الصحيحين في تفسير قول الله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحَج: الآية ١٩] عن قيس بن عبَّاد عن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقسم فيه أن هذه الآية نزلت في حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه، برزوا في يوم بدر[3].

وفيهما عنه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحَج: الآية ١٩] قال: هم الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة، وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة[4].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٠٦) ومسلم (٢٤٠٤).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤١٦) ومسلم (٢٤٠٤)
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٦٩) ومسلم (٣٠٣٣).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٩٦٥). ولم يخرجه مسلم.

وفيهما عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «**لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يفْتَحُ اللَّه عَلَى يدَيهِ يحِبُّ اللَّه وَرَسُولَهُ وَيحِبَّهُ اللَّه وَرَسُولُهُ**». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: «**أَينَ عَلِي بنُ أَبي طَالِبٍ؟**» فقيل هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتى به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال علي: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»[1] وعن سلمة بن الأكوع نحوه مختصرًا، ونحوه عند مسلم أيضًا، وفيهما عن عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه أن رجلًا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليا عند المنبر. قال: ماذا يقول له؟ قال: يقول أبو تراب؟ فضحك وقال: والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحليب سهلا وقلت: يا أبا العباس كيف؟ قال: «**دخل علي** رضي الله عنه علي فاطمة ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: «**أينَ ابْنُ عَمِّكِ**»؟ قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: «**اجْلِسْ يا أَبَا تُرَابٍ مَرَّتَينِ**»[2].

وفي رواية مسلم عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: «**استعمل على المدينة رجل من آل مروان**» قال: فدعا سهل بن سعد فأمره أن يشتم عليا قال: فأبى سهل فقال له: أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي به. فقال له: أخبرنا عن قصته أسمى أبا تراب فذكره»[3] وفي صحيح البخاري عن سعيد بن عبيدة قال: جاء رجل إلى ابن عمر رضي الله عنهما فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله وقال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن علي فذكر محاسن عمله وقال: هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ، ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: أجل، قال: فأرغم الله بأنفك. انطلق واجهد على جهدك»[4].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٠١ و ٤٢١٠)، ومسلم (٢٤٠٦).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٠٣) ومسلم (٢٤٠٩).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٠٩).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٠٤) وأحمد (٥/ ١١٣).

وفيهما عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا علي ﷺ أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبي ﷺ سبي، فانطلقت فلم تجده، فوجدت عائشة ﷺ فأخبرتها، فلما جاء النبي ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم، فقال: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري وقال: «**أَلَا أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي؟ إِذْ أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا؟ تُكَبِّرَانِ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ وَتُسَبِّحَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدَانِ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ**»[1] وفي البخاري عن ابن سيرين عن عبيدة عن علي ﷺ قال «اقضوا كما كنتم تقضون، فإني أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابي. فكان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروى عن علي ﷺ الكذب»[2].

قلت: وأكثر ما يكذب على علي ﷺ الرافضة الذين يدعون مشايعته ونشر فضائله ومثالب غيره من أصحابه، فيسندون ذلك إليه ﷺ وهو بريء منهم. وهم أعدى عدو له. وفي الصحيحين من طرق عنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَكْذِبُوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ النَّارَ**»[3].

وفي فضائله ﷺ من الأحاديث الصحاح والحسان ما يغني عن أكاذيب الرافضة، وهم يجهلون غالب ما له من الفضائل فيها، وفي صحيح مسلم عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه ﷺ قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدًا فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت فثلاث قالهن رسول الله ﷺ لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في مغازيه، فقال له علي ﷺ: يا رسول الله ﷺ خلفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نُبُوَّةَ بَعْدِي**»، وسمعته يقول يوم خيبر: «**لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» قال: فتطاولنا لها قال: «**ادْعُوا عَلِيًا**»، فأتى به أرمد فبصق في عينيه ودفع إليه الراية لبلة فتح الله عليه، ولما نزلت هذه الآية ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: الآية ٦١] دعا رسول الله ﷺ عليا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال: «**اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي**»[4] وفي صحيح مسلم عن زر قال: قال علي ﷺ: «والذي فلق الحبة

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٠٥) ومسلم (٢٧٢٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٠٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٦) ومسلم (١) من حديث علي مرفوعًا، والحديث متواتر وانظر طرقه وتفصيلها في مقدمة ابن الجوزي لكتابه «الموضوعات» بتحقيقي.

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٠٤) والترمذي (٣٧٢٤)، وأحمد (١/ ١٨٥).

وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي ﷺ إلى أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»[١].

والأحاديث في فضله كثيرة جدًّا، وقد تقدم الحديث في الإشارة إلى خلافته رضي الله عنه في رؤيا الرجل الصالح الدلو التي شرب منها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم جاء علي وأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيء، وكان تأويل ذلك ما أصابه رضي الله عنه من اختلاف الناس عليه، والفتن الهائلة، والدماء المهرقة، والأمور الصعاب، والأسلحة المسلولة بين المسلمين بسبب السبئية ومن وافقهم من أهل الأمصار على قتل عثمان، وكان غالبهم منافقين، وقليل منهم من أبناء الصحابة مغرورون، فحصل من ذلك في يوم الجمل وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها.

فأما وقعة الجمل فكانت بمحض فعل السبئية قبحهم اللَّه تعالى، ليس باختيار علي رضي الله عنه ولا طلحة ولا الزبير ولا أم المؤمنين رضي الله عنهم، بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلة. فتواطأ أهل الفتنة، وتمالئوا على أن يفرقوا بين الفريقين وينشبوا الحرب بين الفئتين من الغلس، فثار الناس من نومهم إلى السلاح فلم يشعر أصحاب رسول اللَّه ﷺ إلا بالرؤوس تندر والمعاصم تتطاير ما يدرون ما الأمر حتى عقر الجمل وانكشف الحال عن عشرة آلاف قتيل فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، وإنما أنشب أهل الفتنة الحرب بين الفريقين لعلمهم أنهما إن تصالحا دارت الدائرة عليهم وأخذوا بدم عثمان وأقيم عليهم كتاب، فقالوا: نشغلهم بأنفسهم، وكان أمر اللَّه قدرًا مقدورًا.

وأما في قتاله أهل الشام فكانوا مع معاوية، وكان هو رضي الله عنه متأولا يطلب دم عثمان ويرى أنه وليه وإن قتلته في جيش علي، فكان معذورًا في خطئه بذلك، وأما علي رضي الله عنه فكان مجتهدًا مصيبًا وفالجًا محقًّا يريد جمع كلمة الأمة، حتى إذا كانوا جماعة، وخمدت الفتن، وطفئت نارها أخذ بالحق من قتلة عثمان، وكان رضي الله عنه أعلم بكتاب اللَّه من المطالبين بدم عثمان، وكان السبئية يخافونه أعظم من خصمائه، وذلك الذي حملهم على ما فعلوه يوم الجمل، فكان أهل الشام بغاة اجتهدوا فأخطئوا، وعلي رضي الله عنه يقاتلهم ليرجعوا إلى الحق ويفيئوا إلى أمر اللَّه، ولهذا كان أهل بدر الموجودون على وجه الأرض كلهم في جيشه وعمار قتل معه رضي الله عنه، كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد في بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «**وَيحَ عَمَّارًا تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيةُ، يدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ وَيدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ**»، قال: يقول عمار: أعوذ باللَّه من

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٧٨) والترمذي (٣٧٣٦)، وابن ماجه (١١٤)، وأحمد (١/ ٨٤ و ٩٥ و ١٢٨).

الفتن[1] فقتله أهل الشام مصداق ما أخبرهم به الصادق المصدوق ﷺ وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلاف، وإلى طاعة الإمام التي هي من أسباب دخول الجنة، ويدعونه إلى الفتنة والفرقة التي هي من أسباب دخول النار، وكان علي ﷺ أسعد منه، وأولاهم بالحق لقتله الخوارج بالنهروان، وقد قال النبي ﷺ: «تَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالحَقِّ» كما قدمنا[2].

وفي سنن أبي داود عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب ﷺ قال: بعثني عمر إلى الأسقف فدعوته فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟ قال: نعم. قال: كيف تجدني؟ قال: أجدك قرنًا، فرفع عليه الدرة فقال: قرن مه؟ فقال: قرن حديد، أمين شديد. قال: كيف تجد الذي يجيء من بعدي؟ فقال: أجده خليفة صالحًا غير أنه يؤثر قرابته، قال عمر: يرحم الله عثمان - ثلاثًا، فقال: كيف تجد الذي بعده؟ قال: أجده صدأ حديد، فوضع عمر يده على رأسه فقال: يا دفراه يا دفراه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح، ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق»[3].

وكان الأمر كما أخبر، وكان ﷺ أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة والتمسك بكتاب الله وهدي محمد ﷺ مجتهدًا في جمع شمل الأمة، وإطفاء الفتن، والتذفيف على أهل البدع حتى اعتدى على حياته ﷺ الشقي ابن ملجم الخارجي قبحه الله، وقد فعل، وذلك يوم الجمعة في وقت الفجر وهو يقول: الصلاة الصلاة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة. فكانت مدة خلافته كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال، وهو يومئذ أفضل من على وجه الأرض بالإجماع.

وذلك مصداق ما روى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة أبي عبد الرحمن مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الخَلافَةُ ثَلاثُونَ سَنَةً، ثُمَّ تَكُونُ بَعْدُ ذَلِكَ مُلْكًا»، قال سفينة: فخذ سنتي أبي بكر وعشر عمر واثنتي عشر عثمان وست علي

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٧)، وأحمد (٣/ ٩٠).

(٢) صحيح: وسبق تخريجه.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٥٦) من طريق حماد بن سلمة عن الجريري عن عبدالله بن شقيق عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب به، وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن الجريري اختلط وسماع حماد بن سلمة منه قبل الاختلاط وبعده، لكن الخبر أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٢٠٠٠ و٣٧٦٨٧) عن أبي أسامة عن كهمس عن عبد الله بن شقيق عن الأقرع به، وهذا إسناد صحيح.

رضي اللَّه عنهم أجمعين[١] .

قلت : سفينة رضي الله عنه حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ما جرت به عادات العرب في حذف الكسور في الحساب ، وعلى ما قدمنا ضبطه فأيام كل منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنه ، وهي ستة أشهر ، ثم أصلح اللَّه به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبي ﷺ ، وولى معاوية بذلك واجتمع الناس عليه ، وكان ذلك العام يسمى «عام الجماعة» وكان معاوية رضي الله عنه أول ملوك الإسلام وخيرهم ، وروى الإمام أحمد عن علي رضي الله عنه قال : سبق رسول اللَّه ﷺ ، وصلى أبو بكر ، وثلث عمر . ثم خبطتنا بعده فتنة فهو ما شاء اللَّه . وفي رواية : يقضي اللَّه فيها ما يشاء[٢] .

وله عنه رضي الله عنه قال : ليحبني قوم حتى يدخلوا النار في حبي ، وليبغضني قوم حتى يدخلوا النار في بغضي[٣] ، وله عنه رضي الله عنه قال : يهلك في رجلان مفرط غالٍ ، ومبغض قالٍ[٤] .

وله عنه رضي الله عنه قال : يهلك في رجلان محب مفرط ومبغض مفتر[٥] .

وله عن الشعبي عن علقمة قال : أتدري ما مثل علي في هذه الأمة؟ قال : قلت : وما مثله؟ قال : مثله كمثل ابن مريم ، أحبه قوم حتى هلكوا في حبه ، وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه[٦] ، وقد روى عبد اللَّه بن أحمد هذا المعنى مسندًا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال :

---

(١) **حسن** : أخرجه أبو داود (٤٦٤٦ ، ٤٦٤٧)، والترمذي (٢٢٢٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨١٥٥) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٠ ، ٢٢١)، وعبد اللَّه في «السنة» (١٥٠٦ - ١٥١١)، وفي «فضائل الصحابة» (٧٩٠) من طريق سعيد بن جمهان عن سفينة مولى رسول اللَّه ﷺ مرفوعًا به وكلام سفينة في «السنة» و«المسند» وغيرهما .

(٢) **صحيح إلى علي** : أخرجه بنحوه عبد اللَّه في «السنة» (١٤١٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٧٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٠٨) والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٦٣٩) من طريق عبد خير عن علي به .

(٣) **صحيح الإسناد** : أخرجه عبد اللَّه في «السنة» (١٤٣٨) وفي «فضائل الصحابة» (٩٥٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٨٣) من طريق وكيع عن شعبة عن أبي التياح عن أبي السوار عن علي ، وهذا إسناد صحيح ، لكن فيه كلام انظره في تعليقي على «السنة» .

(٤) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبداللَّه في «السنة» (١٤٣٩) وفي «فضائل الصحابة» (٩٦٤) وابن أبي شيبة (٣٢١٣٦) وفي إسناده أبو مريم المدائني وهو مجهول .

(٥) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبد اللَّه في «السنة» (١٤٣٧) وفي «فضائل الصحابة» (٩٥١) والخلال في «السنة» (٣٦٢ و ٧٩٧) من طريق أبي البختري عن علي ، وهذا منقطع .

(٦) **ضعيف الإسناد** : أخرجه عبد اللَّه في«السنة» (١٤٤٠) وفي «فضائل الصحابة» (٩٧٤) وفي إسناده : =

دعاني رسول اللَّه ﷺ فقال «إن فيك من عيسى مثلًا ، أبغضته يهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به» ألا وإنه يهلك في اثنان : محب مفرط يقرظني بما ليس في ، ومبغض مفتر يحمله شنآني على أن بهتني ، ألا وإني لست بنبي ولا موصى إلي ، ولكن أعمل بكتاب اللَّه تعالى وسنة نبيه ﷺ ما استطعت ، فكما أمرتكم به من طاعة اللَّه فحق عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرهتم[1].

وكان رضي الله عنه يخبر أصحابه بولاية معاوية رضي الله عنه ويقول : لا تكرهوا إمارة معاوية ، والذي نفسي بيده ما بينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم الرجال تندر عن كواهلهم كأنها الحنظل إلا أن يفارقكم معاوية[2].

وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول : لا أعلم أحدًا يحفظ له من الفضائل فى الأحاديث الصحاح ما يحفظ لعلي رضي الله عنه وعن أصحاب رسول اللَّه ﷺ أجمعين .

مناقب الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم

فَالسِّتَّةُ الْمُكَمِّلُونَ الْعَشَرَةْ   وَسَائِرُ الصَّحْبِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةْ

«فـ» يليهم في الفضل «الستة المكملون» عدد «العشرة» المشهود لهم بالجنة كما في السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد ، فذكر رجل عليا رضي الله عنه ، فقام سعيد بن زيد فقال : أشهد على رسول اللَّه ﷺ أني سمعته وهو يقول : «عَشَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ فِي الْجَنَّةِ وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ» ولو شئت لسميت العاشر . قال : فقالوا : من هو فسكت ، قال : فقالوا : من هو؟ فقال : «هو

= أكيل مؤذن إبراهيم النخعي وهو مجهول ، ترجمته بـ«التاريخ الكبير» (٢/ ٦٥) و«الجرح والتعديل» (٢/ ٣٤٨) .

(١) **ضعيف** : أخرجه عبداللَّه في «زوائد المسند» (١/ ١٦٠) وفي «السنة» (١٣٥٦ ، ١٣٥٧) وفي «فضائل الصحابة» (١٠٨٧ و١٢٢١ و١٢٢٢) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٣٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٦٧ ح ٢٥٩) من طريق الحكم بن عبد الملك ، وقال ابن الجوزي : هذا حديث لا يصح ، قال يحيى : الحكم بن عبدالملك ليس بثقة ، وليس بشيء ، وقال أبو داود : منكر الحديث .

(٢) **ضعيف جدًا** : أخرجه عبد اللَّه في «السنة» (١٣٧٨) وفي إسناده الحارث الأعور متهم بالوضع ، ومجالد بن سعيد ضعيف .

سعيد بن زيد»[١] ﷺ. وكان أبو بكر ﷺ إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة[٢].

وفي الصحيح عن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها رسول اللَّه ﷺ غير طلحة وسعد[٣].

وفيه عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي ﷺ قد شلت[٤].

وفيه عن جابر بن عبد اللَّه ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ يوم الأحزاب: «مَنْ يأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «مَنْ يأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «مَنْ يأْتِينِي بِخَبَرِ القَوْمِ؟» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِي حَوَارِيا، وَحَوارِي الزُّبَيْرُ»[٥].

وفيه عن مروان بن الحكم قال: أصاب عثمان ﷺ رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف. قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال: ومن؟ فسكت. فدخل عليه آخر - أحسبه الحارث - فقال: استخلف. فقال عثمان وقالوا؟ فقال: نعم. قال: ومن هو؟ فسكت، فلعلهم قالوا: الزبير، قال: نعم، أما والذي نفسي بيده إنه لخيرهم ما علمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول اللَّه ﷺ[٦].

وفي رواية: أما واللَّه لتعلمون أنه خيركم[٧] - ثلاثًا. وفيه عن عبد اللَّه بن الزبير ﷺ قال: كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبتى رأيتك تختلف، قال: وهل رأيتنى يا بني؟ قلت نعم. قال: كان رسول اللَّه ﷺ قال: «من يأتي بني قريظة فيأتينى بخبرهم»، فانطلقت، فلما رجعت جمع لى رسول اللَّه ﷺ بين أبويه فقال: «فِدَاكَ

---

(١) صحيح: أخرجه أبوداود (٤٦٤٩) والترمذي (٣٧٤٨) وأحمد (١/ ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩)، وابن حبان (٦٩٩٣) من طرق عن سعيد بن زيد، وسعيد مسمى في رواية أبي داود وابن حبان.

(٢) ضعيف الإسناد: أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤١٧) من طريق إسحاق بن يحيى بن طلحة عن عيسى بن طلحة عن عائشة عن أبي بكر، وإسناده ضعيف لضعف إسحاق.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٢٢، ٣٧٢٣)، ومسلم (٢٤١٤).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٢٤)، وابن ماجه (١٢٨)، وأحمد (١/ ١٦١).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٤١١٣)، ومسلم (٢٤١٤).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧١٧).

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧١٨).

أَبِي وَأُمِّي»[١] ، وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك : ألا شد فنشد معك ، فحمل عليهم ، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر ، قال عروة : فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير[٢] .

قلت : وقد اخترق صفوف الروم يومئذ أربع مرات ، مرتين دخولا فيهم ومرتين رجوعًا ، وكانت الضربتان في رجعته من المرة الأخرى ، كما هو مبسوط في موضعه من السير ، وفي مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ : «اهْدَأْ فَمَا عَلَيكَ إِلَا نَبِي أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ»[٣] .

زاد في رواية : وسعد بن أبي وقاص[٤] .

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : أرق رسول الله ذات ليلة فقال : «لَيتَ رَجُلًا صَالِحًا مِنْ أَصْحَابِي يحْرُسَنِي اللَّيلَةَ» قالت : وسمعنا صوت السلاح ، فقال رسول الله ﷺ : «من هذا؟» قال : سعد بن أبي وقاص يا رسول الله ، جئت أحرسك . قالت عائشة : فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه[٥] .

وفيهما عن عبد الله بن شداد قال : سمعت عليًا يقول : ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك ، فإنه جعل يقول له يوم أحد : «ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي»[٦] .

وعن عامر بن سعد عن أبيه أن النبي ﷺ جمع له أبويه يوم أحد ، قال : كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين ، فقال لي النبي ﷺ : «ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» قال : فنزعت له بسهم ليس فيه نصل ، فأصبت جنبه ، فسقط فانكشفت عورته ، فضحك رسول الله ﷺ ، نظرت إلى نواجذه[٧] ، وفيه عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن ، قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبدًا حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب ، قالت : زعمت أن الله

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٧٢٠)، ومسلم (٢٤١٦).
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٧٢١ و ٣٩٧٥).
(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤١٧)، والترمذي (٣٦٩٦)، وأحمد (٢/ ٤١٩).
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤١٧).
(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٢٨٨٥)، ومسلم (٢٤١٠).
(٦) صحيح : أخرجه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١).
(٧) صحيح : أخرجه البخاري (٤٠٥٦)، ومسلم (٢٤١٢)، واللفظ لمسلم، واقتصر البخاري على أوله.

وصاك بوالديك، وأنا أمك وأنا آمرك بهذا قال: مكثت ثلاثًا حتى غشي عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له: عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله ﷻ في القرآن هذه الآيات ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَـٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾ وفيها ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾[لقمان: الآية ١٥] قال: وأصاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة فإذا فيها سيف، فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت: نفلني هذا السيف فأنا من قد علمت حاله، فقال: «رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ» فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطنيه. قال: فشد لي صوته «رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ» قال: فأنزل الله ﷻ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾[الأنفال: الآية ١] قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي ﷺ فأتاني فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت. قال: فأبى. قلت: فالنصف. قال: فأبى، قلت: فالثلث، قال: فسكت، فكان بعد الثلث جائزًا.

قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمرًا، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش – والحش البستان – فإذا رأس جزور مشوي عندهم وزق من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله ﷻ في – يعني نفسه – بشأن الخمر ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ﴾[المائدة: الآية ٩٠][(١)].

وعنه رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال: المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فتحدث في نفسه، فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[الأنعام: الآية ٥٢][(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا وَإِنَّ أَمِينَنَا أَيَّتُهَا الأُمَّةُ أَبُو عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ»[(٣)] وعنه رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلًا يعلمنا السنة والإسلام، قال: فأخذ بيد أبي عبيدة فقال: «هَذَا أَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٧٤٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤١٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤١٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤١٩).

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ابعث إلينا رجلًا أمينًا فقال: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقُّ أَمِينٍ حَقُّ أَمِينٍ»، قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح[١].

وروى ابن إسحاق في قصة خالد مع بني جذيمة فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت قد قتلت قاتل أبي ولكنك ثأرت بعمك؛ الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: **«مهلًا يا خالد، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهبًا ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحة»**[٢].

«وسائر الصحب» بقيتهم **«الكرام البررة»** الذين هم خير القرون من هذه الأمة اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه، ثم هم على مراتبهم: أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم من الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب التي نجم فيها النفاق، ثم بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى.

أمهات المؤمنين وبقية أهل بيته ﷺ

وَأَهْلُ بَيْتِ الْمُصْطَفَى الْأَطْهَارُ ... وَتَابِعُوهُ السَّادَةُ الْأَخْيَارُ
فَكُلُّهُمْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ ... أَثْنَى عَلَيْهِمْ خَالِقُ الْأَكْوَانِ
فِي الْفَتْحِ وَالْحَدِيدِ وَالْقِتَالِ ... وَغَيْرِهَا بِأَكْمَلِ الْخِصَالِ
كَذَاكَ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ ... صِفَاتُهُمْ مَعْلُومَةُ التَّفْصِيلِ
وَذِكْرُهُمْ فِي سُنَّةِ الْمُخْتَارِ ... قَدْ سَارَ سَيْرَ الشَّمْسِ فِي الْأَقْطَارِ

«وأهل بيت» الرسول محمد ﷺ **«المصطفى»** تقدم معناه، **«المختار»** اسم مفعول من الاختيار بمعنى التفضيل، وهن زوجاته اللاتي هن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٣٨١)، ومسلم (٢٤٢٠).

(٢) ضعيف بهذا السياق: أورده ابن هشام في «السيرة» (٢/ ٢٩٣) عن ابن إسحاق أنه بلغه ذلك، وإسناده ضعيف، لكن أصل الخبر صحيح، أخرجه مسلم في «صحيحه» (٣٥٤١) من حديث أبي سعيد الخدري قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أحدًا من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

فيهن : ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ [الأحزاب : الآية ٦] وخيرهم اللّه تعالى بين إرادة زينة الحياة الدنيا وبين إرادة اللّه ورسوله فاخترن اللّه تعالى ورسول اللّه ﷺ وقال اللّه تعالى فيهن : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾ وهن زوجاته في الدنيا والآخرة. فمنهن خديجة أم المؤمنين الصديقة الأولى التي هي أول من صدقه ﷺ فيما بعث به على الإطلاق قبل كل أحد ﵂ ، وقرأ جبريل عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا وصب[١] ، وما زالت تؤويه وتسكن جأشه وتعاضده بالنفس والمال حتى توفها اللّه ﷿ .

وعائشة ﵂ الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب اللّه ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات بأربع عشرة آية تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمان ومكان ، التي كان ينزل الوحى عليه وهو في حجرها ، وتوفي في حجرها وقد خلط ريقها بريقه ﷺ في آخر ساعة من الدنيا وأولها من الأخرة[٢] .

ودفن في حجرتها ، وكانت من أفقه الصحابة في الحديث والتفسير وغير ذلك ، حتى كان الأكابر من أصحاب رسول اللّه يسألونها عن أشياء كثيرة فيجدون منها عندها علمًا ، لا سيما ما قاله الرسول ﷺ أو فعله في الحضر ، أقرأها جبريل ﵇ أيضًا كما أقرأه على خديجة[٣] .

ومنهن أم سلمة ﵂ ذات الهجرتين مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوجها نبي اللّه ﷺ بعد وفاة زوجها ﵁ . وقد رأت جبريل عند النبي ﷺ في صورة دحية بن خليفة ﵁[٤] .

ومنهن زينب أم المؤمنين التي زوجه اللّه إياها من فوق سبع سماوات[٥] .

وهي أطولهن يدًا لإنفاقها من كسب يدها ، وأسرعهن لحوقًا به ﷺ[٦] ، وبسببها نزل الحجاب[٧] .

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، ومسلم (٢٤٣٢) من حديث أبي هريرة.
(٢) صحيح : وسبق في الكلام على وفاته ﷺ.
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٣٧٦٨)، ومسلم (٢٤٤٧).
(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١).
(٥) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٢٠).
(٦) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٥٢).
(٧) صحيح : أخرجه البخاري (٧٤٢١).

وصفية بنت حيي من ولد هارون بن عمران رسول اللّٰه وأخي رسوله موسى الكليم عليه السلام.

وجويرية بنت الحارث ملك بني المصطلق التي كانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها (١).

وسودة بنت زمعة التي كانت أيضًا من أسباب الحجاب، ولما كبرت اختارت نبي اللّٰه ﷺ أن تبقى في عصمة نكاحه، ووهبت يومها لعائشة تستحقه مع قسمها (٢).

وأم حبيبة ذات الهجرتين أيضًا. وميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها التي نكحها النبي ﷺ في عمرة القضاء وهما حلالان على ما حدثت به هي والسفير بينهما. وكلهن زوجاته في الدنيا والآخرة رضي اللّٰه عنهن.

ويدخل أهل بيته في هذه الآية من باب أولى بل بنص الحديث الخمسة الذين جللّهم النبي ﷺ بكسائه، كما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٣] (٣).

ويدخل في أهل بيته آله الذين حرمت عليهم الصدقة بنو هاشم وبنو المطلب، كما في الصحيح عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، رأيت رسول اللّٰه ﷺ وسمعت حديثه وغدوت معه وصليت خلفه. لقد لقيت يا زيد خيرًا كثيرًا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول اللّٰه ﷺ، قال: يا ابن أخي واللّٰه لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعرف من رسول اللّٰه ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا تكلفونيه. ثم قال: قام رسول اللّٰه ﷺ يومًا فينا خطيبًا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد اللّٰه وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أَمَّا بَعْدُ أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ وَاسْتَمْسِكُوا

---

(١) حسن: أخرجه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٦/ ٢٧٧) من حديث عائشة.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٥٩٣)، ومسلم (١٤٦٣).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٢٤).

بِهِ». فحث على كتاب الله تعالى ورغب فيه ثم قال: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي»، فقال له حصين: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم[1]- وفي رواية - أحدهما: «كتاب الله ﷻ هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة». وفيه: فقلنا من أهل بيته، نساؤه؟ قال: لا وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[2]، وفي الصحيح أيضًا عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»[3].

وفيه عن عائشة ﵂ قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي كأن مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي» فأجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم إنه أسر إليها حديثًا فبكت فاطمة، ثم إنه سارها فضحكت أيضًا، فقلت لها ما يبكيك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ. فقلت: ما رأيت كاليوم فرحًا أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت: أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين، وسألتها عما قال: فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه حدثني «أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقًا بي ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك». ثم إنه سارني فقال: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟» فضحكت لذلك[4].

وفيه عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال لحسن: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ» ونحوه عن براء بن عازب[5] وفيه عن أبي بكرة ﵁ سمعت النبي ﷺ على المنبر

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

(٢) صحيح: وتخريجه ما سبق.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٢٣)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٢١٢٢)، ومسلم (٢٤٢١) من حديث أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٣٧٤٩)، ومسلم (٢٤٢٢) من حديث البراء بن عازب، وأخرجه البخاري (٣٧٤٧)، من حديث أسامة بن زيد.

والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»[(١)].

وفيه عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسن ويقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا فَأَحِبَّهُمَا»[(٢)] أو كما قال. وللترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ»[(٣)] وقال: حسن صحيح، وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الحَسَنَ والحُسَيْنَ رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»[(٤)]، وللترمذي - وقال: حسن - عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: «صَدَقَ اللَّه ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: الآية ١٥]، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيينِ يَمْشِيانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»[(٥)].

وله عن علي رضي الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ما كان أسفل من ذلك[(٦)]. هذا حديث حسن غريب.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٤٦)، وأبو داود (٤٦٦٢)، والترمذي (٣٧٧٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٧٤٧).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٣/ ٣ و ٦٢ و ٦٤ و ٨٢) والترمذي (٣٧٦٨)، وغيرهما.

(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٥٩٩٤)، والترمذي (٣٧٧٠).

(٥) حسن: أخرجه الترمذي (٣٧٧٤)، والنسائي (٣/ ١٩٢) وأحمد في «المسند» (٥/ ٣٥٤)، وفي «فضائل الصحابة» (١٣٥٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٤٥٦) وابن حبان (٦٠٣٩) وابن أبي شيبة (٣٢١٨٩) جميعًا عن الحسين بن واقد عن عبدالله بن بريدة عن أبيه به.

(٦) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٣٧٧٩)، وأحمد في «المسند» (١/ ٩٩ و ١٠٨)، وفي «الفضائل» (١٣٦٦)، وابن حبان (٦٩٧٤) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ عن علي، وإسناده ضعيف، هانئ مستور، والحديث قال عنه الترمذي: حسن صحيح غريب، قلت: وقد أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٩٥ ح ٢٧٦٩ و ٢٧٧٠) من طريق يوسف بن أبي إسحاق وحمزة الزيات عن أبي إسحاق عن هبيرة بن يريم عن علي، وهذا خلاف على أبي إسحاق، وأيضًا فهبيرة فيه كلام يضعفه. وقد صح أن الحسن رضي الله عنه كان أشبه الناس بالنبي ﷺ، أخرجه البخاري (٣٧٥٢) وغيره.

الكلام على التابعين رضي الله عنهم

«وتابعيه» تابعو الرسول ﷺ وأصحابه «السادة» من ساد يسود «الأخيار» على مراتبهم، كما قال الله تعالى فيهم على الترتيب: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: الآية ١٠٠]، الآية. وقال تعالى في سورة الجمعة في ذكر التابعين بعد ذكر الصحابة ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة: الآية ٢]، هذا في الصحابة، ثم قال في التابعين: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾، وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**»، قالوا: أو لسنا إخوانك يا رسول الله. قال: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**»[1] الحديث. وفي المسند عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَدِدْتُ أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي**» قال: فقال أصحاب النبي ﷺ: نحن إخوانك قال: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَلَكِنْ إِخْوَانِي الَّذِينَ آمَنُوا بِي وَلَمْ يَرَوْنِي**»[2] إسناده حسن وقد صحح. وفيه عن أبي أمامة وأنس بن مالك رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، وَطُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يرني**»[3] سبع مرات. وروى الحاكم وغيره عن عبد الرحمن بن

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٩)، وابن ماجه (٤٣٠٦)، وأحمد (٢/ ٣٠٠ و ٤٠٨)، وابن خزيمة (٦) وغيرهم من حديث أبي هريرة مرفوعًا به.

(٢) **حسن لشواهده**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٥) عن هاشم بن القاسم عن الحسن عن ثابت عن أنس مرفوعًا به وإسناده ضعيف، والحسن هو ابن سلم بن صالح العجلي وهو مجهول وقد ذكروا أنه يروي عن ثابت البناني ويروي عنه العراقيون، وترجمته «بالتهذيب» (٢/ ٢٨٠) وهاشم بن القاسم بغدادي هذا الذي يظهر لي في تعيين حسن، والله أعلم. والحديث يتقوى بشاهده السابق، والله أعلم. لكن ظهر لي أن ما في «المسند» مصحف، وأن صوابه جسر، وهو ابن فرقد، وهو ضعيف، وانظر ما يأتي في التعليق الآتي عند الكلام عن حديث أنس.

(٣) **صحيح بمجموع طرقه**:

لهذا الحديث طرق كثيرة، بيانها كالتالي:

١ - حديث أبي هريرة أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٧٢٣٢) من طريق أبي عامر العقدي عن همام=

= عن قتادة عن أيمن عن أبي هريرة مرفوعًا به، وإسناده ضعيف، أيمن مجهول، وترجمته «باللسان» (١/ ٥٩٨) وقد ذكر ابن حبان أنه أيمن بن مالك الأشعري والمحفوظ من حديث أيمن جعل الحديث من مسند أبي أمامة لا من مسند أبي هريرة إلا أن ابن حبان قال: سمع هذا الخبر أيمن عن أبي هريرة وعن أبي أمامة معًا. اهـ.

٢ - حديث أبي أمامة أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٨ و ٢٥٧ و ٢٦٤) والطيالسي (١١٣٢)، وابن حبان (٧٢٣٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٨٣) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٧) والروياني في «مسنده» (٢/ ٣١١ ح ١٢٦٦م) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٥٩ ح ٨٠٠٩، ٨٠١٠) جميعًا من طرق عن همام عن قتادة عن أيمن عن أبي أمامة مرفوعًا به، وهمام متابع من حماد بن الجعد عند ابن أبي عاصم في «السنة» والطبراني في «الكبير»، ورواه عن حماد: عبيد الله بن موسى وموسى بن داود، وأبو داود الطيالسي وموسى بن إسماعيل ويزيد بن هارون وعفان وعبد الصمد وسهل بن بكار وغيرهم. وإسناده ضعيف أيضًا لجهالة أيمن وحديث أبي هريرة وحديث أبي أمامة مدارهما واحد، فلا يشهد أحدهما للآخر.

٣ - حديث ابن عمر، وله طريقان:

أخرجه عبد بن حميد (٧٦٩) وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٠٧) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٣٠٢ ح ٤٨٤) من طريق طلحة بن عمرو الحضرمي عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا، وإسناده تالف لأن طلحة متروك.

وأخرجه أبو داود الطيالسي (١٨٤٥) عن العمري عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا به، والعمري هو عبد الله بن عمر كما صرح به الطيالسي بعد حديثين، وعبد الله العمري ضعيف، وطريق طلحة لا تصلح في الشواهد للضعف الشديد في طلحة أما هذه فتصلح إن شاء الله.

٤ - حديث وائل بن حجر:

أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٢٠ ح ٢٩) من طريق ميمونة بنت حجر عن أم يحيى بنت عبد الجبار بن وائل عن علقمة بن وائل عن أبيه مرفوعًا به، وإسناده ضعيف علقمة لم يسمع من أبيه كما في «التقريب»، وأما ميمونة وأم يحيى فأورد الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٠١) حديثًا من طريقهما وقال: لم أعرفهما. قلت (يحيى): أم يحيى اسمها جشة بالجيم والشين المعجمة، ترجم لها محمد بن عبد الغني في «تكملة للإكمال» (٢/ ٢٥٠).

٥ - حديث عبد الله بن بسر، وله عنه طريقان:

أخرجه الحاكم (٤٩٩٦) من طريق يحيى بن صالح الوحاظي عن جيمع بن ثوب عن عبد الله بن بسر مرفوعًا به وإسناده ضعيف، جميع متروك، ترجمته في «اللسان» (٢/ ١٦٦).

- أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٨٦) عن يعقوب بن سفيان عن آدم بن أبي إياس عن بقية عن محمد بن زياد عن عبد الله بن بسر مرفوعًا به، وهذا إسناد رجاله ثقات، ومحمد بن يزيد هو الألهاني ثقة، وليس لهذا الحديث علة إلا عنعنة بقية فإنه مدلس لكن هذا إسناد صالح للشواهد.

٦ - حديث أبي سعيد الخدري وله عنه ثلاث طرق: =

= أخرجه أحمد (٣/ ٧١) وأبو يعلى (١٣٧٤) وابن حبان (٧٢٣٠) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٩٠) من طريق دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وهذا إسناد ضعيف، دراج ضعيف في روايته عن أبي الهيثم، وأما أبو الهيثم فهو المصري العتواري وثقه ابن معين وغيره، وهذا إسناد صالح في الشواهد. وقد رواه عن دراج: ابن لهيعة وعمرو بن الحارث. وعمرو ثقة.

- أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٨٧) من طريق وكيع عن إبراهيم أبي إسحاق عن أبي نضرة عن أبي سعيد مرفوعًا، وهذا إسناد ضعيف، إبراهيم هو ابن إسماعيل بن مجمِّع أبو إسحاق المدني وهو ضعيف.

- أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٣٣٥) من طريق عثام ويونس بن بكير عن إبراهيم بن يزيد الكوفي عن أبي نصير عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا، وإسناده ضعيف، إبراهيم بن يزيد هذا يقال له جار الأعمش، وهو مجهول الحال ترجمته «بالتهذيب» (١/ ١٨١) وشيخه أبو نصير قال عنه ابن ماكولا في «الإكمال» (١/ ٣٢٣): مجهول.

٧ - حديث أنس بن مالك، وله عنه طرق:

- أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٣٣٩١) عن أبي عبيدة الحداد عن محتسب عن ثابت عن أنس مرفوعًا به، وهذا ضعيف لضعف محتسب: قال عنه ابن عدي: يروي عن ثابت أحاديث ليست بمحفوظة، وقال الذهبي: لين، وترجمته «باللسان» (٥/ ٢٧).

- أخرجه أحمد (٣/ ١٥٥) عن هاشم بن القاسم عن حسن عن ثابت عن أنس مرفوعًا به، كذا وقع بالأصل: حسن، وكنت قد ذكرت قبل تعليق أن الحسن يظهر أنه ابن سلم بن صالح العجلي، ثم تبين لي أن صوابه: جسر، وهو ابن فرقد، وإنما تبين لي ذلك من ترجمة محتسب «باللسان» (٥/ ٢٧) حيث أورد الحديث من طريق محتسب عن ثابت عن أنس، ثم عقب الحافظ ابن حجر بقوله: وهذا الحديث قد تابعه عليه جسر بن فرقد، أخرجه أحمد من طريقه. اهـ قلت (يحيى): وجسر ضعيف ترجمته «باللسان» (٢/ ١٣٢).

- أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١٤٨٨) من طريق سعيد بن ميسرة عن أنس مرفوعًا، وسعيد متروك.

- أخرجه الطبراني في «المعجم الصغير» (٨٥٨) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٩) من طريق دينار بن عبد الله عن أنس مرفوعًا، ودينار هو أبو مكيس متروك.

- أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٠٠) من طريق إبراهيم بن هدبة عن أنس مرفوعًا، وإبراهيم بن هدبة أبو هدبة متروك.

قلت (يحيى بن سوس): فالذي يصلح للشواهد من هذه الطرق جميعها: طريق أيمن مع الخلاف في جعل الحديث من مسند أبي هريرة أو من مسند أبي أمامة، وطريق عبد الله العمري عن نافع عن ابن عمر، وطريق حديث وائل بن حجر، وطريق محمد بن زياد الألهاني عن عبد الله بن بسر، وطرق حديث أبي سعيد، وطريقان عن ثابت عن أنس، والضعف في بعض هذه الطرق قريب، والمخارج مختلفة، فيصح الحديث بمجموع طرقه، والله تعالى أعلم.

يزيد قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسًا فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد ﷺ كان بينًا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ إلى قوله: ﴿المفلحون﴾، وقال: على شرطهما[1].

وبالجملة:

فكلُّهم في مُحكم القرآن ... أثنى عليهم خالقُ الأكوان

في مواضع من كتابه «**كالفتح**» أي سورة الفتح من أولها إلى آخرها «و» سورة «**الحديد**» كقوله تعالى فيها ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: الآية ٧] إلى قوله: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ۝ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾، الآيات «و» سورة «**القتال**» كقوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ﴾، الآيات. «و» سورة «**الحشر**» إلى آخرها، وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝﴾، أخرج الله بهذه الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين في قلوبهم غلّ لهم إلى يوم القيامة، ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفيء وحرموه عليهم. «و» في سورة «**التوبة**» وسورة «**الأنفال**» بكمالها تارة في الثناء عليهم، وتارة في تحذيرهم من عدوهم، ووصف المشركين والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم،

---

(١) **صحيح إلى ابن مسعود**: أخرجه الحاكم (٣٠٣٣) وابن منده في «الإيمان» (٢٠٩) من طريق أبي معاوية ووهب بن جرير عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد وهو النخعي عن ابن مسعود. وهذا إسناد صحيح، وصححه الحاكم.

وتارة في حثهم على الطاعة، والجماعة والجهاد في سبيل الله والإثخان في الكفار، والثبات لهم عند لقائهم إياهم، وعدم فرارهم منهم، ووعده تعالى إياهم بالنصر على عدوهم، وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أن هداهم للإسلام وجنبهم السبل المضلة. وألف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة، وتارة يخبرهم، ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم في الدار الآخرة على قيامهم بطاعته تعالى وطاعة رسوله، وجهادهم بأموالهم في سبيله وله الحمد والمنة، وغير ذلك من سور القرآن وآياته «كذلك في التوراة» الكتاب المنزل على موسى ﷺ «و» فى «الإنجيل» الكتاب المنزل على عيسى ﷺ «صفاتهم» التى جعلهم الله عليها «معلومة التفصيل» كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله ﷻ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: الآية ٢٩] ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ [الفتح: الآية ٢٩]، هنا تم الكلام ثم قال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: الآية ٢٩]، وتقدم قول الأسقف لعمر وصفة الخلفاء ﷺ وغير ذلك[1] «وذكرهم» بالمناقب الجمة والفضائل الكثيرة «في سنة المختار» محمد ﷺ عمومًا وخصوصًا من الأحاديث الصحاح والحسان. «وقد سار» انتشر وأعان «سير الشمس في الأقطار» تمثيلًا لشهرة فضائلهم ووضحها لا تحصيها الأسفار الكبار.

وفي الصحيح عن أبي بردة ﷺ قال: صليت المغرب مع رسول الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء، قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «مَا زِلْتُمْ هَهُنَا» قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء، قال: «أَحْسَنْتُمْ» أو «أَصَبْتُمْ» قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء فقال: «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ»[2].

وفيه عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ فَيُقَالُ لَهُمْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ ثُمَّ يَغْزُو فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ

(١) صحيح إلى عمر: وسبق تخريجه.
(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٣١)، وأحمد (٤/ ٣٩٨).

فَيُقَالُ لَهُمْ هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى مَنْ صَحِبَ مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُونَ نَعَمْ فَيُفْتَحُ لَهُمْ»[1].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: سئل رسول اللّه ﷺ أى الناس خير؟ قال: «قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»[2].

وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «خَيْرُ أُمَّتِي الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، واللّه أعلم أذكر الثالث أم لا «ثُمَّ يَخْلُفُ قَوْمٌ يُحِبُّونَ السَّمَانَةَ، يَشْهَدُونَ قَبْلَ أَنْ يُسْتَشْهَدُوا»[3] وعن عمران بن حصين ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» قال عمران: فلا أدري أقال رسول اللّه ﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا: «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمِ السِّمَنُ» زاد في رواية «وَيَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ»[4] وعن عائشة ﷺ قالت: سأل رجل النبي ﷺ أى الناس خير؟ قال: «الْقَرْنُ الَّذِي أَنَا فِيهِ ثُمَّ الثَّانِي ثُمَّ الثَّالِثُ»[5].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[6].

وعن أبى سعيد ﷺ قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول اللّه ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»[7].

وفي الصحيحين من حديث علي ﷺ في قصة كتاب حاطب مع الظعينة - وفيه - فقال

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٤٩)، ومسلم (٢٥٣٢).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).
(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٣٤)، وأحمد (٢/ ٢٢٨).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥)، وزيادة: «ويحلفون ولا يستحلفون» عند مسلم (٢٥٣٥).
(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٣٦)، وأحمد (٦/ ١٥٦).
(٦) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٤٠).
(٧) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٤١) واللفظ له، وهو عند البخاري (٣٦٧٣) من حديث أبي سعيد الخدري لكن من غير ذكر ما كان بين خالد وعبد الرحمن رضي اللّه عنهما.

عمر : إنه قد خان اللَّه ورسوله فدعني فلأضرب عنقه ، فقال : « أليس من أهل بدر» فقال ﷺ : «لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال : اللَّه ورسوله أعلم[1] .

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال : حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرًا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزا معه النهر : بضعة عشر وثلاثمائة ، قال البراء : لا واللَّه ما جاوز معه النهر إلا مؤمن[2] .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: الآية ١] ، قال : الحديبية ، قال أصحابه : هنيئًا مريئًا فما لنا ؟ فأنزل اللَّه تعالى ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: الآية ٥][3] ، وكل هذا في الصحيح . وروى الترمذي عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»[4] .

وقال الترمذي حسن صحيح . وقد وردت أحاديث في فضائل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ومنها خاص بالمهاجرين ، ومنها خاص بالأنصار ، ومنها خاص بالآحاد فردًا فردًا ، ومنها القطع لأحدهم بالجنة مطلقًا ، ومنها القطع لبعضهم بمجاورة رسول اللَّه ﷺ في الجنة ليس هذا موضع بسطها .

إجماع أهل السنة على وجوب السكوت عما كان بين الصحابة رضي الله عنهم

ثُمَّ السُّكُوتُ وَاجِبٌ عَمَّا جَرَى ... بَيْنَهُمْ مِنْ فِعْلٍ مَا قَدْ قُدِّرَا
فَكُلُّهُمْ مُجْتَهِدٌ مُثَابُ ... وَخَطَؤُهُمْ يَغْفِرُهُ الْوَهَّابُ

أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد بإجماعهم على وجوب السكوت عن الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضي الله عنهم بعد قتل عثمان رضي الله عنه والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة ، والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم ، وحفظ فضائل الصحابة ، والاعتراف لهم بسوابقهم ، ونشر

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (٣٩٨٣) ، ومسلم (٢٤٩٤) .
(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٣٩٥٧) .
(٣) صحيح : أخرجه البخاري (٤١٧٢) .
(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٢٤٩٦) وأبو داود (٤٦٥٣) ، والترمذي (٣٨٦٠) ، وعند مسلم : «لا يدخل النار إن شاء اللَّه من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» .

مناقبهم، عملًا بقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: الآية ١٠]، الآية، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد، إن أصاب فله أجران أجرٌ على اجتهاده وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور، ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون، إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك. وما روى من الأحاديث في مساويهم الكثير منهم مكذوب، ومنه ما قد زيد فيه أو نقص منه وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في معتقد أهل السنة: وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون، وإن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبًا من بعدهم، ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه، أو أتى بحسنة تمحوه، أو غفر له بفضل سابقته، أو بشفاعة محمد ﷺ الذين هم أحق الناس بشفاعته، أو ابتلى ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور، ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغفور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح. ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم من الفضائل علم يقينًا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمهم على الله ﷻ[1].

وقال القاضي عياض في ذكر الصحابة رضي الله عنهم وفضائلهم: وأما الحروب التي جرت فكانت لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها، وكلهم عدول رضي الله عنهم ومتأولون في حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحدًا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف بعدهم في مسائل من الدماء وغيرها، ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم.

---

(١) «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص ١٢٢ - ١٢٤) مع شرحها لمحمد خليل هراس. وما بين المعقوفين زيادة من العقيدة الواسطية.

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف، وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخير عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده. وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه. وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين فكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم، لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخير عن نصرته في قتال البغاة عليه فكلهم معذورون ﷺ. ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين[1]، وكلام الأئمة في هذا الباب يطول، وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فقال تاليا قول الله ﷻ: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ [البقرة: الآية ١٣٤].

الخاتمة: في وجوب التمسك بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد

شَرْطُ قَبولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا ... فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِخْلَاصٌ مَعَا

لِلَّهِ رَبِّ العَرْشِ لَا سِوَاهُ ... مُوافِقُ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ

«شرط» في «قبول» الله تعالى «السعي» أي: العمل من العبد، وخبر المبتدأ «أن يجتمعا» الألف للإطلاق «فيه» أي: في السعي، شيئان: أحدهما «إصابة» ضد الخطأ، والثاني «إخلاص» ضد الشرك معًا، أي: لم يفترقا، وتفسيره في البيت الذي بعده، فتفسير الإخلاص كون العمل «لله رب العرش» خالصًا «لا» شرك فيه لـ«سواه»، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وتفسير الإصابة كونه «موافق الشرع» الثابت عن الله «الذي ارتضاه» الله تعالى لعباده دينًا، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولم يقبل من أحد دينًا سواه ولا

---

(١) شرح النووي على «صحيح مسلم» (١٥/ ١٥٠).

أحسن دينا ممن التزمه، وقد سفه نفسه من رغب عنه. وقد جمع بين هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: الآية ١١٠] وقد تقدم الكلام على الإخلاص مستوفى في بابه.

وأما مسألة التمسك بالكتاب والسنة فنذكر فيه فصولًا:

الفصل الأول: في ذكر وجوب طاعة الله ورسوله: قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران: الآية ٣٢] وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: الآية ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَـٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا * مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: الآية ٥٩] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النساء: الآية ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن: الآية ١٢] وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: الآية ١] وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: الآية ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: الآية ٤٦] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النور: الآية ٥٦] وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟

الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٥٤)﴾ [النور: الآية ٥٤] وقال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣)﴾ [النور: الآية ٦٣] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٦٢)﴾ [النور: الآية ٦٢] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا (٣٦)﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦] وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)﴾ [الأحزاب: الآية ٢١] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾ [محمد: الآية ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: الآية ١٧] وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: الآية ٧] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٢)﴾ [التغابن: الآية ١٢] وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾، وقال: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٩) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٩)﴾ وغير ذلك من الآيات.

وقال البخاري رحمه اللَّه تعالى: حدثنا محمد بن سنان حدثنا هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى**» قالوا: يا رسول اللَّه ومن يأبى؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**».

حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه حدثنا سعيد بن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨٠).

ميناء حدثنا - أو سمعت - جابر بن عبد اللَّه يقول: «جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم» الحديث تقدم، وفيه «فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا فَقَدْ عَصَى اللَّهَ وَمُحَمَّدٌ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ»[١].

وله عن حذيفة قال: يا معشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقًا بعيدًا. وإن أخذتم يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا[٢].

وله عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ»[٣].

وفيهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[٤].

وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسول اللَّه ﷺ شيئًا ترخص فيه وتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد اللَّه ثم قال: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ فَوَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً»[٥].

وفيه عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٦].

وعن معاوية رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ وَلَنْ يَزَالَ أَمْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى»[٧].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨١).
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨٢).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٨٨) ومسلم (١٣٣٧).
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٠١) ومسلم (٢٣٥٦).
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣١١) ومسلم (١٩٢١).
(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣١٢) ومسلم (١٠٣٧).

وفي المسند وابن ماجة وغيرهما قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ فخط خطًا هكذا أمامه فقال: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ ﷻ» وخطين عن يمينه وخطين عن شماله قال: «هَذِهِ سَبِيلُ الشَّيْطَانِ» ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾»(١).

وفي المسند والترمذي وحسنه عن النواس بن سمعان ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَعَلَى جَنْبَتَيِ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ قَالَ وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ اللَّهِ تَعَالَى وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ اللَّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالدَّاعِي فَوْقَ الصِّرَاطِ وَاعِظُ اللَّهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ»**(٢).

وفي جامع الترمذي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يومًا بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟ قال: **«أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»**(٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وروى أحمد وزاد **«وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ**

---

(١) حسن: أخرجه ابن ماجة (١١)، وأحمد (٣/ ٣٩٧)، وعبد بن حميد (١١٤١) من طريق مجالد عن الشعبي عن جابر، ومجالد ضعيف، لكن أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥ و ٤٦٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧٤) والدارمي (٢٠٢) وابن حبان (٧) والحاكم (٣٢٤١) من طريق حماد بن زيد وأبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن ابن مسعود مرفوعًا به.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٨٥٩) وأحمد (٤/ ١٨٣) وابن أبي عاصم (١٨) والطبراني في «مسند الشاميين» (١١٤٧) من طريق بقية بن الوليد عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن النواس بن سمعان مرفوعًا به، وقال الترمذي: غريب، وأشار إلى إعلاله بتدليس بقية. قلت: بقية صرح بالتحديث عن شيخه عند غير الترمذي، وليس التعويل على رواية بقية، بل أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن أبي عاصم (١٩)، والحاكم (٢٤٥)، والبيهقي في «الشعب» (٧٢١٦)، عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن النواس بن سمعان، وهذا إسناد صحيح، ورواه عن معاوية: الليث بن سعد وعبد الله بن وهب وأبو صالح عبد الله بن صالح.

(٣) صحيح: وسبق تخريجه والكلام عليه عند الكلام في حكم الدعاء عند القبور والتوسل بأصحابها.

الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[١] وفي رواية قلنا : يا رسول اللَّه إن هذه لموعظة . فماذا تعهد إلينا قال : «قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ»[٢] وفي رواية : «فعليكم بما عرفتم من سنتى»[٣] .

وفي صحيح مسلم عن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال : «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[٤] ولأحمد عن مجاهد بإسناد جيد قال : كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفر بمكان فحاد عنه ، فسئل لم فعلت؟ فقال : رأيت رسول اللَّه ﷺ فعل هذا ففعلت[٥] .

وله عن الحسن بن جابر قال : سمعت المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه يقول : حرم رسول اللَّه ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال : «يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يُكَذِّبَنِي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثِي فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ»[٦] .

وعنه أيضًا قال : قال رسول اللَّه ﷺ : «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ

---

(١) صحيح : وتخريجه فيما سبق .

(٢) صحيح : وتخريجه فيما سبق .

(٣) صحيح : وتخريجه فيما سبق .

(٤) صحيح : أخرجه مسلم (٤٩)، وابن حبان (٦١٩٣) وغيرهما .

(٥) صحيح إلى ابن عمر : أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢) عن يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الحكم وهو ابن عتيبة عن مجاهد عن ابن عمر به .

(٦) صحيح : أخرجه أحمد (٤/ ١٣٢) والترمذي (٢٦٦٤) وابن ماجة (١٢) والدارمي (٥٨٦) والحاكم (٣٧١) من طريق معاوية بن صالح عن الحسن بن جابر اللخمي عن المقدام مرفوعًا به ، وقال الترمذي : حسن غريب . قلت : الحسن بن جابر لم يوثقه غير ابن حبان ، لكن هو متابع من عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي كما يأتي ، وللحديث شاهد من حديث أبي رافع أخرجه أبو داود (٤٦٠٥)، والترمذي (٢٦٦٣)، وابن ماجة (١٣) وأحمد (٦/ ٨) والحميدي (٥٥١) والحاكم (٣٦٨) .

أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ»[1] .

ورواه أبوداود والترمذي وابن ماجة، وإسناد أحمد جيد، وسكت عليه أبو داود وحسنه والترمذي، ولأحمد عن أبي هريرة نحوه، والأحاديث في هذا الباب كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية.

الفصل الثاني: في تحريم القول على الله بلا علم، وتحريم الإفتاء في دين الله بما يخالف النصوص ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[الأعراف: الآية ٣٣] وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[الأحزاب: الآية ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء: الآية ٣٦] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾[الحجرات: الآية ١] وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾[النساء: الآية ١٠٥] وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾[الأعراف: الآية ٣] وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾[الأنعام: الآية ٥٧] وقال: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾[الكهف: الآية ٢٦] وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المائدة: الآية ٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[المائدة: الآية ٤٥] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[المائدة: الآية ٤٧] وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[الزخرف: الآية ٤٤] .

وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لئلا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٠)، وابن حبان (١٢) من حديث حريز بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي عوف الجرشي عن المقدام مرفوعًا، وهذا صحيح، ولم يخرجه الترمذي وابن ماجة بهذا اللفظ، وإنما أخرجاه باللفظ السابق.

ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحي ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية ٨٥][1] وفيه من حديث ابن عباس ﷺ في قصة المتلاعنين لما جاءت به على النعت المكروه، فقال النبي ﷺ: «لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»[2] وفيه عن جابر ﷺ قال: «مرضت فجاءني رسول الله ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فأتاني وقد أغمي علي، فتوضأ رسول الله ﷺ ثم صب وضوءه علي فأفقت فقلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي كيف أصنع في مالي؟ قال: فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث[3]، وعلى هذا ترجم البخاري رحمه الله تعالى: باب ما كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول: لا أدري، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي، ولم يقبل برأي ولا بقياس لقوله تعالى ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: الآية ١٠٥] الآية[4].

وترجم رحمه الله تعالى: باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: الآية ٣٦][5] ثم ذكر فيه حديث عبد الله بن عمر وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»[6].

وحدث سهل بن حنيف قال: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته[7].

الخبر. وفي خطبه ﷺ مما لا يحصى أن يقول: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَإِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[8] وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال: كان لا يجلس مجلسًا للذكر حين يجلس إلا قال: الله حكم قسط، هلك المرتابون، فقال معاذ بن جبل يومًا: إن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٢٩٧)، ومسلم (٢٧٩٤).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧٤٧).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٠٩)، ومسلم (١٦١٦).

(٤) «صحيح البخاري» مع «الفتح» (١٣/ ٣٢٣) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب (٨).

(٥) «صحيح البخاري» مع «الفتح» (١٣/ ٣١٥) كتاب الاعتصام، باب (٧).

(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٨٣٠٨)، ومسلم (١٧٨٥).

(٨) صحيح: وسبق تخريجه.

من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعبد والحر، فيوشك قائل يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة. وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قال: قلت لمعاذ: ما يدريني رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق. قال: بل اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال لها: ما هذه ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورًا[1].

وله من طرق عن سفيان الثورى قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز سأله عن القدر، فكتب: «أما بعد أوصيك بتقوى الله، والاقتصاد في أمره، واتباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون بعد ما جرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم، أما في خلاف من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقعوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقوكم إليه. ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي. فما دونهم من مقصر. وما فوقهم من محسر، وقد قصر قوم من دونهم فجفوا، وطمح عليهم أقوام فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر، فعلى الخبير بإذن الله وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثرًا، ولا أثبت أمرًا من الإقرار بالقدر. لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء. لا يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم يعزون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة. ولقد ذكر رسول الله ﷺ في غير حديث ولا حديثين وقد سمعه منهم المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقينًا وتسليمًا لربهم وتضعيفًا لأنفسهم أن يكون شيء لم يحط به علمه، ولم

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦١١) والحاكم (٨٤٢٢)، والفريابي في «صفة المنافق» (٤١)، واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (١١٦) من طريق الزهري عن يزيد بن عميرة عن معاذ بن جبل به. وإسناده صحيح.

يحصه كتابه ، ولم يمض فيه قدره ، وإنه مع ذلك لفي محكم كتابه ، منه اقتبسوه ومنه تعلموه . ولئن قلتم لم أنزل الله آية كذا ، ولم قال كذا؟ لقد قرءوا منه ما قرأتم ، وعلموا من تأويل ما جهلتم ، وقالوا بعد ذلك كله : بكتاب وقدر ، وكتبت الشقاوة ، وما يقدر يكن ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ولا نملك لأنفسنا ضرًّا ولا نفعًا ، ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا »(١) .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا .

الفصل الثالث : في عظيم إثم من أحدث في الدين ما ليس منه . قال تبارك وتعالى : ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل: الآية ٢٥] وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [العنكبوت: الآية ١٣] وفي الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ : «**لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلًا**»(٢) ولأحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**مَنْ سَنَّ سُنَّةَ ضَلَالٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ أَوْزَارِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ هُدًى فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أُجُورِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ**»(٣) ولأحمد بإسناد جيد عن حبيب بن عبيد الرحبي عن غضيف بن الحارث الثمالي رضي الله عنه قال : بعث إلى عبد الملك بن مروان فقال : يا أبا أسماء إنا قد جمعنا الناس على أمرين . قال : وما هما؟ قال : ترفع الأيدي على المنابر يوم الجمعة ، والقصص بعد الصبح والعصر . فقال : أما إنهما أمثل بدعتكم عندي ، ولست مجيبك إلى شيء منهما . قال : لم؟ قال : لأن النبي ﷺ قال : «**ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة**» فتمسك بسنة خير من إحداث بدعة(٤) .

---

(١) ضعيف الإسناد : أخرجه أبو داود (٤٦١٢) من طرق عن سفيان عن عمر بن عبد العزيز به ، قلت : وإسناده ضعيف سفيان الثوري لم يسمع من عمر ، مات عمر سنة ١٠١ هـ ، وعمر سفيان نحو أربع سنوات ، ولد سفيان سنة ٩٧ هـ وبعض الأثر أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣٨) عن سفيان الثوري قال بلغني عن عمر .

(٢) صحيح : أخرجه البخاري (٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧) .

(٣) صحيح : أخرجه مسلم (٢٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٥٠٤) من حديث أبي هريرة مرفوعًا ، وأخرجه مسلم (ص ٢٠٦٠ ح ١٠١٧) وابن خزيمة (٢٤٧٧)، والترمذي (٢٦٧٥)، وابن ماجة (٢٠٣) وأحمد (٤/ ٣٦٠) من حديث جرير بن عبد الله مرفوعًا به .

(٤) ضعيف : أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥) من طريق أبي بكر بن عبدالله بن حبيب بن عبيد الرحبي عن=

وفي حديث الحوض عن جماعة من الصحابة تقدم أكثرهم قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَحِبَنِي وَرَآنِي حَتَّى إِذَا رُفِعُوا إِلَيَّ وَرَأَيْتُهُمُ اخْتُلِجُوا دُونِي فَلَأَقُولَنَّ رَبِّ أَصْحَابِي أَصْحَابِي فَيُقَالُ إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ». وفي بعضها زيادة «فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي»[1].

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٧﴾ [آل عمران: الآية ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[2].

وعن جرير بن عبد الله قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطئوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بصرة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[3] ورواه الترمذي بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةَ خَيْرٍ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا فَلَهُ أَجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةَ شَرٍّ فَاتُّبِعَ عَلَيْهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أَوْزَارِ مَنِ اتَّبَعَهُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»[4].

وله عن كثير بن عبدالله عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: «اعلم» قال: أعلم يا رسول الله قال: «إنه من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئًا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا يرضاها الله

= غضيف بن الحارث الثمالي، وإسناده ضعيف للإرسال وضعف أبي بكر بن أبي مريم، وقد ورد معناه من كلام حسان بن عطية بإسناد صحيح أخرجه الدارمي (٩٨) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٧٣) واللالكائي (١٢٩).

(١) صحيح: وسبق تخريجه.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤٧ ٤٥)، ومسلم (٢٦٦٥).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (ص ٢٠٦٠ ح ١٠١٧) وغيره وقد خرجته قريبًا.

(٤) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٦٧٥) وانظر ما سبق.

ورسوله كان عليه كمثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئًا»(١) قال: هذا حديث حسن. والأحاديث في هذا كثيرة وفي هذا كفاية.

الفصل الرابع والخامس: ما في هذه الأبيات:

وَكُلُّ مَا خَالَفَ لِلْوَحْيَيْنِ ... فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيْنِ
وَكُلُّ مَا فِيهِ الخِلافُ نُصِبَا ... فَرَدُّهُ إِلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا
فَالدِّينُ إِنَّمَا أَتَى بِالنَّقْلِ ... لَيسَ بِالأوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْلِ

«وكل ما» أي أمر كان «خالف للوحيين» نصوص الكتاب والسنة؛ لأن السنة وحي ثان أيضًا، كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥﴾ وقال النبي ﷺ: «**أوتيت القرآن ومثله معه**»(٢) الحديث «فإنه» أي ذلك الأمر المخالف «ردٌّ» أي مردود على مبتدعه من كان «بغير مين» بدون شك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: الآية ٨٥] ودين الإسلام هو الذي أنزل الله تعالى به كتابه على رسوله ليبينه للناس، فتلاه الرسول ﷺ على أمته وبينه لهم بسنته من أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ، وتقدم في الأحاديث قوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣) وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: الآية ١٣٠] وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: الآية ١٢٥] وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: الآية ٨٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف: الآية ٣] وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨﴾ [الجاثية: الآية ١٨] الآيات وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: الآية ٥١] وقال تبارك وتعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: الآية ٣١] الآية، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: الآية ٢١] الاية وغير ذلك من الآيات.

---

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٦٧٧) وابن ماجة (٢٠٩، ٢١٠) وعبد بن حميد (٢٨٩) والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ١٦ ح ١٠) جميعًا من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني وهو ضعيف، وأبوه مجهول.

(٢) صحيح: وسبق تخريجه من حديث المقدام.

(٣) صحيح: وسبق تخريجه من حديث العرباض.

وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»[١].

وفي رواية مسلم «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»[٢].

وقال ﷺ: **«لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**[٣] وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: **«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفَرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»**[٤] وفيها عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: **«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة»**[٥] - زاد في رواية - **«وأنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه»**[٦] وفي لفظ **«بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله»**[٧].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَأْخُذَ أُمَّتِي بِأَخْذِ الْقُرُونِ قَبْلَهَا شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا»** فقيل: يا رسول الله كفارس والروم؟ فقال: **«وَمَنِ النَّاسُ إِلَّا أُولَئِكَ»**[٨].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ»** قلنا: يارسول الله اليهود

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٦٩٧) ومسلم (١٧١٨).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٣) صحيح: وتخريجه سبق من حديث العرباض بن سارية.

(٤) حسن: أخرجه أبو داود (٤٥٩٦)، والترمذي (٢٦٤٩) وابن ماجة (٣٩٩١) وغيرهم من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا به، وصححه الترمذي، وإسناده حسن.

(٥) ضعيف الإسناد: أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من طريق أزهر بن عبد الله الحرازي عن أبي عامر الهوزني عن معاوية، وإسناده ضعيف لضعف أزهر، وللحديث شواهد لا يصح منها إلا افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كما سبق من حديث أبي هريرة بإسناد حسن، وأما كون هذه الفرق جميعها في النار إلا واحدة، فلا يصح فيه شيء وله طرق سبق التنبيه عليها في أول الكتاب والله أعلم.

(٦) ضعيف الإسناد: وتخريجه ما سبق.

(٧) ضعيف الإسناد: وتخريجه ما سبق.

(٨) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣١٩) ولم يخرجه مسلم من حديث أبي هريرة.

والنصارى؟ قال: «فَمَنْ»[1]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

البدع

ثم اعلم أن البدع كلها مردودة ليس منها شيء مقبول، وكلها قبيحة ليس فيها حسن، وكلها ضلال ليس فيها هدى، وكلها أوزار ليس فيها أجر، وكلها باطل ليس فيها حق. ومعنى البدعة: هو شرع ما لم يأذن به ولم يكن عليه أمر النبي ﷺ ولا أصحابه، ولهذا فسر النبي ﷺ البدعة بقوله: «**كل عمل ليس عليه أمرنا**»[2] ووصف الطائفة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة بقوله: «**هم الجماعة**»[3] وفي رواية: «**هم من كان مثل ما أنا عليه وأصحابي**»[4].

ثم البدع بحسب إخلالها بالدين قسمان: مكفرة لمنتحلها، وغير مكفرة، فضابط البدعة المكفرة من أنكر أمرًا مجمعًا عليه متواترًا من الشرع معلومًا من الدين بالضرورة من جحود مفروض، أو فرض ما لم يفرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه اللَّه ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات، لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل اللَّه به رسوله ﷺ كبدعة الجهمية في إنكار صفات اللَّه ﷻ والقول بخلق القرآن، أو خلق أي صفة من صفات اللَّه، وإنكار أن يكون اللَّه تعالى اتخذ إبراهيم خليلًا، وكلم موسى تكليمًا وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم اللَّه ﷻ وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة المجسمة الذين يشبهون اللَّه تعالى بخلقه، وغير ذلك من الأهواء، ولكن هؤلاء منهم على علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه، فهذا مقطوع بكفره بل هو أجنبي عن الدين من أعدى عدو له. وآخرون مغرورون ملبس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها. والقسم الثاني البدع التي ليست بمكفرة وهي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولا بشيء مما أرسل اللَّه به رسله كبدع المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروهم عليها ولم يكفروهم بشيء منها ولم ينزعوا يدًا من بيعتهم لأجلها

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٧٣٢٠) ومسلم (٢٦٦٩).

(٢) سبق أن لفظ مسلم «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد».

(٣) ضعيف الإسناد: أخرجه ابن ماجة (٣٩٩٢)، وابن أبي عاصم (٦٣) من حديث عباد بن يوسف عن صفوان بن عمرو عن راشد بن سعد عن عوف بن مالك مرفوعًا، وإسناده ضعيف، عباد بن يوسف له أحاديث يتفرد بها، قلت: وليس له متابع على هذا اللفظ، واللَّه أعلم.

(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه الترمذي (٢٦٤١) وفي إسناده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف.

كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد، وجلوسهم في نفس الخطبة في الجمعة وغيرها، وسبهم كبار الصحابة على المنابر، ونحو ذلك مما لم يكن منهم اعتقاد على شرعيته، بل بنوع تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية. كما روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن أبي عمر الجوني قال: سمعت أنس بن مالك ﷺ يقول: ما أعرف شيئًا اليوم مما كنا عليه على عهد رسول اللّه ﷺ قال قلنا: فأين الصلاة؟ قال: أو لم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم؟ [(١)] وله عن ثابت البناني بإسناد نير قال: قال أنس بن مالك ﷺ ما أعرف فيكم اليوم شيئًا كنت أعهده على عهد رسول اللّه ﷺ، ليس قولكم لا إله إلا اللّه. قال: قلت: يا أبا حمزة الصلاة؟ قال: قد صليت حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول اللّه ﷺ؟ [(٢)] وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: كان رسول اللّه ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فإن كان يريد أن يقطع بعثًا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف. قال أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة في الأضحى أو الفطر، فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مروان يريد يرتقيه قبل أن يصلي، فجبذت بثوبه، فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم واللّه، فقال أبا سعيد قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلم واللّه خير مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة [(٣)].

وفي رواية مسلم: فلما رأيت ذلك منه قلت: أين الابتداء بالصلاة؟ فقال: يا أبا سعيد قد ترك ما تعلم، قلت: كلا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم - ثلاث مرات - ثم انصرف [(٤)].

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبي سعيد ﷺ أيضًا قال: أخرج مروان المنبر في يوم عيد فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل فقال: يا مروان خالفت السنة، أخرجت

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ١٠٠) والترمذي (٢٤٤٧) من طريق زياد بن الربيع عن أبي عمران الجوني عن أنس به، وإسناده صحيح وهو في «صحيح البخاري» (٥٢٩) من طريق محمود بن غيلان عن أنس، و (٥٣٠) من طريق الزهري عن أنس بنحوه.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٢٧٠) عن عفان عن سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٩٥٦) ومسلم (٨٨٩).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٨٨٩).

المنبر في يوم عيد ولم يكن يخرج فيه، وبدأت الخطبة قبل الصلاة ولم يكن يبدأ بها. فقال أبو سعيد الخدري: من هذا؟ قالوا فلان ابن فلان، فقال: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَاسْتَطَاعَ أَنْ يُغَيِّرَهُ بِيَدِهِ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ» (١)

قلت: والمرفوع من قول النبي ﷺ في صحيح مسلم (٢) ولعل تغيير هذا الرجل على مروان كان تارة أخرى في غير المرة التي غير فيها أبو سعيد بيده ولسانه، لأن تغيير أبي سعيد كان عند أول ما ابتدع ذلك ابتداء والله أعلم. وفي صحيح مسلم عن جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائمًا ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائمًا، فمن نبأك أنه يخطب جالسًا فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفي صلاة (٣) وفيه عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدًا، فقال: انظر إلى هذا الخبيث يخطب قاعدًا، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجُمُعَة: الآية ١١](٤).

وفيه عن عمار بن رويبة قال: رؤى بشر بن مروان على المنبر رافعًا يديه، فقال: قبح الله هاتين اليدين. لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا. وأشار بإصبعه المسبحة (٥).

وتقدم في فضائل الصحابة نصيحة سعد بن أبي وقاص وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وموعظته إياهم عن سب الصحابة. وعن عامر بن سعد رأى جماعة عكوفًا على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فإذا هو يسب عليا وطلحة والزبير فنهاه عن ذلك فلم ينته فقال: أدعو عليك. فقال الرجل: تتعهدني كأنك نبي، فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللّهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقوامًا قد سبق لهم منك سابقة الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم فاجعله اليوم آية وعبرة. قال: فخرجت بختية نادرة من دار آل فلان لا يردها شيء حتى دخلت بين أضعاف الناس فافترق

---

(١) صحيح: أخرجه أبوداود (١١٤٠) وابن ماجة (٤٠١٣) وأحمد (٣/ ١٠ و ٥٢) وأبو يعلى (١٠٠٩) وغيرهم.

(٢) «صحيح مسلم» (٤٩).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٢) وأبو داود (١٠٩٣)، وأحمد (٥/ ٩١).

(٤) صحيح: أخرجه مسلم (٨٦٤)، والنسائي (٣/ ١٠٢).

(٥) صحيح: أخرجه مسلم (٨٧٤)، وأبوداود (١١٠٤)، وأحمد (٤/ ١٣٦).

الناس فأخذته بين قوائمها فلم تزل تتخبطه حتى مات، قال: فلقد رأيت الناس يستعدون وراء سعد يقولون: استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق [(١)].

وعن مصعب نحوه. وروى حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب نحوه [(٢)]، وغير ذلك من إنكار الصحابة عليهم، وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يخافون في الله لومة لائم. رضي الله عنهم وأرضاهم آمين.

فصل في أقسام البدع بحسب ما تقع فيه

ثم تنقسم البدع بحسب ما تقع فيه إلى بدعة في العبادات، وبدعة في المعاملات، فالبدع في العبادات قسمان أيضًا:

الأول: التعبد بما لم يأذن الله تعالى أن يعبد به البتة، كتعبد جهلة الصوفية بآلات اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف، وغيرها مما هم فيه مضاهئون فعل الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: الآية ٣٥].

والثاني: التعبد بما أصله مشروع ولكن وضع في غير موضعه، ككشف الرأس مثلا هو في الإحرام عبادة مشروعة، فإذا فعله غير المحرم في الصوم أو في الصلاة أو غيرها بنية التعبد كان بدعة محرمة، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة في غير ما شرعت فيه، كصلوات النفل في أوقات النهي، وكصيام الشك والعيدين ونحو ذلك، وفي الصحيح عن أنس في الرجل الذي رآه النبي ﷺ يمشي بين ابنيه فقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ» [(٣)].

وفيه عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي مر وهو يطوف بالكعبة بإنسان يقود إنسانًا بخزامة في أنفه فقطعها النبي بيده ثم أمره أن يقوده بيده [(٤)].

وفيه عنه رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يخطب إذا هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم، فقال ﷺ: «مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ

(١) ضعيف الإسناد: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٤٠ ح ٣٠٧) من طريق محمد بن محمد بن الأسود عن عامر بن سعد به، وإسناده ضعيف، ابن الأسود قال عنه الحافظ في «التقريب»: مستور.
(٢) ضعيف الإسناد: لضعف علي بن زيد وهو ابن جدعان.
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٠١) ومسلم (١٦٤٢).
(٤) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٠٣).

وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ»[1] فأمره النبي ﷺ بإتمام الصوم الذي هو عبادة مشروعة وضعت في محلها، وإلغاء قيامه وسكوته لكونه وإن كان عبادة في بعض الأحوال لكن ليس هذا محله، وأمره بالاستظلال لكون عدمه ليس بعبادة مشروعة، وفيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما سئل عن رجل نذر أن لا يأتي عليه يوم إلا صام فوافق يوم الأضحى أو الفطر فقال: «﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: الآية ٢١]. لم يكن يصوم عيد الأضحى والفطر ولا يرى صيامهما»[2]، وعن زياد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر رضي الله عنهما فسأله رجل فقال: نذرت أن أصوم كل يوم ثلاثاء أو أربعاء ما عشت، فوافقت هذا اليوم يوم النحر، فقال: أمر الله بوفاء النذر ونهينا أن نصوم يوم النحر، فأعاد فأعاد عليه، فقال: مثله لا يزيد عليه[3]، والمعنى أن النذر قربة من القربات إذا كان مشروعًا كصوم ما لم ينه عنه من الأيام، فإن نذر صوم يوم نهى عنه كان ناذرًا معصية لا طاعة، وقد قال ﷺ: «**لَا نَذْرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّه**» وقال ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّه فَلَا يَعْصِهِ**»[4].

وعن عطاء أن ابن عباس رضي الله عنهما أرسل إلى ابن الزبير فى أول ما بويع له: إنه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر، وإنما الخطبة بعد الصلاة[5]، قال ذلك ردًا لبدعة المروانية في ذلك[6].

وفيه عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا نَبْدَأُ بِهِ فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ فَإِنَّمَا هُوَ لَحْمٌ عَجَّلَهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنَ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ**»[7] الحديث، وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى نساء النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وتأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا، فجاء رسول الله ﷺ فقال: «**أَنْتُم الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**»[8] وقال

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري\ (٦٧٠٤) وغيره.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٠٥).
(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٠٦)، ومسلم (١١٣٩).
(٤) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٤١) وغيره من حديث عمران بن حصين.
(٥) صحيح: أخرجه البخاري (٦٧٠٠) وغيره من حديث عائشة.
(٦) صحيح: أخرجه البخاري (٩٥٩).
(٧) صحيح: أخرجه البخاري (٩٦٥) ومسلم (١٩٦١).
(٨) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١).

ﷺ : «**ليس من البر الصيام في السفر**»[1] وقال ﷺ للذين صاموا بعد أمره بإفطار : «**أولئك العصاة، أولئك العصاة**»[2] وغير ذلك من الأحاديث في هذا الباب ما لا يحصى، وهذا مثال يدل على ما بعده.

ثم البدعة الواقعة في العبادة قد تكون مبطلة للعبادة التي تقع فيها لمن صلى الرباعية خمسًا. أو الثلاثية أربعًا. أو الثنائية ثلاثًا وما شابه ذلك. وقد تكون معصية ولا تبطل العمل الذي تقع فيه كالوضوء أربعًا أربعًا، لأن النبي ﷺ قال في الوضوء المشروع : «**فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم**»[3] ولم يقل فقد بطل وضوءه، وكذا قراءة القرآن راكعًا ساجدًا منهي عنه شرعًا ولا يبطل الصلاة.

والبدعة في المعاملات كاشتراط ما ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ كما في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : جاءت بريرة رضي الله عنها قالت : إني كاتبت أهلي على تسع أواق في كل عام أوقية فأعينيني، فقالت عائشة رضي الله عنها : إن أحب أهلك أعدها لهم عدة واحدة وأعتقك فعلت ويكون ولاؤك لي، فذهبت إلى أهلها فأبوا ذلك عليها فقالت : عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع بذلك رسول الله ﷺ فسألني فأخبرته فقال : «**خُذِيهَا فَأَعْتِقِيهَا وَاشْتَرِطِي لَهُمُ الْوَلَاءَ فَإِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**» فقالت عائشة : فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «**أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَأَيُّمَا شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ فَقَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ مَا بَالُ رِجَالٍ مِنْكُمْ يَقُولُ أَحَدُهُمْ أَعْتِقْ يَا فُلَانُ وَلِيَ الْوَلَاءُ إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ**»[4] وأمثاله كثيرة.

كل ما وقع فيه الخلاف يحتكم فيه إلى الكتاب والسنة

«وكل ما فيه الخلاف» بين الصحابة فمن بعدهم «نصب» من فروع العبادات والمعاملات «فرده» أي : المختلف فيه من ذلك «إليهما» أي : إلى الكتاب والسنة «قد

---

(١) صحيح : أخرجه البخاري (١٩٤٦) ومسلم (١١١٥) من حديث جابر مرفوعًا بنحوه.

(٢) صحيح : أخرجه مسلم (١١١٤) وغيره من حديث جابر مرفوعًا به.

(٣) حسن : أخرجه النسائي (١/ ٨٨) وابن ماجة (٤٢٢) من طريق سفيان عن موسى بن أبي عائشة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا به، وإسناده حسن، وقد أخرجه أبو داود (١٣٥)، وغيره بزيادة أو نقص وهي زيادة منكرة.

(٤) صحيح : أخرجه البخاري (٢٧٢٩)، ومسلم (١٥٠٤).

وجب» على المعتبر، قال اللّه تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: الآية ٥٩] والرد إلى اللّه تعالى هو الرد إلى كتابه وإلى الرسول إلى سنته بعد انقطاع الوحي، فما وافقهما قبل وما خالفهما رد على قائله كائنا من كان «فالدين» الإسلام وشرائعه «إنما أتى» حصل بيانه «بالنقل» عن اللّه ورسوله «ليس» هو بالأوهام من آحاد الأمة «وحدس» تخمين «العقل»، قال اللّه تعالى لرسوله ﷺ وهو أرجح الخلائق عقلًا وأولاهم بكل صواب: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ [النساء: الآية ١٠٥] الآيات، ولم يقل بما رأيت. ويقول اللّه تعالى له: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: الآية ٣٦] وقال تعالى له: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: الآية ٤٣] وأمثال هذا من الآيات ما لا يحصى، وتقدم في الأحاديث جملة واحدة، وأنه ﷺ لا يقول في التشريع إلا عن اللّه ﷻ، ولهذا ما لم يجب اليهود في سؤالهم إياه عن الروح، ولا جابرًا في سؤاله عن ميراث الكلالة، والمجادلة في سؤالها عن حكم الظهار حتى نزل عليه القرآن ذلك وبيانه، وأمثال هذا كثير ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: الآية ٣٣] وفي قصة عمر رضي الله عنه قال لرسول اللّه ﷺ وفيه قال: فعملت لذلك أعمالا[١] وقال عثمان بن حنيف: اتهموا الرأى في دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول اللّه ﷺ لرددته[٢].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول اللّه ﷺ يمسح على ظاهر خفه[٣].

وأفتى عمر السائل الثقفي في المرأة التي حاضت بعد أن زارت البيت يوم النحر أن لا تنفر، فقال له الثقفي: إن رسول اللّه ﷺ أفتاني في مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول له: لم تستفتيني في شيء قد أفتى فيه رسول اللّه ﷺ؟[٤] وكان ابن

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، والحديث في صلح الحديبية.
(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٨٣٠٨)، ومسلم (١٧٨٥).
(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (١٦٢) من طريق أبي إسحاق عن عبد خير عن علي به.
(٤) ضعيف الإسناد: أخرجه البيهقي في كتابه «المدخل إلى السنن الكبرى» (٢٥) وفي إسناده هشام بن يحيى المخزومي قال عنه الحافظ في «التقريب» مستور. اهـ. وأخرجه بنحوه أبو داود (٢٠٠٤) وفي إسناده الحارث بن عبد اللّه بن أوس مختلف في صحبته ولم يوثقه غير ابن حبان.

مسعود أفتى بأشياء فأخبره بعض الصحابة عن النبي ﷺ خلافه، فانطلق عبد اللَّه إلى الذين أفتاهم فأخبرهم أنه ليس كذلك. قال عمر بن عبد العزيز: لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول اللَّه ﷺ[1] والآثار في هذا عن الصحابة والتابعين لا تحصى. وقال الشافعي رحمه اللَّه تعالى: أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول اللَّه ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. وصح عنه أنه قال: لا قول لأحد مع سنة رسول اللَّه ﷺ[2]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول اللَّه ﷺ فقولوا بسنة رسول اللَّه ﷺ ودعوا ما قلت. وفي لفظ: فاضربوا بقولي عرض الحائط. وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا وجدتم سنة رسول اللَّه ﷺ خلاف قولي فخذوا بالسنة ودعوا قولي، فإني أقول بها. وقال رحمه اللَّه تعالى: كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبي ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها في حياتي وبعد موتي. وقال رحمه اللَّه تعالى وروى حديثًا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد اللَّه؟ فقال: - متى رويت عن رسول اللَّه ﷺ حديثًا صحيحًا فلم آخذ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. وأشار بيده على رءوسهم. وسأله رجل مسألة فأفتاه وقال: قال النبي ﷺ كذا. فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال: أرأيت في وسطي زنارًا؟ أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول قال النبي ﷺ وتقول لي أتقول بهذا! أروى عن النبي ﷺ ولا أقول به! وفي لفظ: فارتعد الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ واصفر لونه وقال: ويحك، أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول اللَّه ﷺ شيئًا فلم أقل به. نعم على الرأس والعينين[3].

وقال رحمه اللَّه تعالى: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول اللَّه ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول وأصلت فيه عن رسول اللَّه ﷺ خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول اللَّه ﷺ وهو قولي، وجعل يردد هذا الكلام، وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضًا لم أسمع أحدًا نسبته

---

(١) الخبر أورده ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٣٩) عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعد بن إياس عن ابن مسعود وهذا الإسناد صحيح، لكن يبقى النظر فيمن رواه عن إسرائيل.

(٢) حسن إلى عمر بن عبد العزيز: أورده ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٧٤ طبعة دار الحديث) عن ابن أبي خيثمة عن الحوطي ثنا إسماعيل بن عياش عن سوادة بن زياد وعمرو بن المهاجر عن عمر بن عبد العزيز به، وهذا إسناد حسن، والحوطي هو عبد الوهاب بن نجدة، وأخرجه المروزي في «السنة» (٩٤) من طريق إسماعيل به، وزاد في شيوخ إسماعيل بشر بن عبد اللَّه بن يسار وهو حمصي ثقة وأورده ابن القيم (٢/ ٢٣٩) عن أبي بكر بن أبي شيبة عن صالح بن عبد اللَّه عن سفيان بن عامر عن عتاب بن منصور عن عمر بن عبد العزيز به.

(٣) أورده ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٣٩) عن الشافعي من غير عزو أو إيراد إسناد.

العامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله تعالى اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه، فإن الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما، وأن فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف فيه (١)، وقال الربيع سألت الشافعي عن الطيب قبل الإحرام بما يبقى ريحه بعد الإحرام وبعد رمي الجمرة والحلاق وقبل الإفاضة، فقال: جائز وأحبه ولا أكرهه، لثبوت السنة فيه عن النبي ﷺ والأخبار عن غير واحد من الصحابة. فقلت وما حجتك فيه؟ فذكر الأخبار فيه والآثار ثم قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سالم قال: قال عمر رضي الله عنه: من رمى الجمرة فقد حل له ما حرم عليه إلا النساء والطيب (٢).

فقال سالم وقالت عائشة رضي الله عنها: طيبت رسول الله ﷺ بيدي (٣) وسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع. قال: وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون وأهل العلم، فأما ما تذهبون إليه من ترك السنة وغيرها وترك ذلك لغير شيء بل لرأى أنفسكم فالعلم إذا إليكم تأتون منه ما شئتم وتدعون ما شئتم. وقال رحمه الله تعالى: من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته، ومن خلط فتركها خالفته. صاحبي الذي لا أفارق الملازم الثابت مع رسول الله ﷺ وإن بعد، والذي أفارق هو من لم يقل بحديث رسول الله ﷺ وإن قرب (٤).

وقال رحمه الله تعالى في خطبة كتاب «إبطال الاستحسان»: الحمد لله على جميع نعمه بما هو أهله وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، بعثه بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهدى بكتابه ثم على لسان رسوله، ثم أنعم عليه وأقام الحجة على خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى

---

(١) انظر هذه الأقوال في «إعلام الموقعين» لابن القيم (٢/ ٢٣٩ - ٢٤٤) و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٣٣ - ٣٦).

(٢) صحيح إلى عمر وهو بهذا الإسناد في «اختلاف الحديث» للشافعي (ص ٢٤١) وإسناده صحيح، وأخرجه مالك في «الموطأ» (ص ٤١٠) عن نافع وعبد الله بن دينار عن ابن عمر عن عمر، وهذا صحيح أيضًا، ومن طريق مالك أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٠٤).

(٣) صحيح وهو في «اختلاف الحديث» للشافعي (ص ٢٤١) وإسناده صحيح، وأخرجه البخاري (١٧٥٤) ومسلم (١١٨٩) من طرق عن عائشة.

(٤) انظر «السير» و «إعلام الموقعين».

وَرَحْمَةً﴾ [النحل: الآية ٨٩] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: الآية ٤٤] وفرض عليهم اتباع ما أنزل إليهم وسن رسول الله ﷺ فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٣٦] فأعلم أن معصيته في ترك أمره وأمر رسول الله ﷺ ولم يجعل لهم إلا اتباعه، وكذلك قال رسول الله ﷺ ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ مع ما علم نبيه. ثم فرض اتباع كتابه فقال: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٣] وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: الآية ٤٩] وأعلمهم أنه كمل لهم دينهم فقال ﷻ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: الآية ٣] إلى أن قال: ثم من عليهم بما آتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لا يقولوا غيره إلا ما علمهم فقال لنبي ﷺ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: الآية ٥٢] وقال لنبيه ﷺ ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: الآية ٩] وقال لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ ثم أنزل على نبيه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورضوانه عنه وأنه أول شافع ومشفع يوم القيامة وسيد الخلائق وقال لنبيه ﷺ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: الآية ٣٦] وجاءه ﷺ رجل في امرأة رجل رماها بالزنى فقال له: يرجع، فأوحى الله إليه آية اللعان فلاعن بينهما [1]، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: الآية ٦٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: الآية ٣٤] الآية، وقال لنبيه ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ فحجب عن نبيه علم الساعة، وكان من عدا ملائكة الله المقربين وأنبيائه المصطفين من عباد الله أقصر علمًا من ملائكته وأنبيائه، والله ﷻ فرض على خلقه طاعة نبيه ولم يجعل لهم من الأمر شيئًا، وكلامه رحمه الله تعالى في هذا الباب كثير مشهور مذكور. وهذا الذي قاله من تحكيم نصوص الكتاب والسنة وطرح ما خالفهما هو الذي نطقا به، وصرحت به نصوصهما، وأجمع عليه الصحابة والتابعون فمن بعدهم، كما حكى إجماعهم هو وغيره، وكما هو المشهور من سيرتهم في الأقوال والأفعال، ونصوصهم في هذا الباب ملء الدنيا، وتصانيفهم في ذلك قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، ولو رأوا ما عليه مقلدوهم في هذا الوقت لتبرءوا منهم ومقتوهم أشد المقت، فإنهم ليسوا على ما كانوا عليه، ولا

---

(١) انظر «صحيح البخاري» (٤٧٤٧) وغيره.

اهتدوا إلى ما أرشدوهم إليه، بل اختلفوا اختلافًا شديدًا وافترقوا افتراقًا بعيدًا، كل منهم يحصر الحق في إمامه ويرى ما خالفه باطلًا، ويرى سائر أهل العلم مفضولين وإمامه فاضلًا، وإذا خالف مذهبه نصًا ضرب له الأمثال وتكلف له التأويل المحال، ويقابله الآخر بمثل ذلك، فهم بين راد ومردود وحاسد ومحسود، وكان فيهم شبه من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: الآية ٣٢]، لم يعلم هؤلاء المساكين أن سلفهم الصالح الذين يزعمون الاقتداء بهم كانوا أبعد من هذه الصفة بعد ما بين المشارق والمغارب، بل كانوا ﷺ وأرضاهم أجل شأنًا وأكمل إيمانًا من أن يقدموا بين يدي الله ورسوله، بل هم تبع له في أوامره ونواهيه، ولنصوص الشرع أعظم عندهم من أن يقدموا عليها آراء الرجال، وهي أجل قدرًا في صدورهم من أن تضرب لها الأمثال، وأعلى منزلة من أن تدفع بالأقيسة والتأويل المحال، وإنما المقتدي بهم على الحقيقة من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وحفظ وصيتهم، وأحيا سنتهم في طلب الحق وأخذه أين وجده، والوقوف عند كتاب الله تعالى وسنة رسوله كما بلغته، فكما كان اجتهاد السلف رحمهم الله في جمع الأدلة واستنباط الأحكام منها، فالواجب عند الخلاف تتبع تلك الأدلة والاستنباطات، والأخذ بالأصح منها مع من كان وبيد من وجد، فإن الحق واحد لا يجزئه الاختلاف، وكل واحد من أولئك الأئمة يدأب في طلبه جاد مجتهدًا إن أصابه فله أجران وإن أخطأه فله أجر والخطأ مغفور[1]، وهذه أقوالهم مدونة في كتبهم، كلها تذم الرأي في الدين، وتحث من بعدهم على اقتفاء أثرهم في طلب الحق أين ما كان، ولم يدع أحد منهم إلى تقليده، ولم يكن أحد منهم معصومًا ولا ادعى ذلك، ولا قال إن الحق معي لا يفارقني فتمسكوا بما أقول وأفعل، ولا كان لأحد منهم التزام قول أحد من آحاد الأمة إلا ممن هو مثلهم، ولا من هو أفضل منهم فضلًا عمن دونهم، ولم يكن لهم أن يلتزموه فيما خالف النص الذي لم يبلغه أو لم يستحضره، ولو كان ذلك خيرًا لسبقونا إليه، بل كان إمام الجميع محمد رسول الله ﷺ الذي بين للناس ما نزل إليهم، ويتبعون آثاره من الأفعال والأقوال والتقريرات يتلقونها من حفاظها من كانوا وأين كانوا وبيد من وجدوها وقفوا عندها ولم يعدوها إلى غيرها. وكانت طريقتهم في تلقي النصوص أنهم يردون المتشابه إلى المحكم، ويأخذون مايفسر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالته مع دلالة

---

(١) في الحديث: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر» أخرجه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) وغيرهما من حديث عمرو بن العاص مرفوعًا به.

المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضًا، ويصدق بعضها بعضًا، فإنها كلها من عند اللّه وما كان من عند اللّه فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره، قال اللّه تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[النساء: الآية ٨٢] .

الخاتمة

ثُمَّ إِلَى هُنَا قَدِ انْتَهَيْتُ ... وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ عَنَيْتُ
سَمَّيْتُهُ بِسُلَّمِ الْوُصُولِ ... إِلَى سَمَا مَبَاحِثِ الأُصُولِ
وَالْحَمْدُ للَّهِ عَلَى انْتِهَائِي ... كَمَا حَمِدْتُ اللَّهَ فِي ابْتِدَائِي
أَسْأَلُه مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ ... جَمِيعِهَا وَالسَّتْرَ لِلْعُيوبِ
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَبَدَا ... تَغْشَى الرَّسُولَ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدًا
ثُمَّ جَمِيعَ صَحْبِهِ وَالآلِ ... السَّادَةِ الائِمَّةِ الابْدَالِ
تَدُومُ سَرْمَدًا بِلَا نَفَادِ ... مَا جَرَتِ الاقْلَامُ بِالْمِدَادِ
ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ الْقُرَّاءِ ... جَمِيعِهِمْ مِنْ غَيرِ مَا اسْتِثْنَاءِ
أَبْيَاتُهَا يسْرٌ بِعَدِّ الْجُمَلِ ٢٧٠ ... تَأْرِيخُهَا الْغُفْرَانُ فَافْهَمْ وَادْعُ لِي ١٣٦٢

«ثم إلى هنا» الإشارة إلى آخر الكلام على الاعتصام بالكتاب والسنة، وناسب جعل ذلك هو الخاتمة يكون الآية فيها الإشارة إلى ذلك هي من آخر ما نزل وهي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة: الآية ٣] بل السورة كلها من آخر ما نزل، وروى أنها نزلت جملة، ومن جهة الاعتصام بها آخر ما أوصى به النبيﷺ في خطبته في حجة الوداع ثم في خطبته في غدير خم، ثم كان من آخر ما تكلم به عند خروجه من الدنيا: «قد انتهيت» أي: اقتصرت على هذا القدر، وفيه إن شاء اللّه تعالى كفاية، «وتم» أي: قضى «ما» أي: الذي «بجمعه» في نظمي «عنيت» اهتممت له. «سميته» حين تم «بسلم» أي: المرقاة التي يصعد فيها لأجل «الوصول إلى سما» بتثليث السين «مباحث» جمع مبحث وهو ما يحصل به فهم الحكم «الأصول» جمع أصل وهو ماينبى عليه، والمراد بها عند الإطلاق أصول الدين، وهو ما يجب اعتقاده فيه وهو المراد هنا، وأما إذا أضيفت فهي بحسب المضاف إليه: فأصول الحديث علم الاصطلاح الذي يبحث فيه عن تفاصيل أحوال السند والمتن وأحكامها. وأصول الفقه علم يبحث فيه عن الدليل والمدلول وحال المستدل وغير ذلك،

وأصول العربية والنحو والصرف والمعاني والبديع كل بحسبه وتعريفه في فنه، وقولنا «سما مباحث الأصول» وصف له بالسمو وهو العلو، إشارة إلى أنه أعلى العلوم وأهمها وأوجبها وألزمها؛ لأنه معرفة ما خلق الله له الخلق والدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وفيه وله شرع الجهاد، عليه يرتب الجزاء من الثواب والعقاب وغير ذلك، فحقيق بعلم هذا قدره أن يكون هو أول ما يهتم به العبد وأعظم ما يبذل فيه جهده وينفق فيه عمره حتى يموت على ذلك، وناسب تسمية الشرح بمعارج القبول؛ لأن الخروج هو الصعود، والمعارج المصاعد فكان القارئ في هذا الشرح يصعد في هذا السلم. وأضيفت المعارج إلى القبول لمناسبة الوصول؛ لأن من لم يقبل لم يصل بل يرد أو ينقطع. «والحمد لله على» جزيل النعمة التي منها أن قدر «انتهائي» أي: إتمامي هذا المتن المشتمل على معرفة الله تعالى ودينه ورسوله ﷺ «كما حمدت الله في ابتدائي» في نظمه كما تقدم، وذلك اقتداء بكلام الله تعالى حيث افتتح ذكر الخلق بالأمر فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[الأنعام: الآية ١] وختم ذكرها فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال: ﴿ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الزمر: الآية ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[يونس: الآية ١٠]. «أسأله» أي: أسأل الله «مغفرة» أي: مغفرته تعالى «الذنوب» ذنوبي وجميع المسلمين، والمغفرة ستر الذنب في الدنيا والآخرة والعفو عنه وعدم المؤاخذة به «جميعها» من صغائر وكبائر، والاستغفار من أعلى أنواع الذكر «والستر» منه تعالى «للعيوب» مني ومن جميع المسلمين. «ثم» عطف على الحمد والاستغفار «الصلاة والسلام» تقدم معناهما «تغشى الرسول المصطفى محمدا» تغمره من ربه ﷻ «ثم» تغشى «جميع صحبه والآل» تقدم تعريفهما «السادة» جمع سيد وهو النقيب المقدم «الأئمة» المقتدى بهم في الدين «الإبدال» أي: الأولياء لله تعالى «تدوم» متواصلة متواترة «سرمدا» تأكيدًا للدوام يفسره «بلا نفاد» فناء وانقطاع «ما جرت الأقلام بالمداد» أي: عدد ما جرت به. «ثم الدعا» لجامع هذا العقد متنًا وشرحًا «وصية» منه يلتمسه من «القراء» أن يدعوا له بخيري الدنيا والآخرة «جميعهم» شاهدهم وغائبهم معاصريه ومن يأتي بعد عصره «من غير ما» صلة أي من غير «استثناء» إخراج أحد منهم من هذه الوصية، «أبياتها» أي عدتها رمز حروف «يسر» وذلك مائتان وسبعون «بعد الجمل» الحروف الأبجدية والمعروفة عند عامة العرب. وبما زدت فيها أقول «أبياتها المقصود» أي: الذي فيه الأحكام والمسائل «يسر فاعقل» عني. «تأريخها» الذي ألفت فيه رمزه حروف «الغفران» وذلك ألف وثلاثمائة واثنان وستون، أي: عامئذ. نسأل الله الغفران «فافهم» ما في ذا المعتقد «وادع لي» بصالح

الدعوات في أوقات الإجابة كما أوصيتك، فإن ذلك من أعظم الصدقات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِى ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: الآية ٨٨].

اللَّهم يا حي يا قيوم ياذا الجلال والإكرام، يا بديع السموات والأرض، برحمتك نستغيث، اللَّهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، اللَّهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، فاغفر لنا وارحمنا إنك الغفور الرحيم، اللَّهم ما كان في هذا السفر من حق وصواب فبتعليمك وإلهامك، وفضلك وإنعامك، أنت أهله ووليه، فلك الحمد كما أنت أهله، فانفعنا اللَّهم بتفهمه، وارزقنا العمل بما علمنا وجميع المسلمين، وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسي وشيطاني، فألهمني اللَّهم رشدي، وأعذني من شر نفسي، وقيض له من يصلحه ويسد خللَّه، وأعذني أن أضل عن سواء صراطك المستقيم، أو يضل بخطئي أحد من عبادك، واغفر لي ولوالدي ولجميع المسلمين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، سلام على المرسلين والحمد للَّه رب العالمين. وصل اللَّهم على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين. وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغر المحجلين، ورضي اللَّه عن آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بفضله ورحمته ووالدينا وإخواننا وجميع المسلمين آمين.

وكان الفراغ من تسويده نهار الاثنين بعد صلاة العصر السادس عشر من جمادى الأولى ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم[١].

---

(١) قال محققه أبو محمد يحيى بن محمد سوس عفا اللَّه عنه: وهذا آخر الكتاب بحمد اللَّه تعالى وتوفيقه، وكان الانتهاء من تحقيقه والتعليق عليه آخر يوم السبت العشرين من شعبان ١٤٢٦ هـ.
واللَّه سبحانه تعالى أسأل أن ينفع بما في هذا الكتاب قبل الناس نفسي، وأن يجعله ذخرًا إلى يوم رمسي، وأن يجعلني وإياكم من أهل التوحيد العاملين به والداعين إليه، المتبعين رسوله ﷺ.
وأسأله سبحانه أن يؤلف بين قلوب الموحدين، ويجمع على الحق كلمتهم، وأن يجعل بأسهم على غيرهم لا على أنفسهم فإنه سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.
اللَّهم اغفر لي ولأبوي وزوجي وولدي وشيخي، ومن كان له علي حق، وسامح تقصيري وعجزي، واغفر لمؤلف الكتاب وقارئه وناشره والمسلمين، واجمعنا جميعًا في مستقر رحمتك، والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات، وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

وكتبه/ أبو محمد يحيى بن محمد سوس
عفا اللَّه عنه

فهرس الموضوعات

